العقد الفريد

للإمام الفاضل شهاب الدين أحمد
المعروف بابن عبد ربه الأندلسي

الجزء الاول

طبع بالمطبعة الأزهرية بمصر
بشارع رقعة القمح رقم ٦ بجوار الأزهر الشريف بمصر
(على نفقة أصحابها)
ورثة المرحوم فضيلة الشيخ محمد عبد الخالق المهدي
(الطبعة الثانية سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الاول بلا ابتداء . الآخر بلا انتهاء . المنفرد بقدرته . المتعالى فى سلطانه . الذى لا تحويه الجهات . ولا تنعته الصفات . ولا تدركه العيون . ولا تبلغه الظنون . البادئ بالاحسان . العائد بالامتنان . الدالّ على بقائه بفناء خلقه . وعلى قدرته بعجز كل شيء سواه . المغتفر اساءة المذنب بعفوه . وجهل المسيء بحلمه . الذى جعل معرفته اضطرارا . وعبادته اختيارا . وخلق الخلق من بين ناطق معترف بوحدانيته . وصامت متخشع لربوبيته . لا يخرج شيء عن قدرته . ولا يعزب عن رؤيته . الذى قرن بالفضل رحمته . وبالعدل عذابه . والناس مدينون بين فضله وعذابه . آذنون بالزوال . آخذون فى الانتقال . من دار بلاء . الى دار جزاء . أحمده على حلمه بعد علمه . وعلى عفوه بعد قدرته . فانه رضي الحمد شكرا لجزيل نعمائه . وجليل آلائه . وجعله مفتاح رحمته . وكفاء نعمته . وآخر دعوى أهل جنته . بقوله جل وعز : « وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » وصلى الله على نبيه الكريم الشافع المقرّب الذى بعث أخرا واصطفى أوّلا . وجعلنا من أهل طاعته . وعتقاء شفاعته .

﴿ وبعد ﴾ فان أهل كل طبقة . وجهابذة (١ كل أمة . قد تكلموا فى الادب . وتفلسفوا فى العلوم على كل لسان . ومع كل زمان . وان كل متكلم منهم قد استفرغ غايته . وبذل مجهوده . فى اختصار بديع معانى المتقدمين . واختيار جواهر ألفاظ السالفين . وأكثروا فى ذلك حتى احتاج المختصر منها الى اختصار . والمتخير الى اختيار . ثم انى رأيت آخر كل طبقة . وواضعى

---

١) الجهبذ بفتح الجيم والباء وبكسرهما : الناقد العارف بتمييز الجيد من الرديء والجمع جهابذة وهو معرب كهبذ بالفارسية .

كل حكمة . ومؤلفي كل أدب . أعذب ألفاظا . وأسهل بنية . وأحكم مذهباً . وأوضح طريقة . من الاول ، لانه ناقد متعقب . والاول باد متقدم . فلينظر الناظر الى الاوضاع المحكمة . والكتب المترجمة . بعين انصاف ثم يجعل عقله حكما عادلا قاطعا فعند ذلك يعلم انها شجرة باسقة الفرع . طيبة المنبت . ذكية التربة . يانعة الثمرة . فمن أخذ بنصيبه منها كان على ارث من النبوة . ومنهاج من الحكمة . لا يستوحش صاحبه . ولا يضل من تمسك به.

﴿ وقد ألفت ﴾ هذا الكتاب . وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب . ومحصول جوامع البيان . فكان جوهر الجوهر . ولباب الالباب . وانما لي فيه تاليف الاختيار . وحسن الاختصار . وفرش(١) لدور كل كتاب . وماسواه فماخوذ من أفواه العلماء . ومأثور عن الحكماء والادباء . واختيار الكلام أصعب من تاليفه . وقد قالوا : اختيار الرجل وافد عقله .

وقال الشاعر : قد عرفناكَ باختيارك إذ كا * ن دليلا على اللبيب اختياره

وقال أفلاطون : عقول الناس مدوّنة في أطراف أقلامهم . وظاهرة في حسن اختيارهم . فتطلبت نظائر الكلام . وأشكال المعاني . وجواهر الحكم . وضروب الأدب . ونوادر الامثال . ثم قرنت كل جنس منها الى جنسه . فجعلته بابا على حدته . ليستدل الطالب للخير على موضعه من الكتاب . ونظيره من كل باب . وقصدت من جملة الاخبار . وفنون الآثار . الى أشرفها جوهراً . وأظهرها رونقا . وألطفها معنى . وأجزلها لفظا . وأحسنها ديباجة . واكثرها طلاوة وحلاوة . آخذا بقول الله تبارك وتعالى : «الذين يستمعون القولَ فيتبعون أحسنه .» وقال يحيي بن خالد . الناس يكتبون أحسن ما يسمعون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويتحدثون باحسن ما يحفظون . وقال ابن سيرين : العلم اكثر من أن يحاط به فخذوا من كل شيء أحسنه وفيما بين ذلك سقطة الرأى وزلل القول ولكل عالم هفوة . ولكل صارم نبوة . وفي بعض الكتب : انفرد الله تعالى بالكمال ولم يبرأ احد من النقصان . وقيل للعتابي : هل تعلم احداً لا عيب فيه . قال : ان الذي لا عيب فيه لا يموت ابدا ، ولا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة . وقال العتابي : من قرض شعرا أو وضع كتابا فقد استهدف للخصوم واستشرف للالسن الا عند من نظر فيه بعين العدل وحكم بغير الهوي وقليل ماهم .

وحذفت الاسانيد من اكثر الاخبار طلبا للاستخفاف والايجاز وهربا من التثقيل والتطويل . لانها اخبار ممتعة وحكم ونوادر . لا ينفعها الاسناد باتصاله . ولا يضرها ما حذف

---

١) الفرش : المفروش من متاع الدار يعني رياشها وأثاثها . أو من فرشت الشيء اذا بسطته .

منها . وقد كان بعضهم : يحذف اسناد الحديث من سنة متبعة وشريعة مفروضة فكيف لا يحذفه من نادرة شاردة ومثل سائر وخبر مستظرف . سال حفص بن غياث الاعمش : عن اسناد حديث فاخذ بحلقه واسنده الى حائط . وقال : هذا اسناده . وحدث ابن السماك بحديث . فقيل له : ما اسناده . قال : هو من المرسلات عرفا ، وحدث الحسن البصرى بحديث . فقيل له : يا اباسعيد عمن ! قال : وما تصنع بعمن يا ابن اخي ؟ أما انت فنالتك موعظتنا وقامت عليك حجته .

وقد نظرت فى بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متفرقة فى فنون الاخبار . ولا جامعة لجمل الآثار . فجعلت هذا الكتاب كافيا جامعا لا كثر المعانى التى تجري على أفواه العامة والخاصة . وتدور على ألسنة الملوك والسُوقة . وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الاخبار فى معانيها وتوافقه فى مذاهبها . وقرنت بها غرائب من شعرى ليعلم الناظر فى كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته . وبلدنا على انقطاعه . حظا من المنظوم والمنثور . وسميته كتاب :

ـ العقد الفريد[1] ـ

لما فيه من مختلف جواهر الكلام . مع دقة المسلك وحسن النظام . وجزأته على خمسة وعشرين كتابا كل كتاب منها جزآن فتلك خمسون جزأ فى خمسة وعشرين كتابا . قد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد . فأولها : كتاب اللؤلؤة فى السلطان ، ثم كتاب الفريدة فى الحروب ومدار أمرها ، ثم كتاب الزَبرَجدة في الاجواد والاصفاد ، ثم كتاب الجُمانة فى الوفود ، ثم كتاب المرْجانة فى مخاطبة الملوك ، ثم كتاب الياقوتة فى العلم والادب ، ثم كتاب الجوهرة فى الامثال ، ثم كتاب الزمردة فى المواعظ والزهد ، ثم كتاب الدرة فى التعازى والمراثى ، ثم كتاب اليتيمة فى النسب وفضائل العرب ، ثم كتاب العسجدة

١) العقد : بكسر العين الخيط ينظم فيه الخرز . ولا باس أن ناتي هنا على تفسير جواهر هذا العقد فنقول : اللؤلؤة . الدرة . والفريدة : واحدة الفرائد وهي الشذر الذى يفصل بين اللؤلؤ والذهب ، وقيل هي الشذر من فضة كاللؤلؤة . والزبرجدة : واحدة الزبرجد بفتحات والراء ساكنة الزمرد . والجمانة بالضم : حبة تعمل من الفضة على شكل اللؤلؤة واحدها جمان فارسى معرب . والمرجانة بالفتح : واحدة المرجان جوهر أحمر . قال ابن برى : والذي عليه الجمهور انه صغار اللؤلؤ كاذ كره الجوهري والياقوتة واحدة الياقوت : معدن معلوم

فى كلام الاعراب ، ثم كتاب المجنبة في الاجوبة ، ثم كتاب الواسطة فى الخطب ، ثم كتاب المجنبة الثانية فى التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة ثم كتاب العسجدة الثانية فى الخلفاء وتواريخهم وايامهم ، ثم كتاب اليتيمة الثانية فى اخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة ، ثم كتاب الدرة الثانية فى ايام العرب ووقائعهم ، ثم كتاب الزمردة الثانية فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ، ثم كتاب الجوهرة الثانية فى اعاريض الشعر وعلل القوافى ، ثم كتاب الياقوتة الثانية فى الالحان واختلاف الناس فيه ، ثم كتاب المرجانة الثانية فى النساء وصفاتهن ، ثم كتاب الجمانة الثانية فى المتنبئين والموسومين والبخلاء والطفيليين ، ثم كتاب الزبرجدة الثانية فى بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان ، ثم كتاب الفريدة الثانية فى الطعام والشراب ، ثم كتاب اللؤلؤة الثانية فى الفكاهات والملح .

— ١ —

كتاب اللؤلؤة فى السلطان

السلطان زمام الامور ، ونظام الحقوق ، وقوام الحدود ، والقطب الذى عليه مدار الدنيا . وهو حمى الله فى بلاده ، وظله الممدود على عباده . به يمتنع حريمهم ، وينتصر مظلومهم ، وينقمع ظالمهم ، ويامن خائفهم . قالت الحكماء : امام عادل خير من مطر وابل ، وامام غشوم خير من فتنة تدوم ، ولما يزع الله بالسلطان ، أكثر مما يزع بالقرآن : وقال وهب بن منبه . فيما أنزل الله على نبيه داود عليه السلام . انى أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدى . فمن كان لى على طاعة جعلت الملوك عليهم رحمة ، ومن كان لى على معصية جعلت الملوك عليهم نقمة . فحق على من قلده الله أزمة حكمه ، وملكه أمور خلقه ، واختصه باحسانه ، ومكن له فى سلطانه ، أن يكون

. قال الجوهرى يقال فارسى معرب . والجوهرة : واحدة الجوهر معروف قيل فارسى معرب . قال الخفاجى : وقال المعرى عربى : والزمردة . واحدة الزمرد معدن معروف نص عليه التيفاشي فى كتاب الجماهر وتقدم أنه الزبرجد . والدرة : اللؤلؤة العظيمة واليتيمة : الدرة التي لا نظير لها . وكل شىء مفرد بغير نظيره فهو يتيم ومنه درة يتيمة ! والعسجدة : من العسجد وهو الذهب . وقيل هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت . والمجنبة بكسر النون : واحدة المجنبات من الميمنة والميسرة : واما المجنبة بالفتح فهى المقدمة . والواسطة انفس جوهر القلادة . قال فى الصحاح . واسطة القلادة الجوهر الذي هو فى وسطها وهو اجودها

من الاهتمام بمصالح رعيته ، والاعتناء بمرافق أهل طاعته بحيث وضعه الله من الكرامة ، وأجرى عليه من أسباب السعادة . قال الله عز وجل : «الذين إن مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور» . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : عدل ساعة فى حكومة خير من عبادة ستين سنة . وقال صلى الله عليه وسلم : كلكم راع وكل راع مسؤل عن رعيته . وقال الشاعر :

فكلكُم راع ونحن رعيةٌ * وكل يلاقى ربه فيحاسبه

ومن شأن الرعية قلة الرضا عن الائمة ، وتحجر الغدر عليهم ، وإلزام الائمة لهم . ورب ملوم لاذنب له . ولا سبيل الى السلامة من آلسنة العامة ، إذ كان رضا جملتها وموافقة جماعتها من المعجز الذى لا يدرك والممتنع الذى لا يملك . ولكلٍّ حصته من العدل ، ومنزلته من الحكم . فمن حق الامام على رعيته : أن يقضى عليهم بالاغلب من فعله ، والاعم من حكمه . ومن حق الرعية على امامها : حسن القبول لظاهر طاعتها وإضرابه صفحا عن مكاشفتها ، كما قال زياد لما قدم العراق واليا عليها : أيها الناس انه قد كانت بيني وبينكم إحن . فجعلت ذلك دَبر اذُني وتحت قدمي ، فمن كان محسناً فليزد فى احسانه ومن كان مسيئاً فلينزع عن اساءته . انى لو علمت أن احدكم قد قتله السل من بغضى لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدي صفحته لى . وقال عبد الله بن عمر : اذا كان الامام عادلا فله الاجر ، وعليك الشكر واذا كان الامام جائراً فله الوزر ، وعليك الصبر . وقال كعب الاحبار : مثل الاسلام والسلطان [والناس] مثل الفسطاط والعمود [والاوتاد] فالفسطاط الاسلام والعمود السلطان والاوتاد الناس ولا يصلح بعضها الا ببعض ، وقال الافوه الاودى :

لا يصلُحُ الناس فوضى لا سَراة لهم * ولا سَراة اذا جهالهُم سادوا

والبيت لا يبتني إلا له عَمَد * ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

وان تجمّع أوتادٌ وأعمدة * وساكنٌ بلغوا الامر الذى كادوا

١ — نصيحة السلطان ولزوم طاعته — قال الله تبارك وتعالى : «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم» . وقال أبو هريرة : لما نزلت هذه الآية أمرنا بطاعة الائمة وطاعتهم من طاعة الله . وعصيانهم من عصيان الله . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من فارق الجماعة أو خلع يدا من طاعة مات ميتةً جاهلية . وقال صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة : قالوا لمن يارسول الله . قال : لله ولرسوله ولاولى

الامر منكم . فنصح الامام ولزوم طاعته فرض واجب وأمر لازم ولا يتم ايمان إلا به ولا يثبت اسلام الا عليه . الشعبي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال لى أبي أرى هذا الرجل - يعني عمر بن الخطاب - يستفهمك و يقدمك على الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وانى موصيك بخلال أربع . لا تفشين له سرا ولا يجربن عليك كذبا ولا تطوعنه نصيحة ولا تغتابن عنده أحدا . قال الشعبي : فقلت لابن عباس كل واحدة خير من ألف . قال : أى والله ومن عشرة آلاف وفى كتاب للهند : أن رجلا دخل على بعض ملوكهم فقال : أيها الملك ان نصيحتك واجبة فى الصغير الحقير [فكيف] بالكبير الخطير ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك مايسوءه موقعه في جنب صلاح العامة وتلافى الخاصة لكان خرقا مني أن أقول . ولكنا اذا رجعنا الى ان بقاءنا موصول ببقائك وأنفسنا متعلقة بنفسك لم نجد بدا من أداء الحق اليك وان أنت لم تسلني ذلك فانه يقال من كتم السلطان نصيحته والاطباء مرضه والاخوان بثه فقد اخل بنفسه (١ . وأنا أعلم أن كل كلام يكرهه سامعه لم يتشجع عليه قائلة الا ان يثق بعقل المقول له ذلك فانه اذا كان عاقلا احتمل ذلك لانه ما كان فيه من نفع فهو للسامع دون القائل وانك أيها الملك ذو فضيلة فى الرأي وتصرف فى العلم فانما يشجعنى ذلك على أن أخبرك بما تكره واثقا بمعرفة نصيحتي لك وايثاري إياك على نفسى . وقال عمرو بن عتبة للوليد حين تغير الناس عليه : ياأمير المؤمنين ينطقنى الأنس بك ويسكتني الهيبة لك . وأراك تأمن أشياء أخافها عليك . أفأسكت مطيعا . أم أقول مشفقا . قال : كل مقبول منك ولله فينا علم غيب نحن صائرون اليه [ونعود فنقول] فقتل بعد ذلك بايام . وقال خالد بن صفوان : من صحب السلطان بالصحة والنصيحة [كان] أكثر عدواً ممن صحبه بالغش والخيانة . لانه يجتمع علي الناصح عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد . فصديق السلطان ينافسه فى مرتبته وعدوه يبغضه لنصيحته .

٢ — مايصحب به السلطان — قال ابن المقفع : ينبغى لمن خدم السلطان أن لا يغتر به اذا رضى منه ولا يتغير له اذا سخط ولا يستثقل ما حمله ولا يلحف فى مسألته . وقال أيضا : لا تكن صحبتك السلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم . فان كنت حافظا اذا ولوك

---

١) أورد هذه الجملة ابن قتيبة فى كتاب السلطان الى هنا مع اختلاف غير مخل بالمعنى الى كثير من جمل هذا الباب . والكلمات التي تجدها بين قوسين [هكذا] فانها مزيدة منه .

حذر اذا قربوك أمينا اذا ائتمنوك ذليلا اذا صرموك راضيا إن أسخطوك تعلمهم وكانك متعلم منهم وتؤدبهم وكانك متادب بهم وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر . والا فالبعد منهم كل البعد والحذر كل الحذر (١ . وقال المامون : الملوك تتحمل كل شيء الا ثلاثة أشياء القدح في الملك (٢ وافشاء السر والتعرض للحرم . وقال ابن المقفع : اذا نزلت من السلطان بمنزلة الثقة فلا تلزم الدعاء له في كل كلمة فان ذلك يوجب الوحشة ويلزم الانقباض . وقال الاصمعي : توصلت بالملح وأدركت بالغريب . وقال ابو حازم الاعرج لسليمان ابن عبد الملك : انما السلطان سوق فما نفق عنده حمل اليه . ولما قدم معاوية من الشام: وكان عمر قد استعمله عليها ، دخل على أمه هند . فقالت له : يابني انه قلما ولدت حرة مثلك وقد استعملك هذا الرجل فاعمل بما وافقه أحببت ذلك أم كرهته . ثم دخل على أبيه ابي سفيان . فقال له : يابني ان هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتاخرنا عنهم فرفعهم سبقهم وقصر بنا تاخرنا فصرنا أتباعا وصاروا قادة وقد قلدوك جسيما من أمرهم فلا تخالفن امرهم فانك تجرى الى امد لم تبلغه ولو قد بلغته لتنفست فيه . قال معاوية : من اتفاقهما في المعني على اختلافهما في اللفظ .وقال ابرويز لصاحب بيت المال : اني لا أعذرك في خيانة درهم ولا أحمدك على صيانة الف الف فعجبت لانك إنما تحقن بذلك دمك وتقيم امانتك فان خنت قليلا خنت كثيرا واحترس من خصلتين : النقصان فيما تاخذ والزيادة فيما تعطى . واعلم أني لم اجعلك على ذخائر الملك وعمارة المملكة والقوة على العدو إلا وانت عندي آمن [من] موضعه الذي هو فيه وخواتمه التي هي عليه فحقق ظني باختياري اياك احقق ظنك في رجائك اياي ولا تتعوض بخير شرا ولا برفعة ضعة ولا بسلامة ندامة . ولما ولى يزيد بن معاوية سلم ابن زياد خراسان . قال له : ان اباك كفى اخاه عظيما وقد استكفيتك صغيرا فلا تتكلن على عذر مني فقد اتكلت علي كفاية منك واياك مني قبل ان اقول اياى منك فان الظن اذا اختلف مني فيك اختلف منك فيّ وانت في ادنى حظك فاطلب فيّ اقتضاءه وقد اتعبك ابوك فلا تريحن . قال يزيد : حدثني ابي ان عمر بن الخطاب لما قدم الشام قدم على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف على حمار فتلقاهما معاوية في موكب ثقيل فجاوز عمر حتي اخبر فرجع اليه فلما قرب منه نزل اليه

١) اوردها ابن المقفع في الادب الصغير بأبسط مما هنا .
٢) في الاصل : الفرح في اهلك . ولعل الصواب ما كتبناه .

فاعرض عنه فجعل يمشي الى جنبه راجلا . فقال له عبد الرحمن بن عوف : أتعبت الرجل فاقبل عليه عمر . فقال : يامعاوية أنت صاحب الموكب آنفا مع مابلغني من وقوف ذوى الحاجات ببابك . قال : نعم ياأمير المؤمنين . قال : ولم ذاك ؟ قال : لانا فى بلد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو ولا بد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتني بذلك أقمت عليه وان نهيتني عنه انتهيت . فقال : لئن كان الذى تقول حقا فانه رأى أريب ، وان كان باطلا فانها خدعة أديب ، وما آمرك به ولا انهاك عنه . فقال عبد الرحمن بن عوف : لحسن ماأصدر هذا الفتى عما أوردته فيه . فقال : لحسن موارده جشمناه ماجشمناه .

وقال الربيع بن زياد الحارثى : كنت عاملا لابي موسى الاشعرى على البحرين . فكتب اليه عمر بن الخطاب يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وان يستخلفوا من هو من ثقاتهم حتى يرجعوا ، فلما قدمنا . أتيت يرفا . فقلت يايرفا : ابن سبيل مسترشد أخبرني أي الهيئات أحب الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله فأومأ الى الخشونة فاخذت خفين (١ مطارقين ولبست جبة صوف ولثت رأسى بعمامة دكناء ثم دخلنا على عمر فصفنا بين يديه وصعد فينا نظره وصوب فلم تأخذ عينه احدا غيرى فدعاني . فقال : من أنت ؟ قلت : الربيع بن زياد الحارثي . قال : وماتتولى من أعمالنا . قلت : البحرين . قال : فكم ترزق . قلت : خمسة دراهم فى كل يوم . قال : كثير فما تصنع بها . قلت : أتقوت منها شيا وأعود بباقيها على أقارب لى فما فضل منها فعلى فقراء المسلمين فقال : لاباس ارجع الى موضعك ، فرجعت الى موضعى من الصف . ثم صعد فينا وصوب فلم تقع عينه الا علي فدعاني فقال : كم سنوك . فقلت : ثلاث وار بعون سنة قال : الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابى حديثو عهد بلين العيش وقد تجوعت له فاتي بخبز يابس واكسار بغير إدام فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فاجيد الاكل فنظرت فاذا به يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت اني سخت فى الارض ولم الفظ بها . فقلت : ياأمير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام هو ألين من هذا فزجرني .

---

١) قوله : بخفين مطارقين : أى مخصوفين بجلد . وقوله : ولثت رأسى بعمامة دكناء أى ادرتها بعضها على بعض على غير استواء . يقال : رجل ألوث اذا كان ذا شر وذلك من اللوث . ورجل ألوث اذا كان أهوج ماخوذ من اللوثة . كذا وجدته فى متن النسخة المطبوعة مع قوله ولثت رأسي الى آخر القولة . ودكن العمامة : اغبرار لونها او اتساخها

وقال : كيف قلت . قلت : أقول لو نظرت يا أمير المؤمنين الى قوتك من الطحين قبل ارادتك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز لينا وباللحم (١. غريضا فسكن من غربه وقال : هذا قصدت . قلت : نعم . قال : يا ربيع انا لو نشاء لملأنا هذه الرحاب من صلائق وسبائك وصناب ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم شهواتهم . فقال : « أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها » ثم امر أبا موسى ان يقرني وان يستبدل باصحابي

ومما يصحب به السلطان : ان لا يسلم على قادم بين يديه وانما استن ذلك زياد ، وذلك ان عبد الله بن عباس قدم على معاوية وعنده زياد فرحب به معاوية وألطفه وقرب مجلسه ولم يكلمه زياد شيئا فابتدأ ابن عباس . وقال : ماحالك أبا المغيرة كانك اردت ان تحدث بيننا وبينك هجرة . قال : لا ولكنه لا يسلم على قادم بين يدى امير المؤمنين . فقال له ابن عباس : ماترك الناس التحية بينهم بين يدى أمرائهم : فقال له معاوية . كف عنه يا ابن عباس فانك لا تشاء ان تغلب الا غلبت . ابو حاتم عن العتبي . قال : قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر بن الخطاب . فاقعدهما بين يديه وجعل يسائلهما عن اعمالهما الى ان اعترض عمرو في حديث معاوية فقال له معاوية : أعملي تعيب والى تقصد : هلم تخبر امير المؤمنين عن عملي واخبره عن عملك . قال عمرو فعلمت انه بعملي ابصر مني بعمله ، وأن عمر لا يدع اول هذا الحديث حتى يصير الى آخره فاردت ان افعل شيئا اشغل به عمر عن ذلك فرفعت يدى فلطمت معاوية . فقال عمر : تالله مارأيت رجلا اسفه منك ، قم يامعاوية فاقتص منه . قال معاوية : ان ابى امرنى ان لا اقضى امرا دونه ، فارسل عمر الى ابى سفيان فلما اتاه ألقى له وسادة . وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه ، ثم قص عليه ماجري بين عمرو ومعاوية . فقال : لهذا بعثت الي اخوه وابن عمه وقد اتانى غير كبير وقد وهبت ذلك له . وقالوا : ينبغي لمن صحب السلطان أن لا يكتم عنه نصيحة ، وان استثقلها . وليكن كلامه له كلام رفق لا كلام خرق حتى يخبره بعيبه من غير ان يواجهه بذلك ولكن يضرب له الامثال ويخبره بعيب غيره

١) قوله : والغريض : الطرى . وقوله : فسكن من غربه اى من حدته . صلائق هي شيء يعمل من اللحم فمنها مايطبخ ومنها مايشوى . يقال صلقت اللحم اذا طبخته وصلقته اذا شويته وسبائك يريد الحوارى من الخبز . وذلك انه يسبك فيؤخذ خالصه والعرب تسمي الرقاق السبائك . والصناب طعام يؤخذ من الزبيب والخردل ومنه قيل للفرس صنابي اذا كان فى ذلك اللون حمرة قال جرير :

تكلفني معايش آل زيد * ومن لى بالمرقق والصناب (كذا من متن الاصل)

ليعرف عيب نفسه . وقالوا : من تعرض للسلطان أزراه ومن تطامن له تخطاه . فشبهوا السلطان فى ذلك بالريح الشديدة التى لا تضر بما لان وتمايل معها من الحشيش والشجر ، وما استهدف لها قصمته . قال الشاعر :

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نبع ولا يعبأن بالرتم (١

وقالوا : اذا زادك السلطان اكراما فزده اعظاما واذا جعلك عبدا فاجعله ربا

٣٠ — اختيار السلطان لاهل عمله — لما وجه عمر بن هبيرة . مسلم بن سعيد الى خراسان . قال له : اوصيك بثلاثة حاجبك ، فانه وجهك الذى به تاتي الناس ان حسن فانت المحسن وان أساء فانت المسيء وصاحب شرطتك ، فانه سوطك وسيفك حيث وضعتهما وعمال القري . قال : وما عمال القرى . قال : ان تختار من كل كورة رجالا لعملك فان أصابوا فهو الذى أردت وان أخطؤا فهم المخطئون وأنت المصيب وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن أرطاة أن اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجرشى فول القضاء أنفذهما فجمع بينهما فقال له اياس : ايها الرجل سل عنى وعن القاسم فقيهى البصرة الحسن وابن سيرين وكان القاسم ياتى الحسن وابن سيرين وكان اياس لا ياتيهما فعلم القاسم انه ان سالهما أشارا به . فقال القاسم : لا تسال عنى ولا عنه فو الله الذي لا اله الا هو ان إياس ابن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء فان كنت كاذبا فما ينبغي ان توليني وان كنت صادقا ، فينبغي لك ان تقبل قولى . فقال له اياس : انك جئت برجل فاوقفته على شفير جهنم فنجي نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف . فقال له عدى : اما اذ فهمتها فانت لها فاستقضاه . وقال عدى بن أرطاة لاياس بن معاوية : دلني على قوم من القراء أولهم . فقال له القراء . ضربان ضرب يعملون للآخرة لا يعملون لك : وضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم اذا أمكنتهم منها ولكن عليك باهل البيوتات الذين يستحيون لاحسابهم فولهم . أيوب السختيانى . قال : طلب أبو قلابة للقضاء فهرب الى الشام فاقام حينا ثم رجع . قال ايوب : فقلت له لو وليت القضاء وعدلت كان لك أجران . قال : يا أيوب اذا وقع السابح فى البحر كم

---

١) أعصفت الريح : لغة فى عصفت اذا اشتدت . والقصف : الكسر والرتم : نبات من دق الشجر كانه من دقته يشبه بالرتم .

عسى أن يسبح . وقال عبد الملك بن مروان لجلسائه : دلوني على رجل أستعمله . فقال له روح بن زنباع : أدلك يا أمير المؤمنين على رجل ان دعوتموه أجابكم وان تركتموه لم يأتكم ليس بالملحف طلبا ولا بالممعن هربا عامر الشعبي . فولاه قضاء البصرة . وسأل عمر بن عبد العزيز أبا مخلد : عن رجل يوليه خراسان فقال له : ما تقول في فلان . قال : مصنوع له وليس بصاحبها . قال ففلان : قال سريع الغضب بعيد عن الرضا يسأل الكثير ويمنع القليل يحسد وينافس أباه ويحقر مولاه . قال ففلان : قال يكافىء الاكفاء ويعادي الاعداء ويفعل ما يشاء . قال : ما في واحد من هؤلاء خير . وأراد عمر بن الخطاب : ان يستعمل رجلا فبدر الرجل يطلب منه العمل . فقال عمر : والله لقد اردتك لذلك ولكن من طلب هذا الامر لم يعن عليه . وطلب رجل من النبي صلى الله عليه وسلم ان يستعمله . فقال : انا لا نستعمل على عملنا من يريده . وطلب العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم الى النبي ولاية فقال : ياعم نفس تحييها خير من ولاية لا تحصيها . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد : فر من الشرف يتبعك الشرف واحرص على الموت توهب لك الحياة وتقول النصارى : لا نختار للجثلقة (١ الازاهدا فيها غير طالب لها . وقال اياس بن معاوية : ارسل الى ابن هبيرة فأتيته فسا كتني فسكت فلما أطلت . قال : هيه . قلت : سل عما بدا لك . قال : أتقرأ القرآن . قلت : نعم ! . قال : أتفرض الفرائض . قلت : نعم ! . قال أتعرف من ايام العرب شيئاً ؟ . قلت : نعم . قال : أتعرف من ايام العجم شيئا ؟ . قلت : انا بها أعرف . قال : اني اريد ان استعين بك على عملي . قلت : ان في خلالا ثلاثا لا اصلح معها للعمل . قال : ماهي ؟ . قلت انا دميم كما ترى . وانا حديد . وأنا عيي . قال : اما دمامتك فاني لا اريد ان أحاسن الناس بك . واما العي فاني أراك تعرب عن نفسك واما الحدة فان السوط يقومك . قال : فولاني وأعطاني مائة درهم فهي اول مال تمولته . وقال الاصمعي : ولي سليمان بن حبيب المحاربي قضاء دمشق عبد الملك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام واراد عمر بن عبد العزيز مكحولا على القضاء عليها فأبى . قال له : وما يمنعك ؟ . قال مكحول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقضي بين الناس الا ذو شرف في قومه . وأنا مولى . ولما قدم رجال الكوفة على عمر ابن الخطاب يشكون سعد بن أبي وقاص . فقال : من يعذرني من اهل الكوفة ان وليتهم

(١ الجثلقة : وظيفة دينية عند النصارى والموظف بها يسمونه جاثليقا

التقي ضعفوه وان وليتهم القوى فجروه . فقال له المغيرة : يا أمير المؤمنين ان التقى الضعيف له تقواه وعليك ضعفه والقوى الفاجر لك قوته وعليه فجوره . قال : صدقت فانت القوى الفاجر فاخرج اليهم ، فلم يزل عليهم أيام عمر وصدرا من أيام عثمان وأيام معاوية حتي مات المغيرة .

٤ — حسن السياسة واقامة المملكة — كتب الوليد بن عبد الملك : الى الحجاج بن يوسف يامره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه : انى أيقظت رأبي وأنمت هواى فادنيت السيد المطاع فى قومه ووليت المجرب الحازم فى أمره وقلدت الخراج الموفر لامانته وقسمت لكل خصم من نفسى قسما أعطيه حظا من لطيف عنايتي ونظرى وصرفت السيف الى النطف (١ المسيء والثواب الى المحسن البريء فخاف المريب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب . وقال أزدشير لابنه : يابنى ان الملك والعدل اخوان لاغنى باحدهما عن صاحبه فالملك أس والعدل حارس فما لم يكن له أس فمهدوم ومالم يكن له حارس فضائع . يابنى اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك لأهل الجهاد وبشرك لأهل الدين وسرك لمن عناه ماعناك من ذوى العقول . وقالت الحكماء : مما يجب على السلطان ، العدل فى ظاهر أفعاله لاقامة أمر سلطانه وفى باطن ضميره لاقامة أمر دينه فاذا فسدت السياسة ذهب السلطان . ومدار السياسة كلها على العدل والانصاف لايقوم سلطان لاهل الكفر والايمان الا بهما ولا يدور الا عليهما . مع ترتيب الامور مراتبها وإنزالها منازلها . و ينبغى لمن كان سلطانا أن يقيم على نفسه حجة السلطان وليكن حكمه على غيره بمثل حكمه على نفسه فانما يعرف حقوق الاشياء من عرف مبلغ حدودها ومواقع أقدارها ولا يكون أحد سلطانا حتي يكون قبل ذلك رعية . وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : كلكم يترشح لهذا الامر ، ولا يصلح له منكم الا من كان له سيف مسلول ومال مبذول وعدل تطمئن اليه القلوب . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا يصلح لهذا الامر الا اللين من غير ضعف القوى من غير عنف وكتب ارسطاطاليس الى الاسكندر : املك الرعيه بالاحسان اليها تظفر بالمحبة منها فان طلبك ذلك باحسانك أدوم بقاء منه باعتسافك . واعلم أنك انما تملك الابدان فاجمع لها القلوب [بالمعروف] . واعلم ان الرعية اذا قدرت أن تقول . قدرت أن تفعل فاجتهد أن لا تقول تسلم

١) النطف : العيب والفساد يقال هم أهل الريب والنطف .

أن تفعل . وقال أزدشير لاصحابه : إنما أملك الاجساد لاالنيات وأحكم بالعدل لابالرضا وأفصح عن الاعمال لاعن السرائر . وكان عمرو بن العاص يقول في معاوية . اتقوا آدم قريش وابن كريمها من يضحك في الغضب ولا ينام الاعن الرضا ويتناول ما فوقه من تحته . وقال معاوية : انى لا اضع سيفي حيث يكفيني سوطى ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت . فقيل له : وكيف ذلك ؟ . قال : كنت اذا مدوها أرخيتها واذا أرخوها مددتها . وقال عمرو : رأيت معاوية في بعض أيامنا بصفين خرج في عدة لم أره خرج في مثلها فوقف في قلب عسكره فجعل يلحظ ميمنة فيرى الخلل فيبدر اليه من ميسرة ثم يفعل ذلك بميسرته فتغنيه اللحظة عن الاشارة فدخله زهو مما رأى . فقال يا ابن العاص : كيف ترى هؤلاء وما هم عليه . فقلت : والله يا أمير المؤمنين لقد رأيت من يسوس الناس بالدين والدنيا فما رأيت أحدا أوتى له من طاعة رعيته ما أوتي لك من هؤلاء . فقال : أفتدري متى يفسد هذا وفي كم ينتقض جميعه . قلت : لا ! . قال : في يوم واحد . قال : فاكثرت التعجب . قال : إي وفي بعض يوم . قلت : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين . قال : اذا كذبوا في الوعد والوعيد واعطوا على الهوي لاعلى الغني (١ . فسد جميع ما ترى . وكتب عبد الله بن عباس الى الحسن بن علي إذ ولاه الناس أمرهم بعد علي رضي الله عنه : أن شمر للحرب وجاهد عدوك واشترمن الضنين دينه بما لا يثلم دينك وول أهل البيوتات تستصلح بهم عشائرهم . وقالت الحكماء . اسوس الناس لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها باسبابها من الرغبة والرهبة . وقال ابرويز لابنه شيرويه . لا توسعن على جندك سعة يستغنون بها عنك ولا تضيقن عليهم ضيقا يضجون به منك ولكن اعطهم اعطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا وابسط لهم في الرجاء ولا تبسط لهم في العطاء . ونحو هذا قول المنصور لبعض قواده ، صدق الذى قال . أجع كلبك يتبعك وسمنه يأكلك . فقال له عباس الطوسي (٢ . يا أمير المؤمنين ان اجعته يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك . وكتب ابرويز الى ابنه شيرويه من الحبس . اعلم ان كلمة منك تسفك دماء وأخرى تحقن دماء وان سخطك سيف مسلول على من سخطت عليه وان رضاك بركة مستفيضة على من رضيت عنه وان نفاذ أمرك مع

---

١) كذا في الاصول ولعله مصحف عن العنا . فيكون المعنى اذا أعطوا على قدر بلائهم .

٢) في كتاب السلطان لابن قتيبة . فقام أبو العباس الطوسي فقال يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوح الخ .

ظهور كلامك فاحترس في غضبك من قولك ان يخطىء ومن لونك ان يتغير ومن جسدك ان يجف . فان الملوك تعاقب حذرا وتعفو حلما . واعلم انك تجل عن الغضب وان ملكك يصغر عن رضاك فقدر لسخطك من العقاب كما تقدر لرضاك من الثواب . وقال الوليد بن عبد الملك لأبيه : يا أبت ما السياسة . قال : هيبة الخاصة مع صدق مودتها واقتياد قلوب العامة بالانصاف لها واحتمالها فوات الضائع . وخطب سعيد بن سويد بحمص : فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أيها الناس ان الاسلام حائط منيع وباب وثيق فحائط الاسلام الحق وبابه العدل ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل . وقال عبد الله بن الحكم : انه قد يضطغن على السلطان رجلان رجل أحسن في محسنين فأثيبوا وحرم . ورجل أساء في مسيئين فعوقب وعفا عنهم . فينبغي للسلطان أن يحترس منهما . وفي التاج : كتب ابرويز لابنه شيرويه يوصيه : ليكن من تختاره لولايتك امرأ كان في ضعة فرفعته . أو ذا شرف كان مهملا فاصطنعته ولا تجعله امرأ أصبته بعقوبة فاتضع لها ولا أحدا ممن يقع بقلبه ان ازالة سلطانك أحب اليه من ثبوته واياك إياك ان تستعمله ضرعا غمرا (١ كثيرا اعجابه بنفسه قليلا تجربته في غيره ولا كبيرا مدبرا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السن من جسمه .

٥ — بسط المعدلة ورد المظالم — الشيباني . قال حدثنا محمد بن زكريا عن عباس المفضل الهاشمي في خطبة ابن حميد : قال اني لواقف على رأس المأمون يوما وقد جلس للمظالم فكان آخر من تقدم اليه وقد هم بالقيام امرأة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة فوقفت بين يديه فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فنظر المأمون الى يحيى بن أكثم فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله تكلمي في حاجتك . فقالت :

يا خير منتصف يهدى له الرشد * ويا اماما به قد أشرق البلد
تشكو اليك عميد القوم أرملة * عدا عليها فلم يترك لها سبد (٢
وابتز مني ضياعي بعد منعتها * ظلما وفرق مني الاهل والولد

---

١) الضرع : المتذلل المتخشع . والغمر : بالكسر الضغن والحاقد وبالفتح المعجب بنفسه . وقوله كثيرا اعجابه الخ ففي التاج : كثرا اعجابه بنفسه وقلت تجاربه في غيره الخ

٢) السبد : في الاصل ما يطلع من رؤس النبات قبل أن ينتشر والسبد الوبر والعرب تقول : ماله سبد ولا لبد يكنى بهما عن الابل والغنم .

فاطرق المأمون حينا . ثم رفع رأسه اليها وهو يقول :

فى دون ماقلت زال الصبر والجلد * عنى وأقرح منى القلب والكبدُ
هذا أذانُ صلاة العصر فانصرفى * وأحضرى الخصم فى اليوم الذى أعدُ
والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا * ننصفك منه والا المجلس الاحدُ

قال فلما كان يوم الاحد جلس . فكان أول من تقدم اليه تلك المرأة فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال : وعليك السلام اين الخصم . فقالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين وأومأت الى العباس ابنه فقال يا أحمد بن أبي خالد خذ بيده فاجلسه معها مجلس الخصوم . فجعل كلامها يعلو كلام العباس . فقال لها أحمد بن أبي خالد : يا امة الله انك بين يدى أمير المؤمنين وانك تكلمين الامير فاخفضي من صوتك . فقال المامون : دعها يا أحمد فان الحق أنطقها واخرسه ثم قضى لها برد ضيعتها اليها وظلم العباس بظلمه لها وامر بالكتاب لها الى العامل ببلدها ان يوغر لها ضيعتها (١. ويحسن معاونتها وامر لها بنفقة . العتبي . قال انى لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك اذ اقبل ابراهيم بن محمد بن طلحة وصاحب حرس هشام حتي قعدا بين يديه . فقال : ان امير المؤمنين جرأني فى خصومة (٢ بينه وبين ابراهيم . فقال القاضي : شاهديك على الجراءة . قال : اترانى قلت على امير المؤمنين مالم يقل وليس بيني وبينه الا هذه السترة . قال : بلى ولكنه لا يثبت الحق لك ولا عليك الا ببينة . قال : فقام الحرسي فدخل الى هشام فاخبره فلم نلبث أن قعقعت الابواب وخرج الحرس . فقالوا : هذا امير المؤمنين وخرج هشام . فلما نظر اليه القاضي قام فاشار اليه وبسط له مصلى فقعد اليه وابراهيم بين يديه وكنا حيث نسمع بعض كلامهم ويخفى عنا بعضه . قال فتكلما واحضرا البينة فقضى القاضى على هشام . فتكلم ابراهيم بكلمة فيها بعض الخَرَق . فقال الحمد لله الذى ابان للناس ظلمك . فقال له هشام : لقد هممت أن اضربك ضربة ينتثر منها لحمك عن عظمك . قال : أما والله لئن فعلت لتفعلنه بشيخ كبير السن قريب القرابة واجب الحق . فقال هشام : استرها علىّ قال : لا ستر الله اذا ذنبي يوم القيامة ان سترتها . قال : فاني معطيك عليها مائة ألف . قال ابراهيم : فسترتها عليه حياته ثمنا لما اخذت منه واذعتها بعد مماته تزيينا له (٣ . قال : وورد على الحجاج بن يوسف سُلَيْك بن

١) قوله يوغر لها ضيعتها . قال الجوهري : الايغار ان يوغر الملك الرجل الارض يجعلها له من غير خراج وهى لفظة مولدة (٢) قوله جرأني فى خصومة : اى قدمى .
٣) قوله : تزيينا له . لعله «تزنيا» وليحرر

سلكة . فقال : أصلح الله الامير أرعني سمعك واغضض عني بصرك واكفف عني غَربك فان سمعت خطأ أوزللا فدونك والعقوبة . قال : قل . فقال : عصى عاص من عرض العشيرة فخلق (١ على اسمي وهدم منزلي وحرمت عطائي . قال : هيهات أوما سمعت قول شاعر

جانيك من يجني عليك وقد * تُعدي الصحاحَ مباركُ الجُربِ
ولرب مأخوذ بذنب عشيره * ونجا المقارفُ صاحب الذنب

قال : أصلح الله الامير اني سمعت الله عز وجل . قال غير هذا . قال : وماذاك . قال قال الله تعالى «يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون» . فقال الحجاج : عليّ بيزيد بن مسلم ، فمثل بين يديه . فقال : أفكك لهذا عن اسمه واصكك له بعطائه وابن له منزله ومر مناديا ينادي صدق الله وكذب الشاعر . وقال معاوية : اني لاستحي أن أظلم من لا يجد عليّ ناصرا الا الله . وكتب الى عمر بن عبد العزيز بعض عماله : يستاذنه في تحصين مدينته . فكتب اليه : حصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم . وقال المهدي للربيع بن أبي الجهم وهو والى أرض فارس : يا ربيع آثر الحق والزم القصد وابسط العدل وارفق بالرعية واعلم أن أعدل الناس من أنصف من نفسه واجورهم من ظلم الناس لغيره . وقال ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال : استعمل ابن عامر عمرو بن أصبغ على الاهواز فلما عزله . قال له : ماجئت به . قال له ما معي الا مائة درهم واثواب قال كيف ذلك . قال : ارسلتني الى بلد اهله رجلان رجل مسلم له مالي وعليه ما عليّ ورجل له ذمة الله ورسوله . قال فوالله مادريت أين أضع يدي . قال : فاعطاه عشرين الفا . وقال جعفر بن يحيي الخراج عمود الملك وما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الظلم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الظلم ظلمات يوم القيامة .

٦ — صلاح الرعية بصلاح الامام — قال الحكماء : الناس تبع لامامهم في الخير والشر . وقال ابو حازم الاعرج : الامام سوق . فما نفق عنده جلب اليه . ولما اتي عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتاج كسرى وسواريه . قال : ان الذي ادى هذا الأمين . قال له رجل : يا امير المؤمنين

---

١) قوله فخلق على اسمي : اى كان سببا لمحوه من ديوان العطاء . وقوله جانيك من يجني عليك . قال ابو عبيد يضرب مثلا للرجل يعاقب بجناية ولا يؤخذ غيره بذنبه انما يجنيك من جنايته راجعة اليك وان الاخوة يجنون على الرجل يدل على ذلك قوله وقد تعدي الصحاح الجرب

أنت أمين الله يؤدون اليك ما أديت الى الله تعالى ، فان رتعت رتعوا . ومن أمثالهم في هذا . قولهم : اذا اصلحت العين صلحت سواقيها . الاصمعى . قال : يقال صنفان اذا صلحا صلح الناس ، الامراء والفقهاء . اطلع مروان بن الحكم على ضيعة بالغوطة فانكر منها شيئا . فقال لوكيله : ويحك انى لاظنك تخونني . قال اتظن ذلك ولا تستيقنه . قال : وتفعل . قال : نعم والله انى لاخونك وانك لتخون أمير المؤمنين وان أمير المؤمنين ليخون الله فلعن الله شر الثلاثة .

٧ — قولهم في الملك وجلسائه ووزرائه — قالت الحكماء : لا ينفع الملك الا بوزرائه وأعوانه ولا ينفع الوزراء والاعوان الا بالمودة والنصيحة ولا تنفع المودة والنصيحة الا مع الرأي والعفاف ثم على الملوك بعد أن لا يتركوا محسنا ولا مسيئا مادون جزاء ، فانهم اذا تركوا ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الامر وبطل العمل . وقال الاحنف بن قيس : من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء فلا مساغ له ومن خانه ثقاته فقد أتي في مأمنه . وقال العباس بن الاحنف :

قلبي الى ما ضرّني داعي * يكثر أحزاني وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوّي اذا * كان عدوّي بين أضلاعي

وقال آخر :

كنتُ من كُربتي أفرُّ اليهمْ * فهمُ كربتي فاين الفِرار

وأول من سبق الى هذا المعنى . عدى بن زيد في قوله للنعمان بن المنذر

لو بغير الماء حلقي شرِقٌ * كنتُ كالغصّان بالماء اعتصاري (١

وقال آخر :

الى الماء يسعى مَن يغص بريقه * فقل اين يسعى من يغص بماء

وقال عمرو بن العاص : لا سلطان الا بالرجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل . وقالوا : انما السلطان باصحابه ، كالبحر بامواجه . قالوا : ليس شيء أضر بالسلطان . من صاحب يحسن القول ، ولا يحسن الفعل . لا خير في القول ، الا مع الفعل . ولا في المال ، الا مع الجود . ولا في الصدق ، الا مع الوفاء . ولا في الفقه ، الا مع الورع . ولا في الصدقة ، الا مع حسن النية . ولا في الحياة الا مع الصحة . قالوا : ان السلطان اذا كان صالحاً

---

١) الاعتصار : ان يغص الانسان بالطعام فيشرب الماء قليلا قليلا فهو الاعتصار وشاهده البيت .

ووزراؤه وزراء سوء . امتنع خيره من الناس ، ولم يستطع أحد ينتفع منه بمنفعة . وشبهوا ذلك بالماء الصافى ، يكون فيه التمساح . فلا يستطيع أحد أن يدخله ، وان كان محتاجا اليه .

٨ — صفة الامام العادل — كتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه . لما ولى الخلافة الى الحسن بن أبى الحسن البصرى : أن يكتب اليه بصفة الامام العادل . فكتب اليه الحسن رحمه الله : اعلم يا أمير المؤمنين ، ان الله جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف و نصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف . والامام العدل يا أمير المؤمنين . كالراعى الشفيق على ابله الرفيق بها الذى برتادلها أطيب المرعى و يذودها عن مراتع الهلكة و يحميها من السباع و يكنها من أذى الحر والقر . والامام العدل يا أمير المؤمنين كالاب الحانى على ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا يكتسب لهم فى حياته ويدخرلهم بعد مماته . والامام العادل يا أمير المؤمنين . كالام الشفيقة البرة الرفيقة بولدها . حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا تسهر بسهره وتسكن بسكونه ترضعه تارة وتفطمه أخري وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته . والامام العدل يا أمير المؤمنين . وصى اليتامي وخازن المساكين يربى صغيرهم و يمون كبيرهم . والامام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح ، تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده . والامام العدل يا أمير المؤمنين . هو القائم بين الله و بين عباده يسمع كلام الله و يسمعهم وينظر الى الله ويريهم و ينقاد الى الله و يقودهم . فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله . كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال فافقر أهله وفرق ماله . واعلم يا أمير المؤمنين . ان الله انزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف اذا أتاها من يليها . وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم . واذكر يا أمير المؤمنين الموت ومابعده . وقلة أشياعك عنده ، وانصارك عليه . فتزود له ولما بعده من الفزع الاكبر . واعلم يا أمير المؤمنين . ان لك منزلا غير منزلك الذى أنت فيه يطول فيه ثواؤك و يفارقك أحباؤك يسلمونك فى قعره فريدا وحيدا . فتزود له مايصحبك «يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه» واذكر يا أمير المؤمنين اذا بعثر ما فى القبور وحصل مافى الصدور فالاسرار ظاهرة والكتاب «لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها» فالآن يا أمير المؤمنين وأنت فى مهل قبل حلول الاجل وانقطاع الامل لا تحكم يا أمير المؤمنين فى عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين

على المستضعفين . فانهم لا يرقبون فى مؤمن إلاً ولا ذمة فتبوء باوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك . ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات فى دنياهم باذهاب طيباتك فى آخرتك . لا تنظر الى قدرتك اليوم ولكن انظر الي قدرتك غدا وأنت مأسور في حبائل الموت . وموقوف بين يدى الله فى مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين. وقد « عنت الوجوه للحي القيوم » . إنى يا أمير المؤمنين وان لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولوا النهى من قبلى . فلم آلك شفقة ونصحا . فانزل كتابى اليك كمداوى حبيبه يسقيه الادوية الكريهة لما يرجو له فى ذلك من العافية والصحة والسلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

٩ — هيبة الامام وتواضعه — قال ابن السماك لعيسى بن موسى : تواضعك فى شرفك أكبر من شرفك . وقال عبد الملك بن مروان : افضل الرجال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وأنصف عن قوة . ذكر عن النجاشى امير الحبشة : انه اصبح يوما جالسا على الارض والتاج على رأسه ، فاعظم ذلك أساقفته . فقال لهم : اني وجدت فيما انزل الله تعالى علي المسيح عليه السلام . يقول له : اذا أنعمت على عبدى نعمة فتواضع لى اتممتها عليه . واني ولد لى الليلة غلام فتواضعت لذلك شكرا لله تعالى . وقال ابن قتيبة : لم يقل فى التواضع بيت ابدع من قول الشاعر فى بعض خلفاء بنى أمية (١

يغضى حياءً ويغضي من مهابته * فلا يكلّم إلاّ حين يبتسمُ

وأحسن منه عندى قولى

فتىً زادهُ عزّ المهابة ذلّة * فكلُّ عزيز عنده متواضعُ

وقال أبو العتاهية .

يامن تشرف بالدنيا وبالدين * ليس التشرف رفع الطين بالطين
اذا اردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك فى زى مسكين
ذاك الذى عظمت والله نعمته * وذاك يصلح للدنيا وللدين

وقال الحسن بن هانئ فى هيبة السلطان مع محبة الرعية .

---

١) المشهور ان البيت من قصيدة للفرزدق قالها فى زين العابدين على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم .

امام عليه هيبة ومحبة * الا بابي ذاك الحبيب المحبّب ١)

وقال آخر في الهيبة وان لم تكن في طريق السلطان:

بنفسي من لومرّ بَرْدُ بنانه * على كبدي كانت شفاءً أناملهْ
ومن هابني في كل شيء وهبته * فلا هو يعطيني ولا أنا سائلهْ

وقال آخر في الهيبة :

أهاشمُ يافتي دين ودنيا * ومنْ هو في اللُّباب من اللباب
أهابك أن أبوح بذات نفسي * وتركي للعتابِ من العتاب

وقال أشجع بن عمرو في هيبة السلطان .

منعتْ مهابتك النفوس حديثها * بالشيء تكرهه وانْ لمْ تعلم
ومن الولاة مفخّم لايتقي * والسيفُ تقطر شفتاه من الدم

وقال أيضا لهرون الرشيد :

وعلى عدوّك يا ابن عمّ محمد * رَصدان ضوءُ الصبحِ والاظلامُ
فاذا تنبّه رُعته واذا هدا * سلّت عليه سيوفك الاحلامُ

وقال الحسن بن هانيء فافرط :

ملك تصور في القلوب مثاله * فكانه لم يخل منه مكان
ماتنطوي عنه القلوب بفجرة * إلاّ يكلمه بها اللحظانُ
حتى الذي في الرحم لم يك صورة * لفؤاده من جوفه خفقان

فمجاز هذا البيت في افراطه أن الرجل اذا خاف شيئا وأحبه احبه بسمعه وبصره وشعره وبشره ولحمه ودمه وجميع أعضائه فالنطف التي في الاصلاب داخلة في هذه الجملة. قال الشاعر :

ألا تَرثي لمكتئبٍ * يحبّك لحمه ودمه

وقال المكفوف في آل محمد :

أحبكمُ حبّاً على الله أجره * تضمّنه الاحشاءُ واللحم والدم

ومثل هذا قول الحسن بن هانيء :

واخفتَ أهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التي لم تُخلَقِ

فاذا خافه أهل الشرك خافته النطف التي في أصلابهم على المجاز الذي ذكرناه. ومجاز آخر

---

١) في ديوانه الاحبذا ذاك المهيب المحبب .

أن النطف التي أخذ الله ميثاقها يجوز أن يضاف اليها ما هي لا بد فاعلة من قبل أن تفعله ، كما جاء في الأثر : ان الله عز وجل عرض على آدم ذريته فقال هؤلاء أهل الجنة و بعمل أهل الجنة يعملون وهؤلاء اهل النار و بعمل اهل النار يعملون.

وها انا أقول في الهيبة :

يامن يجرّد من بصيرته * تحت الحوادث صارم العزم
رعت العدو فما مثلت له * الا تفزّع منك في الحلم
أضحى لك التدبير مطرداً * مثل اطراد الفعل للاسم
رفع الحسود اليك ناظره * فرآك مطلعا مع النجم

أبو حاتم سهل بن محمد . قال أنشدني العتبي للاخطل في معاوية :

تسمو العيون الى امام عادل * معطى المهابة نافع ضرّار
وترى عليه اذا العيون لحنه * سيما الحليم وهيبة الجبّار

١٠ — حسن السيرة والرفق بالرعية — قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما أوصاه به من الرفق بالرعية : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من أعطى حظه من الرفق فقد اعطي حظه من الخير كله . ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير كله . ولما استخلف عمر بن عبد العزيز ، أرسل الى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب : فقال لهما : أشيرا عليّ . فقال له سالم : اجعل الناس أبا وأخا وابنا فبر أباك واحفظ أخاك وارحم ابنك . وقال محمد بن كعب : احبب للناس . ماتحب لنفسك واكره لهم ماتكره لنفسك واعلم انك اول خليفة يموت . وقال عبد الملك ابن عمر بن عبد العزيز لابيه عمر : ياأبت مالك لاتنفذ الامور فوالله لاابالي في الحق لو غلت بي وبك القدور . قال له عمر : لاتعجل يابني . فان الله تعالى ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة ، وأنا اخاف ان احمل الناس على الحق جملة فيدفعونه وتكون فتنة . وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن ارطاة : اما بعد فان امكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك . واعلم ان مالك عند الله مثل مالرعية عندك . وقال المنصور لولدة المهدى : لاتبرم امرا حتي تفكر فيه فان فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيآته . واعلم ان الخليفة لا يصلحه الا التقوي والسلطان لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل وأولى الناس بالعفو ، اقدرهم على العقوبة . وانقص الناس عقلا ، من ظلم من هو دونه . وقال خالد بن عبد الله القسري لبلال بن ابي بردة :

لا يحملنك فضل المقدرة ، على شدة السطوة . ولا تطلب من رعيتك ، الاما تبذله لها . « فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » . وقال ابو عبدالله كاتب المهدى . ما أحوج ذا القدرة والسلطان الى قرين يحجزه وحياء يكفه وعقـل يعقله [مع] تجربة طويلة وعين حفيظة وأعراق تسرى اليه وأخلاق تسهل الامور عليه والى جليس شفيق والى عين تبصر العواقب وقلب يخاف الـغـيَر . (١. ومن لم يعرف ذم الكبر لم يسلم من فلتات اللسان ولم يتعاظمه ذنب وان عظم ولا اناء وان سمج . وكتب ازدشير الى رعيته ، من ازدشير المؤيد ملك الملوك ووارث العظماء : الى الفقهاء الذين هم حملة الدين . والاساورة الذين هم حفظة البيضة . والكتّـاب الذين هم زينة المملكة . وذوي الحرث الذين هم عماد البلاد . السلام عليكم ، فانا بحمد الله اليكم سالمون . فقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا بها (٢. اتاوتها الموضوعـة عليها ونحن مع ذلك كاتبون بوصية لا تستشعروا الحقد فيدهمكم [العدو] ولا تحتكروا فيشمـلكم القحط وتزوجـوا فى الاقارب فانه أمس للرحـم [وأثبت للنسب] ولا تعـدّوا هذه الدنيا شيأ فانها لا تبقي على احد . ولا ترفضوها فان الآخرة لا تدرك الا بها . ولما انصرف مروان بن الحكم من مصر الى الشام ، استعمل عبد العزيز ابنه على مصر . وقال له حين ودعه « أرسل حكيما ولا توصه » : أي بني انظر الى عمّالك . فان كان لهم عندك حق غدوةً ، فلا تؤخرهم الى عشية ، وان كان لهم عشية ، فلا تؤخرهم الى غدوة ، واعطهم حقوقهم عند محلها ، تستوجب بذلك الطاعة منهم . واياك ان يظهـر لرعيتك منك كذب لم يصدقوك فى الحق . واستشر جلساءك واهل العلم فان لم يستبن لك ، فاكتب الىّ يأتك رأيي فيه ان شاء الله تعـالى . وان كان بك غضب علي أحد من رعيتك فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبـك ثم يكون منـك مايكون وانت ساكن الغضب مطفأ الجمرة فان اول من جعل السجن كان حاليا ذا أناة ثم انظر الى ذي الحسب والدين والمروءة فليكونوا أصحابك وجلساءك ، ثم اعرف منازلهم منك على غيرهم على غير استرسال ولا انقباض أقول هذا واستخلف الله عليك . أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الله بن مجالد عن الشعبي . قال قال زياد : ماغلبني أمير المؤمنـين معاوية فى شيء من السيـاسة الامرة واحـدة استعملت رجـلا فكسر

---

١) الغير محركة : تغير الحـال ٢) الاتاوة : الخراج والاساورة : القوّاد عنـد الفرس واحـدهم لسوار والبيضة : أصـل القوم ومجتمعهم وموضع سلطانهم وقوله فانا بحمد الله الخ الذى فى كتاب السلطان فانا بحمد الله صالحون مع اختلاف فى باقيه لا يغير معناه

خراجه فخشى ان أعاقبه ففرّ اليه واستجار به فامّنه : فكتبت اليه ان هذا أدب سوء من قبلى: (١ فكتب الىّ : انه لا ينبغي أن نسوس الناس سياسة لا نلن جميعا فتمرح الناس فى المعصية ولا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك ولكن تكون أنت للشدة والغلظة وأكون أنا للرأفة والرحمة

١١ — ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم — قالت الحكماء : احزم الملوك من قهر جده هزله وغلب رأيه هواه واعرب عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه عن سخطه ولا غضبه عن كيده . وقال عبد الملك بن مروان لابنه الوليد — وكان ولى عهده : يابنى اعلم انه ليس بين السلطان وبين ان يملك الرعية او تملكه الاحرفان ، حزم وتوان وقالوا : لا ينبغى للعاقل ان يستصغر شيا من الخطا والزلل فانه متى ما استصغر الصغير يوشك ان يقع فى الكبير . فقد رأينا الملك يؤتي من العدو المحتقر ورأينا الصحة تؤتى من الداء اليسير ورأينا الانهار تتفتق من الجداول الصغار وقالوا : لا يكون الذم من الرعية لراعيها الالاحدى ثلاث — كريم قصر به عن قدره فاحتمل لذلك ضغنا اولئيم بلغ به ما يستحق فاورثه ذلك بطرا اورجل منع حظه من الانصاف فشكا تفريطا وفى كتاب الهند : خير الملوك من اشبه النسر حوله الجيف لا من اشبه الجيف حولها النسور : وقيل لرجل سلب ملكه : ما الذى سلبك ملكك قال : دفع شغل اليوم الي غد والتماس عدة بتضييع عدد واستكفاء كل مخدوع عن عقله — والمخدوع عن عقله من بلغ قدرا لا يستحقه واثيب ثوابا لا يستوجبه . وقال على بن ابي طالب رضى الله عنه : انتهزوا هذه الفرص فانها تمر مر السحاب ولا تطلبوا اثرا بعد عين . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه : احزم الخلفاء . وكانت عائشة رضى الله عنها اذا ذكر عمر تقول : كان والله احوزيا(٢ نسيج وحده قد اعد للامور أقرانها وقال المغيرة بن شعبة : ما رأيت احدا هو احزم من عمر كان والله له فضل يمنعه أن يخدع . وقال عمر : لست بخب والخب لا يخدعنى . ومر : عمر على بنيان يبني بآجر وجص . فقال : لمن هذا قيل لعاملك على البحرين فقال ابت الدراهم الا ان تخرج اعناقها فارسل اليه فشاطره ماله وكان سعد بن ابى وقاص يقال له : المستجاب لقول النبي صلى الله

---

١) كذا فى الاصل ولعله فكتبت اليه فيه ثم قال عن نفسه معترضا وان هذا اسوء أدب من قبلى — فكتب الى الخ ٢) قوله احوزيا قال ابن الاثير فى تفسير هذا الحديث : هو الحسن السياق للامور وفيه بعض النفار

عليه وسلم اتقوا دعوة سعد . فلما شاطره عمر ماله . قال له سعد : لقد هممت . قال له عمر : بان تدعو عليّ . قال : نعم . قالت اذاً لا تجدني بدعاء ربي شقيا . وهجا رجل من الشعراء سعد بن ابي وقاص يوم القادسية : فقال :

ألم تر انّ الله أظهر دينه * وسعدٌ بباب القادسية معصمَ

فأبنا وقد آمت نساءٌ كثيرة * ونسوة سعد ليس فيهن أيّم

فقال سعد : اللهم اكفني يده ولسانه . فقطعت يده وبكم لسانه . ولما عزل عمر أبا موسى الاشعريّ عن البصرة وشاطره ماله دعا ابا موسى . فقال له : ماجاريتان بلغني أنها عندك احداها تدعى عقيلة والاخرى من بنات الملوك . قال : أما عقيلة فجارية بيني وبين الناس وأما التي هي من بنات الملوك فاني أردت بها غلاء الفداء . قال : فما جفنتان تعملان عندك . قال : رزقتني شاة في كل يوم فيعمل نصفها غدوة ونصفها عشية . قال : فما مكيالان بلغني أنهما عندك . قال : أما أحدهما فأوفى أهلى [به] وأما الآخر فيتعامل الناس به . قال : ادفع لنا عقيلة والله انك لمؤمن لا تغل أو فاجر مبل ارجع الى عملك عاقصا بقرنك مكتسعا بذنبك والله ان بلغني عنك أمر لم أعدك . (١ ثم دعا أبا هريرة فقال له : علمت انى استعملتك على البحرين ، وأنت بلا نعلين ، ثم بلغني أنك ابتعت أفراسا بألف دينار وستمائة دينار . قال : كانت لنا افراس تناتجت وعطايا تلاحقت . قال : قد حسبت لك رزقك ومؤنتك وهذا فضل فادّه . قال : ليس لك ذلك . قال : بلى والله أوجع ظهرك . ثم قام اليه بالدرة فضربه حتى أدماه . ثم قال : ائت بها . قال : احتسبتها عند الله . قال : ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعا أجئت من اقصى حجر البحرين يجبي الناس لك لا لله ولا للمسلمين مارجعت بك أميمة إلا لرعية الحمر — وأميمة أم أبي هريرة — . وفي حديث أبي هريرة . قال : لما عزلني عمر عن البحرين قال لى : ياعدو الله وعدو كتابه سرقت مال الله . قال فقلت : ما أنا عدو الله ولا عدو كتابه ولكني عدو من عاداك ماسرقت مال الله . قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف . قلت : خيل تناتجت وعطايا تلاحقت وسهام تتابعت . قال : فقبضها مني فلما صليت الصبح استغفرت لامير المؤمنين . فقال لى بعد ذلك : ألا تعمل ؟ . قلت : لا . قال : قد عمل من هو خير

١) الجفنة أعظم القصاع . وقوله عاقصا بقرنك أي مشدودا به والقرن الذؤابة والعقاص بالكسر خيط يشد به أطراف الذوائب . وقوله مكتسعا بذنبك : أى مطرودا به من قولهم كسعه اذا ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه وطرده وتبعه بالطرد

منك يوسف صلوات الله عليه . قلت : يوسف نبيّ وأنا ابن أميمة ، أخشى ان يشتم عرضي ويضرب ظهري و ينزع مالي . قال : ثم دعا الحارث بن وهب . فقال : ما قلاص واعبد بعتها بمائتي دينار . قال : خرجت بنفقة معي فتجرت فيها . فقال : أما والله مابعثناكم لتتجروا في أموال المسلمين أدّها . فقال : اما والله لاعملت عملا بعدها . قال : انتظر حتى أستعملك . وكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص وكان عامله على مصر . من عبدالله عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص : سلام عليك فانه بلغني انه فشت لك فاشية ، من خيل وابل وغنم وبقر وعبيد . وعهدي بك قبل ذلك ان لامال لك فاكتب اليّ . من اين اصل هذا المال ؟ ولا تكتمه . فكتب اليه : [من] عمرو بن العاص الى عبدالله امير المؤمنين سلام عليك فاني احمد اليك الله الذى لا اله الا هو . اما بعد فانه أتاني كتاب امير المؤمنين يذكر فيه مافشا لى وانه يعرفني قبل ذلك لامال لى واني اعلم امير المؤمنين اني بارض السعر فيه رخيص واني اعالج من الحرفة والزراعة مايعالج اهله وفي رزق امير المؤمنين سعة والله لو رأيت خيانتك حلالا ماخنتك فاقصر ايها الرجل فان لنا احسابا هي خير من العمل لك ان رجعنا اليها عشنا بها ولعمري ان عندك من تذم معيشته ولا تذم له فانى كان ذلك ولم يفتح قفلك ولم نشركك في عملك . فكتب اليه عمر : اما بعد ، فاني والله ما انا من اساطيرك التي تسطر ونسقك الكلام في غير مرجع لا يغنى عنك ان تزكى نفسك وقد بعثت اليك محمد بن سلمة فشاطره مالك فانكم ايها الرهط الامراء جلستم على عيون المال لم يزعكم عذر . تجمعون لابنائكم وتمهدون لانفسكم اما انكم تجمعون العار وتورثون النار والسلام . فلما قدم عليه محمد بن سلمة صنع له عمرو طعاما كثيرا فابي محمد بن سلمة ان يأكل منه شيئاً . فقال له عمرو : اتحرمون طعامنا . فقال : لو قدمت اليّ طعام الضيف اكلته ولكنك قدمت اليّ طعاما هو تقدمه شر والله لا اشرب عندك ماء فاكتب لى كل شيء هولك ولا تكتمه فشاطره ماله باجمعه حتى بقيت نعلاه فاخذ احداهما وترك الاخرى . فغضب عمرو بن العاص . فقال يامحمد بن سلمة : قبح الله زمانا عمرو ابن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل . والله انى لاعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب وعلى ابنه مثلها ومامنهما الا في نمرة(١ لا تبلغ رسغيه والله ماكان العاص

١) النمرة محركة بردة من صوف تلبسها الاعراب وهي صفة غالبة . والرسغ : مفصل بين الساق والقدم . وقوله لولا الزمان الذي سبقته فيه : كذا في الاصل ولعله الذى سبقك فيه وذلك لتقدم اسلام عمر على عمرو ولان باسلام عمر كان عز الاسلام . وقوله معقل الشاة المعقل كمجلس مبركها وملجؤها وقوله وغزرها : بتقديم الزاي أي كثر درها : وقوله وبكرها : أى اول نتاجها

ابن وائل يرضى ان يلبس الديباج مزررا بالذهب . قال له محمد : اسكت والله عمر خير منك واما ابوك وابوه في النار : والله لولا الزمان الذى سبقته فيه لالفيت مَعْقِل شاة يسرك غزرها و يسرك بكرها . فقال عمرو : هي عندك بامانة الله فلم يخبر بها عمر . ومن حديث زيد بن أسلم عن ابيه قال : بعث معاوية الى عمر بن الخطاب وهو على الشام بمال وأدهم و كتب الى ابيه أبي سفيان أن يدفع ذلك الى عمر فخرج الرسول حتى قدم على أبي سفيان بالمال والادهم . قال : فذهب أبو سفيان بالادهم والكتاب الى عمر واحتبس المال لنفسه فلما اقرأ عمر الكتاب . قال : فاين المال أباسفيان . قال : كان علينا دين ومعونة ولنا في بيت المال حق فاذا أخرجت لنا شيئاً قاضيتنا به . فقال عمر : اطرحوه في الادهم حتي ياتي بالمال . قال فارسل أ و سفيان من أتاه بالمال فامر عمر باطلاقه من الادهم : قال فلما قدم الرسول على معاوية . قال : رأيتَ أمير المؤمنين اعجب بالادهم . قال نعم . وطرح فيه أباك . قال : ولم قال جاءه بالادهم وحبس المال . قال أى والله لو كان الخطاب لطرحه فيه . زار أبو سفيان معاوية بالشام فلما رجع من عنده دخل على عمر . فقال أجزنا أباسفيان . قال : ما أصبنا شيئا فنجيزك به . فاخذ عمر خاتمه فبعث به الى هند وقال للرسول : قل لها يقول لك أبو سفيان انظرى الخرجين اللذين جئت بهما فاحضريهما ، فما لبث عمر أن أتي بخرجين فيهما عشرة آلاف درهم فطرحهما عمر فى بيت المال . فلما ولى عثمان ردها عليه . فقال أبو سفيان : ما كنت لآخذ مالا عابه على عمر . ولما ولى عمر بن الخطاب عتبة بن أبي سفيان الطائف وصدقاتها ثم عزله . تلقاه فى بعض الطريق فوجد معه ثلاثين الفا . فقال أنى لك هذا . قال : والله ماهو لك ولا للمسلمين ولكنه مال خرجت به لضيعة اشتريها . فقال عمر : عاملنا وجدنا معه مالا ماسبيله الا بيت المال ورفعه . فلما ولى عثمان قال لابى سفيان هل لك فى هذا المال ، فاني لم أر لاخذ ابن الخطاب فيه وجها . قال : والله ان بنا اليه لحاجة ، ولكن لا ترد فعل من قبلك فيرد عليك من بعدك . الفجرقي . قال : ضرب عمر رجلا بالدرة فنادى يا آل قصى . فقال أبو سفيان لو قبل اليوم تنادى قصيا لاتتك منها الغطاريف . فقال : له عمر اسكت لا أبالك . قال : أبو سفيان ها ووضع سبابته على فيه — . خليفة بن خياط . قال : كتب يزيد بن الوليد المعروف بالناقص — وانما قيل له الناقص لفرط كماله — الى مروان بن محمد و بلغه عنه تلكؤ

في بيعته : أما بعد فاني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فاعتمد على ايهما شئت والسلام . فاتته بيعته * ولما ولى اهل مرو أبا غسان الماء وزجته الى الصحاري . كتب اليهم أبو غسان : الى بني الاستناءة من اهل مرو ليسرني الماء أو لتصبحنكم الخيل فما أمسى حتى اتاه الماء . فقال : الصدق ينبيء عنك لا الوعيد . وكتب عبد الله بن طاهر الخراساني الى الحسن بن عمرو الثعلبي : أما بعد فقد بلغني من قطع الفسقة الطريق ما بلغ فلا الطريق تحمي ولا اللصوص تكفني ولا الرعية ترضي وتطمع بعد هذا في الزيادة انك لمنفسح الامل وايم الله لتكفيني مَن قبلك او لاوجهن اليك رجالا لا تعرف مرة من جهم ولا عدي من رهم ولا حول ولا قوة الا بالله . وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبة بن مسلم واليه بخراسان : أما بعد فان وكيع بن حسان كان بالبصرة ثم صار لصا بسجستان ثم صار الى خراسان . فاذا اتاك كتابي هذا فاهدم بناءه واحلل قناه وكان على شرطة قتيبة فعزله وولى الضبي عم مسعود بن الخطاب * وبلغ الحجاج أن قوما من الاعراب يفسدون الطريق فكتب اليهم : اما بعد فانكم قد استخفتكم الفتنة فلا عن حق تقاتلون ولا عن منكر تنهون واني اهم ان ترد عليكم مني خيل تنسف الطارف والتالد وتدع النساء أيامى والابناء يتامى فلما بلغهم كتابه كفوا عن الطريق .

١٢ — التعرض للسلطان والرد عليه — قالت الحكماء : من تعرض للسلطان ارزاه ومن تطامن له تخطاه وشبهوه في ذلك — بالريح العاصفة التي لا تضر بما لان لها من الشجر ومال معها من الحشيش وما استهدف لها من الدوح العظام قصفته . قال الشاعر :

ان الرياحَ اذا ما اعصفت قصفت * عيدان نبع ولا يعبان بالرتم

. وقال حبيب — وهو احسن ما قيل في السلطان — :

هو السيل ان واجهته انقدت طوعه * وتقتاده من جانبيه فيتبع

وقال آخر :

هو السيف ان لاينته لان متنه * وحداه ان خاشنته خشنان

وقال معاوية لابي الجهم العدوي : انا اكبر ام انت . فقال : لقد اكلت في عرس امك يا امير المؤمنين . قال : عند اي ازواجها . قال : عند حفص بن المغيرة . قال : يا أبا الجهم اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويأخذ أخذ الاسد . وابو الجهم هو القائل في معاوية :

ونغضبه لنخبر حالتيه * فنخبر منهما كرما ولينا
نميل على جوانبه كأنا * نميل اذا نميل على أبينا

وقدم عقبة الازدى على معاوية . ودفع اليه رقعة فيها هذه الابيات :

معاوى اننا بشر فاسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا فجردتموها * فهل من قائم أو من حصيد
اتطمع بالخلود اذا هلكنا * وليس لنا ولا لك من خلود
فهبنا أمة هلكت ضياعا * يزيد أميرها وأبو يزيد

فدعا به — فقال ماجرأك على . قال : نصحتك إذ غشوك ، وصدقتك اذ كذبوك . فقال : ما أظنك الا صادقا وقضى حوائجه * ومن حديث زياد عن مالك بن أنس قال : خطب ابو جعفر المنصور . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس — اتقوا الله — فقام اليه رجل من عرض الناس . فقال : أذكرك الله الذى ذكرتنا به يا أمير المؤمنين فاجابه ابو جعفر بلا فكرة ولا روية : سمعا لمن ذكر بالله واعوذ بالله ان اذكر به وانساه فتاخذني العزة بالاثم لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين . وأما أنت فوالله ما الله أردت بها ولكن ليقال قال فعوقب فصبر واهون بها لو كانت وانا أحذركم ايها الناس اختها فان الموعظة علينا نزلت ومنا أخذت ، ثم رجع الى موضعه من الخطبة . وقام رجل الى هرون الرشيد : وهو يخطب بمكة . فقال : « كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون . » فامر به فضرب مائة سوط فكان يئن الليل كله ويقول : الموت ! الموت . فاخبر هارون انه رجل صالح فارسل اليه فاستحله فاحله * المدائني . قال : جلس الوليد بن عبد الملك على المنبر يوم الجمعة حتى اصفرت الشمس فقام اليه رجل . فقال يا أمير المؤمنين : ان الوقت لا ينتظرك وان الرب لا يعذرك . قال : صدقت . ومن قال مثل مقالتك فلا ينبغي له ان يقوم مثل مقامك . من ههنا من أقرب الحرس اليه يقوم فيضرب عنقه * الرياشي عن الاصمعي . قال : خاطر رجل رجلا أن يقوم الى معاوية اذا سجد فيضع يده على كفله ويقول : سبحان الله يا أمير المؤمنين ما أشبه عجيزتك بعجيزة أمك هند — ففعل ذلك — فلما انفتل معاوية من صلاته قال : يا ابن اخى ان ابا سفيان كان الى ذلك منها اميل فخذ ما جعلوا لك فاخذه . ثم خاطر أيضا أن يقوم الى زياد وهو في الخطبة . فيقول له : أيها الامير من ابوك ؟ ففعل . فقال له زياد : هذا يخبرك — وأشار الى صاحب الشرطة — فقدمه فضرب عنقه . فلما بلغ ذلك معاوية . قال : ماقتله غيرى ولو أدبته على الاولى ما عاد الى الثانية * وخاطر رجل أن يقوم الى عمرو بن العاص وهو في

الخطبة فيقول : أيها الامير من امك ؟ ففعل . فقال له : النابغة بنت عبد الله أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها عبد الله بن جدعان للعاص بن وائل فولدت فانجبت فان كانوا جعلوا لك شيا فخذه * دخل حزيم الناعم على معاوية بن أبي سفيان ، فنظر معاوية الى ساقيه . فقال : أي ساقين لو أنهما على جارية . فقال له حزيم : في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين . قال : واحدة باخرى والبادي أظلم .

١٣ — تحلم السلطان على أهل الدين والفضل اذا اجترؤا عليه — * زياد عن مالك بن أنس . قال بعث ابو جعفر المنصور الى والى ابن طاوس ، فاتيناه فدخلنا عليه فاذا هو جالس على فرش قد نضدت و بين يديه نطاع قد بسطت وجلاوذة بايديهم السيوف يضربون الاعناق فاوما الينا : أن اجلسا فجلسنا فاطرق عنا قليلا ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس . فقال له : حدثني عن ابيك . قال : نعم سمعت أبي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله فى حكمه فادخل عليه الجور في عدله فامسك ساعة . قال مالك : فضممت ثيابي من ثيابه مخافة ان يملأني من دمه ثم التفت اليه ابو جعفر . فقال : عظني يا ابن طاوس . قال : نعم ، يا أمير المؤمنين الله تعالى يقول : « الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها فى البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد — الى قوله ان ربك لبالمرصاد » قال مالك : فضممت ثيابى من ثيابه مخافة ان يملأ ثيابى من دمه فأمسك ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه . ثم قال : يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة فامسك عنه ، ثم قال : ناولني هذه الدواة فامسك عنه . فقال : ما يمنعك أن تناولنيها . قال : اخشى ان تكتب بها معصية فاكون شريكك فيها . فلما سمع ذلك قال قوما عنى . قال ابن طاوس : ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم . قال مالك : فما زلت اعرف لابن طاوس فضله * ابوبكر بن ابي شيبة : قال قام ابوهريرة الى مروان بن الحكم وقد ابطأ بالجمعة فقال اتظل عند ابنة فلان ، تروحك بالمراوح وتسقيك الماء البارد . وابناء المهاجرين والانصار يصهرون من الحر . لقد هممت ان افعل وافعل ثم قال : اسمعوا من اميركم * فرج بن سلام عن ابى حاتم عن الاصمعي . قال حدثنى رجل من اهل المدينة كان ينزل بشق بني زريق . قال سمعت محمد بن ابراهيم يحدث قال : سمعت ابا جعفر بالمدينة وهو ينظر بين رجل من قريش واهل بيت من المهاجرين ليسوا من قريش . فقالوا لابى جعفر : اجعل بيننا وبينه ابن ابى ذئب . فقال ابو جعفر لابن ابي ذئب :

ماتقول في بني فلان . قال : أشرار من أهل بيت شرار . قالوا : اساله ياأمير المؤمنين عن الحسن بن زيد . قال : ياخذ بما لا يحققه ويقضي بالهوي . فقال الحسن ياأمير المؤمنين والله لو سالته عن نفسك لرماك بداهية أو يكفك بشر(١ قال ماتقول في . قال اعفني . قال لا بد ان تقول قال لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية . قال فتغير وجه أبي جعفر . فقال ابراهيم ابن محمد بن علي بن يحيي ابن صاحب الموصل طهرنا بدمه ياأمير المؤمنين : قال اقعد يابني فليس في دم رجل يشهد أن لا اله الا الله طهر ثم تدارك ابن أبي ذئب الكلام . فقال ياأمير المؤمنين : دعنا مما نحن فيه بلغني أن لك ابنا صالحا بالعراق يعني المهدى . قال : أما انك قلت ذلك انه الصوام القوام البعيد ما بين الطرفين . قال : ثم قام ابن أبي ذئب فخرج فقال أبو جعفر : اما والله ماهو بمستوثق العقل ولقد قال بذات نفسه . قال الاصمعي : ابن أبي ذئب من بني عامر بن لؤي من أنفسهم . قال : ودخل الحارث بن مسكين على المأمول فقال : أقول فيها كما قال مالك بن أنس لابيك هرون الرشيد ـ وذكر قوله ـ فلم يعجب المأمون . فقال : لقد تيست فيها وتيس مالك . قال الحارث بن مسكين : فالسامع ياأمير المؤمنين من التيسين . فتغير وجه المامون وقام الحارث بن مسكين فخرج وندم على ما كان من قوله فلم يستقر في منزله حتي أتاه رسول المأمون فايقن بالشر ولبس ثياب أكفانه ثم اقبل حتي دخل عليه فقربه المامون من نفسه ثم أقبل عليه بوجهه . فقال له : ياهذا ان الله قد أمر من هو خير منك بالانة القول لمن هو شر مني فقال لنبيه موسي صلى الله عليه وسلم اذ أرسله الى فرعون : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشي . » قال ياأمير المؤمنين أبوء بالذنب واستغفر الله تعالى . قال : عفا الله عنك انصرف اذا شئت * وأرسل أبو جعفر الى سفيان الثوري فلما دخل عليه ـ قال : عظني اباعبدالله . قال : وما عملت فيما علمت فاعظك فيما جهلت فما وجد له المنصور جوابا * ودخل أبو النصر سالم مولى عمر بن عبيدالله على عامل للخليفة فقال له : ابا النصر إنا تاتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجد بدا من انفاذها فما ترى . قال له أبو النضر : قد اتاك كتاب من الله تعالى قبل كتاب الخليفة فايهما اتبعت كنت من أهله * ونظير هذا القول مارواه الاعمش عن الشعبي ، أن زيادا كتب الى الحكم بن عمرو الغفاري وكان على الصائفة ان : امير المؤمنين كتب الى ان اصفى له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة . فكتب اليه : وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين والله لو ان السموات

١) قوله أو يكفك بشر مخفف : من قولهم وكفه اذا أوقعه بالاثم

والارض كانتا رتقا على عبد فاتقى الله لجعل له منها مخرجا . ثم نادي في الناس فقسم لهم ما اجتمع من الفيء * ومثله قول الحسن حين ارسل اليه ابن هبيرة وأبي الشعبي . فقال له : ماترى أبا سعيد في كتب تاتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها فان انفذتها وافقت سخط الله وان لم أنفذها خشيت على دمي . فقال له الحسن : هذا عندك الشعبي فقيه الحجاز فساله فرفق له الشعبي وقال له : قارب وسدد فانما أنت عبد مأمور ثم التفت ابن هبيرة الى الحسن وقال ما تقول يا ابا سعيد . فقال الحسن : يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله . يا ابن هبيرة ان الله مانعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله . يا ابن هبيرة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فانظر ما كتب اليك فيه يزيد فاعرضه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله تعالى فانفذه وما خالف كتاب الله فلا تنفذه فان الله أولى بك من يزيد وكتاب الله أولى بك من كتابه . فضرب ابن هبيرة بيده على كتف الحسن . وقال : هذا الشيخ صدقني ورب الكعبة . وأمر للحسن باربعة آلاف . وللشعبي بالفين . فقال الشعبي : رفقنا فرفق لنا فاما الحسن فارسل الى المساكين فلما اجتمعوا فرقها واما الشعبي فقبلها وشكر عليها * ونظير هذا ، قول الاحنف ابن قيس لمعاوية حين شاوره في استخلافه يزيد فسكت عنه . فقال : مالك لا تقول . فقال : إن صدقناك اسخطناك وان كذبناك اسخطنا الله فسخط امير المؤمنين أهون علينا من سخط الله . فقال له : صدقت * وكتب ابو الدرداء الى معاوية : اما بعد فانه من يلتمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس . ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس . وكتبت عائشة رضى الله عنها الى معاوية : أما بعد فانه من يعمل بمساخط الله يصر حامده من الناس ذاماً له والسلام * ابو الحسن المدائني قال : خرج الزهري يوما من عند هشام باربع قيل له ماهنّ . قال : دخل رجل على هشام . فقال : يا امير المؤمنين احفظ عني اربع كلمات فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك . فقال : هاتهن . فقال : لا تعدن عدةً لا تثق من نفسك بانجازها . قال : هذه واحدة فهات الثانية . قال : لا يغرنك المرتقي وان كان سهلا اذا كان المنحدر وعرا . قال : هات الثالثة . قال : واعلم ان للاعمال جزاء فاتق العواقب . قال : هات الرابعة . قال : واعلم ان للامور بَغَتات فكن على حذر . قعد معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من على بن أبي طالب رضي الله عنه . فقال له رجل : يا امير المؤمنين نطيع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم . فالتفت الى المغيرة فقال له : هذا رجل فاستوص به خيرا * وقال عبد الملك بن مروان

للحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة : ما كان يقول الكذاب فى كذا وكذا ــ يعني ابن الزبير ــ فقال : ما كان كذابا . فقال له يحيى بن الحكم : من امك يا حار . قال : هى التى تعلم . قال له عبدالملك : أسكت فهى أنجب من امك . دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك . فقال له : ماحديث يحدثنا به أهل الشام . قال : وماهو يا أمير المؤمنين . قال : يحدثوننا أن الله اذا استرعي عبدا رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيآت . قال : باطل يا أمير المؤمنين أنبي خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي . قال : بل خليفة نبي . قال : فان الله يقول لنبيه داود « ياداود إنا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب . » فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي . قال : ان الناس ليغروننا عن ديننا . الاصمعي عن اسحق بن يحيي عن عطاء بن يسار . قال: قلت للوليد بن عبد الملك قال عمر بن الخطاب « وددت أني خرجت من هذا الامر كفافا لا علىّ ولا لىّ » . فقال : كذبت قلت له : لو كذبتُ فما افلتَ منه الا بجُرَيْعَة الذَّقن (١ .

١٤ ــ المشورة ــ قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما ندم من استشار ، ولا شقي من استخار . وقد أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بمشاورة من هو دونه فى الرأي فقال : « وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله . » ولما همت ثقيف بالارتداد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم . استشاروا عثمان بن أبي العاص وكان مطاعا فيهم . فقال لهم لا تكونوا آخر العرب اسلاما ، وأولهم ارتدادا ، فنفعهم الله برأيه . وسئل بعض الحكماء : أى الامور أشد تأييدا للعقل وايها اشد اضرارا به . فقال : أشدها تأييدا له ثلاثة أشياء ، مشاورة العلماء وتجربة الامور . وحسن التثبت . وأشدها اضرارا به ثلاثة أشياء ، الاستبداد . والتهاون والعجلة . وأشار حكيم على حكيم برأي . فقال : لقد قلت بما يقول به الناصح الشفيق الذى يخلط حلو كلامه بمره ، وسهله بوعره ، ويحرك الاشفاق منه ماهو ساكن من غيره . وقد وعيت النصح وقبلته . إذ كان مصدره من عند من لا يشك فى مودته وصفاء غيبه ، ونصح حبيبه ، ومازلت بحمد الله الى الخير طريقا واضحا ، ومنارا بينا . وكان عبد الله بن وهب الراسبي يقول : اياكم والرأي الفطير . وكان يستعيذ بالله من الرأى الدَّبَرِيّ الخبر (٢ . وكان على بن ابى

١) هذا مثل : يضرب لمن أشرف على التلف ثم نجا . والاصل فيه : وقرب الموت منه كقرب الجريعة « تصغير جرعة » من الذقن . ٢) الرأي الدبرى : الذى يمعن النظر فيه وهو الذي يسنح أخيرا عند فوات الحاجة .

طالب رضى الله عنه يقول . رأي الشيخ أحسن من جلد الغلام . وأوصى ابن هبيرة ولده فقال . لا تكن أول مشير . واياك والرأى الفطير . ولا تشرف على مستبد . فان التماس موافقته لؤم ، والاستماع منه خيانة . وكان عامر بن الظرب حكيم العرب يقول . دعوا الرأى يغب حتى يختمر . واياكم والرأي الفطير - يريد الاناة فى الرأى والتثبت فيه - . ومن امثالهم فى هذا قولهم : لا رأى لمن لا يطاع . وكان المهلب يقول : ان من البلية ان يكون الرأى بيد من يملكه دون من يبصره * العتبي . قال : قيل لرجل من عبس ما اكثر صوابكم . قال : نحن الف رجل وفينا حازم واحد فنحن نشاوره فكأنا الف حازم . قال الشاعر :

الرأى كالليل مسود جوانبه * والليل لا ينجلى إلا باصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال الى * مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

العتبي . قال : اخبرني من رأى عبد الله بن عبد الاعلى وهو اول داخل على الخليفة وآخر خارج من عنده . ثم رأيته وانه ليتقى كما يتقى البعير الاجرب . فقال لى : يا أخا العراق اتهمنا القوم فى سريرتنا ، ولم يقبلوا منا علانيتنا ، ومن ورائهم وورائنا حكم عدل . ومن احسن ماقيل فيمن أشير عليه فلم يقبل . قول سبيع لاهل اليمامة بعد ايقاع خالد بهم : يا بني حنيفة بعدا لكم كما بعدت عاد وثمود . أما والله لقد أنبأتكم بالامر قبل وقوعه . كانى اسمع جرسه وابصر غيبه ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندامة . وانى لما رأيتكم تتهمون النصيح وتسفهون الحليم استشعرت بكم الياس وخفت عليكم البلاء . والله مامنعكم الله التوبة . ولا أخذكم على غرة ولقد أمهلكم حتي مل الواعظ . ووهن الموعوظ . وكنتم كأنما يعنى بما أنتم فيه غيركم فاصبحتم وفى ايديكم من تكذيبى التصديق ومن نصيحتى الندامة واصبح في يدى من هلاككم البكاء ومن ذلكم الجزع واصبح مافات ، غير مردود ، وما بقى ، غير مأمون . وقال القطامى فى هذا المعنى :

ومعصية الشفيق عليك مما * يزيدك مرة منه استماعا

ومن قولنا فى هذا المعنى :

فلئن سمعت نصيحتي وعصيتها * ما كنت أول ناصح معصي

وقال حبيب فى بني تغلب عند ايقاع مالك بن طوق بهم :

لم يألكم مالك صفحا ومغفرة * لو كان ينفخ قين الحى فى فحم

١٥ — حفظ الاسرار — قالت الحكماء : صدرك أوسع لسرك . وقالوا: سرك من دمك — بعنوان انه ربما كان فى افشائه سفك دمك — . وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف :

لا تفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا
واني رأيت غواة الرجا * ل لا يتركون أديماً صحيحا

وقالت الحكماء : ما كنت كاتمه عدوك فلا تطلع عليه صديقك . وقال عمرو بن العاص : ما استودعت رجلا سرا فافشاه فلمته . لأنى كنت اضيق صدرا منه حين استودعته إياه حتى أفشاه . قيل لاعرابي : كيف كتمانك للسر . قال : أجحد المخبر وأحلف للمستخبر . وقيل لآخر : كيف كتمانك للسر . قال : ماقلبي له الا قبر. وقال المامون : الملوك تحتمل كل شيء الا ثلاثة اشياء ، القدح فى الملوك وافشاء السر والتعرض للحرم (١ . وقال الوليد بن عتبة لابيه : ان امير المؤمنين اسر الى حديثا افلا أحدثك به . قال : [لا] يابني انه من كتم سره كان الخيار له فلا تكن مملوكا بعد أن كنت مالكا (٢ . وفى التاج : ان بعض ملوك العجم استشار وزيريه . فقال أحدهما : لا ينبغي للملك أن يستشير منا احدا الا خاليا به . فانه اموت للسر وأحزم للرأى وأجدر بالسلامة واعفى لبعضنا من غائلة بعض . فان افشاء السر لرجل واحد أوثق من افشائه الى اثنين وافشاؤه الى ثلاثة كافشائه الى جماعة لان الواحد رهن بما افشى اليه والثاني مطلق عنه ذلك الرهن والثالث علاوة فيه . فاذا كان السر عند واحد كان أحرى أن لا يظهر رغبة ورهبة وان كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المعاريض . فان عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد وان اتهمهما اتهم بريئا بجناية مجرم وان عفا عنهما كان العفو عن احدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه . ومن احسن ماقالت الشعراء فى السر قول عمر بن ابي ربيعة :

فقالت وأرخت جانب الستر إنما * معي فتحدث غير ذى رقبة أهلي
فقلت لها مابى لهم من ترقب * ولكن سري ليس يحمله مثلي

وقال ابو محجن الثقفى (٣ :

---

١) تقدمت هذه الجملة عنه فى باب مايصحب به السلطان . ٢) أورد هذه الجملة ابن قتيبة فى كتاب السلطان بابسط مما هنا . ٣) كذا فى الاصل والرواية المشهورة بخلاف هذا فليرجع الى نسخة ديوانه .

لاتسالى الناس عن مالى وكثرته * وسائلى الناس عن باسى وعن خلقى
قد أطعن الطعنة النجلاء عن عرض * واكتم السر فيه ضربة العنق

وقال الحطيئة يهجو [أمه]:

أغربالا اذا استودعت سرًا * وكانونا على المتحدثينا

١٦ — الاذن — قال زياد لحاجبه عجلان: كيف تاذن للناس. قال: علي البيوتات، ثم على الاسنان، ثم على الآداب. قال: فمن تؤخر. قال: من لايعبأ الله بهم. قال: ومن هم. قال. الذين يلبسون كسوة الشتاء فى الصيف وكسوة الصيف فى الشتاء. وكان سعيد بن عتبة بن حصين اذا حضر باب أحد من السلاطين جلس جانبا. فقيل له: انك لتباعد من الآذن جهدك. قال: لان أدعى من بعيد خير من أن أقصى من قريب. ثم قال:

فانّ مسيرى فى البلاد ومنزلى * هو المنزل الاقصى اذا لم أقرَّب
ولست وان أدنيت يوما ببائع * خلاقى ولاديني ابتغاء التحبب
وقد عدّه قوم تجارة رابح * ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي

وقال آخر (١:

رأيت أناساً يسرعون تبادرا * اذا فتح البوّاب بابك أصبعا
ونحن جلوس ساكنون رزانة * وحلما الى ان يفتح الباب أجمعا

وقف الاحنف بن قيس ومحمد بن الاشعث بباب معاوية فاذن للاحنف. ثم اذن لابن الاشعث فاسرع فى مشيته حتى تقدم الاحنف ودخل قبله فلما رآه معاوية غمه ذلك وأحنقه فالتفت اليه فقال: والله انى ما أذنت له قبلك وانا اريد ان تدخل قبله وانا كما نلى اموركم نلى آدابكم ولا يزيد متزيد فى خطوه الا لنقص يجده من نفسه. وقال هشام الرقاشي (٢:

أبلغ ابا مسمع عني مغلغلة * وفي العتاب حياة بين اقوام

---

١) انشدها الحصين بن المنذر حين قال له معاوية «وكان يدخل عليه فى اخريات الناس» يا اباساسان كانه لا يحسن اذنك فانشا * وكل خفيف الشان يسعى مشمرا * اذا فتح الخ وبعده * ونحن الجلوس الماكثون رزانة * وحلما الخ ٢) فى كتاب السلطان. وقال ابو القمقام الاسدى:

ابلغ ابا مالك عنى مغلغلة   وفى العتاب حياة بين اقوام
ادخلت قبلى قوما لم يكن لهم   من قبل ان يلجوا الابواب قدّامي

قدمت قبلي رجالا مايكون لهم * في الحق ان يلجوا الا بواب قدامي
لو عد قبر وقبر كنت أكرمهم * قبرا وأبعدهم من منزل الذام
حتى جعلت اذا ماحاجة عرضت * بباب قصرك أدلوها باقوام

قيل لمعاوية : ان آذنك يقدم معارفه في الاذن على وجوه الناس . قال : وماعليه إن المعرفة لتنفع في الكلب العقور والجمل الصؤول فكيف في رجل حبيب ذي كرم ودين . وقالت الحكماء : لا يواظب احد على باب السلطان فيلقي عن نفسه الأنفة ويحتمل الاذى و يكظم الغيظ الاوصل الى حاجته . وقالوا : من ادمن قرع الباب يوشك ان يفتح له . وقال :

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب أن يلجا

ونظر رجل الى روح بن حاتم واقفا في الشمس . [فقيل له في ذلك] فقال : ليطول وقوفي في الظل . ونظر آخر الى الحسن بن عبد الحميد يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان . فقال له : مثلك يرضي بهذا . فقال :

أهين لهم نفسي لاكرمها بهم * ولا يكرم النفس الذي لا يهينها (١

وفي كتاب للهند : ان السلطان لا يقرب الناس لقرب آبائهم ولا يبعدهم لبعدهم . ولكن ينظر ماعند كل رجل منهم ، فيقرب البعيد لنفعه ويبعد القريب لضره . وشبهوا ذلك بالجرذ الذى هو في البيت مجاور فمن اجل ضره نفي والبازي الذى هو وحشي فمن أجل نفعه اقتني . استاذن رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت . فقال : أألج . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه : اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان وقل له يقول السلام عليكم أأدخل . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الاستئذان ثلاث ، فان أذن لك وإلا فارجع . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الاولى اذن ، والثانية مؤامرة ، والثالثة عزمة ، إما أن يأذنوا وإما أن يرجع .

١٧ — الحجاب — قال زياد لحاجبه : وليتك حجابي وعزلتك عن أربع ، هذا المنادي الى الله في الصلاة والفلاح لا تعرجنه عني فلا سلطان لك عليه : وطارق الليل لا تحجبه فشر ماجاء به ولو كان خيرا ماجاء به تلك الساعة . ورسول الثغر فانه ان أبطأ ساعة أفسد عمل سنة فادخله علي وان كنت في لحافي . وصاحب الطعام فان الطعام اذا اعيد تسخينه فسد .

لو عد بيت وبيت كنت أكرمهم * بيتا وأبعدهم من منزل الذام
قد جعلت اذا ماحاجتي نزلت * بباب دارك أدلوها باقوام

١) في الاصل وهو غلط

أهين لهم نفسي لاكرمهم بها * ومن يكرم النفس التي لا يهينها

ووقف أبو سفيان بباب عثمان بن عفان . وقد اشتغل ببعض مصالح المسلمين فحجبه . فقال له رجل وأراد ان يغريه : يا أبا سفيان ما كنت أرى أن تقف بباب مضرى فيحجبك . فقال أبو سفيان : لاعدمت من قومي من أقف ببابه فيحجبني . استاذن أبو الدرداء على معاوية فحجبه . فقال : من يغش ابواب الملوك يقم ويقعد ومن يجد بابا مغلقا يجد الى جانبه بابا مفتوحا ان دعا أجيب وان سال أعطي . وقال محمود الوراق :

غالوا بابواب الحديد لغيلها * وتوثقوا فى قبح وجه الحاجب
واذا تلطف للدخول عليهم * راج تلقوه بوعد كاذب
فاطلب الى ملك الملوك ولا تكن * بادي الضراعة طالباً من طالب

سعيد بن مسلم . قال : كنت واليا بارمينية فعبر أبو دهمان أياما ببابى فلما وصل الي مثل قائما بين السماطين . وقال : والله اني لاعرف أقواما لو علموا أن سف التراب يقيم من أود (١ أصلابهم لجعلوه ميسكة لارماقهم إيثاراً للتنزه عن عيش رقيق الحواشي (٢ . أما والله لا يثنيني عنك الا مايصرفك عني . ولان أكون مقلا مقرباً أحب الى من ان أكون مكثرا مبعدا والله . ما نسئل عملا لا نضبطه . ولا مالا إلا ونحن اكثر منه . وهذا الذى قد صار اليك وفى يديك قد كان فى يد غيرك فامسوا والله حديثا إن خيرا فخير وإن شرا فشر . فتحبب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب : فان حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغضه لانهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله . أبو مسهر قال : أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الله بن عبد كان فحجبني . فكتبت اليه :

انى أتيتك للتسليم أمس فلم * تاذن عليك لى الأستار والحجب
وقد علمت بانى لم أرد ولا * والله مارد الا العلم والأدب

فاجابنى ابن عبد كان فقال :

لو كنت كافيت بالحسني لقلت كما * قال ابن أوس (٣ وفيما قاله ادب
ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا * إن السماء ترجي حين تحتجب

---

١) السماطين : واحده سماط بالكسر الصف من الناس وغيرهم : والأود : العوج
٢) كذا فى الاصل : وفى العبارة سقط ولعله « اذا كان ممنوا بالذل » أو ما هذا معناه فليحرر .
٣) قوله ابن أوس : هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائى

وقف بباب محمد بن منصور رجل من خاصته فحجب عنه . فكتب اليه :

على أي باب أطلب الاذن بعدما * حجبت عن الباب الذى أنا حاجبه

وقف أبو العتاهية الى باب بعض الهاشميين فطلب الاذن . فقيل له تكون لك عودة فقال :

لئن عدت بعد اليوم إنى لظالم * سأصرف وجهي حيث تبغي المكارم
متى يظفر الغادى اليك بحاجة * ونصفك محجوب ونصفك نائم

ونظير هذا المعنى للعتابي حيث يقول :

قد أتيناك للسلام مرارا * غير من منا بذاك المزار
فاذا أنت في استتارك بالليل على مثل حالنا بالنهار

وقف رجل بباب أبي دلف فقام به حينا لا يصل اليه فتلطف في رقعة وأوصلها اليه وكتب فيها :

اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم

فاجابه :

اذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر تعذر بالحجاب
وأبواب الملوك محجبات * فلا تستعظمن حجاب بابي

وقال حبيب الطائي في الحجاب :

سأترك هذا الباب مادام اذنه * على ما أرى حتى يلين قليلا
فما خاب من لم يأته متعمدا * ولا فاز من قد نال منه وصولا
ولا جعلت أرزاقنا بيد امرىء * حمى بابه من أن ينال دخولا
اذا لم نجد للاذن عندك موضعا * وجدنا الى ترك المجيء سبيلا

وأنشد أبو بكر بن العطار :

مالك قد حلت عن وفائك واس * تبدلت ياعمرو شيمة كدره
لسنا نرجوك للحساب ولا * يوم تكون السماء منفطره
قد كان وجهي لديك معرفة * فاليوم أضحى بابا من النكره

وقال غيره :

أتيتك للتسليم لا أنني امرؤ * أردت باتيانك أسباب نائلك
فألفيت بوابا ببابك مغرما * يهدم ما وطأته من فضائلك
وقد قال قوم حاجب المرء عامل * على عرضه فاحذر خيانة عاملك

وقال الحسن بن هانىء :

أيها الراكب المعز الى الفضـــل ترفق فدون فضل حجابُ
ونعم هبكَ قد وصلت الى الفضـــل فهلْ فى يديْك الا الترابُ

وقال آخر «وهو محمود البغدادى» :

حجابك من مهابته عسيرُ * وخيرك في اليدَيْن غدا يسيرُ
خرجتُ كما دخلتُ اليك الاَّ * ترابا صار في خفى كثيرُ

وقال العتابي :

حجابك ليس يشبهه حجاب * وخيرك دون مطلبه السحاب
ونومك نوم مَنْ وَرَدَ المنايا * فليس له الى الدنيا إياب

غيره :

أنا بالباب واقفٌ منذ أصبحـــت على السرج ممسكا بعنانى
وبعين البواب كلُّ الذى بى * ويرانى كأنه لا يَرانى

غيره :

اذا ما أتيناه في حاجة * رفعنا الرقاع له بالقصبْ
له حاجبُ دونه حاجب * وحاجب حاجبه يحتجبْ

قال أبو اليسير ، حجبني بعض كتاب العسكر فكتبت اليه : ان من لم يرفعه الاذن لم يضعه الحجاب . وأنا أرفعك عن هذه المنزلة وأرغب بك عن هذه الخليقة وكل من قام فى منزلك عظم قدره اوصغر وحاول حجاب الخليفة امكنه فتامل هذه الحال وانظر اليها بعين الفهم ترها فى أقبح صورة وأدني منزلة . وقد قلت :

اذا كنت تاتى المرء تعظم حقه * ويجهلُ منك الحق فالبحر أوسعُ
وفى الناس أبدال وفى الهجر راحة * وفى الناس غمٌ لا يواتيك مقنعُ
وانَّ امرأ يرضى الهوان لنفسه * جرىٌ بجدع الانف والانف اشنع

وقال آخر :

يا ابا موسى وانت فتى * ماجدٌ حلو حذائبه (١
كنْ على منهاج معرفةٍ * أنَّ وجه المرء حاجبه

١) كذا فى الاصل ولم اقف على مادة حذب . ونسب الراغب فى المحاضرات البيتين الاخيرين ليحي بن المعلى . وفى كتاب السلطان وقال بعض الشعراء :

فبه تبدو محاسنه * وبه تبدو معائبه

وانشد حسين بن الجمل وبكر الى باب سليمان بن وهب فحجبه الحاجب وادخل ابن شعوة وحمدويه :

ولعمرى لئن حجبنا عن الشيخ فلا عن وجه هناك وجيه
لا ولا عن طعامه التافه النز * رالذى حوله لطام بنيه
بل حجبنا به عن الخسف والمسخ وذاك التبريق والتمويه
فجزى الله حاجبا لك فظا * كل خير عنا اذا تجزيه
فلقد سرنى دخول اخى شعوة دوني وبعده حمدويه
ان ذبحي نزالة قد تاتى * من صياحي بقبح تلك الوجوه

وقال أحمد بن محمد البغدادي فى الحسن بن وهب الكاتب :

ومستنبئ عن الحسن بن وهب * وعما فيه من كرم وخير
اتانى كى أخبره بعلمي * فقلت له سقطت على خبير
هو الرجل المهذب غير أنى * أراه كثير إرخاء الستور
واكثر ما تغنيه فتاة * حسين (١) حين يخلو بالسرور
ولولا الريح أسمع أهل حجر * صليل البيض تقرع بالذكور

ومن قولنا فى هذا المعنى

مابال بابك محروسا ببواب * يحميه من طارق ياتي ومنتاب
لا يحتجب وجهك الممقوت عن احد * فالمقت يحجبه من غير حجاب
فاعزل عن الباب من قد ظل يحجبه * فان وجهك طلسام على الباب

وقف حبيب الطائي بباب مالك بن طوق فحجب عنه . فكتب اليه يقول :

قل لابن طوق رحى سعد اذا طحنت * نوائب الدهر أعلاها وأسفلها

اعلمن ان كنت تعلمه   أن عرض المرء حاجبه
فبه تبدو محاسنه   وبه تبدو معائبه

١) كذا فى الاصل ولم أقف على صحته ليصح وزنه . والبيت الذى بعده مضمن من قصيدة لمهلهل وهو عدي بن ربيعة قال ابن قتيبة فى الشعراء هو أحد الكذبة بقوله « ولولا الريح » البيت والذكور : جمع ذكر أصلب الحديد وأشده يبسا

أصبحت حاتمها جوداواحنفها * حلما وكيسها علما ودغفلها
مالى أرى القبة البيضاء مقفلة * دونى وقد طال ما استفتحت مقفلها
أظنها جنة الفردوس معرضة * وليس لى عمل زاك فادخلها

١٨ — باب الوفاء والغدر — قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب حين أيقن بزوال ملكه : قد احتجت الى ان تصير مع عدوي وتظهر الغدر بي فان اعجابهم بادبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك ، فان ستطعت أن تنفعني فى حياتى والا لم تعجز عن حفظ حرمتي بعد مماتي (١ . فقال عبد الحميد : ان الذى امرت به انفع الاشياء لك واقبحها بى وما عندي غير الصبر معك حتى يفتح الله عليك أو اقتل معك . أبو الحسن المدائني : . قال لما قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بعد ما صالحه وكتب له كتابا وأشهد شهودا . قال عبد الملك بن مروان لرجل كان يستشيره ويصدر عن رأيه اذا ضاق به الامر : ما رأيك فى الذى كان مني . قال أمر قد فات دركه : قال لتقولن . قال حزم لو قتلته وحييت . قال أو لست بحي . فقال : من أوقف نفسه موقفا لا يوثق له بعهد ولا بعقد (٢ . قال عبد الملك : كلام لو سبق سماعه فعلي لامسكت . المدائني : قال لما كتب أبو جعفر أمان ابن هبيرة واختلف فيه الشهود أربعين يوما ركب فى رجال معه حتى دخل على المنصور . فقال : ان دولتكم جديدة فاذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها لتسرع محبتكم الى قلوبهم ويعذب ذكركم على ألسنتهم ومازلت منتظرا لهذه الدعوة . فامر ابو جعفر برفع الستر بينه وبينه . فنظر الى وجهه وباسطه بالقول حتى اطمأن قلبه ، فلما خرج . قال ابو جعفر : عجبا من كل من يامرنى بقتل مثل هذا ثم قتله بعد ذلك غدرا . وقال أبو جعفر لسلم بن قتيبة : ما ترى فى قتل أبى مسلم . قال [سلم] : لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا . قال : حسبك الله ابا امية . قال ابو عمرو بن العلاء : كانت بنو سعد بن تيم أغدر العرب ، وكانوا يسمون الغدر فى الجاهلية كيسان فقال فيهم الشاعر

---

١) عبارة الاصل : لم تعجز عن نفع حرمى من بعد مماتي . وما أصلحته فمن كتاب السلطان لابن قتيبة . ٢) كذا فى الاصل وفي العبارة سقط بين فليحرر

اذا كنت فى سعد وخالك منهمُ * غريبا فلا يغررك خالك من سعدِ
اذا مادعوا كَيْسانَ كانت كهولهم * الى الغدر أدنى من شبابهم المردِ

١٩ — الولاية والعزل — قال النبي صلى الله عليه وسلم : ستحرصون على الامارة وتكون حسرة وندامة فنعمت المرضعة ، وبئست الفاطمة . وقال المغيرة بن شعبة : احب الامارة لثلاث واهجرها لثلاث ، أحبها لرفع الاولياء ووضع الاعداء واسترخاص الاشياء وأكرهها لروعة البريد وفوت العزل وشماتة العدو . وقال ولد بن بشر القاضى (١ . كنت جالسا مع أبي قبل ان يلي القضاء فمر به طارق مولى ابن زياد فى موكب نبيل وهو والى البصرة ، فلما رآه أبي تنفس الصعداء وقال :

أراها وان كانت تُحَبُّ كأنها * سحائبُ صيفٍ عن قريب تقَشَّعُ

ثم قال اللهم لى ديني ولهم دنياهم ، فلما ابتلى بالقضاء . قلت له : ياأبت اتذكر يوم طارق . قال : يابني ، انهم يجدون خلفا من ابيك وان اباك لايجد خلفا منهم ان اباك حط فى أهوائهم ، وأكل من حلوائهم . قيل لعبد الله بن الحسن ، ان فلانا غيرته الولاية . قال : من ولى ولاية يراها أكبر منه تغير لها ، ومن ولى ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها . ولما عزل عمر بن الخطاب المغيرة بن شعبة عن كتابة ابي موسى . قال له : أعن عجز أم خيانة ياأمير المؤمنين . قال : لا عن واحدة منهما ولكني أكره أن احمل فضل عقلك على العامة . وكتب زياد الى معاوية : قد أخذت العراق بيميني وبقيت شمالى فارغة — يعرض له بالحجاز . فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فرفع يده الى السماء وقال : اللهم اكفنا شمال زياد فخرجت فى شماله قرحة فقتلته . ولقي عمر بن الخطاب أباهريرة . فقال له : ألا تعمل . قال : لا أريد العمل . قال : قد طلب العمل من هو خير منك ، يوسف عليه الصلاة والسلام قال : « اجعلنى على خزائن الارض اني حفيظ عليم . » المدائنى . قال كان بلال بن أبي بردة ملازما لباب خالد بن عبد الله القسرى ، فكان لا يركب خالد الا ورآه فى موكبه ، فبرم به . فقال لرجل من الشرط : ائت ذلك الرجل صاحب العمامة السوداء فقل له يقول لك الامير مالزومك بابي وموكبي لا أوليك ولاية أبداً . فاتاه الرسول فابلغه

---

١) كذا فى الاصل والمحفوظ انه ابن شبرمة القاضى والحكاية عن ابن له وطارق اذ ذاك صاحب شرطة خالد القسرى ورواية البيت فى غير الاصل :

أراها وان كانت تحب ركابها   سحابة صيف عن قليل تقشع

فقال له بلال : هل أنت مبلغ عنى الامير كما بلغتني عنه . قال : نعم . قال قل له : والله لئن وليتني لاعزلتني فابلغه ذلك . فقال خالد : ماله قاتله الله انه ليعدّ من نفسه بكفاية فدعاه فولاه . وأراد عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلا ، فبادر الرجل فطلب منه العمل . فقال له عمر : والله لقد كنت أردتك لذلك ولكن من طلب هذا الامر لم يعن عليه . وطلب العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم من النبي ولاية . فقال له ياعم : نفس تحييها ، خير من ولاية لا تحصيها . وطلب رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عملا . فقال له : انا لا نستعين على عملنا بمن يريده وتقول النصارى : لا نختار للجثلقة الا زاهدا فيها غير طالب لها . وقال زياد لاصحابه : من اغبط الناس عيشا . قالوا الامير وأصحابه . قال : كلا ان لاعواد المنبر لهيبة ولقرع لجام البريد لفزعة ولكن أغبط الناس عيشا ، رجل له دار يجرى عليه كراؤها وزوجة قد وافقته في كفاف من عيشه لا يعرفنا ولا نعرفه . فان عرفنا وعرفناه افسدنا عليه آخرته ودنياه . وكتب المغيرة ابن شعبة الى معاوية حين كبر وخاف ان يستبدل به : اما بعد فقد كبرت سنى ، ورق عظمي ، واقترب أجلي وسفّهني سفهاء قريش ، فرأي أمير المؤمنين في عمله موفقا . فكتب اليه معاوية : أما ماذكرت من كبر سنك فانت أكلت شبابك وأما ماذكرت من اقتراب أجلك فاني لو استطيع دفع المنية لدفعتها عن آل أبي سفيان ، وأما ماذكرت من سفهاء قريش فحلماؤها احلوك ذلك المحل ، وأما ماذكرت من العمل فضحّ رُوَيْدًا يدرك الهيجا حَمَل — وهذا مثل وقد وقع تفسيره في كتاب الامثال — فلما انتهى الكتاب الى المغيرة . كتب اليه يستأذنه في القدوم عليه فاذن له وخرجنا معه . فلما دخل عليه قال له يامغيرة : كبرت سنك ورق عظمك ولم يبق منك شيء ولا أراني إلا مستبدلا بك . قال المحدث عنه — فانصرف الينا ونحن نرى الكآبة في وجهه فاخبرنا بما كان من امره قلنا له : فما تريد أن تصنع . قال : ستعلمون ذلك فاتي معاوية فقال له يا أمير المؤمنين : ان الانفس ليغدى عليها ويراح ولست في زمن أبي بكر وعمر فلو نصبت لنا علما من بعدك نصير اليه فاني قد دعوت أهل العراق الى بيعة يزيد . فقال يا أبا محمد : انصرف الى عملك ورم هذا الامر لابن اخيك . فاقبلنا نركض على النجب فالتفت فقال والله لقد وضعت رجله في ركاب طويل الغي عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم

٢٠ — باب من احكام القضاة — قال عمر بن عبد العزيز : اذا كان في القاضي خمس خصال فقد كمل . علم بما كان قبله ، ونزاهه عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، واقتداء بالائمة

ومشاورة أهل العلم والرأى . وقال عمر بن عبد العزيز : اذا أتاك الخصم وقد فقئت عينه . فلا تحكم له حتى يأتى خصمه فلعله قد فقئت عيناه جميعا . وكتب عمر بن الخطاب الى معاوية فى القضاء يقول فيه : اذا تقدم الخصمان فعليك بالبينة العادلة ، أو اليمين القاطعة ، وادناء الضعيف حتى يشتد قلبه ، و ينبسط لسانه . وتعاهد الغريب فانك ان لم تتعاهده سقط حقه ، ورجع الى أهله ، وانما ضيع حقه من لم يرفق به . وآس بين الناس فى لحظك وطرفك . وعليك بالصلح بين الناس مالم يتبين لك فصل القضاء . العتبي . قال : تنازع ابراهيم بن المهدى هو و بختيشوع الطبيب بين يدى أحمد ابن أبي دواد القاضى فى مجلس الحكم فى عقار بناحية السواد فزرى عليه ابن المهدي وأغلظ له بين يدى أحمد بن أبي دواد فاحفظه ذلك . فقال يا ابراهيم : اذا نازعت أحدا فى مجلس الحكم فلا تعلين مارفعت عليه صوتا ولا تشر اليه بيد وليكن قصدك أمما وطريقك نهجا وريحك ساكنة ووف مجالس الحكومة حقوقها مع التوقير والتعظيم والتوجيه الى الواجب . فان ذلك أشبه بك ، وأشكل لمذهبك فى محتدك ، وعظم خطرك . ولا تعجل فرب عجلة تهب ريثا والله يعصمك من الزلل ، وخطر القول والعمل ، و يتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل ان ربك حكيم عليم . قال ابراهيم : أصلحك الله أمرت بسداد وحضضت على رشاد ، ولست بعائد الى مايثلم مروءتى عندك ، و يسقطني من عينك ، و يخرجني من مقدار الواجب الى الاعتذار . فها أنا معتذر اليك من هذه البادرة اعتذار مقر بذنبه ، باخع بجرمه فان الغضب لا يزال يستفزني بمواده ، فيردني مثلك بحلمه . وتلك عادة الله عندنا منك وحسبنا الله ونعم الوكيل . وقد وهبت حقى من هذا العقار لبختيشوع ، فليت ذلك اليوم يعول بارش الجناية ولم يتلف مال أفاد موعظة و بالله التوفيق (١ . وكتب عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعري - رواها ابن عيينة - :اما بعد فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة . فافهم اذا أدلى اليك الخصم فانه لا ينفع [تكلم] بحق لا نفاذ له . آس بين الناس فى مجلسك ووجهك . حتي لا يطمع شريف في حيفك ، ولا يخاف ضعيف من جورك البينة على من ادعى واليمين على من أنكر . والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما أو حرم حلالا . ولا يمنعك قضاء

(١ احفظه ذلك : اى اغضبه . وقوله فرب عجلة تهب ريثا : الريث الابطاء وهذا مثل معناه ان العجول لا يحكم الامر فيحتاج الى اعادته فيطول عليه : وقوله يعول بارش الجناية : العول الكفاية والارش فى الاصل دية الجراحات فالمعني . ليت ذلك المال يقوم بدية ذلك الجناية .

قضيت فيه بالامس ثم راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه [الى الحق] فان الحق قديم [لا يبطله شيء] والرجوع اليه خير من التمادى على الباطل الفهم الفهم فيما يتلجلج فى صدرك مما لم يبلغك به كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم . اعرف الامثال والاشباه ، وقس الامور عندك ثم اعمد الى أحبها عند الله ورسوله وأشبهها بالحق [فيما ترى] واجعل للمدعي أمرا [غائباً أمداً] ينتهي اليه . فان أحضر بينة أخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء . فان ذلك أجلى للعمي وابلغ فى العذر . والمسلمون عدول [فى الشهادات] بعضهم على بعض . لا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زورا أو ظنينا فى ولاء أو قرابة أو نسب . فان الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات . ثم اياك والتاخر بالناس والتنكر للخصوم . في الحقوق التي يوجب الله بها الاجر ويحسن بها الذخر . فان من تخلص نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه ، يكفيه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم خلافه منه هتك الله ستره . وكتب عمر ابن الخطاب رضى الله عنه الى أبي موسى الاشعري . اما بعد فان للناس نفرة عن سلطانهم فاحذر ان تدركني واياك عمياء مجهولة ، وضغائن محمولة ، واهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة ، أقم الحدود ولو ساعة من النهار واخف الفساق واجعلهم يدا يدا ، ورجلا رجلا . واذا كانت بين القبائل نائرة (١ فنادوا يا ل فلان فانما تلك نخوة من الشيطان ، فاضر بهم بالسيف حتى يفيؤا الى امر الله ، وتكون دعواتهم الى الله والاسلام . واستدم النعمة بالشكر والطاعة بالتالف والمقدرة والنصرة بالتواضع والمحبة للناس . وبلغني ان ضبة تنادى يا آل ضبة والله ما علمت ساق الله بها خيرا قط ، ولا صرف بها شرا . فاذا جاءك كتابي هذا فانهكهم عقوبة حتى يتفرقوا ان لم يفقهوا والصق بغيلان بن خراشة من بينهم وعد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم وباشر أمورهم وافتح بابك لهم . فانما أنت رجل منهم غير ان الله جعلك أثقلهم حملا . وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فشت لك ولاهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها . فاياك يا عبد الله أن تكون كالبهيمة همها فى السمن والسمن حتفها ، واعلم ان العامل اذا زاغ زاغت رعيته واشقى الناس من يشقي به الناس والسلام . أراد عمر بن الخطاب أن يغزو قوما في البحر ، فكتب اليه عمرو بن العاص وهو عامله على مصر : يا أمير المؤمنين ان البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير دود على عود . فقال

(١ النائرة : الهياج .

عمر : لا يسالنى الله عن أحد أحمله فيه * الشعبي . قال كنت جالسا عند شريح اذ دخلت عليه امرأة تشتكى زوجها وهو غائب وتبكى بكاء شديدا . فقلت : اصلحك الله ما أراها الا مظلومة . قال : وما علمك . قلت لبكائها . قال : لا تفعل ، فان اخوة يوسف — جاؤا اباهم عشاء يبكون وهم له ظالمون . وكان الحسن بن أبي الحسن ، لا يري أن يرد شهادة رجل مسلم الا أن يجرحه المشهود عليه . فاقبل اليه رجل . فقال : يا أبا سعيد ان إياسا رد شهادتى . فقام معه الحسن اليه فقال يا أبا رتيلة ، لم رددت شهادة هذا المسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا . فقال : يا أبا سعيد ان الله يقول : «ممن ترضون من الشهداء .» وهذا لا يُرضى . ودخل الاشعث بن قيس على شريح القاضي فى مجلس الحكومة . فقال : مرحبا وأهلا بشيخنا وسيدنا واجلسه معه . فبينما هو جالس عنده إذ دخل رجل يتظلم من الاشعث . فقال له شريح : قم فاجلس مجلس الخصم وكلم صاحبك . قال : بل أكلمه من مجلسى . فقال له : لتقومنّ أو لآمرن من يقيمك . فقال له الاشعث : أشم ما ارتفعتَ . قال : رأيت ذلك ضرك . قال لا . قال : فاراك تعرف نعمة الله على غيرك ، وتجهلها على نفسك : واقبل ابن أبي الاسود صاحب خراسان ليشهد عند اياس بشهادة . فقال : مرحبا واهلا بابى مطرف واجلسه معه . ثم قال له : ماجاء بك . قال : لاشهد لفلان . فقال : مالك وللشهادة انما يشهد الموالى والتجار والسوقة قال : صدقت وانصرف من عنده . فقيل له خدعك انه لا يقبل شهادتك . قال : لو علمت ذلك لعلوته بالقضيب . دخل عدى بن أرطاة على شريح . فقال : أين انت اصلحك الله . قال : بينك وبين الجدار . قال انى رجل من أهل الشام . قال : نائي المحل سحيق الدار . قال : قد تزوجت عندكم . قال : بالرفاء والبنين . قال : وولد لى غلام قال : ليهنك الفارس . قال : واردت ان ارحلها . قال . الرجل أحق باهله . قال : وشرطت لها دارها . قال : الشرط أملك . قال : فاحكم الآن بيننا . قال : قد فعلت . قال : على من قضيتَ . قال : على ابن امك . قال : بشهادة من ؟ . قال : بشهادة ابن أخت خالتك — يريد اقراره على نفسه —- سفيان الثورى . قال : جاء رجل يخاصم الى شريح فى سنور . قال : بينتك . قال : ما أجد بينة فى سنور ولدت عندنا . قال شريح : فاذهبوا بها الى أمها فارسلوها فان استقرت واستمرت ودرّت فهى سنورك ، وان هي : اقشعرّت وازبأرّت فلبست بسنورك * سفيان الثورى . قال : جاء رجل الى شريح . فقال : ماتقول في شاة

تاكل الذباب . فقال : لبن طيب وعلف مجان . ودخل رجل على الشعبي في مجلس القضاء ومعه امرأة وهي من أجمل النساء . فاختصما اليه فادلت المرأة بحجتها وقربت بينتها . فقال للزوج . هل عندك من مدفع . فانشأ يقول :

فتن الشعبي لما * رفع الطرف اليها * فتنته بدلال * وبخطى حاجبيها
قال للجلواذ قربها واحضر شاهديها (١ * فقضى جورا على الا * خصم ولم يقض عليها

قال الشعبي : فدخلت على عبد الملك بن مروان فلما نظر الى تبسم وقال :

فتن الشعبي لما * رفع الطرف اليها

ثم قال : مافعلت بقائل هذه الابيات . قلت : اوجعته ضربا يا أمير المؤمنين بما انتهك من حرمتي في مجلس الحكومة و بما افترى به علي . قال : أحسنت

— ٣ —

فرش كتاب الحروب

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في السلطان وتعظيمه ، وما على الرعية من لزوم طاعته ، وادامة نصيحته ، وما على السلطان من العدل في رعيته ، والرفق باهل مملكته .

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الحروب ومدار أمرها ، وقود الجيوش وتدبيرها ، وما علي المدبر لها من أعمال الخدمة ، وانتهاز الفرصة ، والتماس الغرة ، واذكاء العيون ، وافشاء الطلائع ، واجتناب المضايق ، والتحفظ من الدسيسات : هذا بعد معرفة أحكامها ، وإحكام معرفته ، وطول تجربته ، لمقاسات الحروب ، ومعانات الجيوش ، وعلمه أن لا درع

١) قوله قال للجلواذ الخ . في اللسان عن أبي عمرو الجلاذى الصناع واحدهم جلذى وقال غيره الجلاذى خدم البيعة وجعلهم جلاذي لغلظهم . فاذا كان الجلواذ ماخوذا من هذا فيكون علما على صنف من خدمة القضاء و يسمونه الآن المحضر . وذكر الثعالبي القصة في التمثيل والمحاضرة ونسب الابيات للمتوكل الليثي وزاد عليهم :

كيف لو ابصر منها * نحرها أو ساعديها
لصبا حتى تراه * ساجدا بين يديها

كالصبر ، ولا حصن كاليقين . ثم نذكر كرم اليقين ، ومحمود عاقبته . ولؤم الفرار . ومذموم مغبته والله المعين .

١ — صفة الحروب — الحرب رحى ثقالها الصبر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد ، وثقافها الاناة (١ ، وزمامها الحذر ، ولكل شيء من هذه ثمرة . فثمرة المكر الظفر ، وثمرة الصبر التاييد ، وثمرة الاجتهاد التوفيق ، وثمرة الاناة اليمن ، وثمرة الحذر السلامة ، ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، والحرب بين الناس سجال ، والرأى فيها أبلغ من القتال . قال عمر بن الخطاب لعمرو بن معد يكرب : صف لنا الحرب . قال : مُرّة المذاق ، اذا كشفت عن ساق ، من صبر فيها عُرِف ، ومن نكل عنها تلف . ثم انشأ يقول :

الحرب أول ما تكون فتيّة * تسعى بزينتها لكل جَهُول

حتى اذا حميت وشبّ ضرامها * عادت عجوزا غير ذات حليل

شمطاء جزّت رأسها وتنكرت * مكروهة للشم و التقبيل

وقيل لعنترة الفوارس : صف لنا الحرب . فقال : أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى . وقال الكميت :

والناس فى الحرب شتّى وهى مقبلة * ويستوون اذا ما أدبر القبل

كل بأسمائها اصبٌ مولية * والعاملون بذى عذريها قلل

وقال نصر بن سيار صاحب خراسان يصف الحرب ومبتدأ أمرها :

أرى خلَل الرماد وميضُ نار * فيوشك أن يكون له ضِرام

فانّ النار بالعودين تذكى * وانّ الحرب أولها الكلام

وفى حكمة سليمان بن داود عليهما السلام : الشر . حلو أوله ، مر آخره . والعرب تقول : الحرب غشوم ، لانها تنال غير الجاني وقال حبيب :

والحرب تركب رأسها فى مشهد * عدل السفيه به بالف حليم

فى ساعة لو انّ لقمانا بها * وهو الحكيم لكان غير حكيم

وقال اكثم بن صيفى حكيم العرب : لا حلم لمن لا سفيه له . ونحو هذا قول الاحنف

(١ الثفال : مثل كتاب جلد أو نحوه يوضع تحت الرحى يقع عليه الدقيق . والثقاف : من ثقفت الرجل فى الحرب أدركته وثقفته ظفرت به . وفى الاصل ونفاقها وهو تصحيف

ابن قيس : ماقل سفهاء قوم قط ، الاذلوا . وقال : لان يطيعني سفهاء قومي ، احب الي من ان يطيعني حلماؤهم . وقال : اكرموا سفهاءكم ، فانهم يكفونكم النار والعار . وقال النابغة الجعدي :

ولا خير في حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمي صفوه أن يكدّرا

وأنشد هذا الشعر للنبي صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الي هذا البيت . قال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا يفضض الله فاك ، فعاش ثلاثين ومائة سنة لم تسقط له ثنية : وقال النابغة أيضا يصف الحرب :

تبدو كواكبه والشمس طالعة * لا النور نور ولا الاظلام إظلامُ

يريد بقوله : « تبدو كواكبه والشمس طالعة » : شدة الهول والكرب كما تقول العامة « أريك نجوم الليل والشمس حية » - أريته النجوم وسط النهار . قال الفرزدق : . وقال طرفة بن العبد : « وتريك النجم يجري بالظهُرْ » واليه ذهب جرير في قوله :

والشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

يقول : ان الشمس طالعة وليست بكاسفة نجوم الليل ، لشدة الغم والكرب الذي فيه الناس . ومن قولنا في صفة الحرب :

ومغبرّ السماء اذا تجلى * يغادر أرضه كالأُرجوان

كأنّ زهاءه ظلماء ليل * كواكبه من الشمس الدواني

سموت له بسموّ النقع فيه * بكل مزلق سلب السنان

وفي صفة المعترك :

ومعتَرَك تهزّ به المنايا * ذكور الهندفي أيدي ذكور

لوامع يبصر الاعمى سناها * ويعمى دونها طرفُ البصير

وفائقة الذوائب قد أنافت * على جمل لها ثنيا طرير .

يحوم حولها عقبان موت * تخطفت القلوب من الصدور

بيوم راح في سربال ليل * فما عرف الاصيل من البكور

وعين الشمس ترنو في قتام * رنو البكر من بين الستور

فكم قصرن من عمر طويل * به واطلن من عمر قصير

٢ — العمل في الحروب — قيل لاكثم بن صيفي : صف لنا العمل في الحرب . قال : اقلوا الخلاف على أمرائكم ، فلا جماعة لمن اختلف عليه . واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل

فتثبتوا . فان احزم الفريقين الركين . ورب عجلة تعقب ريثا . وادّرعوا الليل ، فانه أخفى للويل ، وتحفظوا من البيات . وقال شبيب الحروري : الليل يكفيك الجبان ويُنْصِف الشجاع . وكان اذا أمسى يقول لاصحابه : أتاكم المردّ . وقالت عائشة رضى الله عنها يوم الجمل وسمعت منازعة أصحابها وكثرة صياحهم : المنازعة فى الحرب خور ، والصياح فيها فشل ، وما برأبي خرجت مع هؤلاء . وقال عتبة بن أبى ربيعة لاصحابه يوم بدر لما رأى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما ترونهم خرسا لا يتكلمون ، يتلمظون تلمظ الحيات . وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه : من أكثر النظر فى العواقب ، لم يشجع . وقال : النعمان بن مقرن لاصحابه عند لقاء العدوّ : اني هاز لكم الراية ، فليصلح كل رجل منكم من شانه ، وليشد على نفسه وفرسه . ثم اني هازُّها لكم الثانية ، فلينظر كل رجل منكم موقع سهمه ، وموضع عدوه ، ومكان فرصه . ثم اني هازها لكم الثالثة ، وحامل . فاحملوا على اسم الله . وللنعمان بن مقرن هذا يقول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه . اذا تكاملت [الخيل] وتطلع الصحابة الى التقدم عليها : لاقلدن أعنتها رجلا يكون عداء لاول أسنة يلقاها ، فقلدها النعمان بن مقرن . وقال على رضي الله عنه : انتهزوا الفرصة ، فانها تمر مرّ السحاب . ولا تطلبوا أثرا بعد عين . وقال بعض الحكماء : انتهز الفرصة فانها خلسة ، وتثبت عند رأس الامر ، ولا تثبت عند ذنبه . واياك والعجز ، فانه أذل مركب . والشفيع المهين ، فانه أضعف وسيلة . وخرجت خارجة بخراسان على قتيبة بن مسلم فاهمه ذلك . فقيل له : ما يهمك منهم ، وجه اليهم وكيع ابن أبي صَرَد فانه يكفيكم . فقال : لا ، ان وكيعا رجل به كبر يتحاقر أعداءه ، ومن كان هكذا قلت مبالاته باعدائه . فلم يحترس منهم فيجد عدوه غرة منه . وسئل بعض الملوك عن وثائق الحزم فى القتال . فقال : مخاتلة العدو ، وعز الريف ، واعداد العيون على الرصد ، واعطاء المبلغين على الصدق ، ومعاقبة المتوصلين بالكذب ، وان لا تخرج هاربا الى قتال ، ولا تضيق امانا على مستأمن ، ولا تشرهك الغنيمة علي المحاذرة . وفى بعض كتب العجم : ان حكيما سئل عن أشد الامور تدريبا للجنود وشحذا لها فقال . تعود القتال وكثرته . وأن يكون لها مواد من ورائها . وقال عمرو بن العاص لمعاوية : والله ما أدري يا أمير المؤمنين أشجاع أنت أم جبان . فقال معاوية :

شجاع اذا ما أمكنتني فرصة * وان لم تكن لى فرصة فجبان

وقال الاحنف بن قيس : ان رأيت الشر يتركك ان تركته فاتركه : قال هدبة العذري :

ولا أتمني الشر والشرّ تاركى * ولكن متى أُحمل على الشر أركب
ولستُ بمفراح اذا الدهر سرني * ولا جازع من صرفه المتقلب

٣ — الصبر والاقدام فى الحرب — جمع الله تبارك وتعالى تدبير الحرب فى آيتين من كتابه فقال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين . » وتقول العرب : الشجاعة وقاية . والجبن مقتلة . واعتبر ذلك أمن يقتل مدبرا أكثر أم من يقتل مقبلا . ولذلك قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه لخالد بن الوليد : احرص على الموت ، توهب لك الحياة . والعرب تقول : الشجاع موقى ، والجبان ملق . وقال اعرابى : الله مخلف ما أتلف الناس والدهر متلف ما جمعوا . وكم من منية علتها طلب الحياة . وحياة سببها التعرض للموت . وكان خالد بن الوليد يسير فى الصفوف يزم الناس ويقول : يا أهل الاسلام ان الصبر عز ، وان الفشل عجز ، وان مع الصبر النصر . وكتب أنوشروان الى مرازبته : عليكم باهل السخاء والشجاعة ، فانهم أهل حسن الظن بالله . وقالت الحكماء : استقبال الموت خير من استدباره . وقال حسان بن ثابت

ولسنا على الاعقاب تدمي كلومنا * ولكنْ على أعقابنا يقطر الدما

وقال العلولى :

محرّمة أكفال خيلى على القنا * وداميةٌ لباتها ونحورها
حرام على أرماحنا طعن مدبر * وتندقُ منها فى الصدور صدورها

وكانوا يتمادحون بالموت قطعا ، ويتهاجون بالموت على الفراش . ويقولون فيه : مات فلان حتف أنفه وأول من قال ذلك النبي عليه الصلاة وسلام . وخطب عبد الله بن الزبير الناس لما بلغه قتل المصعب أخيه . فقال : ان يقتل فقد قتل أبوه وأخوه وعمه انا والله لا نموت حتفا ، ولكن قطعا باطراف الرماح ، وموتا تحت ظلال السيوف . وأن يقتل المصعب فان فى آل الزبير خلفا منه . وقال السموأل :

وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طلّ منا حيث كان قتيلُ
تسيل على حدّ الظباة نفوسنا * وليس على غير السيوف تسيلُ

وقال آخر :

وانا لتستحلى المنايا نفوسنا * ونترك أخري مرّها فنذوقها

وقال الشنفرى :

فلا تدفنوني إن دفني محرّم * عليكم ولكن خامرى أمّ عامر
اذا احملت رأسى وفى الرأس أكثرى * وغودر عند الملتقى ثمّ سائرى
هنالك لا أبغى حياةً تسرني * سجيس الليالى مبتلى بالجرائر

قوله : خامرى أم عامر — هي الضبع — وهذا اللفظ بعيد من المعني . وقال على ابن أبي طالب رضى الله تعالى عنه : بقية السيف أنمي عددا ، وأطيب ولدا — . يريد ان السيف اذا أسرع فى أهل بيت كثر عددهم ، ونمي ولدهم . ومما يستدل به على صدق قوله : ماعمل السيف فى آل الزبير ، وآل أبي طالب . وما أكثر من عددهم . وقال أبو دلف العجلى :

سيفى بليلى جليسي * وفي نهارى أنيسي
اني فتى عودتني * مهرى ركوب القبيس
يحمد سيفى كما قد * يحمد كرى فريسى

. وقال محمد بن عبد الله بن طاهر صاحب خراسان :

لستُ لريحان ولاراح * ولا على الجار بنفّاح
فان أردت الآن لى موقفا * فبين أسياف وأرماح
ترى فتى تحت ظلال القنا * يقبض أرواحا بارواح

وقال أشهب بن رميلة :

أسود شرًى لاقتْ اسود خفيّةٌ * تلاقَوا على جُرد بماء الاساودِ

وقيل للمهلب بن أبي صفرة : ماأعجب مارأيت فى حرب الازارقة : قال فتي كان يخرج الينا منهم فى كل غداة فيقف فيقول :

وسائلة بالغيب عني ولو درتْ * مُقارعتى الابطالَ طال نحيبها
اذاما التقينا كنتُ أولّ فارس * يجود بنفس اثقلتها ذنوبها

ثم يحمل فلا يقوم له شيء الا أقعده ، فاذا كان من الغد عاد لمثل ذلكً . وقال هشام بن عبد الملك لاخيه مسلمة : هل دخلك ذعر قط لحرب اوعدوّ . قال : ماسلمت من ذلك من ذعر نبه على

حيلة ، ولم يغشني ذعر سلبني رأيي . قال هشام : هذه والله البسالة . وقيل لعنترة : كم كنتم يوم الفروق . قال : كنا مائة كالذهب ، لم نكثر فنتكل ، ولم نقل فنذل . وكان يزيد بن المهلب يتمثل كثيرا في الحرب بقول حصين بن الحمام :

تأخرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجدْ * لنفسي حياةً مثلَ ان اتقدما

وقالت الخنساء :

نهينَ النفوسَ وبذلُ النفو * سِ يوم الكريهة ابقى لها

وقيل لعبّاد بن الحصين — وكان من اشد اهل البصرة : فى اى عدّة كنت تريد ان تلقى عدوك . قال : فى اجل مستأخر . وكان مما يتمثل به معاوية رضى الله تعالى عنه يوم صفين :

ابت لى شيمتي وابى تلادى * واخذ الحمدَ بالثمن الربيحِ
وإقدامي على المكروه نفسي * وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأتْ وجاشتْ * مكانك تحمدي أو تستريحي
لادفع عن مآثر صالحاتٍ * وأحيا بعدُ عن عرضٍ صحيح

ونظير هذا قول قطري بن الفجاءة :

وقولي كلما جشأت لنفسي * من الابطال ويحك لم تراعي
فانك لو سألتِ حياةَ يوم * سوى الاجل الذى لك لم تطاعي

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج كل يوم بصفين حتى يقف بين الصفين ويقول :

ايّ يومىّ من الموت أفرّ * يومَ لايقدرُ او يوم قُدر
يوم لا يقدرُ لا أرهبه * ومن المقدور لاينجي الحذرْ

ومثله قول جرير :

قل للجبان اذا تاخر سَرجه * هل أنت من شَرَك المنية ناج

وهذا البيت فى شعره الذى اوله : هذا الفراق لقلبك المحتاج * ومدح فيه الحجاج فلما انشده : قل للجبان — البيت . قال له : جرأت على الناس يا ابن اللخناء . قال : والله مالقيتُ لها بالا ايها الامير الا وقتي هذا * وكان عاصم بن الحدثان عالما ذكيا وكان رأس الخوارج بالبصرة وربما جاءه الرسول من الجبلة يساله عن الامر يختصمون فيه ، فمر به الفرزدق . فقال لابنه . أنشد أبا فراس . فانشده :

وهمُ اذا كسروا الجفون أكارمٌ * صُبر وحين تحلل الازرارُ

يغشون جامات المنون وانها * فى الله عند نفوسهم لصغار
يمشون بالخطى لا يثنيهم * والقوم إن ركبوا الرماح تجار

فقال له الفرزدق : اكتم هذا لا يسمعه النساجون فيخرجوا علينا بسيوفهم . فقال أبوه : هو شاعر المؤمنين ، وأنت شاعر الكافرين . ونظير هذا مما يشجع الجبان قول عنترة :

بكرت تخوفني الحتوف فانني * أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها ان المنية منهل * لابد ان أسقى بكأس المنهل
فاقني حياء لا أبالك واعلمي * اني امرؤ سأموت ان لم أقتل

ومن أحسن ما قالوه فى الصبر ، قول نهشل بن جزي بن ضمرة النهشلي :

ويوم كأن المصطلين بحره * وان لم تكن نار وقوف على جمر
صبرنا له حتي يبوح وانما * تفرج أيام الكريهة بالصبر

وأحسن من هذا قول حبيب :

فاثبت فى مستنقع الموت رجله * وقال لها من تحت إخمصك الحشر
تردي ثياب الموت حمراً فما أتى * لها الليل الا وهي من سندس خضر

وأحسن من هذا قوله :

يستعذبون مناياهم كأنهم * لا يخرجون من الدنيا اذا قتلوا

وقوله فى المعنى :

قوم اذا لبسوا الحديد حسبتهم * لم يحسبوا ان المنية تخلق
انظر بحيث ترى السيوف لوامعا * أبدا وفوق رؤسهم تتألق

وقال الجحاف بن حكيم :

شهدن مع النبي مسومات * حنينا وهى دامية الحوام
ووقعة راهط شهدت وحلت * سنا بكهن بالبلد الحرام
تعرض للطعان بكل ثغر * خدودا لا تعرض للاطام

أخذه من قولهم : ضربة بسيف فى عز ، خير من لطمة فى ذل . ومن أحسن ما وصفت به رجال الحرب قول الشاعر :

رويدا بني شيبان بعض وعيدكم * تلاقوا غدا خيلى على سفوان

تلاقوا رجالا لاتحيدعن الوغى * اذا الخيل جالت فى فنا الميدان
اذا استنجدوا لا يسألوا من دعاهم * لأية أرض أو لايّ مكان

ونظير هذا قول الآخر :

قوم اذا نزل الغريبُ بدارِهمْ * تركوه ربّ صواهلٍ وقِيانِ
واذا دعوتهمُ ليوم كريهةٍ * سدّوا شعاع الشمس بالفرسان
لا ينكتون الارض عند سؤالهمْ * لتطلب العلاّت بالعيدان
بل يسفرون وجوههم فترى لها * عند السؤال كاحسن الالوان

ومن أحسن المحدثين تشبيها فى الحرب ، مسلم بن الوليد الانصاري فى قوله ليزيد بن مزيد :

تلقي المنية فى أمثال عدّتها * كالسيل يقذف جلمودا بجلمود
تجود بالنفس اذ أشحّ الضنين بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وقوله أيضا :

موف على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجلٌ يسعى الى أمل
ينال بالرفق ما تعيا الرجالُ به * كالموت مستعجلا يأتى على مهل

وقال ابو العتاهية :

كانك عند الكرب فى الحرب إنما * تفرُّ عن الكرب الذى من ورائكا
كأنّ المنايا ليس تجري لدى الوغى * اذا التقت الابطالُ الا برايكا
فما آفة الآجال غيرك فى الوغي * وما آفة الاموال الاحباؤكا

وقال زيد الخيلي :

وقد علمتْ سلامة أنّ سيفى * كريهٌ كلمّا دعيت نزال
أجادثه بصقل كلّ يوم * وأعجمه بهامات الرجال

وقال ابو محلم السعدى :

تقول وصكت وجهها بيمينها * أبعلى هذا بالرحا المتقاعس
فقلت لها لاتعجلى وتبيني * بلائى اذا التفت على الفوارس
ألست أرد القرن يركب روعه * وفيه سنان ذو عراقيب يابس
اذا هاب اقوامٌ تجشمت كلمّا * يهاب حمياه الالدّ المداعس

لعمر أبيك الخير اني لخادم * لضيفي واني إن ركبت لفارس

وقال آخر يمدح المهلب بالصبر :

واذا جددت فكل شيء نافع * واذا حددت فكل شيء ضائر

واذا أتاك مهلبي في الوغى * في كفه سيف فنعم الناصر

ومن قولنا في القائد أبي العباس في الحرب :

نفسي فداؤك والابطال واقفة * والموت يقسم في أرواحها النقما

شاركت صرف المنايا في نفوسهم * حتى تحكمت فيها مثل ما احتكما

لو تستطيع العلا جاءتك خاضعة * حتى تقبل منك الكف والقدما

ومن قولنا في وصف الحرب :

سيوف يقيل الموت تحت ظباتها * لها في الكلى طعم وبين الكلى شرب

اذا اصطفت الرايات حمرا متونها * ذوائبها تهفو فيهفو لها القلب

ولم تنطق الابطال الا بفعلها * فالسنها عجم وأفعالها عرب

اذا ما التقوا في مأزق وتعانقوا * فلقياهم طعن وتعنيفهم ضرب

ومن قولنا في رجال الحرب ، وان الوغى قد أخذت منهم ومن أجسامهم فهي مثل السيوف في رقتها وصلابتها :

سيف تقلد مثله * عطف القضيب على القضيب

هذا تجز به الرقا * ب وذا تجز به الخطوب

ومن قولنا أيضا :

تراه في الوغى سيفاً صقيلا * يقلب صفحتي سيف صقيل

ومن قولنا أيضا :

سيف عليه نجاد سيف مثله * في حده للمفسدين صلاح

ومن قولنا أيضا في الحرب وذكر القلائد :

مقيلك تحت أظلال العوالي * وبيتك فوق صهوات الجياد

تبختر في قميص من دلاص * وترفل في رداء من نجاد

كأنك للحروب رضيع ثدي * غذتك بكل داهية وناد

فكم هذا التمنى للمنايا * وكم هذا التجلد للجلاد
لئن عرف الجهاد بكل عام * فانك طول دهرك فى جهاد
وانك حين أبت بكل سعد * كمثل الروح آب الى الفؤاد
رأينا السيف مرتديا بسيف * وعاينا الجواد علي الجواد

وقد وصفنا الحرب بتشبيه عجيب لم نتقدم عليه ، ومعنى بديع لا نظير له . فمن ذلك قولنا :

وجيش كظهر اليم تنفحه الصبا * يعب عبابا من قنا وقنابل
فينزل أولاه وليس بنازل * ويرحل أخراه وليس براحل
ومعترك ضنك تعاطت كماته * كؤس دماء من كلى ومفاصل
يديرو نهاراحاً من الراح بينهم * ببيض رقاق أو بسمرذ وابل
وتسمعهم أم المنية وسطها * غناء صليل البيض تحت المناصل

ومن قولنا فى هذا المعني :

سيف من الحتف تردى به * يوم الوغي سيف من الحزم
مواصلا أعداءه عن قلى * لا صلة القربي ولا الرحم
وظل يجفى الالف من بغضه * شوقا الى الهجران والصرم
حتي اذا نادمهم سيفه * بكل كأس مرة الطعم
ترى حمياها بها ماتهم * تغور بين الجلد والعظم
على أهازيج ظبا بينها * ماشئت من خرق ومن خرم
طاعوا له من بعد عصيانهم * وطاعة الاعداء عن رغم
وكم أعدوا واستعدوا له * هيهات لس الخضم كالقضم

ومن قولنا :

كم ألحم السيف فى أبناء ملحمة * مامنهم فوق متن الارض ديار
وأورد النار من أرواح مارقة * كادت تميز من غيظ لها النار
كأنما صال فى ثني مفاضته * مستأسد حنق الاحشاء هدار
لما رأى الفتنة العمياء قد حجبت * منها على الناس آفاق وأقطار
وأطبقت ظلم من فوقها ظلم * ما يستضاء بها نور ولا نار
قاد الجياد الى الاعداء سارية * قبا طواها كطي العصب اضمار

ململومة تتبارى فى ململمة * كأنها لاعتدال الخلق أفهار
تزور عند احساس الطعن أعينها * وهن من فرجات النقع نظار
تفوت بالطعن أقواما وتدركه * من آخرين اذا لم يدرك النار
فانساب ناصردين الله يقدمهم * وحوله من جنود الله أنصار
كتائب تمارى حول رايته * وجحفل كسواد الليل جرار
قوم لهم فى مكر الليل غمغمة * تحت العجاج واقبال وادبار
يستقبلون كراديسا مكردسة * كما تدفع بالتيار تيار
من كل أروع لا يرعى لهاجسة * كانه مخدر فى الخيل هصار
فى قسطل من عجاج الحرب مدله * بين السماء وبين الارض أستار
فكم بساحتهم من شلو مطرح * كانه فوق ظهر الارض أحجار
كانما رأسه أقلات حنظلة * وساعداه الى الزندين جمار
وكم على النهر أوصالا مفرقة * تقسمتها المنايا فهى أشطار
قد فلقت بصفيح الهند هامتهم * فهن بين حوامى الخيل أعشار

ومن قولنا فى الحروب

وحومة غادرت فرسانها * فى مبرك للحرب جعجاع
مستلحم للموت مستعير * مفرق للشمل جماع
وبلدة صحصحت منها الربا * لفليق كالسيل دفاع
كانما باضت نعام الفلا * منهم بهام فوق أذراع
تراهم عند احتماس الوغى * كانهم جن باجزاع
بكل مأثور على متنه * مثل مدب النمل فى القاع
يرتد طرف العين من حده * عن كوكب للموت لماع

ومن قولنا فى الحروب :

ورب ملتفة العوالى * يلتمع الطرف فى ذراها
اذا توطت حزون أرض * طحطحت الشم من رباها
يقودها منه ليث غاب * اذا رأي فرصة قضاها
تمضي بآرائه سيوف * يستبق الموت فى ظباها

بيض تخلى القلوب سودا * اذا انتضى عزمه انتضاها
تتبعه الطير فى الاعادي * يجني كلا العشب من كلاها
أقدم اذ كسع كل ليث * عن حومة الموت اذ رآها
فاقتحم الموت فى غمار * تفغر بالموت لهواتها
عنتْ له أوجه المنايا * فعافها القوم واشتهاها

٤ — فرسان العرب فى الجاهلية والاسلام — كان فارس العرب فى الجاهلية ربيعة بن مكدَّم من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة ، وكان يُعقر على قبره فى الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد غيره . وقال حسان بن ثابت وقد مر على قبره :

نفرت قلوصي من حجارة حُرَّة * بنيت على طلق اليدين وهوب
لا تنفري يا ناق منه فانه * شرّيب خمر مسعر لحروب
لولا السفار وطول قفر مهمه * لتركتها تحبو على عُرقوب

وكان بنو فراس بن غنم بن كنانة أنجد العرب ، كان الرجل منهم يعدل عشرة من غيرهم . وفيهم يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لاهل الكوفة : من فاز بكم فقد فاز بالسهم الاخيب أبدلكم الله بي من هو شر لكم ، وأبدلني بكم من هو خير منكم ، وددت والله ان لى بجميعكم وأنتم مائة الف ، ثلاثمائة من بني فراس ابن غنم :

ومن فرسان العرب فى الجاهلية — عنترة الفوارس ، وعتيبة بن الحرث بن شهاب ، وأبو براء عمرو بن مالك ملاعب الاسنة ، وزيد الخيل ، وبسطام بن قيس ، والاحيمر السعدى ، وعامر بن الطفيل ، وعمرو بن عبدود ، وعمرو بن معد يكرب . وفى الاسلام — عبد الله بن حازم السلمى ، وعباد بن الحصين ، وعمير بن الحباب ، وقطرى بن الفجاءة ، والحريش بن هلال السعدي ، وشبيب الحرورى . وقالوا : ما استحيا شجاع قط أن يفر عن عبد الله بن حازم ، وقطري بن الفجاءة صاحب الازارقة . وقالوا : ذهب حاتم بالسخاء ، والاحنف بالحلم ، وخريم بالنعمة ، وعمير بن الحباب بالسر . وبينا عبد الله بن حازم عند عبد الله بن زياد اذ دخل جراد أبيض فعجب منه عبد الله . وقال : هل رأيت يا أباصالح أعجب من هذا ؟ ونظر اليه ، فاذا عبد الله قد تضاءل حتى صار كانه فرخ وأصفر كانه جرادة ذكر . فقال عبد الله : أبو صالح يعصي الرحمن ، ويتهاون بالسلطان ، ويقبض على

الثعبان ، ويمشي الى الليث يلقى الرماح بنحره ، وقد اعتراه من جراد ماترون أشهد أن الله على كل شيء قدير . وكان شبيب الحروري : يصيح في جنبات الجيش ، فلا يلوى أحد على أحد . وفيه يقول الشاعر :

ان صاح يوما حسبت الصخر منحدرا * والريح عاصفة والموج يلتطم

ولما قتل أمر الحجاج بشق صدره ، فاذا له فؤاد مثل فؤاد الجمل ، فكانوا اذا ضربوا به الارض ينزو كما تنزو المثانة المنفوخة . ورجال الانصار أشجع الناس . قال عبد الله بن عباس : ما استلت السيوف ، ولا زحفت الزحوف ، ولا أقيمت الصفوف ، حتي أسلم ابنا قيلة — يعني الاوس والخزرج — وهما الانصار من بني عمرو بن عامر من الازد . العتبي : لما اسن أبو براء عامر بن مالك ، وضعفه بنو اخيه وخرفوه ولم يكن له ولد يحميه . أنشا يقول :

دفعتكم عني ومادفع راحة * بشيء اذا لم تستعن بالانامل
يضعفني حلمي وكثرة جهلكم * علي واني لا أصول بجاهل

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، اذ رأى همدان وغناءها في الحرب يوم صفين :

ناديت همدان والابواب مطبقة * ومثل همدان سني فتحة الباب
كالهندواني لم تفلل مضاربه * وجه جميل وقلب غير وجاب

وقال ابن براقة الهمداني :

كذبتم وبيت الله لا تاخذونها * مراغمة مادام للسيف قائم
متى تجمع القلب الذكى وصارما * وأنفا حميا تجتنبك المظالم
وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم * فهل انا في ذا يال همدان ظالم

وقال تابط شرا :

قليل التشكى للمهم يصيبه * كثير النوى شت الهوى والمسالك
يبيت بموماة ويضحى بغيرها * جحيشا ويعروري ظهور المهالك
اذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل * له كالىء من قلب شيحان فاتك
ويجعل عينيه ربيئة قلبه * الى سلة من جلز أخلق باتك
اذا هزه في عظم قرن تهللت * نواجذ أفواه المنايا الضواحك

وقال المخزومي وكان شجاعا :

ومايريد بنو الاغيار من رجـل * بالجمر مكتحل بالنبل مشتمل
لا يشرب الماء الا من قليب دم * ولا يبيت له جار على وجل

ونظير هذا قول بشار العقيلي :

فتى لا يبيت على دمنة * ولا يشرب الماء الا بالدم

وقال عبدالله بن الزبير : التقيت بالاشتر يوم الجمل فاضربته ضربة حتى ضربني خمسا أوستا ، ثم أخذ برجلي فالقاني في الخندق . وقال : والله لولا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم مااجتمع منك عضو الى آخر . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : أعطت عائشة الذي بشرها بحياة ابن الزبير اذ التقي مع الاشتر عشرة آلاف . وذكر متمم بن نويرة أخاه مالكا وجلده . فقال : كان يخرج في الليلة الصنبر ، عليه الشملة الفلوت ، بين المزادتين على الجمل الثفال ، معتقل الرمح الخطى . قالوا : وأبيك ان هذا لهو الجلد . وكتب عمر ابن الخطاب الى النعمان بن مقرن وهو على الصائفة : ان استعن في حربك بعمرو بن معد يكرب ، وطليحة الازدى ، ولا تولهما من الامر شيا ، فان كل صانع أعلم بصناعته . وقال عمرو بن معد يكرب يصف صبره وجلده في الحرب

اعاذل عدتي بدني ورمحي * وكل مقلص سلس القياد
اعاذل إنما أفنى شبابى * اجابتي الصريخ الى المنادي
مع الابطال حتى سل جسمي * وأقرح عاتقى حمل النجادي
ويبقى بعد حلم القوم حلمي * ويفنى قبل زاد القوم زادي
ومن عجب عجبت له حديث * بديع ليس من بدع السداد
تمني أنْ يلاقيني قبيس * وددتُ وأينما مني ودادى
يمانيّ وسابغتي قميصى * كأنّ قطيرها حدق الجراد
وسيف لابن ذى قيعان عندي * تخير نصله من عهد عاد
فلو لاقيتني للقيت ليثا * هصوراً ذا ظبا وشبا حداد
ولا ستيقنت انّ الموت حق * وصرح شحم قلبك عن سواد
أريد حياته ويريد قتلى * غذيرك من خليلك من مراد

ومن قوله في قيس بن مكشوح المرادى

تمناني علي فرس * عليه جالس أسده

على مفاضة كالنهـر خلص ماءه جدده (١
فلو لاقيتنى للقيـ * ت ليثا فوقه لبده
سبنتى ضيغما هصرا * صلخدا ناشزا كتده (٢
يسامى القرن ان قرن * تيممه فيعتضده
فياخذه فيرديه * فيخفضه فيقتصده
فيدمغه فيحطمه * فيخضمه فيزدرده

٥ ـ المكيدة فى الحرب — قال النبي صلى الله عليه وسلم : الحرب خدعة . وقال المهلب لبنيه : عليكم بالمكيدة فى الحرب ، فانها أبلغ من النجدة . وكان المهلب يقول : اناة في عواقبها فوت ، خير من عجلة فى عواقبها درك . وقال مسلمة بن عبد الملك : ماأخذت أمرا قط بحزم فلمت نفسى فيه ، وان كانت العاقبة علىَّ . ولا أخذت أمرا قط وضيعت الحزم فيه . [الالمت نفسى عليه] وان كانت لى العاقبة . وسئل بعض أهل التمرين بالحرب : أى المكائد فيها ؟ احرم . قال : اذكاء العيون وافشاء الغلبة واستطلاع الاخبار واظهار السرور واماتة الفرق والاحتراس من المكائد الباطنة ، من غير استقصار لمستنصح ولا استناد لمستغش واشتغال الناس عماهم فيه من الحرب بغيره . وفى كتاب للهند : الحازم يحذر عدوه على كل حال ، يحذر المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والكمين ان انكشف والاستطراد ان ولى . وكتب الحجاج الى المهلب يستعجله في حرب الازارقة فكتب اليه : ان من البلية ان يكون الرأى بيد من يملكه دون من يبصره . وكان بعض أهل التمرين يقول لاصحابه : شاوروا فى حربكم الشجعان من أولى العزم ، والجبناء من أولى الحزم ، فان الجبان لايالو برأيه مايقي مهجكم والشجاع لا يعدو مايشد بصائركم ، ثم خلصوا من بين الرأيين نتيجة تحمل عنكم معرة الجبان . وتهور الشجعان ، فتكون أنفذ من السهم الزالج ، والحسام الوالج . وكان الاسكندر لايدخل مدينة الا هدمها وقتل أهلها . حتى مر بمدينة كان مؤدبه فيها . فخرج اليه . فالطفه الاسكندر وأعظمه فقال له : أصلح الله الملك ، ان أحق من زين لك أمرك وأعانك على كل ماهو يت لانا . وان أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكانى منك ، فاحب أن لاتسعفنى فيهم ، وان تخالفني فى كل ماسالتك

١) المفاضة : الدرع الواسعة . والجدد : جمع جدة النهر أو طريقه . ٢) الهصر : الشديد المفترس . والصلخد : الصلب . والنشوز : النتوء والارتفاع . والكتد . مجتمع الكتفين .

لهم ، فاعطاه من العهود علي ذلك مالا يقدر على الرجوع عنه . فلما توثق منه . قال فان حاجتي اليك أن تهدمها وتقتل أهلها . قال : ليس الى ذلك سبيل ، ولا بدمن مخالفتك . قيل : صالح سعيد بن العاص حصنا من حصون فارس على أن لا يقتل منهم رجلا واحدا ، فقتلهم كلهم الارجلا واحدا . ابن الكلبي قال . لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سارحتى نزل غزَّة ، فبعث اليه علجها ان ابعث الى رجلا من أصحابك أكلمه ، ففكر عمرو . وقال : مالهذا أحد غيرى . قال : فخرج حتي دخل علي العلج فكلمه ، فسمع كلاما لم يسمع قط مثله . فقال : العلج حدثني هل فى أصحابك أحد مثلك . قال : لا تسال عن هذا اني هين عليهم اذ بعثوابى اليك وعرضونى لما عرضوني له ، ولا يدرون ما تصنع بي . قال : فامر له بجائزة وكسوة وبعث الى البواب اذا مر بك فاضرب عنقه وخذ ما معه . فخرج من عنده فمر برجل من نصارى غسان فعرفه . فقال . ياعمرو قد أحسنت الدخول فاحسن الخروج ، ففطن عمرو لما أراده فرجع . فقال له الملك : ما ردك الينا . قال : نظرت فيما اعطيتنى فلم أجد ذلك يسع بنى عمى فاردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية فيكون معروفك عند عشرة خيرا من ان يكون عند واحد . فقال : صدقت أعجل بهم ، وبعث الى البواب ان خل سبيله . فخرج عمرو وهو يلتفت حتي اذا أمن . قال : لاعدت الى مثلها أبدا ، فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج . قال له : انت هو ؟ قال : نعم على ما كان من غدرك . ولما أتى بالهرمزان أسيرا الى عمر بن الخطاب قيل له ياأمير المؤمنين : هذا زعيم العجم وصاحب رئيسهم . فقال له عمر : اعرض عليك الاسلام نصحا لك فى عاجلك وآجلك . قال ياامير المؤمنين : انما اعتقد ما أنا عليه ولا ارغب فى الاسلام ، فدعا له عمر بالسيف فلما هم بقتله . قال ياامير المؤمنين : شربة من ماء افضل من قتلى على ظمأ ، فامر له بشربة من ماء ، فلما اخذها . قال أنا آمن حتى اشربها . قال : نعم فرمى بها وقال الوفاء ياامير المؤمنين نور ابلج . قال : صدقت لك التوقف عنك وانظر فى امرك . ارفعا عنه السيف ، فلما رفع عنه . قال : الآن ياامير المؤمنين اشهدان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وما جاء به حق من عنده . قال عمر : اسلمت خير اسلام فما اخرك . قال : كرهت ان تظن اني اسلمت جزعا من السيف ، واتيان الرتبة بالرهبة . فقال عمر : ان لاهل فارس عقولا بها استحقوا ما كانوا فيه من الملك ، ثم امر به ان يبرو يكرم فكان عمر يشاوره فى توجيه العساكر والجيوش لاهل فارس . وهذا نظير فعل الاسير الذى اتى به معن بن زائدة فى جملة الاسرى فامر

بقتلهم : فقال له : أتقتل الاسرى عطاشا يامعن ؟ فامر بهم فسقوا ، فلما شربوا . قال : اتقتل اضيافك يامعن ، فخلى سبيلهم * وذكروا : ان ملكا من ملوك العجم كان معروفا ببُعد الغور ، ويقظة الفطنة ، وحسن السياسة . وكان اذا اراد محاربة ملك من الملوك وجه اليه من يبحث عن أخباره وأخبار رعيته قبل أن يظهر محاربته . فيكشف عن ثلاث خصال من حاله ، فكان يقول لعيونه : انظروا هل ترد على الملك أخبار رعيته على حقائقها ، أم يخدعه عنها المهدى ذلك اليه . وانظروا الى الغني في أي صنف هو من رعيته . أفيمن اشتد أنفَه (١ وقل شرهه ، أم فيمن قل أنفَه واشتد شرهه . وانظروا فى أى صنف رعيته القوّام بامره ، أم من نظر ليومه وغده . أم من شغله يومه عن غده . فان قيل له : لا يخدع عن أخباره ، والغني فيمن قل شرهه واشتد أنفه ، والقوّام بامره من نظر ليومه وغده . قال : اشتغلوا عنه بغيره وان قيل له ضد ذلك . قال : نار كامنة تنتظر موقدا واضغان مزملة تنتظر مخرجا ، اقصدوا له . فلا َحين أحين ، من سلامة مع تضييع . ولا عدوّ أعدى ، من أمْن أدي الى اغترار * وكانت ملوك العجم قبل ملوك الطوائف : تنزل بلخ ، ثم نزلت بابل ، ثم نزل ازدشير بن بابك فارس ، فصارت دار مملكتهم . وصار بخراسان ملوك الهياطلة وهم الذين قتلوا فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك فارس : وكان غزاهم فكاده ملك الهياطلة بان عمد الى رجل ممن عرفه بالشطارة ، وحسن الادارة ، فاظهر السخط عليه ، وأوقع به على أعين الناس توقيعا قبيحا ، ونكه تنكيلا شديدا ، ثم أرسله . وقد واطأه على أمر أبطنه معه وظاهره عليه ، فخرج حتي أتى فيروز فى طريقه فاظهر النزوع اليه والانتصار به من عظيم ما ناله . فلما رأي فيروز مابه من التوقيع والنكاية فيه ، وثق به واستنام اليه . فقال : أنا أدلك ايها الملك على غرة القوم وغدرتهم . واعلمك مكان غفلتهم ، فسلك به سبيل مسلكة معطشة ثم خرج اليه ملك الهياطلة فاسره واكثر أصحابه فسالهم ان يمنوا عليه وعلى من معه ، واعطاهم موثقا لا يغزوهم ابدا ، ونصب لهم حجرا جعله حدا بينه وبينهم ، وحلف لهم ان لا يجاوزه هو ولا جنوده ومن حضره من أقارب أبيه فمنوا عليه واطلقوه ومن معه . فلما عاد الى مملكته داخلته الأنفة مما اصابه ، فعاد الى غزوهم ناكثا لعهده غادر الذمته ، الا انه لطف فى ذلك بحيلة ظنها مجزية فى أيمانه . فجعل الحجر الذى نصبه لهم على فيل فى مقدمة عسكره وتاول فى ذلك أنه لا يجاوزه فلما صار اليهم ناشدوه الله وذكروه الايمان

١) أنفه : أى أنفة بمعني حمية . والشره : الحرص .

به . وما جعل على نفسه من عهده وذمته ، فابي الا لجاجا ونكثا فواقعوه فظفروا به فقتلوه . وقتلوا حماته واستباحوا عسكره — اسامة بن زيد الليثى — قال: كان النبي صلى الله وسلم اذا غزا أخذ طريقا وهو يريد اخرى. ويقول الحرب خدعة — زياد عن مالك بن انس — قال : كان مالك بن عبد الله الخثعمي وهو على الصائفة يقوم فى الناس كلما اراد ان يرحل ، فيحمد الله تعالى ويثني عليه ، ثم يقول : اني دارب بالغداة ان شاء الله تعالى درب كذا فتتفرق الجواسيس عنه بذلك ، فاذا اصبح الناس سلك بهم طريقا اخري . فكانت تسميه الروم الثعلب .

٦ — وصايا أمراء الجيوش — كتب عمر بن عبد العزيز الى الجراح : انه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث جيشا أو سرية . قال : اغزوا بسم الله ، وفى سبيل الله ، تقاتلون من كفر بالله ، لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً . فاذا بعثت جيشا أو سرية فمرهم بذلك * وكان عمر بن الخطاب يقول عند عقد الالوية : بسم الله وبالله وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله ، وما النصر الا من الله ، ولزوم الحق والصبر . فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور (١ ، ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا . وتوقوا قتلهم اذا التقي الزحفان وعند شن الغارات — ولما وجه أبو بكر رضى الله عنه يزيد بن أبي سفيان الى الشام — شيعه راجلا . فقال له يزيد : اما ان تركب واما ان أنزل . فقال : ما أنت بنازل وما انا براكب ، اني احتسب خطاي هذه فى سبيل الله . ثم قال ، انك ستجد قوما حبسوا أنفسهم لله : فذرهم وما حبسوا أنفسهم له — يعنى الرهبان . وستجدُ قوما فحصوا (٢ عن أوساط رؤسهم [الشعر] ، فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف. ثم قال له انى موصيك بعشر . لا تغدر، ولا تمثل ، ولا تقتل هرما ولا امرأة ولا وليدا ولا تعقرن شاة ولا بعيرا الا ما أكلتم ولا تحرقنّ

---

١) الظهور : الغلبة من قولهم ظهر على عدوه اذا غلبه

٢) قال فى الصحاح : كانهم حلقوا وسطها وتركوها مثل افاحيص القطا وقد ورد مثل هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اوصى امراء جيش مؤتة بذلك وكان قد تجمع لمحاربتهم الروم والعرب .

نخلا ، ولاتخربن عامرا ، ولا تغل ، ولا تجبن (١ * وقال أبو بكر رضى الله عنه لخالد بن الوليد : سر على بركة الله ، فاذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا من الحملة . فاني لا آمن عليك الجولة . واستظهر بالزاد ، وسر بالادلاء ، ولا تقاتل بمجروح ، فان بعضه ليس منه . واحترس من البيات ، فان فى العرب غرة وأقلل من الكلام ، فان مالك (٢ ماوعي عنك واقبل من الناس علانيتهم ، وكلهم الى الله فى سريرتهم . وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه — كتب خالد بن الوليد الى مرازبة فارس مع ابن نفيلة الغسانى — : الحمد لله الذى فض حرمتكم ، وفرق جمعكم ، وأوهن باسكم ؟ وسلب ملككم ، وأذل عزكم ، فاذا أتاكم كتابى هذا فابعثوا الى بالرهن ، واعتقدوا منا الذمة وأجيبوا الى الجزية ، والا والله الذى لا إله الا هو ، لاسيرن اليكم بقوم يحبون الموت ، كما تحبون الحياة . ويرغبون فى الآخرة كما ترغبون فى الدنيا — كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهما — ومن معه من الاجناد : أما بعد . فاني آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب . وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم . وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم نكن لنا بهم قوة ، لان عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة . والا ننصر عليهم بفضلنا ، لم نغلبهم بقوتنا . فاعلموا ان عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله ، وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني اسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا واسالوا الله العون علي انفسكم ، كما تسالونه النصر على عدوكم — أسال الله ذلك لنا ولكم . وترفق بالمسلمين فى مسيرهم ، ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم . ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ، فانهم سائرون الى عدو مقيم حامي الانفس والكراع . وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة ، حتى تكون لهم رائحة يحيون فيها

١) لم يذكر المؤلف الا ثمانيه من العشرة ٢) كذا في الاصل ، ولعل ما فى قوله — ما لك زائدة من الناسخ فليحرر

أنفسهم ، ويرمون أسلحتهم وامتعتهم، ونح منازلهم عن قرى اهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من اصحابك الا من تثق بدينه ، ولا يرزأ أحدا من أهلها شيأ ، فان لهم حرمة وذمة ، ابتليتم بالوفاء بها ، كما ابتلوا بالصبر عليها . فاصبروا لكم فتولوهم خيراً . ولا تستنصروا على أهل الحرب ، بظلم أهل الصلح . واذا وطئت أرض العدو فاذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك امرهم . وليكن عندك من العرب او من اهل الارض ، من تطمئن الى نصحه وصدقه ، فان الكذوب لا ينفعك خبره ، وان صدقك في بعضه . والغاش عين عليك ، وليس عينا لك . وليكن منك عند دنوك من ارض العدو ان تكثر الطلائع ، وتبث السرايا بينك وبينهم . فتقطع السرايا امدادهم ومرافقهم ، وتتبع الطلائع عوراتهم . وتنتق للطلائع أهل الرأى والباس من اصحابك وتخير لهم سوابق الخيل . فان لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك . واجعل امر السرايا الى أهل الجهاد . والصبر على الجلاد . ولا تخص بها أحدا بهوى ، فتضيع من رأيك وأمرك اكثر مما حابيت به اهل خاصتك . ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة ، أو ضيعة ونكاية . فاذا عاينت العدو . فاضمم اليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ، واجمع اليك مكيدتك وقوتك . ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال ، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتلته ، وتعرف الارض كلها كمعرفة اهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك . ثم اذك احراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك . ولا تؤتي باسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه ، لترهب به عدو الله وعدوك . والله ولي امرك ومن معك . وولى النصر لكم على عدوكم والله المستعان — واوصى عبد الملك بن مروان اميراً سيره الى ارض الروم — فقال: انت تاجر الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيس الذي ان وجد ربحا اتجر ، والا تحفظ برأس المال . ولا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة . وكن من احتيالك على عدوك اشد حذرا من احتيال عدوك عليك — وكان زياد يقول لقواده — تجنبوا اثنين لا تقاتلوا فيهما العدو . الشتاء وبطون الاودية * واغزى الوليد بن عبد الملك جيشا في الشتاء ، فغنموا وسلموا . فقال لعباد : يا ابا حرب اين رأي زياد من رأينا ؟ فقال : يا امير المؤمنين قد اخطأت ، وليس كل عورة تصاب — العتبي — قال: جاشت الروم وغزت المسلمين برا وبحرا ، فاستعمل معاوية على الصائفة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فلما كتب له عهده . قال : ما انت صانع بعهدى ؟ قال : اتخذه اماما لا اعصيه . قال : اردد علي عهدى، ثم بعث الى سفيان بن عوف

العامرى فكتب له عهده . ثم قال له : ما أنت صانع بعهدى ؟ قال : أتخذه إماما امام الحزم ، فان خالفه خالفته . فقال معاوية : هذا الذى لا يكفكف من عجلة ، ولا يدفع فى ظهره من خور ، ولا يضرب على الامور ضرب الجمل الثفال . وقال دريد بن الصمة لمالك بن عوف النضرى قائد هوازن يوم حنين : يا مالك انك قد أصبحت رئيس قومك ، وان هذا يوم له ما بعده من الايام . مالى أسمع رغاء البعير ، ونهيق الحمير ، وبكاء الصغير . قال : سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . قال : ولم [ذاك] . قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم . فانغض (١ به وقال : راعى ضان والله ! وهل يرد المنهزم شيء . انها ان كانت لك ، لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه . وان كانت عليك ، فضحت [فى أهلك] ومالك . ويحك [انك] لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحور الخيل شيأ . ارفعهم الى متمنع بلادهم ، وعليا قومهم ، ثم الق الصبا على متون الخيل . فان كانت لك ، لحق بك من وراءك وان كانت عليك ، [ألفاك ذلك] وقد أحرزت أهلك ومالك . قال : لا والله لا أفعل [ذلك] انك قد كبرت وذهل عقلك . قال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يفتني . ثم أنشأ يقول :

يا ليتنى فيها جَذَعْ * أخب فيها وأَضَعْ
أقود وطفاء الزَّمَعْ * كأنها شاة صَدَعْ (٢

وكان قتيبة بن مسلم يقول لاصحابه : اذا غزوتم : فاطيلوا الاظفار ، وقصوا الشعر ، والحظوا الناس شزرا ، وكلموهم رمزا ، واطعنوهم وخزا * وكان أبو مسلم يقول لقواده : أشعروا قلوبكم الجراءة ، فانها من أسباب الظفر . وأكثروا ذكر الضغائن ، فانها تبعث على الاقدام . والزموا الطاعة ، فانها حصن المحارب — وكان سعيد بن زيد يقول لبنيه — قصروا الاعنة ، واشحذوا الاسنة ، تاكلوا القريب ، ويرهبكم البعيد * وقال عيسى بن على : لما وجهني

١) نغض وأنغض : اذا حرك رأسه انكارا وتعجبا . ٢) الجذع : هنا الشاب . وأول من قال : « يا ليتني فيها جذع » ورقة بن نوفل فى حديث المبعث أى ليتني اكون شابا حين تظهر نبوته حتى أبالغ فى نصرته . واخب : من الخبب ضرب من السير . وأضعَ : يقال وضع الرجل اذا عدا . والوطفاء : الظبية . والزمع : تقارب خطوها ونشاطها والصدع : القطعة من الغنم المتفرقة دهشة .

المنصور الى المدينة لمحاربة عبدالله بن الحسن ، جعل يوصيني و يكثر . فقلت يا أمير المؤمنين الى متى توصيني :

انى أناذاك الحسام الهندي * أكلت جفنى وفريت غمدى

* فكلّ ماتطلبُ عندي عندى *

٧ — المحاماة عن العشيرة ومنع المستجير — قال عبد الملك بن مروان لجميل ابن علقمة الثعلبي : مامبلغ عزكم ؟ قال : لم يطمع فينا ولم نؤمن . قال : فمامبلغ حفظكم ؟ قال : يدفع الرجل منا عمن استجار به من غير قومه كدفاعه عن نفسه . قال عبد الملك : مثلك من يصف قومه — وقال عبد الملك بن مروان لابن مستطاع العنبري : أخبرني عن مالك بن مسمع . قال : لوغضب مالك لغضب معه مائة ألف سيف لا يسالونه فى أى شيء غضب . قال عبد الملك : هذا والله السودد. قال: ولم يل قط مالك بن مسمع ، ولا أسماء بن خارجة شيا للسلطان * وكانت العرب تمتدح بالذب عن الجار . فيقولون : فلان منيع الجار ، حامى الذمار ، نعم حتى كان فيهم من يحمي الجدار * وقال مروان بن أبي حفصة . يمدح معن بن زائدة و يصف مفاخر بنى شيبان ومنعهم لمن استجار بهم :

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا واجزلوا

هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزلُ

وقال آخر :

همُ يمنعون الجار حتى كانه * كتيبة زور بين خافيتيْ نسر

وذكر أن معاوية : ولى كثير بن شهاب المذحجي خراسان ، فاختان مالا كثيرا ثم هرب فاستتر عند هانىء بن عروة المرادى . فبلغ ذلك معاوية فهدر دم هانيء فخرج هانىء الى معاوية فكان فى جواره ثم حضر مجلسه وهو لا يعرفه . فلما نهض الناس ثبت مكانه فسأله معاوية عن أمره ؟ فقال : انا هانيء بن عروة . فقال : انّ هذا اليوم ليس باليوم الذى يقول فيه ابوك :

أرجّل جمّتى واجر ذيلى * وتحمل شكّتي أفنٌ كميتُ (١

١) الشكة : السلاح او مايلبس منه . والأفن : الناقة التي حلب ضرعها . والكميت : من الكمتة لون بين السواد والحمرة يكون فى الخيل والابل وغيرها .

وامشي في سَراة بني غُطيف * اذا ماساءني أمرٌ أبيت

قال : أنا والله يا أمير المؤمنين اليوم أعزمني ذلك اليوم . قال : بم ذلك ؟ قال : بالاسلام . قال : أين كثير بن شهاب ؟ قال : عندي وعندك يا أمير المؤمنين قال : انظر الى ما اختانه نخذ منه بعضا وسوغه بعضاً وقد أمناه ووهبناه لك - الشيباني - قال : لما نزل محمد بن أبي بكر مصر وصير اليه [معاوية] معاوية بن خُدَيج الكندى . تفرق عن محمد من كان معه ، فتغيب فدل عليه فاخذه وضرب عنقه وبعث برأسه الى معاوية ، فكان أول رأس طيف به في الاسلام . وكان محمد بن جعفر بن أبي طالب معه ، فاستجار باخواله من خثم فغيبوه . وكان سيد خثم يومئذ رجلا فى ظهره بَزَخٌ (١ من كسر أصابه ، فكان اذا مشى ظن الجاهل انه يتبختر فى مشيته . فذ كر لمعاوية أنه عنده . فقال له : أسلم الينا هذا الرجل . فقال : ابن أختنا لجأ الينا لنحقن دمه ، فدعه عنك يا أمير المؤمنين . قال : والله لا أدعه حتى تأتيني به . قال : لا والله لا آتيك به . قال : كذبتَ والله لتأتيني به ، انك ماعلمت لأوْرَه . قال : أجل ، انى لاوره (٢ حين أقاتلك على ابن عمك لتحقن دمه ، وأقدم ابن عمي دونه تسفك دمه . فسكت عنه معاوية وخلي بينه وبينه - الشيباني . قال سعيد بن مسلم : ندر المهدي دم رجل من أهل الكوفة كان يسعى فى فساد سلطنته وجعل لمن دله عليه أو جاءه به مائة الف درهم . قال : فاقام الرجل حينا متواريا ثم انه ظهر بمدينة السلام فكان ظاهرا كغائب خائفا مترقبا . فبينا هو يمشي فى بعض نواحيها اذ بصر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فاهوى الى مجامع ثوبه وقال : هذا بغية أمير المؤمنين فامكن الرجل من قياده ، ونظر الى الموت أمامه . فبينا هو على تلك الحالة اذ سمع وقع الحوافر من وراء ظهره ، فالتفت فاذا معن بن زائدة . فقال : يا أبا الوليد اجرني أجارك الله . فوقف وقال للرجل الذى تعلق به : ماشانك ؟ قال : بغية أمير المؤمنين الذى ندر دمه وأعطى لمن دل عليه مائة الف . فقال : يا غلام انزل عن دابتك واحمل أخانا ، فصاح الرجل يا معشر الناس يحال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين . قال له معن : اذهب فاخبره انه عندى ، فانطلق الى باب أمير المؤمنين فاخبر الحاجب فدخل الى المهدى فاخبره . فامر بحبس الرجل ووجه الى معن من يحضر به ، فاتته رسل أمير المؤمنين وقد لبس ثيابه وقربت اليه دابته ، فدعا أهل بيته ومواليه .

---

١) البزخ فى الظهر : ان يطمئن وسط الظهر ويخرج أسفل البطن . ٢) الاوره : الذى لا يتمالك حمقا .

فقال : لايخلصنّ الى هذا الرجل وفيكم عين تطرف . ثم ركب ودخل حتى سلم على المهدي فلم يرد عليه . فقال : يامعن أتجير عليّ . قال : نعم ياأمير المؤمنين . قال : ونعم أيضا . واشتد غضبه فقال معن : ياأمير المؤمنين قتلت فى طاعتكم باليمن في يوم واحد خمسة عشر الفا . ولى أيام كثيرة قد تقدّم فيها بلائى ، وحسن عنائى ، فما رأيتموني أهلا أن تهبوا الى رجلا واحدا استجار بى . فأطرق المهدى طويلا ثم رفع رأسه وقد سرى عنه . فقال : قد أجرنا من أجرت . قال : معن فان رأى أمير المؤمنين أن يصله فيكون قد أحياه واغناه ، فعل . قال : قد أمر ناله بخمسة آلاف . قال : ياامير المؤمنين انّ صلات الخلفاء ، على قدر جنايات الرعية . وانّ ذنب الرجل عظيم ، فاجزل له الصلة . قال : قد أمرنا له بمائة الف . قال : فتعجلها ياأمير المؤمنين بافضل الدعاء ثم انصرف ولحقه المال . فدعا الرجل فقال له : خذ صلتك ، والحق باهلك ، واياك ومخالفة خلفاء الله تعالى .

٨ — الجبن والفرار — قال عمرو بن معديكرب : الفزعات ثلاث : فمن كانت فزعته فى رجليه ، فذلك الذى لا تقله رجلاه . ومن كانت فزعته فى رأسه ، فذلك الذي يفر عن أبويه . ومن كانت فزعته فى قلبه ، فذلك الذي يقاتل — وقال الاحنف — أسرع الناس الى الفتنة ، اقلهم حياء من الفرار — وقالت عائشة ام المؤمنين — ان الله خلقا قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت معها ، فأفّ للجبناء ، فأفّ للجبناء * وقال الشاعر

يفر جبان القوم عن أمّ نفسه * ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه
ويرزق معروف الجواد عدوّه * ويحرم معروف البخيل اقاربه

وقال خالد بن الوليد عند موته : لقد لقيت كذا وكذا زحفا ، ومافي جسمي موضع شبر الاّ وفيه ضربة او طعنة اورمية . ثم ها أناذا أموت حتف نفسى كما يموت العير ، فلا نامت اعين الجبناء .

ومن اشعار الفرّارين الذين حسنوا فيها الفرار على قبحه حتى حسن ، قول الفرار السلمي (١) :

وفوارس لبستها بفوارس * حتى اذا التبست املت بها يدي
وتركتهم نفض الرماح ظهورهم * من بين مقتول وآخر مسند

---

١) ويروى فى غير الاصل :

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدي
فتركتهم نفض الرماح ظهورهم * من بين منجدل وآخر مسند

هل ينفعني أنْ تقول نساؤهم * وقتلتَ دون رجالهم لا تُبعد

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : ما اعتذر أحد من الفارين باحسن مما اعتذر به الحارث ابن هشام حيث يقول ،

والله يعلم ما تركتُ قتالهم * حتى رموا مهرى باشقرَ مزبد
فصرفت عنهم والاحبةُ فيهم * طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

وهذا الذى سمعه صاحب رتيل فقال : يامعشر العرب ، حسنتم كل شيء فحسن حتى الفرار . وبعدَ هذا ياتى قول حسان فى ذلك . وأسلم الحارث يوم فتح مكة وحسن اسلامه وخرج فى زمن عمر الى الشام من مكة باهله وماله فاتبعه أهل مكة يبكون ، فرق وبكى وقال ، أما لو كنا نستبدل دارا بدارنا ، أوجارا بجارنا ، ما رأينا بكم بدلا ، ولكنها النقلة الى الله . وقال آخر:

قامتْ تشجّعني هندٌ فقلت لها * ان الشجاعة مقرونٌ بها العطبُ
لا والذى منعَ الابصار رؤيتَهُ * ما يشتهى الموتَ عندي من له أدبُ
للحرب قوم أضلَّ الله سعيهمُ * اذا دعتهم الى نيرانها وثبوا
ولستُ منهم ولا أهوى فعالهم * لا القتل يُعجبنى منهم ولا السَّلَبُ

وقال محمود الوراق :

أيها الفارسُ المشيح المغير * ان قلبي من السلاح يطيرُ
ليس لى قوة على رَهج الخيْل اذا ثوّر الغبار مثير
واستدارت رحا الحروب بقوم * فقتيلٌ وهاربٌ وأسير
حيث لا ينطق الجبان من الذُعر ويعلو الصياح والتكبير
أنا فى مثل ذا وهذا بليدٌ * ولبيب فى غيره نحرير

وقال أيمن بن خريم :

ان للفتنة مَيطا ١) عاجلا * فرويدَ الميط منها يعتدلْ
فاذا كان عطاء فانتهزْ * واذا كان قتال فاعتزلْ
إنما يوقدها فرسانها * حطب النار فدعها تشتعلْ

---

١) الميط فى الاصل التنحى والبعد وأراد به هنا الهياج من قولهم : القوم فى هياط ومياط

ومما يحتج به الفارون ، ماقاله صاحب كليلة ودمنه ، ان الحازم يكره القتال ، ماوجد بدامنه . لان النفقة فيه من النفس ، والنفقة فى غيره من المال . أخذ هذا المعنى حبيب الطائى فنظمه فى شعره حيث يقول

كم بينَ قـوم انما نفقاتهمْ * مال وقوم يُنفـقون نفوسا

ومن الفرارّين : عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث . فرَّ من الازارقة وكان فى عشرة آلاف وكان قد بعث اليه المهلب : ياابن أخى خندق على نفسك وعلى أصحابك ، فانى عالم بامر الخوارج ولا تغتر . فبعث اليه : أنا أعلم بهم منك ، وهم أهون على من ضرطة الجمل فبيتـه قطرى صاحب الازارقة فقتـل من اصحابه خمسمائة وفرَّ لايلوى على أحد. فقال فيه الشاعر :

تركت ولدانناتدمى نحورهمُ * وجئت منهزَماياضرطة الجمَلَ

ومن الفرارين ، أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد . فر يوم مَرْداء هجَرْ (١ من أبي فديك فسار من البحرين الى البصرة فى ثلاثة أيام فجلس يوما بالبصرة فقال ، سرت على فرسى من المهرَجان من البحرين الى البصرة فى ثلاثة أيام . فقال له بعض جلسائه : أصلح الله الامير فلو ركبت النيروز لسرت اليها فى يوم واحد . فلما دخل عليه أهل البصرة لم يروا كيف يكلمونه ولا مايلقونه من القول أى يهنونه أم يعزونه حتى دخل عليه عبدالله بن الاهتم فاستشرف الناس له . وقالوا : ماعسى ان يقال للمنهزم فسلم ثم قال ، مرحبا بالصابر المخذول ، الذى خـذله قومه . الحمد لله الذي نظر لنا عليك ولم ينظر لك علينا ، فقد تعرضت للشهادة جهدك ولكن علم الله حاجة أهل الاسلام اليك فابقاك لهم بخذلان من معك لك . فقال أميـة بن عبد الله : ماوجدت أحدا أخبرنى من نفسى غيرك . وفيه يقول الشاعر :

اذاصوت العُصفور طار فؤاده * وليثٌ حديد الناب عند الثرائد

أتى الحجاج بدواب من دواب أمية قد وسم على افخاذها «عـدة» فامر الحَجاج ان يكتب تحت ذلك «للفـرار» وقال أبو دلامة : كنت مع مروان ايام الضحاك الحرورى فخرج

---

١) مرداء هجر: موضع بهجر« وهجر قاعدة بلاد البحرين» قاله ياقوت وقال قال ابو النجم:

هلا سالتم يوم مرداء هجرَ * اذقاتلت بكرٌ واذفرّت مُضرَ

ثم قال : مرداء مضرايضاقرية كان بها يوم بين ابى فديك الخارجي وامية بن عبد الله بن خالد ابن اسيد ففر امية اقبح فرار

فارس منهم فدعا الى البراز فخرج اليه رجل فقتله ثم ثان ثم ثالث فانقبض الناس عنه وجعل يدنو ويهدر كالفحل المغتلم . فقال مروان : من يخرج اليه وله عشرة آلاف . قال فلما سمعت بالعشرة آلاف هانت على الدنيا وسخوت بنفسى فى سبيل العشرة آلاف وبرزت اليه . فاذا عليه فرو قد بله المطر فانفعل ، ثم أصابته الشمس فاقمعلّ ، وله عينان تتقدان كانهما جمرتان . فلما رآني فهم الذى أخرجنى فاقبل نحوى وهو يرتجز ويقول :

وخارج أخرجه حب الطمعْ * فر من الموت وفى الموت وقعْ

* من كان ينوى أهله فلا رجعْ *

فلما رأيته قنعت رأسى ، ووليت هاربا . ومروان يقول : من هذا الفاضح لا يفوتكم . فدخلت فى غمار الناس * وقيل لاعرابى : ألا تغزو العدو . قال : وكيف يكونون لى عدوا وما أعرفهم ولا يعرفوننى * وقيل لآخر : ألا تغزو العدو . قال : والله انى لا بغض الموت على فراشى ، فكيف أن اخب اليه ركضا .

ومما قيل فى الفرار بن الجبناء من الشعر . قول حسان بن ثابت يعير الحارث بن هشام بفراره يوم بدر : وقد تقدم ذكر ذلك

ان كنت كاذبة الذي حدثتنى * فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الأحبةَ لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة(١ ولجام

ملأت به الفرجين فامتدت به * وثوى أحبته بشر مُقام

وقال بعض العراقيين فى رجل أكول جبان :

اذا صوّت العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

وقال فيه :

ضعيف القلب رعديد * عظيم الخلق والمنظر

رأى فى النوم عصفوراً * فوارى نفسه أشهر

وقال آخر :

لو جرت خيل نكوصا * لجرت خيل ذُفافهْ(٢

---

١) الطمرة : من الطمر وذلك ذهاب الفرس فى الارض متغيبا لشدة عدوه . والفرجين : ما بين الرجلين من الفرجة . ويقال للفرس ملأ فرجه اذا عدا واسرع . ٢) ذفافه : بالضم اسم رجل

هي لا خيل رجاء * لا ولا خيل مخافه

وقال آخر:

خرجنا نريد مغارا لنا * وفينا زياد أبو صعصعه
فستة رهط به خمسة * وخمسة رهط به أربعه

ولم يقل أحد في وصف الجبن والفرار . مثل قول الطرماح في بني تميم :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة * رأته تميم يوم زحف لولت
ولو جمعت يوما تميم جموعها * على ذرة معقولة لاستقلت

وليس يعاب الشجاع ، والبهمة البطل . بالفرة الواحدة تكون منه خاصة لا عامة . كما قال زفر بن الحارث وفر يوم مرج راهط عن ابيه وأخيه فقال :

أيذهب يوم واحد ان أساته * بصالح أيامي وحسن بلائيا
ولم ترمني زلة مثل هذه * فراري وتركي صاحبي ورائيا

وفر عمرو بن معديكرب من عباس بن مرداس وأسر اخته ريحانة . وفيها يقول عمرو :

أمن ريحانة الداعي السميع * يؤرقني وأصحابي هجوع

وفر عن بني عبس . وفيهم زهير بن جذيمة العبسي . وولده شاس بن زهير . وقيس بن زهير . فقال فيهم:

أجاعلة أم الثوير خزاية * علي فراري إن لقيت بني عبس
لقيت أبا شاس وشاسا ومالكا * وقيسا فجاشت من لقائهم نفسي
لقونا فضموا جانبينا بصادق * من الطعن مثل النار في الحطب اليبس
ولما دخلنا تحت فيء رماحهم * خبطت بكفي أطلب الارض باللمس
وليس يعاب المرء من جبن يومه * اذا عرفت منه الشجاعة بالأمس

وقال الحارث لامرأته ، وذلك انها نظرت اليه وهو يحد حربة يوم فتح مكة . فقالت له : ماتصنع بهذه . قال : «أعددتها لمحمد وأصحابه» . فقالت : ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء . قال : والله اني لارجو أن أخدمك بعضهم ثم أنشا يقول :

ان يقبلوا اليوم فمالي عله * هذا سلاح كامل وألّه * وذو غرار ين سريع السله

فلما لقيهم خالد يوم الخندمة . انهزم الرجل فلامته امرأته ، فقال :

انك لو شاهدت يوم الخندمه * اذ فر صفوان وفر عكرمه * ولحقتنا بالسيوف المسلمه

يفلقن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلا تسمع الا غمغمه * لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

ـ وقال اسلم بن زُرْعَةَ ـ وكان وجَّهه عبيد الله بن زياد الحرب أبي بلال الخارجي في ألفين ، وأبو بلال في أربعين رجلا . فشدوا عليه شدة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه فلما دخل على ابن زياد عنفه في ذلك وقال : [ويلك] أتمضي في الفين وتنهزم عن أربعين . فخرج عنه وهو يقول : «لان يذمني ابن زياد حيا ، خير من أن يمدحني وأنا ميت». وفي رواية أخرى : « إن يشتمني الامير وأنا حي ، أحب الي من أن يدعو لي وأنا ميت » .

وقال شاعر الخوارج (١ :

أألفا مؤمن لستم كذاكم * ولكنّ الخوارج مؤمنونا

هم الفئةُ القليلةُ قد علمتم * على الفئة الكثيرة ينصرونا

ومثل ذلك ، قول عبدالله بن مطيع بن الاسوار العدوى . وكان فر يوم الحرة من جيش مسلم بن عقبة ، فلما كان أيام حصار الحجاج بمكة لعبدالله بن الزبير جعل يقاتل أهل الشام ويقول :

أنا الذي فررتُ يوم الحرّهْ * والشيخ لا يفر الا مرّهْ

فاليوم أجزى كرة بفره * لا باس بالكرة بعد الفرّهْ

فلم يزل يقاتل حتى قتل . وأحسن ماقيل في الفرار كله ماقال قيس بن الحطيم :

اذا مافررنا كان أسوا فرارنا * صدود الخدود وازورار المناكب

أجالدهم يوم الحديقة حاسراً * كأنّ يدي بالسيف مخرق لاعب

وفر عتيبة بن الحارث بن هشام ، يوم ثبره عن ابنه حزرة وقال :

ياحسرتى لقد لقيت حسره * بالنيم غشيتني عبره

١) هو عيسى بن فاتك الخطى احد بنى تيم الله بن ثعلبة ذكره ياقوت في المعجم في أبيات . منها:

أألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلهم بآسك اربعونا

كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكنّ الخوارج مؤمنونا

هم الفئة القليلة غير شك على الفئة الكثيرة ينصرونا

وقال ان الوقعة كانت بين معبد بن أسلم «بن زرعة» الكلابي وبين أبي بلال مرداس بن أديّة الخارجي في آسك موضع بين رامهرمز وارّجان .

نعم الفتى غادرته بعبرة * نجيت نفس وتركت حزره
* هل يترك الحر الكريم بكره *

وفر أبو خراش الهذلى ، من فائد وأصحابه ورصدوه بعرفات فقال :

وفوني وقالوا ياخو يلد لاترع * فقلت وأنكرت الوجوه هم هم
وقلت وقد جاوزت أصحاب فائد * أأعجزت أهل الحلم أم أنا أحلم
فلولا ادراك الشرقامت حليلتى * تخير من خطابها وهي أيم
ولولا ادراك الشر أتلفت مهجتى * وكان خراش يوم ذلك ييتم

وفر خبيب بن عوف ، يوم مرداء هجر من أبي فديك . فقال :

بذلت لهم ياقوم حولى وقوتى * ونصحي وما ضمت يداى من التبر
فلما تناهى الامر بي من عدوكم * الى مهجتي وليت أعداءكم ظهرى
وطرت ولم أجفل ملامة عاجز * يقيم لاطراف الردينية السمر
فلوكان لى روحان عرضت واحداً * لكل رديني وأبيض ذى أثر

رجع بنا القول الى الفرارين والجبناء وماقيل فيهم . فر خالد بن عبد الله بن أسيد عن المصعب ابن الزبير بالبصرة فقال فيه الفرزدق

وكل بني السوداء قد فر فرة * فلم يبق الافرة فى است خالد
فضحتم أمير المؤمنين وأنتم * تمدون سودانا غلاظ السواعد

وقيل لرجل جبان فى بعض الوقائع تقدم . فانشا يقول :

وقالوا تقدم قلت لست بفاعل * أخاف على فخارتي أن تحطما
فلو كان لى رأسان أتلفت واحدا * ولكنه رأس اذا راح أعقما
ولو كان مبتاعا لدى السوق مثله * فعلت ولم أحفل بأن أتقدما
فايتم أولادا وارمل نسوة * فكيف على هذا ترون التقدما

وقالت هند بنت النعمان بن بشير . لزوجها روح بن زنباع : كيف سودك قومك وانت جبان غيور ؟ قال : اما الجبن ، فان لى نفساً واحدة فانا احوطها . واما الغيرة ، فما احق بها من كانت له امرأة حمقاء مثلك . مخافة ان تاتيه بولد من غيره فترمي به في حجره . وقال كعب بن زهير :

بخلا علينا وجبنا من عدوكم * لبئست الخلتان البخل والجبن

٩ — فضائل الخيل — قال النبي صلى الله عليه وسلم في الخيل : اعرافها ادفاؤها ، واذنابها مذابها ، والخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : بطونها كنز وظهورها حرز وأصحابها معانون عليها * وسال رجل النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال اني أريد أن أشترى فرسا أعده في سبيل الله . فقال له : اشتر ادهم أو كميتا أقرح أرثم محجلا مطلق اليمين ، فانها ميامن الخيل * وقيل لبعض الحكماء . أى الاموال أشرف ؟ قال : فرس يتبعها فرس في بطنها فرس .

١٠ — صفة جياد الخيل — كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يستحب من الخيل الشقر . وقال : لو جمعت خيل العرب في صعيد واحد ما سبقها الا أشقر * وساله رجل ؟ أى المال خير . قال : سكة مابورة ، ومهرة مامورة * وكان عليه الصلاه والسلام . يكره الشكال في الخيل : وقالوا : انما سميت خيلا لاختيالها . ووصف اعرابي فرسا . فقال : اذا تركته نعس ، واذا حركته طار . وأرسل مسلم بن عمرو : لابن عم له بالشام يشترى له خيلا . فقال له : لا علم لى بالخيل . فقال : الست صاحب قنص . قال بلى . قال : انظر كل شيء تستحسنه في الكلب ، فاطلبه في الفرس . فاتي بخيل لم يكن في العرب مثلها . وقال بعض الضبيين .

متقارب عبل الشوى شنج النسا * سباق اندية الجياد عميثل
واذا يعلل بالسياط جيادها * أعطاك نائله ولم يتعلل

سال المهدى مطر بن دراج عن أى الخيل أفضل ؟ قال : الذى اذا استقبلته قلت نافر ، واذا استدبرته قلت زاخر ، واذا استمرضته قلت زاجر . قال : فاى هذه أفضل ؟ قال : الذي طرفه أمامه ، وسوطه عنانه * وقال آخر . الذي اذا مشي ردى ، واذا عدا دحا ، واذا استقبل أقعى ، واذا استدبر جفاء : واذا استعرض استوي * وسال معاوية بن أبي سفيان صعصعة بن صوحان : أى الخيل أفضل ؟ قال الطويل الثلاث ، القصير الثلاث ، العريض الثلاث ، الصافى الثلاث . قال : فسرلنا . قال : أما الطويل الثلاث فالاذن والعنق والحزام ، وأما القصير الثلاث ، فالصلب والعسيب والقضيب . وأما العريض الثلاث ، فالجبهة والمنخر والورك . وأما الصافى الثلاث ، فالاديم والعين والحافر * وقال عمر بن الخطاب لعمرو بن معد يكرب : كيف معرفتك بعراب الخيل . قال . معرفة الانسان بنفسه واهله وولده . فامر بافراس

فعرضت عليه . فقال : قدموا اليها الماء فى الترابس فما شرب ولم يكتف فهو من العراب ، وما ثنى سنبكه فليس منها ، قلت : انما المحفوظ أن عمر شك فى العتاق والهجون فدعا سلمان بن ربيعة الباهلى بطست من ماء فوضع بالارض ثم قدم اليها الخيل فرسا فرسا فما ثنى سنبكه وشرب هجنه . وقال حسان بن ثابت يصف طول عنق الفرس :

بكل كميت جوزه نصف حلقه * اقب طوال مشرف فى الحوارك

وقال زهير :

وملجمنا ما إن ينال قذاله * ولا قدماه الارض الا أنامله

وقال آخر :

له ساقا ظليم خا * ضب فوجىء بالرعب
حديد الطرف والمنكب والعرقوب والقلب

وقال آخر :

هريت قصير عذار اللجام * اسيل طويل عذار الرسن

لم يرد بقوله قصير عذار اللجام — قصر خده وانما اراد طويل مشق الفم — واراد — بطول عذار الرسن — طول الخد . وقال آخر :

بكل هريت نقى الاديـ * ـم طويل الحزام قصير اللبب

وقال ابو عبيدة : يستدل على عتاقة الفرس برقة جحافله وأرنبته وسعة منخريه وعرى نواهقه ودقة حقويه وماظهر من اعالى أذنيه ورقة سالفته واديمه وشعره . وابين من ذلك كله لين شكيل ناصيته وعرفه * وكانوا يقولون : اذا اشتدت نفسه ، ورحب متنفسه ، وطال عنقه ، واشتد حقوه ، وانهرت شدقه ، وعظمت فصوصه ، وصلبت حوافره . ووقحت ألحق بجياد الخيل * قيل لرجل من بني أسد : أتعرف الفرس الكريم من المقرف . قال نعم : اما الكريم ، فالجواد الجيد الذي نهز العير ، وأنف تانيف السير ، الذى اذا عدا اجلعب واذا أقبل اجلعب واذا انتصب اتلأب . واما المقرف فانه الذلول الحجبة ، الضخم الارنبة ، الغليظ الرقبة ، الكثير الجلبة ، الذى اذا أرسلته قال امسكني ، واذا أمسكته قال ارسلني * وكان محمد ابن السائب الكلبي يحدث : أن الصافنات الجياد المعروضة على سليمان بن داود عليهما

السلام كانت ألف فرس ورثها عن أبيه . فلما عرضت عليه ألهته عن صلاة العصر حتى توارت الشمس بالحجاب فعرقبها الا أفراسا لم تعرض عليه . فوفد أقوام من الازد وكانوا أصهاره فلما فرغوا من حوائجهم . قالوا : يانبي الله ان أرضنا شاسعة فزودنا زادا يبلغنا ، فاعطاهم فرسا من تلك الخيل . وقال : اذا نزلتم منزلا فاحملوا عليه غلاما واحتطبوا فانكم لا تورون ناركم حتى يأتيكم بطعامكم . فساروا بالفرس فكانوا لا ينزلون منزلا الا ركبه أحدهم للقنص فلا يفلته شيء وقعت عينه عليه من ظبي أو بقر أو حمار الى أن قدموا الى بلادهم . فقالوا : ما فرسنا الا زاد الراكب ، فسموه زاد الراكب — فاصل فحول العرب من نتاجه . ويقال ان أعوج كان منها وكان فحلا لهلال بن عامر أنتجته أمه ببعض بيوت الحي فنظروا الى طرف يضع جفلته على كاذتها على الفخذ مما يلي الحيا (١ فقالوا ادركوا ذلك الفرس لا يبزى فرسكم لعظم أعوج وطول قوائمه فقاموا فوجدوا المهر فسموه أعوج * وأخبرنا فوج بن سلام عن أبي حاتم عن الاصمعي قال : أغير على أهل النسار وأعوج موثق بثمامة فجال صاحبه في متنه ثم زجره فاقتلع الثمامة فخرجت تحف كالخذروف وراءه فعدا بياض يومه وأمسي يتعشى من جميم قباء * وقال الشاعر في وصف فرس :

وأحمر كالديباج أما سماؤه * فريا وأما أرضه فمحول

قوله — سماؤه اعلاه — وأرضه أسفله يريد قوائمه . وللطائي نظير هذا حيث يقول :

أمتن متن وصهوتين الى * حوافر صلبة له ملس
فهو لدى الروع والجلائب ذو * أعلى مندى وأسفل يبس
صهصلق في الصهيل تحسبه * كأنه قطعة من الغلس

وقال حبيب أيضا يصف فرسا أهداه اليه الحسن بن وهب الكاتب :

ما مقرف يختال في أشطانه (٢ * ملآن من صلف به وتلهق
بحوافر حفر وصلب صلب * وأشاعر شعر وحلق أحلق
وبشعلة نبذ كأن حلولها * في صهوتيه بدو شيب المفرق
ذو أولق (٣) تحت العجاج وانما * من صحة إفراط ذاك الاولق

---

١) كذا في الاصل وفي العبارة سقط وتحريف . ٢) جمع شطن وهو الحبل وقيل الحبل الطويل الشديد الفتل يستقي به وتشد به الخيل ٣) الواق السير السهل السريع

تغرى العيون به ويفلق شاعر * فى نعته عفواو ليس بمفلق
بمصعد فى نعته ومصوب * ويجمع فى حسنه ومفرق
قد سالت الاوضاح سيل قرارة * فيه ففترق عليه وملتقي
صافى الاديم كانما ألبسته * من سندس ثوبا ومن إستبرق
مسود شطر مثل ما اسود الدجا * مبيض شطر كابيضاض المهرق (١
فكان فارسه يصرف اذ غدا * فى متنه لين الصباح الابلق
املبسه امليده لو علقت * من صهوتيه العين لم تتعلق
يرقى وما هو بالسليم ويفتدى * دون السلاح سلاح أروع مملق

وقال أبو سويد : شهد أبو دلف وقعة بدر وتحته فرس أدهم ، وعليه نضح الدم . فاستوقفه رجل من الشعراء وأنشد :

كم ذا تجرعه المنون وسلم * لو يستطيع شكا اليك الادهم
فى كل منبت شعرة من جلده * يمن ينمقه الحسام المخذم
وكانما عقد النجوم بطرفه * وكانه بعري المجرة ملجم
وكانه بين البوارق لقوة * شقراء كاسرة طوت ماتطعم
ما تدرك الارواح أدني شده * لا بل يفوت الريح فهو مقدم
رجعته أطراف الاسنة اشقرا * واللون أدهم حين ضرجه الدم

قال فامر له بعشرة آلاف * ومن قولنا فى وصف الفرس :

ومقربة يشقر فى النقع كمتها * ويخضر حينا كلما بلها الرشح
تطير بلا ريش الى كل صيحة * وتسبح في البر الذى ما به يسبح

وقال عدى بن الرقاع

يخرجن من فرجات النقع دامية * كان آذانها اطراف أقلام

وطلب البحترى الشاعر من سعيد بن حميد الكاتب فرسا ووصف له انواعا من الخيل فى شعره فقال :

لا كلفن العيس ابعد همة * يجرى اليها خائف او مرتجي

---

١) ثوب حرير أبيض يسقي الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه

وإلى سراة بني حميد انهم * أمسوا كواكب أشرقت في مذحج
والبيت لولا أن فيه فضيلة * تعلو البيوت بفضلها لم يحجج
فأعن على غزو العدو بمنطو * أحشاؤه طي الرداء المدرج
اما باشقر ساطع أغشى الوغا * منه بمثل الكوكب المتأجج
متسربل شية طلت أعطافه * بدم فما تلقاه غير مضرج
أو ادهم صافي الاديم كأنه * تحت الكريم مظهر بالنيرج
ضرم يهيج السوط من شؤبوبه * هيج الجنائب من حريق العرفج
خفت مواقع وطئه فلو انه * يجرى برملة عالج لم يرهج
أو أشهب يقق يضيء وراءه * متن كمثل اللجة المترجرج
يخفي الحجول ولو بلغن لبانه * في أبيض متألق كالدملج
أوما بعرف أسود متعرف * فيما يليه وحافر فيروزجي
أو ابلق ملأ العيون اذا بدا * من كل لون معجب بنموذج
جذلان تحسده الجياد اذا مشى * عنقا باحسن حلة لم تنسج
وعريض أعلى المتن لو عليته * بالزئبق المنهال لم يتدحرج
خاضت قوائمه القويم بناؤها * امواج تجنيب بهن مدرج
ولانت أبعد في السماحة همة * من أن تضن بملجم أو مسرج

وأول من شبه الخيل بالظبا والسرحان والنعامة . وتبعه الشعراء ، وحذوا حذوه وعلى مثاله امرؤ القيس بن حجر :

له أيطلا ظبي وساقا نعامة * وإرخاء سرحان وتقريب تتفل
كأن على الكتفين منه اذا انتحى * مداك عروس أو صلاية حنظل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
درير كخذروف الوليد أمره * تتابع كفيه بخيط موصل
كميت يزل اللبد عن حال متنه * كما زلت الصفواء بالمتنزل

فاخذت الشعراء هذا التشبيه من امرىء القيس فحذوا عليه . فقال طفيل الخيل :

اني وان قل مالي لا يفارقني * مثل النعامة في أوصالها طول

تقريبها المرطى والجونُ معتدل * كأنه سبد بالماء مغسول
أوساهم الوجه لم تقطعْ أباجله * يصان وهو ليوم الروع مبذول

وقال عبد الملك بن مروان لاصحابه : أى المناديل أفضل . فقال بعضهم : مناديل مصر التى كانها غرقئ البيض وقال بعضهم مناديل اليمن التى كانها أنوار الربيع . فقال ماصنعتم شيئا : أفضل المناديل مناديل عبدة بن الطيب حيث يقول :

لما نزلنا ضربنا ظل اخبية * وفاز بالغلي للقوم المراجيل
وردوا اشقر لا يونيه طابخُه * ماقارب النضج منها فهوما كول
وقد وثبنا على عوج مسومة * اعرافهن لأيدينا مناديل

١١ — سوابق الخيل — قال الاصمعي ماسبق فى الرهان فرس أهضم قط . وانشدلابي النجم — مُنتفخ الجوف عريض كَلكله — قال : وكان هشام بن عبد الملك رجلا مسبقا لا يكاد يسبق فسبقت له فرس أنثى وصلت اختها ، ففرح لذلك فرحا شديدا . وقال : على بالشعراء . قال ابو : النجم فدعينا فقيل لنا قولوا فى هذه الفرس واختها فسال اصحاب النشيد النظرة حتى يقولوا . فقلت له هل لك فى رجل ينقدك اذا استنسؤك . قال هات . فقلت من ساعتي :

اشاع للغراء فينا ذكرها * قوائمٌ عوج اطعن امرها
وما نسينا بالطريق مهرها * حتى نقيس قدره وقدرها
وصبرَه اذا عدا وصبرها * والماء يعلو نحره ونحرها
ملمومة شد المليك ازرها * اسفلها و بطنها وظهرها
* قدكادهاديها يكون شطرها *

قال أبو النجم : فامر لى بجائزة وانصرفت — ابو القاسم جعفر بن احمد بن محمد وابو الحسن على ابن جعفر البصرى. قالا : حدثنا ابو سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي ان هرون الرشيد ركب في سنة خمس وثمانين ومائة الى الميدان لشهود الحلبة . قال الاصمعى : فدخلت الميدان لشهودها فيمن شهدمن خواص امير المؤمنين والحلبة يومئذ افراس للرشيد ولولديه الأمين والمأمون ولسليمان بن ابي جعفر المنصور ولعيسي بن جعفر : ، فجاء فرس ادهم يقال له الربيذ لهرون الرشيد سابقه فابتهج لذلك ابتهاجا علم ذلك فى وجهه . وقال: على بالاصمعى . فنوديت له من كل جانب فاقبلت سريعا حتي مثلت بين يديه . فقال: يااصمعى خذ بناصية الربيذ ثم صفه من

قو نسه الى سنبكه فانه يقال ان فيه عشرين اسما من أسماء الطير . قلت : نعم يا أمير المؤمنين وأنشدك شعراً جامعاً فيه من قول أبي حزرة . قال : فانشد نا لله أبوك قال فانشدته :

وأقب كالسرحان تم له * مابين هامته الى النسر

الاقب — اللاحق المخطف البطن وذلك يكون من خلقته وربما حدث من هزال أو بعد قود والانثى قباء والجمع قب والمصدر القبب . والسرحان — الذئب شبهه فى ضموره وعدوه به وجمعه سراحين . وقد قالوا : سراح . والهامة — أعلى الرأس وهى أم الدماغ وهي من أسماء الطير . والنسر — هو ماارتفع من بطن الحافر من أعلاه كأنه النوى والحصى وهو من أسماء الطير وجمعه نسور

رحبت نعامته ووفر فرخه * وتمكن الصردان فى النحر

رحبت — اتسعت نعامته — جلدة رأسه التى تغطى الدماغ وهي من أسماء الطير . وقوله ووفر فرخه — الفرخ هو الدماغ وهو من اسماء الطيور ووفر أى تم يقال وفرت الشيء ووفرته بالتخفيف فهو موفور . والصردان — عرقان فى أصل اللسان . ويقال انهما عرقان أخضران مكتنفان باطن اللسان منهما الريق ونفس الرئة وهما من أسماء الطير . وفى الظهر صرد أيضاً وهو بياض يكون في موضع السرج من أثر الدبر . يقال فرس صرد اذا كان ذلك به . والنحر — موضع القلادة من الصدر وهو البرك

واناف بالعصفور من سعف * هام اشم موثق الجذر

واناف — اشرف . والعصفور — منبت الناصية . والعصفور ايضاً عظم ناتىء فى كل جبين والعصفور من الغرر ايضاً وهى التى سالت ودقت ولم تجاوز الى العينين ولم تستدر كالقرحة وهو من اسماء الطير . والسعف — يقال فرس بين السعف وهو الذى سالت ناصيته . هام — اي سائل منتشر . اشم — مرتفع والشمم فى الانف ارتفاع قصبته : ويروي هاد اشم يريد عنقا مرتفعا وجمعه هواد . وقوله موثق — اي شديد قوى . والجذر — الاصل من كل شىء قال الاصمعى وغيره هو بالفتح . وقال ابو عمرو بن العلاء هو بالكسر

وازدان بالديكين صلصله * ونبت دجاجته عن الصدر

ازدان — افتعل من قولك زان يزين وكان الاصل ازتان فقلبت التاء دالا لقرب مخرجها من مخرج الزاى وكذلك ازداد من زاد يزيد . والديكان — واحدهما ديك وهو العظم الناتىء خلف الاذن وهو الذى يقال له الخششاء والخشاء . والصلصل — بياض الناصية .

ويقال هو اصل الناصية . والدجاجة — اللحم الذي على زوره بين يديه . والديك والصلصل والدجاجة من اسماء الطير

والناهضان امر جلزهما ※ فكانما عثما على كسر

الناهضان — واحدها ناهض وهو لحم المنكبين . ويقال هو اللحم الذى يلى العضدين من اعلاها والجمع نواهض . ويقال فى الجمع انهض على غير قياس والناهض فرخ القطا وهو من اسماء الطير . وقوله امر جلزهما — اى فتل واحكم يقال امررت الحبل فهو ممر اى فتلته والجلز الشد . وقوله فكانما عثما على كسر — اى كانهما كسرا ثم جبرا يقال عثمت يده والعثم الجبر على عقدة وعوج وعثمان فعلان منه

مسحنفر الجنبين ملتئم ※ مابين شيمته الى الغر

مسحنفر الجنبين — اى متنفخها . ملتئم — اي معتدل . وشيمته — منخره . والشيمة ايضاً من قولك فرس بين الشيمة وهى بياض فيه . ويقال ان تكون شامة او شام فى جسده والغرفى الاغلب على الذى يسمي الرجمة من الفرس وهى عضلة الساق

وصفت سماناه وحافره ※ وادیمه ومنابت الشعر

السماني — طائر وهو موضع من الفرس لا احفظه الا ان يكون اراد السمامة وهي دائرة تكون فى سالفة الفرس وهو عنقه والسمامة من الطير ايضاً . والاديم — الجلد

وسما الغراب لموقعيه معا ※ فأبين بينهما على قدر

سَما الغراب — اى ارتفع والغراب رأس الورك . ويقال للصلوين الغرابان وهما مكتنفا عجب الذنب . ويقال لهما اعالى الوركين والموقعان منه فى اعالى الخاصرتين فابين أى فرق بينهما على قدر — اى على استواء واعتدال

واكتنّ دون قبيحه خطافه ※ ونأت سمامته على الصقر

اكتنّ — اي استتر . والقبيح — ملتقي الساقين . ولا يقال انه مركب الذراعين فى العضدين . والخطاف — من اسماء الطير وهو حيث ادركت عقب الفارس اذا حرك رجليه . و يقال لهذين الموضعين من الفرس المركلان . ونأت — اي بعدت . والسمامة — دائرة تكون فى عنق الفرس : وقد ذكرناها وهي من اسماء الطير . والصقر — احسبها دائرة في الرأس وما وقفت عليها وهي من اسماء الطير

وتقدمت عنه القطاة له ※ فنأت بموقعها عن الحر

القطاة — مقعد الردف وهي من أسماء الطير . والحر — من الطير يقال انه ذكر الحمام وهو من الفرس سواد يكون فى ظاهر أذنيه

وسما على نقويه دون حداته * خربان بينهما مدى الشبر

النقوان — واحدهما نقو والجمع أنقاء وهو عظم ذو مخ وانما عناهما عظام الوركين لأن الحرب هو الذي تراه مثل المدهن فى ورك الفرس وهو من الطير ذكر الحبارى والحدأة من الطير وأصلها الهمز ولكنه خفف وهي سالفة الفرس وجمعها احداء على وزن فعال كما تقول عظاة وعظاء و يقال عظاية . واذا فتحت الفاء قلت حدأة وهو الفاس ذات الرأسين وجمعها حدا مثل نواة و نوى وقطاة وقطا

يدع الرضيم اذا جري فلقا * بتوائم كمواسم سمر

الرضيم — الحجارة الفلق المكسورة فلقا . بتوائم — جمع توأم : وقد قالوا تؤم على وزن فعل جمع توأم وهى على غير قياس . يقال هو مثني يعني حوافره . والمواسم — جمع ميسم الحديد أي فى صلابتها . وقوله سمر — أي لون واحد وهو أصلب الحوافر

ركبن فى محض الشوى سبط * كفت الوثوب مشدد الاسر

الشوى — ههنا القوائم والواحدة شواة : و يقال فرس محض الشوى اذا كانت قوائمه معصوبة سبط — سهل . كفت الوثوب — أي مجتمع من قولك كفت الشيء اذا جمعته وتممته . مشدد الاسر — أى الخلق . قال الاصمعى : قامرلى بالف درهم : وقال أبو النجم يصف الحلبة :

ثم سمعنا برهان نأمله * قيد له من كل أفق جحفله
فقلت للسائس قده أعجله * واغد لعنا فى الرهان نرسله
نعلو به الحزن ولا نسهله * اذا علا الاخشب صاح جندله
ترنم النوح يبكي مثكله * كأن فى الصوت الذي يفصله
زما رادف يتغني جلجله * حتى وردنا المصر يطوى قنبله
طى التجار العصب اذ تنخله * وقد رأينا فعلهم فنفعله
نطويه والطى الرقيق يجزله * نضمر الشحم ولسنا نهزله
حتى اذا الليل تولى أنجله * واتبع الايدى منه أرجله
قمنا على هول شديد وجله * نمد حبلا فوق خط نعدله

نقـول قدم ذا وهـذا أدخـله * وقام مشقوقُ القميص يَعقله
فوق الخماسي قليـلا يفضـله * أدرك عقلا والرّهان عمـله
حتي اذا أدرك خيـلا مرسـله * ثار عجـاجُ مستطـير قُسطله
تنفش منـه الخيـل مالا تغزله * مـرا يغطيـها ومرا تجعـله
مر القطا انصبّ عليه أجدله * وهـو رخيّ البـال سام وَهلـه
قدامهـا ميـلا لمن يمثـله * تطـيره الجن وحينـا تُرجله
تسبح أخـراه ويطفـو أولهُ * ترى الغـلامَ ساجيـا مايركله
نُعطيه ماشاء وليس يسـاله * كانه من زبد تسـربله
فى كرسف النداف لولا بلـه * تخـال مسكا عـله معلـهُ
ثم تنـاولنـا الـكلامَ ننزله * عن مفرع الكتفـين حلو عطـله
منتفخ الجوف عريض كلـكله * فوافت الخيـل ونحن نشكـله
* والجن عـكاف به تقبله *

وقال آخر فى فرس أبي الاعور السلمي :
مركلمع البرق سام ناظره — تسبح أولاه و يطفو آخره — فما يمس الارض منه حافره — قـول هـذا أشبه من قول ابي النجم لانه يقول — تسبح اخراه ويطفو اوله — وقال الاصمعى : اذا كان الفرس كما قال ابو النجم فحمار الكساح اسرع منه لان اضطراب مؤخره قبيح . وكان ابو النجم وصافا للخيل الا انه غلط فى هذا البيت وقد غلط رؤبة ايضا فى الفرس فقال يصف قوائمه — يهوين شتي ويقعن وقعا — ولما انشده مسلم ابن قتيبة : قال له اخطأت فى هذا ياابا الجحاف جعلته مقيدا . قال قربني من ذنب البعير — وانشد الاصمعي :

قد اطرق الحي على سابح * اسطع مثل الصدع الاجرد
لما اتيت الحيّ فى دفة * كان عرجونا بمثنى يدي
اقبل يختـال فى شأوه * يضرب فى الأقرب والاَبعد
كانه سكران او عابس * او ابن رب حرث المولد

وقال عنترة : اما اذا استقبلته فكانه * جذع سما فوق الدليل مشذب
واذا عرضت له استوت اقتاده * وكأنه مستدبر مستصوب
وقال ابن المعتز: وقد يحضر الهيجاء فى شبح النسا * تكامل فى اسنانه فهو قارح

له عنق يغتال طولَ عنانه * وصدر اذا أعطيته الجرى سابح
اذا مال عن أعطافه قلت شارب * عناه بتصريف المدامة طافح
وقال أيضا ولقد وطئت الغيث يحملني * طرف كلون الصبح حين وقد
يمشي ويعرض فى العنان كما * صدق المعشق بالدلال وصد
طارت به رجل مرصعة * رجامة لحصى الطريق ويد
وكانه موج يسيل اذا * أطلقته واذا حبست جمد

١٢ — فى الحلبة والرهان — والحلبة مجمع الخيل . ويقال مجتمع الخيل . ويقال مجتمع الناس للرهان . وهو من قولك : حلب بنو فلان على بني فلان وأحلبوا اذا اجتمعوا . ويقال منه أخذ الحالب اللبن فى القدح أي جمعه فيه . والحلب — الحبل الذى يمد فى صدور الخيل عند الارسال للقبض . والمنصبة — الخيل حين تنصب للارسال . وأصل الرهان من الرهن كان الرجل يراهن صاحبه فى المسابقة يضع هذا رهنا وهذا رهنا فايهما سبق فرسه أخذ رهنه ورهن صاحبه . والرهان — مصدر راهنته مراهنة ورهانا كما تقول قاتلته مقاتلة وقتالا . وهذا كان من أمر الجاهلية وهو القمار المنهى عنه فان كان الرهن من أحدهما بشيء مسمي على أنه ان سبق لم يكن له شيء وان سبقه صاحبه أخذ الرهن فهذا حلال لان الرهن انما هو من أحدهما دون الآخر وكذلك ان جعل كل واحد منهما رهنا وأدخلا بينهما محللا وهو فرس ثالث يكون مع الاولين . ويسمي أيضا الدخيل ولا يجعل لصاحب الثالث شيء ثم يرسلون الافراس الثلاثة فان سبق أحد الاولين أخذ رهنه ورهن صاحبه فكان له طيبا وان سبق الدخيل اخذ الرهنين جميعا وان سبق هو لم يكن عليه شيء . ولا يكون الدخيل الا رائعا جوادا لا يامنان أن يسبقهما والا فهذا قمار لانهما كانهما لم يدخلا بينهما محللا . قال الاصمعى : السابق من الخيل الاول . والمصلي الثاني الذي يتلوه : قال . وانما قيل له مصلى لانه يكون عند صلوى السابق وهما جانبا ذنبه عن يمينه وشماله . ثم الثالث والرابع لا اسم لواحد منهما الى العاشر فانه يسمى سكيتا . قال أبو عبيدة : لم نسمع فى سوابق الخيل ممن يوثق بعلمه اسما لشيء منها الا الثانى والعاشر فان الثانى اسمه المصلى . والعاشر السكيت وماسوى ذينك يقال له الثالث والرابع وكذلك الي التاسع ثم السكيت . ويقال السكيت بالتشديد والتخفيف فما جاء بعد ذلك لم يعتد به والفسكل بالكسر الذى يجيء آخر الخيل والعامة تسميه الفسكل بالضم . وقال أبو عبيدة : القاشور الذي يجيء فى الحلبة آخر

الخيل وهو الفسكل وانما قيل للسكيت سكيت لانه آخر العدد الذي يقف العاد عليه والسكت الوقوف هكذا كانوا يقولون فاما اليوم فقد غيروا وكان من شانهم ان يمسحوا على وجه السابق ؟ . قال جرير :

اذا شئتموا ان تمسحوا وجه سابق * جواد فمدوا في الرهان عنانينا

ومن قولنا في هذا المعنى :

واذا جياد الخيل ماطلها المدى * وتقطعت في شأوها المبهور
خلوا عناني في الرهان ومسحوا * مني بغرة ابلق مشهور

١٣ — وصف السلاح — كانت درع على صدر الاظهر لها فقيل له في ذلك . فقال : اذا تمكن عدوي من ظهري فلا أبقى علي . ورؤي الجراح بن عبد الله قد ظاهر بين درعين له في ذلك . فقال : لست أقي بدني وانما أقي صدري — واشترى زيد بن حاتم ادراعا وقال : اني لست اشتري ادراعا وانما اشترى أعمارا — وقال حبيب بن المهلب لبنيه : لا يقعدن احدكم في السوق فان كنتم لا بد فاعلين فالى زرّاد ، اوسراج ، اووراق — العتبي قال : بعث عمر بن الخطاب الى عمرو بن معديكرب ان يبعث اليه بسيفه المعروف بالصمصامة . فبعث به اليه فلما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه فكتب اليه في ذلك فرد عليه : انما بعثت الى أمير المؤمنين بالسيف ولم ابعث بالساعد الذي يضرب به . وساله عمر بن الخطاب يوما عن السلاح . فقال : يسال امير المؤمنين عما بداله . قال ماتقول في الترس . قال هو المجن وعليه تدور الدوائر . قال فما تقول في الرمح . قال اخوك وربما خانك فانقصف . قال : فالنبل . قال منايا تخطيء وتصيب . قال فما تقول في الدرع قال مثقلة للراجل ، مشغلة للفارس ، وانها لحصن حصين . قال فما تقول في السيف . قال هناك لا ام لك يا امير المؤمنين . فضربه عمر بالدرة . وقال : بل لا ام لك . ال الحمى صرعتني — الهيثم بن عدي . قال : وصف سيف عمرو بن معديكرب الذي يقال له الصمصامة لموسى الهادي . فدعا به . فوضع بين يديه مجردا ثم قال لحاجبه : ائذن للشعراء فلما دخلوا امرهم ان يقولوا فيه . فبدرهم ابن انيس فقال :

حاز صمصامةَ الزبيدي عمرو * من جميع الانام موسى الأمين
سيفُ عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما اغمدت عليه الجفُون
اخضر المتن بين حديه نور * من فرند تمتد فيه العيون

أوقدت فيه للصواعق نار * ثم ساطت به الزعاف المنون
فاذا ماسللته بهر الشمـ * ـس ضياء فلم تكد تستبين
فكأن الفرند والرونق الجا * رى فى صفحتيه ماء معين
وكأن المنون نيطت اليه * فهو من كل جانبيه منون
مايبالى من انتضاه لحرب * أشمال سطت به أم يمين

فأمر له ببدرة وخرجوا . وضرب الزبير يوم الخندق : عثمان بن عبدالله بن المغيرة فقطعه الى القربوس . فقيل ماأجود سيفك ، فغضب . وقال :

متى تلقنى تعدو ببز مهيم * ولض كميت أو أغر محجل
تلاقى امرا ان تلقه فبسيفه * تعلمك الايام ما كنت تجهل

وقال أبو الشيص :

ختلته المنون بعد اختيال * بين صفين من قنا ونصال
فى رداء من الصفيح صقيل * وقميص من الحديد مذال

وبلغ أبا الاغر : ان أصحابه بالبادية قدوقع بينهم شر ، فوجه [اليهم] ابنه الاغر . وقال : يابني كن يد الاصحابك علي من قاتلهم . واياك والسيف ، فانه ظل الموت . واتق الرمح ، فانه رشاء المنية . ولا تقرب السهام ، فانها رسل لا تؤامر مرسلها . قال : فبماذا أقاتل قال بما قال الشاعر :

جلاميد يملأن الاكف كأنها * رؤس رجال حلقت بالمواسم

وذكر اعرابي قوما تحاربوا . فقال : أقبلت الفحول ، تمشي مشي الوعول ، فلما تصافحوا بالسيوف ، فغرت المنايا أفواهها — وقال آخر : يذكر قوما أسروا . استنزلوهم عن الجياد بلينة الحرصات ، ونزعوهم نزع الدلاء بالاشطان — وقال أعرابي فى آخرين : ابتغوا اقوما أغاروا عليهم . فقال : اجتثوا كل جمالية عيرانة ، كما يخصفون أخفاف المطى بحوافر الخيل . حتي أدركوهم بعد ثالثة فجعلوا المران أرشية المنايا ، فاستقوا بها أرواحهم — ومن أحسن ماقيل فى السيف قول حبيب :

ويهتز مثل السيف لولم تسله * يدان لسلته ظباء من الغمد

وقال فى صفة الرماح :

مثقفات سلبن الروم زرقتها * والعرب الوانها والعاهر القصفا

ومن الافراط القبيح . قول النابغة فى وصف السيف :

يقد السلوقى المضاعف نسجه * و يوقد فى الصفاح نار َ الحباحب

فذ كر أنه يقد الدرعَ المضاعف نسجه ، والفارس والفرس ، و يقع بها فى الارض فيقدح النار من الحجارة — وأقبح منه فى الافراط قول الآخر :

تظل تحفر عنه ان ضربت به * بين الذراعين والقيدين والسادي

وقد جمع العلوى وصف الخيل والسلاح كله فاحسن وجوّد حيث يقول :

بحسبي من مالى من الخيل أعيط * سليم الشظا عارى النواهق أمعط
وأبيض من ماء الحديد مهنّد * وأسمر عسال الكعوب عنطنط
ومعطوفة الاطراف كبداء سمحة * منتجة الاعضاد صفراء شوحط
فيا ليت مالى غير ما قد جمعته * على لجَّة تيارها يتغطغط
و ياليتني امسي على الدهر ليلة * وليس على نفسي أمير مسلط

ومن قولنا فى وصف الرمح والسيف :

بكل ردينى كأن سنانه * شهاب بدا فى ظلمة الليل ساطع
تقاصرت الآجال فى طول َمتنه * وعادت به الآمال وهي فجائع
وساءت ظنون ُالحرب فى حسن ظنه * َفهنّ لحبات القلوب قوارع
وذى شطب تقضى المنايا لحكمه * وليس لما تقضي المنية دافع
فرند اذا ما اعتنّ للعين راكد * وبرقٌ اذا ما اهتز بالكف لامع
يسلل أرواحَ الكماة انسلاله * و يرتاع منه الموت والموت رائع
اذا ماالتقت أمثاله اثر وقيعة * هنالك ظنّ النفس بالنفس واقع

ومن قولنا فى السيف :

بكل مأثور على متنه * مثل مدب النمل بالقاع
يرتد طرف العين من حده * عن كوكب للموت لماع

وقال اسحق بن خلف البهراني فى صفة السيف

ألقى بجانب خصره * أمضي من الاجل المتاح
وكأنما ذر الهبا * عليه انفاس الرياح

١٤ — النزع بالقوس — ابرهيم الشيباني. قال كان رجل من اهل الكوفة

قد بلغه عن رجل من أهل السلطان أنه يعرض له ضيعة بواسط فى مغرم لزمه للخليفة . فحمل وكيلا له على بغل وأترع له خرجا بدنانير . وقال له : اذهب الى واسط فاشتر لى هذه الضيعة المعروضة فان كفاك ما فى هذا الخرج والا فا كتب الى أمدك بالمال . فخرج فلما أصحر عن البيوت لحق به أعرابى راكب على حمار معه قوس وكنانة . فقال له : الى أين تتوجه فقال : الى واسط . قال : فهل لك فى الصحبة قال نعم . فسارا حتى فوزا فعنت لهما ظباء فقال له الاعرابى : أى هذه الظباء أحب اليك المتقدم منها أم المتأخر فاذكيه لك . قال له : المتقدم . فرماه فخرمه بالسهم فاشتويا وأكلا فاغتبط الرجل بصحبة الاعرابى ثم عن له زفة قطا . فقال أيها تريد فاصرعها لك فاشار الى واحدة منها فرماها فاقتصدها ثم اشتويا وأكلا فلما انقضى طعامهما فوق له الاعرابى سهما ثم قال له أين تريد ان أصيبك . فقال له : اتق الله واحفظ زمام الصحبة . قال : لابد منه . قال اتق الله ربك واستبقني ودونك البغل والخرج فانه مترع مالا . قال : فاخلع ثيابك . فانسلخ من ثيابه ثوبا ثوبا حتى بقي مجردا . قال له : اخلع أمواقك وكان لابسا خفين طائفين . فقال له : اتق الله فى ودع لى الخفين أتبلغ بهما من الحرفان الرمضاء تحرق قدمى . قال : لابد منه . قال فدونك الخف فاخلعه . فلما تناول الخف ذكر الرجل خنجرا كان معه فى الخف فاستخرجه ثم ضرب به صدره فشقه الى عانته . وقال له : الاستقصاء فرقة — فذهبت مثلا . وكان هذا الاعرابى من رماة الحدق * وحدث العتبى عن بعض أشياخه . قال : كنت عند المهاجر بن عبد الله والى اليمامة فاتي باعرابي كان معروفا بالسرف فقال له : أخبرني عن بعض عجائبك . قال : عجائبي كثيرة ومن أعجبها أنه كان لى بعير لا يسبق ، وكانت لي خيل لا تلحق ، فكنت أخرج فلا أرجع خائبا فخرجت فاحترشت ضبا فعلقته على قتبي . ثم مررت بخباء ليس فيه الا عجوز فقلت : يجب أن يكون لهذه رائحة من غنم وابل . فلما أمسيت اذا بابل واذا شيخ عظيم البطن شثن الكفين ومعه عبد اسود فلما رآنى رحب بي ثم قام الى ناقة فاحتلبها وناولنى العلبة فشربت مايشرب الرجل فتناول الباقى فضرب بها جبهته . ثم احتلب تسع أينق فشرب ألبانهن ثم نحر حوارا فطبخه فاكلت شيئا وأكل الجميع حتى ألقى عظامه بيضا وجثا على كومة وتوسدها ثم غط غطيط البكر . فقلت : هذه والله الغنيمة ثم قمت الى فحل ابله فخطمته ثم قرنته ببعيرى وصحت به فاتبعني واتبعته الابل اربابا ربا فى قطار فصارت خلفي كانها حبل ممدود فمضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة ليلة للمسرع ولم أزل أضرب بعيرى مرة بيدى ومرة برجلي حتى طلع الفجر فابصرت الثنية واذا عليها سواد . فلما

دنوت منه اذا الشيخ قاعد وقوسه فى حجره فقال : أضيفنا : قلت نعم . قال . استخر نفسك عن هذه الابل قلت لا . فاخرج سهما كانه لسان كلب . ثم قال : انظره بين أذني الضب المعلق فى القتب ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه . فقال لى : ما تقول : قلت أنا على رأيي الاول . قال : انظر هذا السهم الثاني فى فقرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فكانما قدره بيده . ثم قال : رأيك فقلت اني أحب ان استثبت . قال انظر هذا السهم الثالث فى عكوة ذنبه والرابع والله فى بطنه ثم رماه فلم يخط العكوة قلت : أنزل آمنا : قال نعم . فدفعت اليه خطام ختلة . وقلت هذه ابلك لم تذهب منها وبرة وانا أنظر متي يرميني بسهم يقصد به قلبي . فلما تباعدت . قال : اقبل . فاقبلت والله فرقا من شره لا طمعا فى خيره . فقال : ما أحسبك تجشمت الليلة ما تجشمت الا من حاجة . قلت نعم . قال : فاقرن من هذه الابل بعيرين وامض لطيتك . قال قلت : اما والله لا امضى حتي اخبرك عن نفسك . فلا والله ما رأيت اعرابيا اشد ضرسا ، ولا اعدى رجلا ، ولا ارمى يداً ، ولا اكرم عفوا ، ولا اسخي تفسا منك . فصرف وجهه عني حياء . وقال : خذ الابل برمتها مباركا لك فيها — وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اركبوا وارموا . وان ترموا ، احب الى من ان تركبوا — وقال : كل لهو المؤمن باطل الا فى ثلاث . تاديبه فرسه ، ورميه عن كبد قوسه ، وملاعبته امرأته ، فانه حق . ان الله ليدخل الجنة بالسهم الواحد عامله المحتسب ، والقوي به فى سبيل الله - اي والرامى فى سبيل الله — وروي عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو قائم على المنبر « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » إلا ان القوة الرمى ! الا ان القوة الرمى ! الا ان القوة الرمي ! وكان ارمى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن ابي وقاص لأن رسول الله صلي الله عليه وسلم دعا له فقال : اللهم سدد رميته ، واجب دعوته ، فكان لا يرد له دعاء ولا يخيب له سهم — وذكر اسامة بن زيد : ان شيوخا من اسلم حدثوه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم وهم يرمون ببطحان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا يابني اسمعيل . فقد كان ابوكم راميا وانا مع ابن الادرع . فتعدي القوم فقالوا : يارسول الله من كنت معه فقد نضل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارموا وانا معكم كلكم . فانتضلوا ذلك اليوم ثم رجعوا بالسواء ليس لاحد على احد منهم فضل — وقال عمر : ائتزروا ، وارتدوا . وانتعلوا واحتفوا ، وارموا الاغراض ، والقوا الركب ، وانزوا على الخيل نزوا . وعليكم بالمعدية اوقال بالعربية ودعوا التنعم وزى العجم — وقال : لن تخور قوا كم ما نزوتم ونزعتم — وجى

قوم من أهل المدينة جناية . فأرسل السلطان اليهم جندا من محاربة ابن زياد . فقام رجل من أهل البادية يذمر أصحابه . فقال : يامعشر العرب ويابني المحصنات ، قاتلوا عن أحسابكم وأنسابكم ، فوالله ان ظهر هؤلاء عليكم لا يدعون بها لبنة حمراء ، ولا نخلة خضراء ، الا وضعوها بالارض . ولا عتراكم من نشاب معهم في جعاب . كأنها أيور الفيلة يقرعون بها كأنها الغبط تئط احداهن أطيط الزرنوق . يمعط أحدهم فيها حتى يتفرق شعر ابطيه . ثم يرسل نشابة كأنها رشاء منقطع فما بين أحدكم وبين أن تنفضخ عينه ، أو ينصدع قلبه منزلة . فخلع قلوبهم فطاروا رعبا .

١٥ — مشاورة المهدى لاهل بيته فى حرب خراسان — هذا ما تراجع فيه المهدى ووزراؤه . وما دار بينهم من تدبير الرأى فى حرب خراسان أيام تحاملت عليهم العمال واعتفت فحملتهم الدالة وتقدم لهم من المكانة على أن نكثوا بيعتهم ، ونقضوا موثقهم ، وطردوا العمال والتووا بما عليهم من الخراج . وحمل المهدي ما يحب من مصلحتهم ، ويكره من عنتهم ، على أن أقال عثرتهم ، واغتفر زلتهم ، واحتمل دالتهم تطولا بالفضل ، واتساعا بالعفو ، وأخذا بالحجة ، ورفقا بالسياسة . ولذلك لم يزل مذ حمله الله أعباء الخلافة ، وقلده أمور الرعية ، رفيقا بمدار سلطانه ، بصيرا باهل زمانه ، باسطا للمعدلة فى رعيته . تسكن الى كنفه ، وتأنس بعفوه ، وتثق بحلمه ، فاذا وقعت الاقضية اللازمة . والحقوق الواجبة ، فليس عنده هوادة ، ولا اغضاء ، ولا مداهنة إثرة للحق ، وقياما بالعدل ، وأخذا بالحزم . فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه ، والثقة بعفوه أن كسروا الخراج ، وطردوا العمال ، وسألوا ما ليس لهم من الحق . ثم خلطوا احتجاجا باعتذار ، وخصومة باقرار ، وتنصلا باعتلال . فلما انتهي ذلك الى المهدى خرج الى مجلس خلائه ، وبعث الى نفر من لحمته ووزرائه . فاعلمهم الحال واستنصحهم للرعية . ثم أمر الموالى بالابتداء . وقال العباس بن محمد : أي عم تعقب قولنا ، وكن حكما بيننا . وأرسل الى ولديه موسى وهرون فاحضرهما الامر ، وشاركهما فى الرأى ، وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم ، واثبات مقالتهم ، فى كتاب .

فقال سلام صاحب المظالم : أيها المهدى ان فى كل أمر غاية ، ولكل قوم صناعة ، استفرغت رأيهم ، واستغرقت أشغالهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها وذهبت بهم ، وعرفوا بها وعرفت بهم ، ولهذه الامور التي جعلنا فيها غاية ، وطلبت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب ، وساسة الامور ، وقادة الجنود ، وفرسان الهزاهز ، واخوان التجارب ، وأطفال الوقائع ، الذين وشحتهم سجالها ، وفيأتهم ظلالها ، وعضتهم شدائدها ، وقرمتهم نواجذها . فلو عجمت ماقبلهم ، وكشفت ماعندهم ، لوجدت نظائر تؤيد أمرك ، وتجارب توافق نظرك

وأحاديث تقوى قلبك ، فامانحن معاشر عمالك ، واصحاب دواوينك ، فحسن بنا ، وكثير منا : ان نقوم بثقل ماحملتنا من عملك ، واستودعتنا من امانتك ، وشغلتنا به من امضاء عدلك ، وانفاذ حكمك ، واظهار حقك .

فأجابه المهدى : ان فى كل قوم حكمة ، ولكل زمان سياسة ، وفى كل حال تدبير ، يبطل الآخر الاول ، ونحن أعلم بزماننا ، وتدبير سلطاننا . قال : نعم أيها المهدى . أنت متسع الرأى ، وثيق العقدة ، قوى المنة ، بليغ الفطنة ، معصوم النية ، محضور الروية ، مؤيد البديهة ، موفق العزيمة ، معان بالظفر ، مهدى الى الخير ، ان هممت ففى عزمك مواقع الظن ، وان اجمعت صدع فعلك ملتبس الشك ، فاعزم يهد الله الى الصواب قلبك ، وقل ينطق الله بالحق لسانك ، فان جنودك جمه ، وخزائنك عامرة ، ونفسك سخيه ، وأمرك نافذ.

فأجابه المهدى : ان المشاورة والمناظره بابا رحمة ومفتاحا بركة ، لا يهلك عليهما رأى ، ولا يتفيل معهما حزم . فاشيروا برأيكم ، وقولوا بما يحضركم ، فاني من ورائكم وتوفيق الله من وراء ذلك القول . قال الربيع : أيها المهدى . ان تصاريف وجوه الرأى كثيرة ، وان الاشارة ببعض معاريض القول يسيرة ، ولكن خراسان أرض بعيدة المسافة ، متراخية الشقة ، متفاوتة السبيل ، فاذا ارتايت من محكم التدبير ، ومبرم التقدير ولباب الصواب ، رأيا قد احكمه نظرك وقلبه تدبيرك ، فليس وراءه مذهب لطاعن ، ولادونه معلق لخصومه غائب ، ثم أجبت البرد به ، وانطوت الرسل عليه ، كان بالحري أن لا يصل اليهم محكمه ، وقد حدث منهم ماينقضه ، فالسران ترجع اليك الرسل ، وترد عليك الكتب بحقائق اخبارهم ، وشوارد آثارهم ، ومصادر امورهم ، تحدث رأيا غيره ، وتبتدع تدبيرا سواه ، قد انفرجت الحلق ، وتحللت العقد ، واسترخى الحقان ، وامتد الزمان ، ثم لعلما موقع الآخرة ، كمصدر الاولى . ولكن الرأى لك ايها المهدى ، وفقك الله ان تصرف اجالة النظر ، وتقليب الفكر ، فيما جمعتناله ، واستشرتنا فيه ، من التدبير لحربهم ، والحيل فى امرهم الى الطالب لرجل ذى دين فاضل ، وعقل كامل ، وورع واسع ، ليس موصوفا بهوى فى سواك ، ولا متهما فى اثرة عليك ، ولا ظنينا على دخلة مكروهة ، ولا منسوبا الى بدعة محذورة ، فيقدح فى ملكك ، ويريض الامور لغيرك ، ثم تسند اليه امورهم ، وتفوّض اليه حربهم ، وتامره فى عهدك ووصيتك اياه ، بلزوم امرك ما لزمه الحزم وخلاف نهيك اذا خالفه الرأى عن استحالة الامور ، واشتداد الاحوال ، التى ينقض امر الغائب عنها ، ويثبت رأى الشاهد لها ، فانه اذا فعل ذلك فواثب امرهم من قريب ، وسقط عنه ماياتى من بعيد ، تمت

الحيلة ، وقويت المكيدة ، ونفذ العمل ، وأحد النظران شاء الله .

قال الفضل بن العباس : أيها المهدى . ان ولى الأمور ، وسائس الحروب ، ربما نحى جنوده ، وفرق أمواله ، فى غير ماضيق أمر حربه ، ولا ضغطه حال اضطرته ، فيقعد عند الحاجة اليها ، وبعد التفرقة لها ، عديما منها ، فاقدالها ، لا يثق بقوة ، ولا يصول بعدة ، ولا يفزع الى ثقة . فالرأي لك أيها المهدى وفقك الله ، أن تعفي خزائنك من الانفاق للاموال ، وجنودك من مكابدة الاسفار ، ومقارعة الخطار ، وتغرير القتال ، ولا تسرع للقوم فى الاجابة الى مايطلبون ، والعطاء لما يسالون ، فيفسد عليك أدبهم وتجرىء من رعيتك غيرهم ، ولكن اغزهم بالحيلة ، وقاتلهم بالمكيدة ، وصارعهم باللين ، وخاتلهم بالرفق ، وابرق لهم بالقول ، وارعد نحوهم بالفعل ، وابعث البعوث ، وجند الجنود ، وكتب الكتائب ، واعقد الالوية ، وانصب الرايات ، وأظهر أنك موجه اليهم الجيوش ، مع أحنق قوادك عليهم . وأسوئهم أثرا فيهم . ثم ادسس الرسل ، وابثث الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك ، وبعضا على خوف من وعيدك ، وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم ، واغرس أشجار التنافس بينهم ، حتى تملأ القلوب من الوحشة ، وتنطوي الصدور على البغضة ، ويدخل كلا من كل الحذر والهيبة ، فان مرام الظفر بالغيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناهبة بالكتب ، والمكايدة بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف ، المدخل فى القلوب القوى الموقع من النفوس ، المعقود بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبنى على اللين ، الذى يستميل القلوب ويسترق العقول والآراء ، ويستميل الاهواء ، ويستدعى المؤاتاة ، أنفذ من القتال بظبات السيوف وأسنة الرماح ، كما أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوه بالمكايدة ، أحكم عملا ، وألطف منظرا ، وأحسن سياسة من الذى لا ينال ذلك الا بالقتال ، والاتلاف للاموال ، والتغرير والخطار . وليعلم المهدى : أنه ان وجه لقتالهم رجلا لم يسر لقتالهم الا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة و تقدم على أسفار ضيقة ، وأموال متفرقة ، وقواد غششة ، ان ائتمنهم استنفدوا ماله ، وان استنصحهم كانوا عليه لا له . قال المهدى : هذا رأى قد أسفر نوره وابرق ضوؤه ، وتمثل صوابه للعيون ، وتجسد حقه فى القلوب . ولكن فوق كل ذى علم عليم . ثم نظر الى ابنه على . فقال ماتقول : قال على أيها المهدي . ان أهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك ، ولم

ينصبوا من دونك أحدا يقدح فى تغيير ملكك ، ويربض الامور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب أيسر ، والشان أصغر ، والحال أذل ، لان الله مع حقه الذى لا يخذله ، وعند موعده الذى لا يخلفه ، ولكنهم قوم من رعيتك ، وطائفة من شيعتك ، الذين جعلك الله عليهم واليا ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكما ، طلبوا حقا ، وسالوا انصافا ، فان أجبت الى دعوتهم ، ونفست عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال ، أو يحدث من عندهم فتق أطعت أمر الرب ، واطفات نائرة الحرب ووفرت خزائن المال ، وطرحت تغرير القتال ، وحمل الناس محمل ذلك على طبيعة جودك ، وسجية حلمك ، واسجاح خليقتك ، ومعدلة نظرك ، فامنت أن تنسب الى ضعة ، وان يكون ذلك فيما بقى ذريئة ، وان منعتهم ما طلبوا ، ولم تجبهم الى ما سالوا ، اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويتهم فى ميدان الخطاب فما أرب المهدي أن يعمد الى طائفة من رعيته ، مقرين بمملكته ، مذعنين بطاعته ، لا يخرجون أنفسهم عن قدرته ولا يبرؤونها من عبوديته ، فيملكهم أنفسهم ، ويخلع نفسه عنهم ، ويقف على الحيل معهم ، ثم يجازيهم السوء فى حد المنازعة ، ومضمار المخاطرة أيريد المهدي - وفقه الله الاموال : فلعمرى لا ينالها ولا يظفر بها الا بانفاق أكثر منها مما يطلب منهم ، وأضعاف ما يدعى قبلهم ولو نالها لها فحملت اليه ، أووضعت بخرائطها بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها ، وطال عليهم بها ، لكان مما اليه ينسب ، وبه يعرف ، من الجود الذي طبعه الله عليه ، وجعل قرة عينه ونهمة نفسه فيه : فان قال المهدى هذا : رأى مستقيم سديد فى أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا ، وتحامل ولاتنا فاما الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود وانطقوا لسان الارجاف وفتحوا ابواب المعصية وكسروا قيود الفتنة فقد ينبغى لهم ان اجعلهم نكالا لغيرهم ، وعظة لسواهم ، فيعلم المهدى : انه لو اتى بهم مغلولين فى الحديد ، مقرنين فى الاصفاد ، ثم اتسع لحقن دمائهم عفوه ولا قالة عثرتهم صفحه ، واستبقاهم لما هم فيه من حزبه ، أولمن بازائهم من عدوه ، لما كان بدعا من رأيه ، ولا مستنكرا من نظره ، لقد علمت العرب أنه اعظم الخلفاء والملوك عفوا ، وأشدها وقعا واصدقها صولة ، وانه لا يتعاظمه عفو ، ولا يتكاءده صفح ، وان عظم الذنب وجل الخطب . فالرأى للمهدى : وفقه الله تعالى أن يحلل عقدهم الغليظ بالرجاء لحسن ثواب الله فى العفو عنهم ، وأن يذكر اولى حالاتهم وضيعة عيالاتهم ، برأبهم وتوسعا لهم ، فانهم اخوان دولته ، واركان دعوته ، واساس حقه الذين بعزتهم يصول ، وبحجتهم يقول ، وانما مثلهم فيما دخلوا فيه من مساخطه ، وتعرضوا له من معاصيه ، وانطووا فيه عن اجابته ، ومثله فى قلة ما غير

ذلك من رأيه فيهم ، أونقل من حاله لهم ، أوتغير من نعمته بهم كمثل رجلين أخوين ، متناصرين متوازرين ، أصاب أحدهما خبل عارض ، وهو حادث ، فنهض الى أخيه لاذى ، وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزدد أخوه الارقة له ولطفا به ، واحتيالا لمداواة مرضه ، ومراجعة حاله عطفا عليه وبرا به ومرحمة له

فقال المهدي : اما على فقد كوى سمت اللبان ، وفض القلوب فى أهل خراسان ، ولكل نبإ مستقر . فقال : ماترى يا أبا محمد يعنى موسى ابنه . فقال موسى أيها المهدى : لاتسكن الى حلاوة مايجري من القول على ألسنتهم ، وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم ، الحال من القوم ينادي بمضمرة شر ، وخفية حقد ، قد جعلوا المعاذير عليها سترا ، واتخذوا العلل من دونها حجابا ، رجاء ان يدافعوا الايام بالتاخير ، والامور بالتطويل ، فيكسروا حيل المهدى فيهم ، ويفنوا جنوده عنهم ، حتي يتلاحم أمرهم ، وتتلاحق مادتهم ، وتستفحل حربهم ، وتستمر الامور بهم : والمهدى ، من قولهم فى حال غرة ، ولباس أمنة ، قد فترلها : وأنس بها وسكن اليها ، ولولا مااجتمعت به قلوبهم ، وبردت عليه جلودهم ، من المناصبة بالقتال ، والاضمار للقراع عن داعية ضلال ، أوشيطان فساد ، لرهبوا عواقب أخبار الولاة ، وغب سكون الامور ، فليشدد المهدى : وفقه الله أزره لهم ، ويكتب كتائبه نحوهم ، وليضع الامر على أشد مايحضره فيهم ، وليوقن انه لا يعطيهم خطة يريد بها صلاحهم ، الا كانت دربة الى فسادهم ، وقوة على معصيتهم ، وداعية الى عودتهم ، وسببا لفساد من بحضرته من الجنود ، ومن ببابه من الوفود ، الذين ان أقرهم وتلك العادة ، وأجراهم على ذلك الارب ، لم يبرح فى فتق حادث ، وخلاف حاضر لا يصلح عليه دين ، ولا تستقيم به دنيا ، وأن طلب تغييره بغير استحكام العادة ، واستمرار المدربة ، لم يصل الى ذلك الا بالعقوبة المفرطة ، والمؤنة الشديدة . والرأى للمهدى : وفقه الله أن لا يقيل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتي تطاهم الجيوش ، وتاخذهم السيوف ، ويستحر بهم القتل ، ويحدق بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، ويطبق عليهم الذل ، فان فعل المهدى : بهم ذلك كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل عادة سوء فيهم واحتمال المهدى : فى مؤنة غزوتهم هذه تضع عنه غزوات كثيرة ونفقات عظيمة

. قال المهدى : قد قال القوم فاحكم يا أبا الفضل . فقال العباس بن محمد : أيها المهدى أما الموالى فاخذوا بفروع الرأى وسلكوا جنبات الصوات ، وتعدوا أمورا اقتصر نظرهم عنها

انه لم تات تجاربهم عليها . وأما الفضل . فاشار بالاموال أن لا تتفق والجنود أن لا تفرق . وبان لا يعطي القوم ماطلبوا . ولا يبذل لهم ماسالوا . وجاء بامر بين ذلك استصغارا لامرهم . واستهانة بحربهم . وانما يهيج جسيمات الامور صغارها . وأما علي فاشار باللين وأفرد الرفق واذا جرد الوالي لمن غمط أمره . وسفه حقه اللين بحتا . والخير محضا . لم يخلطهما بشدة تعطف القلوب علي لينه ، ولا بشر يحبسهم الى خيره . فقد ملكهم الخلع لعذرهم . ووسع لهم الفرجة لثني أعناقهم . فان أجابوا دعوته . وقبلوا لينه من غير خوف اضطرهم . ولا شدة ونزوة في رؤسهم ، يستدعون بها البلاء الى أنفسهم ، ويستصرخون بها رأى المهدى فيهم ، وان لم يقبلوا دعوته ، ويسرعوا لاجابته باللين المحض ، والخير الصراح ، فذلك ماعليه الظن بهم ، والرأى فيهم ، وماقد يشبه ان يكون من مثلهم ، لان الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم ، والملك الكبير ، مالا يخطر علي قلب بشر ، ولا تدركه الفكر ، ولا تعلمه نفس ، ثم دعا الناس اليها ، ورغبهم فيها ، فلولا انه خلق نارا جعلها لهم رحمة يسوقهم بها الى الجنة ، لما أجابوا ولا قبلوا : وأما موسي فاشار بان يعصبوا بشدة لا لين فيها ، وان يرموا بشر لا خير معه ، واذا أضمر الوالي لمن فارق طاعته ، وخالف جماعته ، الخوف مفردا ، والشر مجردا ، ليس معها ، طمع ولا لين يثنيهم استدت الامور بهم ، وانقطعت الحال منهم ، الى احد أمرين اما أن تدخلهم الحمية من الشدة : والانفة من الذلة ، والامتعاض من القهر ، فيدعوهم ذلك الى التمادي في الخلاف ، والاستبسال في القتال ، والاستسلام للموت ، وأما أن ينقادوا بالمكره ، ويذعنوا بالقهر ، على بغضة لازمه وعداوة باقية ، تورث النفاق وتعقب الشقاق فاذا امكنتهم فرصة ، اوثابت لهم قدرة ، أوقويت لهم حال ، عاد امرهم الى اصعب واغلظ واشد مما كان . وقال في قول ابي الفضل : ايها المهدى اكفى دليل ، واوضح برهان ، وأبين خبر بان قد أجمع ، رأيه وحزم نظره ، على الارشاد ببعثة الجيوش اليهم ، وتوجيه البعوث نحوهم ، مع اعطائهم ماسالوا من الحق ، واجابتهم الى ماسالوه من العدل

قال المهدى : ذلك رأى . قال هرون : خلطت الشدة أيها المهدي باللين وانتظم امر الدنيا بالدين فصارت الشدة امر فطام لما تكره وعاد اللين اهدى قائد الي ماتحب ، ولكن ارى غير ذلك

قال المهدى : لقد قلت قولا بديعا ، وخالفت به اهل بيتك جميعا ، والمرء مؤتمن بما قال

وظنين بما ادعى ، حتى يأتى ببينة عادلة ، وحجة ظاهرة ، فاخرج عما فلت . قال هرون : أيها المهدى ان الحرب خدعة ، والاعاجم قوم مكرة . وربما اعتدلت الحال بهم ، واتفقت الاهواء منهم ، فكان باطن مايسرون ، على ظاهر مايعلنون ، وربما افترقت الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوى القلب على محجوبة تبطن ، واستسر بمدخولة لا تعلن ، والطبيب الرفيق بطبه ، البصير بامره ، العالم بمقدم يده ، وموضع ميسمه ، لا يتعجل بالدواء حتى يقع على معرفة الداء ، فالرأى للمهدى ، وفقه الله ان يفر باطن أمرهم فر المسنة ، و يمخض ظاهرهم مخض السقاء بمتابعة الكتب ، ومظاهرة الرسل ، وموالاة العيون ، حتى تهتك حجب عيونهم ، وتكشف أغطية أمورهم ، فان انفرجت الحال ، وأفضت الامور به الى تغيير حال ، او داعية ضلال اشتملت الاهواء عليه ، وانقاد الرجال اليه ، وامتدت الاعناق نحوه بدين يعتقدونه ، واثم يستحلونه ، عصبهم بشدة لا لين فيها ، ورماهم بعقوبة لا عفو معها ، وان انفرجت العيون ، واهتصرت الستور ، ورفعت الحجب والحال فيهم مريعة ، والامور بهم معتدلة ، في أرزاق يطلبونها ، وأعمال ينكرونها ، وظلات يدعونها ، وحقوق يسالونها ، بماتة سابقتهم ، ودالة مناصحتهم ، فالرأى للمهدى وفقه الله ان يتسع لهم بما طلبوا ويتجافى لهم عما كرهوا ، ويشعب من أمرهم ما صدعوا ، و يرتق من فتقهم ما قطعوا ، ويولى عليهم من أحبوا ويداوي بذلك مرض قلوبهم ، وفساد امورهم ، فانما المهدى وأمته ، وسواد أهل مملكته ، بمنزلة الطبيب الرفيق ، والوالد الشفيق ، والراعى الجرب ، الذى يحتال لمرابض غنمه ، وضوال رعيته ، حتى يبرىء المريضة من داء علتها ، ويرد الصحيحة الى انس جماعتها ، ثم ان خراسان بخاصة الذين لهم دالة محمولة ، وماتة مقبولة ، ووسيلة معروفة ، وحقوق واجبة ، لانهم أيدى دولته ، وسيوف دعوته ، وأنصار حقه ، وأعوان عدله ، فليس من شان المهدى الاضطغان عليهم ، ولا المؤاخذة لهم ، ولا التوعر بهم ، ولا المكافأة باساءتهم ، لان مبادرة حسم الامور ضعيفة قبل أن تقوى ، ومحاولة قطع الاصول ضئيلة قبل ان تغلظ ، أحزم فى الرأي ، وأصح فى التدبير ، من التاخير لها ، والتهاون بها ، حتى يلتئم قليلها بكثيرها ، وتجتمع أطرافها الى جمهورها

قال المهدى : مازال هرون يقع وقع الحيا ، حتى خرج خروج القدح من الماء . قال : وانسل انسلال السيف فيما ادعى ، فدعوا ما سبق موسى فيه ، انه هو الرأى وثنى بعده هرون ، ولكن من لاعنة الخيل ، وسياسة الحرب ، وقادة الناس ، ان أمعن بهم اللجاج ، وأفرطت بهم

الدالة . قال صالح : لسنا نبلغ أيها المهدي بدوام البحث ، وطول الفكر ، أدنى فراسة رأيك ، وبعض لحظات نظرك ولبس بنقص عنك من بيوتات العرب ، ورجالات العجم ، ذو دين فاضل ، ورأى كامل ، وتدبير قوى ، تقلده حربك ، وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الامانة العظيمة ، ويضطلع بالاعباء الثقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون النقيبة ، مبارك العزيمة ، مخبور التجارب ، محمود العواقب ، معصوم العزم ، فليس يقع اختيارك ، ولا يقف نظرك ، على أحد توليه أمرك ، وتسند اليه ثغرك ، الا اراك الله ما تحب ، وجمع لك منه ما تريد

قال المهدى : اني لارجو ذلك لقديم عادة الله فيه ، وحسن معونته عليه ، ولكن أحب الموافقة على الرأى ، والاعتبار للمشاورة فى الامر المهم . قال محمد بن الليث : أهل خراسان ، أيها المهدى قوم ذوو عزة ومنعة ، وشياطين خدعة ، زروع الحمية فيهم نابتة ، وملابس الانفة عليهم ظاهرة ، فالروية عنهم عازبة ، والعجلة عنهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم ، وسيوفهم عزلهم ، لانهم بين سفلة لا تعد ، ومبلغ عقولهم ، ومنظر عيونهم ، وبين رؤساء لا يلجمون الا بشدة ولا يفطمون الا بالمر . وان ولى المهدى عليهم وضيعا لم تنقد له العظماء ، وان ولى أمرهم شريفا تحامل على الضعفاء ، وان اخر المهدى أمرهم ، ودافع حربهم ، حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه ، أو بني عمه أو بني أبيه ، ناصحا يتفق عليه أمرهم ، وثقة تجتمع له املاؤهم ، بلا أنفة تلزمهم ، ولا حمية تدخلهم ، ولا مصيبة تنفرهم تنفست الايام بهم وتراخت الحال بامرهم فدخل بذلك من الفساد الكبير ، والضياع العظيم ، ما لا يتلافاه صاحب هذه الصفة وان وجد ، ولا يستصلحه وان جهد ، الا بعد دهر طويل ، وشر كبير وليس المهدى وفقه الله فاطما عاداتهم ، ولا قارعا صفاتهم ، بمثل احد رجلين لا ثالث لهما ولا عدل فى ذلك بهما ، أحدهما لسان ناطق ، موصول بسمعك ، ويد ممثلة لعينك ، وصخرة لا تزعزع ، وبهيمة لا تثنى ، وبازل لا ينزعه صوت الجلجل ، نقى العرض ، نزيه النفس ، جليل الخطر ، قد اتضعت الدنيا عن قدره ، وسما نحو الآخرة بهمته ، فجعل الغرض الاقصي لعينه نصبا ، والغرض الادني ، لقدمه موطئا ، فليس يقبل عملا ، ولا يتعدي أملا ، وهو رأس ، مواليك ، وأنصح بني أبيك ، رجل قد غذى بلطيف كرامتك ، ونبت فى ظل دولتك ، ونشأ على قوائم ادبك فان قلدته امرهم ، وحملته ثقلهم ، وأسندت اليه ثغرهم ، كان قفلا فتحه امرك ، وبابا اغلقه نهيك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميرا ، والانصاف بينه وبينهم حاكما ، واذا احكم المنصفة ، وسلك

المعدلة ، فاعطاهم مالهم ، وأخذ منهم ماعليهم غرس فى الذي لك بين صدورهم ، وأسكن لك في السويداء داخل قلوبهم ، طاعة راسخة العروق ، باسقة الفروع ، متماثلة فى حواشي عوامهم ، متمكنة من قلوب خواصهم ، فلا يبقي فيهم ريب الا نفوه ، ولا يلزمهم حق الا أدوه ، وهذا أحدهما . والآخر عود من غيضتك ، ونبعة من أرومتك ، فتى السن ، كهل الحلم ، راجح العقل ، محمود الصرامة ، مأمون الخلاف ، يجرد فيهم سيفه ، ويبسط عليهم خيره ، بقدر مايستحقون ، وعلي حسب مايستوجبون ، وهو فلان . أيها المهدى : فسلطه اعزك الله عليهم ووجهه بالجيوش اليهم ، ولا تمنعك ضراعة سنه ، وحداثة مولده ، فان الحلم والثقة مع الحداثة ، خير من الشك والجهل مع الكهولة ، وانما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه ، واختصكم به من مكارم الاخلاق ، ومحامد الفعال ، ومحاسن الامور ، وصواب التدبير ، وصرامة الانفس ، كفراخ عتاق الطير المحكمة لاخذ الصيد بلا تدريب ، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب ، فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتؤدة والرفق ثابت في صدوركم ، مزروع فى قلوبكم ، مستحكم لكم ، متكامل عندكم ، بطبائع لازمة ، وغرائز ثابتة . قال معاوية بن عبدالله : افتاء اهل بيتك . أيها المهدى فى الحلم على ماذكر ، وأهل خراسان فى حال عز على ماوصف . ولكن ان ولى المهدى عليهم رجلا ليس بقديم الذكر فى الجنود ، ولا بنبيه الصوت فى الحروب ، ولا بطويل التجربة للامور ، ولا بمعروف السياسة للجيوش ، والهيبة فى الاعداء ، دخل ذلك أمران عظيمان ، وخطران مهولان . أحدهما : ان الاعداء يغتمزونها منه ، ويحتقرونه فيه ، ويجترؤن بها عليه ، فى النهوض والمقارعة له ، والخلاف عليه ، قبل ماحين الاختبار لامره ، والتكشف لحاله ، والعلم بطباعه . والامر الآخر : أن الجنود التى يقود ، والجيوش التى يسوس ، اذا لم يختبروا منه البأس والنجدة ، ولم يعرفوه بالصوت والهيبة ، انكسرت شجاعتهم وماتت نجدتهم ، واستأخرت طاعتهم الى حين اختبارهم ، ووقوع معرفتهم ، وربما وقع البوار ، قبل الاختبار ، وبباب المهدى وفقه الله رجل مهيب نبيه حنيك صيت له نسب زاك ، وصوت عال ، وقد قاد الجيوش ، وساس الحروب ، وتألف أهل خراسان واجتمعوا عليه بالمقة ، ووثقوا به كل الثقة . فلو ولاه المهدى أمرهم ، لكفاه الله شرهم

قال المهدي : جانبت قصد الرمية ، وابيت الا عصبية ، اذ رأى الحدث من اهل بيتنا ، كرأى عشرة حلماء من غيرنا ، ولكن اين تركتم ولى العهد قالوا لم يمنعنا من ذكره الا كونه شبيه

جده ، ونسيج وحده ، ومن الدين وأهله ، بحبث يقصر القول عن ادنى فضله ، ولكن وجدنا الله عز وجل حجب عن خلقه ، وستر من دون عباده ، علم ما تختلف به الايام ، ومعرفة ماتجرى عليه المقادير ، من حوادث الامور ، وريب المنون ، المخترمة لخوالى القرون ، ومواضى الملوك ، فكرهنا شسوعه عن محلة الملك ، ودار السلطان ومقر الامامة والولاية ، وموضع المدائن والخزائن ومستقر الجنود ، ومعدن الجود ، ومجمع الاموال ، التي جعلها الله قطبا لدار الملك ، ومصيدة لقلوب الناس ، ومثابة لاخوان الطمع وثوار الفتن ، ودواعي البدع وفرسان الضلال ، وابناء الموت ، وقلنا ان وجه المهدي ولى عهده ، لحدث في جيوشه وجنوده ، ماقد حدث بجنود الرسل من قبله ، لم يستطع المهدى أن يعقبهم بغيره ، الا ان ينهض اليهم بنفسه ، وهذا خطر عظيم ، وهول شديد ، ان تنفست الايام بمقامه ، واستدارت الحال بامامه ، حتى يقع عوض لا يستغنى عنه ، أو يحدث أمر لا بد منه ، صار مابعده مما هو أعظم هولا ، وأجل خطرا ، له تبعا ، وبه متصلا

قال المهدى : الخطب أيسر مما تذهبون اليه ، وعلى غير ما تصفون الامر عليه ، نحن أهل البيت نجري من أسباب القضايا ، ومواقع الامور على سابق من العلم ، ومحتوم من الامر ، قد أنبأت به الكتب ، وتنبأت عليه الرسل ، وقد تناهي ذلك باجمعه الينا ، وتكامل بحذافيره عندنا فبه ندبر ، وعلى الله نتوكل انه لابد لولى عهدى ، وولى عهدى عقبي بعدى ، أن يقود الى خراسان البعوث ويتوجه نحوها بالجنود . أما الاول فانه يقدم اليهم رسله ، ويعمل فيهم حيله ، — ثم يخرج نشطا اليهم حنقا عليهم ، يريد ان لايدع أحدا من اخوان الفتن ، ودواعي البدع ، وفرسان الضلال ، الا توطأه بحر القتل ، وألبسه قناع القهر ، وقلده طوق الذل ، ولا أحدا من الذين عملوا فى قص جناح الفتنة ، واخماد نار البدعة ، ونصرة ولاة الحق ، الا أجري عليهم ديم فضله ، وجداول نصله ، فاذا خرج مزمعا به مجمعا عليه ، لم يسر الا قليلا حتي ياتيه أن قد عملت حيله ، وكدحت كتبه ، ونفذت مكايده ، فهدأت نافرة القلوب ، ووقعت طائرة الاهواء ، واجتمع عليه المختلفون بالرضا ، فيميل نظرا لهم وبرا بهم ، وتعطفا عليهم ، الى عدو قد أخاف سبيلهم ، وقطع طريقهم ، ومنع حجاجهم بيت الله الحرام ، وسلب تجارهم رزق الله الحلال واما الآخر فانه يوجه اليهم ، ثم تعتقد له الحجة عليهم ، باعطاء مايطلبون ، وبذل مايسالون فاذا سمحت الفرق بقراباتها له ، وجنح أهل النواحي باعناقهم نحوه ، فاصغت اليه الافئدة ، واجتمعت له الكلمة ، وقدمت عليه الوفود ، قصد لاول ناحية بخعت بطاعتها ، وألقت بازمتها فالبسها

جناح نعمته ، وأنزلها ظل كرامته ، وخصها بعظيم حبائه ، ثم عم الجماعة بالمعدلة ، وتعطف عليهم بالرحمة ، فلا تبقى فيهم ناحية دانية ، ولا فرقة قاصية الا دخلت عليها بركته ، ووصلت اليها منفعته ، فاغنى فقيرها ، وجبر كسيرها ، ورفع وضيعها ، وزاد رفيعها ، ما خلا ناحيتين ، ناحية يغلب عليها الشقاء ، وتستميلهم الاهواء ، فتستخف بدعوته ، وتبطيء عن اجابته ، وتتثاقل عن حقه ، فتكون آخر من يبعث وأبطا من يوجه فيصطلى عليها موجدة ، ويبتغي لها علة ، لا يلبث أن يجد بحق يلزمهم ، وأمر يجب عليهم فتستلحمهم الجيوش وتاكلهم السيوف ، ويستحر بهم القتل ، ويحيط بهم الاسر ، ويفنيهم التتبع ، حتى يخرب البلاد ، ويؤتم الاولاد ، وناحية لا يبسط لهم أمانا ، ولا يقبل لهم عهدا ولا يجعل لهم ذمة ، لانهم أول من فتح باب الفرقة ، وتدرع جلباب الفتنة وربض في شق العصا ، ولكنه يقتل أعلامهم ، ويأسر قوادهم ، ويطلب هرابهم في لجج البحار ، وقلل الجبال ، وخمل الاودية ، وبطون الارض ، تقتيلا وتغليلا وتنكيلا ، حتى يدع الديار خرابا ، والنساء أيامى ، وهذا أمر لا نعرف له في كتبنا وقتا ، ولا نصحح منه غير ماقلنا تفسيرا ، وأما موسى ولي عهدي ، فهذا أوان توجهه الى خراسان ، وحلوله بجرجان ، وماقضى الله له من الشخوص اليها ، والمقام فيها خير للمسلمين مغبة ، وله باذن الله عاقبة من المقام بحيث يغمر في لجج بحورنا ، ومدافع سيولنا ، ومجامع أمواجنا ، فيتصاغر عظيم فضله ويتذأب مشرق نوره ، ويتقلل كثير ماهو كائن منه ، فمن يصحبه من الوزراء ، ويختار له من الناس . قال محمد بن الليث : ايها المهدي ان ولي عهدك أصبح لامتك واهل ملتك علما قد تعنت نحوه أعناقها ، ومدت سمته أبصارها ، وقد كان لقرب داره منك ، ومحل جواره لك ، عطل الحال غفل الامر ، واسع العذر ، فاما اذ انفرد بنفسه ، وخلا بنظره ، وصار الى تدبيره فان من شان العامة ان تتفقد مخارج رأيه ، وتستنصت لمواقع آثاره ، وتسال عن حوادث أحواله ، في بره ومرحمته واقساطه ومعدلته ، وتدبيره وسياسته ، ووزرائه وأصحابه ، ثم يكون ماسبق اليهم ، أغلب الاشياء عليهم ، وأملك الامور بهم ، وألزمها لقلوبهم ، وأشدها استمالة لرأيهم ، وعطفا لاهوائهم ، فلا يعلم المهدي وفقه الله ناظرا له فيما يقوى عمد مملكته ، ويسدد أركان ولايته ، ويستجمع رضا أمته ، بامر هو أزين لحاله وأظهر لجماله ، وأفضل مغبة لامره ، وأجل موقعا في قلوب رعيته ، وأحمد حالا في نفوس أهل ملته ، ولا أدفع مع ذلك باستجماع الاهواء له ، وأبلغ في استعطاف القلوب عليه من مرحمة تظهر من فعله ، ومعدلة تنتشر عن اثره ،

ومحبة للخير وأهله ، وان يختار المهدي وفقه الله من خير اهل كل بلدة ، وفقهاء أهل كل مصر أقواما تسكن العامة اليهم اذا ذكروا وتانس الرعية بهم اذا وصفوا ، ثم تسهل لهم عمارة سبل الاحسان ، وفتح باب المعروف كما قد كان فتح له وسهل عليه

قال المهدى صدقت و نصحت ثم بعث فى طلب ابنه موسى . فقال: أى بني انك قد أصبحت لسمت وجوه العامة نصبا ، ولمثني أعطاف الرعية غاية فحسنتك شاملة واساءتك نائية ، وأمرك ظاهر ، فعليك بتقوى الله وطاعته ، فاحتمل سخط الناس فيهما ، ولا تطلب رضاهم بخلافهما ، فان الله عزوجل كافيك من اسخطه عليك يثارك رضاه ، وليس بكافيك من يسخطه عليك ايثارك رضا من سواه

ثم اعلم ان لله تعالى فى كل زمان فترة من رسله ، و بقايا من صفوة خلقه ، وخبايا لنصرة حقه ، يجدد حبل الاسلام بدعواهم ، و يشيد أركان الدين بنصرتهم ، و يتخذ لاولياء دينه أنصارا ، وعلى اقامة عدله أعوانا ، يسدون الخلل ، و يقيمون الميل ، ويدفعون عن الارض الفساد ، وان أهل خراسان أصبحوا أيدى دولتنا ، وسيوف دعوتنا ، الذين نستدفع المكاره بطاعتهم ، ونستصرف نزول العظائم بمناصحتهم ، وندافع ريب الزمان بعزائمهم ، ونزاحم ركن الدهر ببصائرهم فهم عماد الارض اذا أرجفت كنفها ، وخوف الاعداء ، اذا برزت صفحتها ، وحصون الرعية اذا تضايقت الحال بها ، قد مضت لهم وقائع صادقات ، ومواطن صالحات ، اخمدت نيران الفتن ، وقصمت دواعى البدع ، واذلت رقاب الجبارين ولم ينفكوا كذلك ماجروا مع ريح دولتنا ، واقاموا فى ظل دعوتنا ، واعتصموا بحبل طاعتنا ، التى اعزالله بها ذاتهم ، ورفع بها ضعتهم ، وجعلهم بها ، اربابا فى أقطار الارض ، وملوكا على رقاب العالمين ، بعد لباس الذل ، وقناع الخوف واطباق البلاء ، ومخالفة الاسى ، وجهد الباس والضر ، فظاهر عليهم لباس كرامتك وانزلهم فى حدائق نعمتك ، ثم اعرف لهم حق طاعتهم ، ووسيلة دالتهم ، وماتة سابقتهم ، وحرمة مناصحتهم ، بالاحسان اليهم ، والتوسعة عليهم ، والاثابة لمحسنهم ، والاقالة لمسيئهم . أي بني : ثم عليك العامة فاستدع رضاها بالعدل عليها ، واستجلب مودتها بالانصاف لها ، وتحسن بذلك لربك وتوثق به فى اعين رعيتك ، واجعل عمال العذر ، وولاة الحجج مقدمة بين يدى عملك ، ونصفة منك لرعيتك ، وذلك أن تامر قاضى كل بلد وخيار أهل كل مصر ان يختاروا لانفسهم رجلا توليه امرهم ، وتجعل العدل حاكما بينه و بينهم ، فان احسن حمدت ، وان اساء عذرت ،

هؤلاء عمال العذر وولاة الحجج ، فلا يسقطن عليك ما فى ذلك اذا انتشر فى الآفاق ، وسبق الى الاسماع ، من انعقاد ألسنة المرجفين ، وكبت قلوب الحاسدين ، واطفاء نيران الحروب ، وسلامة عواقب الامور ، ولا ينفكن فى ظل كرامتك نازلا ، وبعراحبلك متعلقا ، رجلان احدهما كريمة من كرائم رجالات العرب ، وأعلام بيوتات الشرف ، له أدب فاضل وحلم راجح ، ودين صحيح ، والآخر له دين غير مغمور ، وموضع غير مدخول ، بصير بتقليب الكلام وتصريف الرأى وانحاء العرب ووضع الكتب عالم بحالات الحروب وتصاريف الخطوب يضع آدابا نافعة وآثارا باقية من محاسنك وتحسين أمرك ، وتحلية ذكرك ، تستشيره فى حربك وتدخله فى أمرك ، فرجل أصبته كذلك فهو يأوى الى محلى ، ويرعى فى خضرة جنانى ، ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان ، وخيار الامصار ، أقواما يكونون جيرانك وسمارك ، وأهل مشاورتك فيما تورد ، وأصحاب مناظرتك فيما تصدر ، فسر على بركة الله أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلا يهدى الى الصواب قلبك ، وهاديا ينطق بالخير لسانك ، وكتب فى شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد :

١٦ — باب فى مداراة العدو — فى كتاب للهند : ان العدوّ الشديد الذى لا تقوى له ترد بأسه عنك بمثل الخشوع والخضوع له كما أن الحشيش انما يسلم من الريح العاصفة بلينه وانثنائه معها . وقالوا : ازفن للقرد فى دولته . وقال : أحمد بن يوسف الكاتب اذا لم تقدر أن تعض يد عدوك فقبلها . وقال سابق البلوى :

وداهن اذا ما خفت يوما مسلطا * عليك وان يحتال من لا يداهن

وقالت الحكماء : رأس العقل مناهضة الفرصة عند امكانها والانصراف عما لا سبيل اليه كما قيل :

بلاء ليس يشبهه بلاء * عداوة غير ذي حسب ودين
يبيحك منه عرضا لم يصنه * ويرتع منك فى عرض مصون

١٧ — التحفظ من العدو وان أبدى لك المودة — قالت الحكماء : احذر الموتور ولا تطمئن اليه وكن أشد ما تكون حذرا منه الطف ما يكون مداخلة لك فانما السلامة من العدو بتباعدك منه وانقباضك عنه وعند الانس اليه والثقة تمكنه من مقاتلك . وقالوا : لا تطمئن

الى العدوّ وان أبدى لك المقاربة وان بسط لك وجهه وخفض لك جناحه فانه يتربص بك الدوائر ويضمر لك الغوائل . ولا يرتجى صلاحا الا فى فسادك ولا رفعة الا بسقوط جاهك كما قال الاخطل :

بني امية انى ناصح لكم * فلا يبيتن فيكم آمنا زفر
واتخذوه عدوا ان شاهده * وماتغيب من أخلاقه دغر
ان الضغينة تلقاها وان قدمت * كالعر يكمن حينا ثم ينتشر

وفى كتاب الهند : الحازم يحذر عدوه على كل حال ، يحذر المواثبة ان قرب ، والمغاورة ان بعد والكمين ان انكشف ، والاستطراد ان ولى ، والكرة ان فر . وأوصى بعض الحكماء ملكا . فقال : لا يكونن العدوّ الذى كشف لك عن عداوته ، باخوف عندك من الظنين الذى يستترلك بمخاتلته ، فانه ربما تخوف الرجل السم الذى هو أقتل الاشياء ، وقتله الماء الذى هو محيي الاشياء ، وربما تخوف أن تقتله الملوك التى تملكه ، ثم تقتله العبيد التي يملكها ، ولم يقل أحد فى العدو المندمل العداوة مثل قول الاخطل :

ان الضغينة تلقاها وان قدمت * كالعر يكمن حينا ثم ينتشر

وقد اشار : الحسن بن هانيء الى هذا المعنى فاجاد حيث يقول :

وابن عم لا يكاشفنا * قد لبسناه على غمره
كمن الشنآن فيه لنا * ككمون النار فى حجره

وشبهوا العدوّ اذا كان هذا فعله بالحية المطرقة . قال ابن أخت تأبط شرا :

مطرق يرشح موتا كما أطـــرق أفعى تنفث السم صل

وقال : عبد الله بن الزبير لمعاوية . ويقال : معاوية قالها لعبد الله بن الزبير مالى أراك تطرق اطراق الافعوان فى اصول الشجر . وفى كتاب الهند : اذا أحدث لك العدو صداقة لعلة ألجأته اليك فمع ذهاب العلة رجوع العداوة كالماء تسخنه فاذا أمسكت عنه عاد الى أصله باردا والشجرة المرة لو طليتها بالعسل لم تثمر الا مرا . وقال دريد .

وما تخفى الضغينة حيث كانت * ولا النظر المريض من الصحيح

وقال زهير :

ومالك فى صديق أو عدو * تخبرك العيون عن القلوب

وقيل لزياد : ما السرور . قال : من طال عمره ، حتى يرى فى عدوه ما يسره ، :

١٨ — باب من أخبار الازارقة — كان أول من خرج من الخوارج بعد علي رضى الله عنه : حرثرة الاقطع فانه خرج الى النخيلة واجتمع اليه جماعة من الخوارج ومعاوية بالكوفة قد بايعه الحسن والحسين وقيس بن سعد بن ضبابة ثم خرج الحسين يريد المدينة فوجد اليه معاوية وقد تجاوز فى طريقه يساله أن يكون المتولى لحاربتهم . فقال: الحسين والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين وما أحسب ذلك يسعني فكيف أن أقاتل قوما أنت أولى بالقتال منهم . فلما رجع الجواب : وجه اليهم جيشاً أكثره أهل الكوفة . ثم قال لابى حوثرة : تقدم فاكفني أمر ابنك فسار اليه أبوه فدعاه الى الرجوع فابى فاداره فصمم . فقال له ، أي بني أجيئك بابنك لعلك تراه فتحن اليه . فقال له : ياأبت أنا والله الى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق مني الى ابني : فرجع الى معاوية . فاخبره . فقال : ياأبا حوثرة حازهذا احداً فلما نظر الى أهل الكوفة قال : ياأعداء الله أنتم بالامس تقاتلون معاوية لتهدموا سلطانه واليوم تقاتلون معه لتشدوا سلطانه ثم جعل يتشدد عليهم . و يقول ،

احمل على هذه الجموع حوثره ※ فعن قريب ستنال المغفره

فحمل عليه رجل من طيء . فقتله فرأي اثر السجود قد لوح جبهته فندم على قتله

وكان مرداس أبو بلال : قد شهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنكر التحكيم وشهد النهروان ونجا فيمن نجا . فلما خرج من حبس ابن زياد ورأي شدة الطلب للشراة عزم على الخروج . فقال : لاصحابه انه والله مايسعنا المقام مع هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفضل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف واخافة السبيل لشديد ولكنا نشد عليهم ولا نجرد سيفنا ولا نقاتل الامن قاتلنا . فاجتمع اليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلا منهم حريث بن حجل وكهمس بن طلق . فارادوا أن يولوا أمرهم حريثا فابى . فولوا أمرهم مرداسا فلما مضى باصحابه لقيهم عبد الله بن رباح الانصارى وكان له صديقا . فقال له ياابن أخي أين تريد . فقال : أريد أهرب بديني ودين أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة . قال : أعلم أحد بكم . قال : لا . قال : فارجع . قال : أوتخاف على مكروها فاني لا أجرد سيفاً ولا أخيف أحداً ولا أقاتل الامن قاتلني ثم مضي حتى نزل آسك . فمر به مال يحمل الى ابن زياد وقد بلغ أصحابه الاربعين فحط ذلك المال فاخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه وترك ما بقي . وقال : قولوا لصاحبكم

انما أخذنا أعطياتنا . فقال له : أصحابه لماذا تترك الباقي . قال : انهم يقيمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا تقاتلوهم ماداموا على الصلاة . فوجه : اليهم ابن زياد أسلم بن زرعة الكلابي في ألفين . فلما وصل اليهم . قال له : مرداس اتق الله يا أسلم فانا لا نريد قتالا ولا نروع أحدا وانما هربنا من الظلم ولا نأخذ من الفيء الا أعطياتنا ولا نقاتل الا من قاتلنا . قال : لا بد من ردكم الى ابن زياد . قال وان أراد قتلنا . قال : وان أراد قتلكم . قال : فتشرك في دمائنا . قال . نعم فشدوا عليه شدة رجل واحد فهزموه وقتلوا أصحابه . ثم وجه اليهم ابن زياد عبادا فقاتلهم يوم الجمعة حتي كان وقت الصلاة . فناداهم ابو بلال يا قوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتي نصلي فوادعوهم . فلما دخلوا في الصلاة شدوا عليهم فقتلوهم وهم بين راكع وساجد وقائم في الصلاة وقاعد . فقال عمران بن حطان يرثي أبا بلال:

يا عين ابكي لمرداس ومصرعه * يا رب مرداس اجعلني كمرداس
أبقيتني هائما أبكي لمرزأتي * في منزل موحش من بعد ايناس
أنكرت بعدك ماقد كنت أعرفه * ماالناس بعدك يامرداس بالناس
أما شربت بكاس دار أولها * على القرون فذاقوا جرعة الكاس

وليس في الفرق كلهم أشد بصائر من الخوارج ولا أشد اجتهادا ولا أوطن نفسا على الموت منهم . منهم الذي طعن فانفذه الرمح فجعل يسعى الى قاتله . ويقول : عجلت اليك رب لترضى . ولما مالت الخوارج الى أصبهان حاصرت بها عتاب بن ورقاء سبعة أشهر يقاتلهم في كل يوم فيناديهم

يا ابن بني الماخور والاشرار * كيف ترون يا كلاب النار
شد أبي هريرة الهرار * يهدكم بالليل والنهار

— وهو من الرحمن في جوار —

فتعاظمهم ذلك . فكمن له عبيدة بن هلال فضربه واحتمله اصحابه فظنت الخوارج انه قد قتل فكانوا اذا تواقفوا ينادونهم مافعل الهرار . فيقولون : مابه من باس حتى أبل من علته فخرج اليهم . فقال : يا أعداء الله أترون بي باسا . فصاحوا به قد كنا نرى انك لحقت بامك الهاوية في النار الحامية . فلما طال الحصار على عتاب قال لاصحابه : ماتنتظرون انكم والله ما تؤتون من قلة وانكم فرسان عشائركم ولقد حاربتموهم مرارا فانصفتم منهم وما بقي من هذا الحصار الا ان

تفني ذخائركم فيموت أحدكم فيدفنه صاحبه ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه . فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل ضعف أحدكم أن يمشي الى قرنه . فلما أصبح صلى بهم الصبح . ثم خرج الى الخوارج وهم غارون وقد نصب لواء لجارية يقال لها ياسمين . فقال : من أراد البغاء فليلحق بلواء ياسمين ومن أراد الجهاد فليلحق بلوائي . قال : فخرج في ألفين وسبعمائة فارس . فلم تشعر بهم الخوارج حتى غشوهم فقاتلوهم بجد لم تر الخوارج مثله . فقتلوا أميرهم الزبير بن على وانهزمت الخوارج . فلم يتبعهم عتاب بن ورقاء

وخرج قريس بن مرة وزحاف الطائى وكانا مجتهدين بالبصرة فى أيام زياد فاستعفى الناس . فلقوا اشيخا من بني ضبيعة فقتلوه وتمادى الناس . فخرج رجل من قطيفة بالسيف فناداه الناس من بعض البيوت الحرورية أنج بنفسك . فنادوه لسنا حرورية استكن فوثب فقتلوه . وبلغ أبا بلال خبرها وكان على دين الخوارج الا أنه كان لا يرى اعتراض الناس فقال قريس لا قرب الله خيره . وزحاف لا عفا الله عنه فلقد ركبا عشواء مظلمة . ثم جعلا لا يمران بقبيلة الا قتلا من وجدا فيها حتى مرا على بني سور من الازد وكانوا رماة وكان فيهم مائة يجيدون الرمي فرموه رميا شديدا فصاحوا يا بني سور البقيا الادماء بيننا . فقال : رجل منهم لا شيء للقوم عندنا سوى السهام مشحوذة فى الظلام فهربت عنهم الخوارج فاستقروا في مقبرة بني يشكر حتى خرجوا الى المدينه واستقبلهم الناس فقتلوا عن آخرهم ثم عاد الناس الي زياد . فقال . الا ينهي كل قوم سفهاءهم فكانت القبائل اذا أحست بخارجي فيهم أوثقوه وأتوا به زيادا فمنهم من يحبسه ومنهم من يقتله

ولزياد أخري فى الخوارج أنه أتي بامرأة منهم فقتلها ثم عراها فلم تخرج النساء الا بعد زياد وكن اذا أرغمن على الخروج قلن لولا التعرية لسارعنا .

ومن مشاهير فرسان الخوارج عمرو القنا من بنى سعد بن زيد مناة وعبيدة بن هلال من بني يشكر بن بكر بن وائل وهو الذى طعن صاحب المهلب فى فخذه فشبكها مع السرج وهما اللذان يقول فيهما المنجب السدوسى من فرسان المهلب . وكان قال له مولاه الجلاح وددت أنا فضضنا عسكرهم فاستلب منه جاريتين احداهما لك والاخري لى :

اجلاح انك لن تعانق طفلة ❊ شرقا بها الجاري كالتمثالى
حتى تعانق فى الكتيبة معلما ❊ عمرو القنا وعبيدة بن هلال
وترى المقعطر فى الكتيبة معلما ❊ فى عصبة يسطو مع الضلال

والمقعطر من مشاهير فرسانهم . وقطرى أنجدهم قاطبة وصالح بن مخراق من بهمهم وكذلك سعد الطلائع

ولما اختلف أمر الخوارج وانحاز قطري فيمن معه وبقى عبدربه . قال : المهلب لاصحابه ان الله تعالى قد أراحكم من أقران أربعة قطرى بن الفجاءة . وصالح بن مخراق . وعبيدة بن هلال . وسعد الطلائع . وانما بين أيديكم عبدربه فى حثارة من حثار الشيطان . وكانت الخوارج تقاتل على السوط يؤخذ منها والعلق الخسيس أشد قتالا . وسقط فى بعض أيامهم رمح لرجل من مراد من الخوارج فقاتلوا عليه حتي كثر الجراح والقتل وذلك مع المغرب والمرادى يرتجز

الليل ليل فيه ويل ويل * وسال بالقوم المراة السيل * ان جاز للاعداء فينا اقول

وتفرقت مقالة الخوارج على أربعة أضرب . فقال نافع بن الازرق : باستعراض الناس والبراءة من عثمان وعلى وطلحة والزبير واستحلال الامانة وقتل الاطفال . وقال ابو بيهس هضيم بن جابر الضبعي : ان اعداءنا كاعداء الرسول يحل لنا المقام فيهم كما اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام المسلمون بين المشركين . وقال عبد الله بن أباض : لا نقول فيمن خالفنا انه مشرك لان معهم التوحيد والاقرار بالكتاب والرسول وانماهم كفار للنعم ومواريثهم ومناكحهم والاقامة معهم حل ودعوة الاسلام تجمعهم . وقالت الصفرية : بقول عبد الله بن أباض ورأت القعود حتي صار عامتهم قعدا وانما سموا صفرية لاصفرار وجوههم . وقيل : لانهم اصحاب ابن الصفار

٣

فرش كتاب الزبرجدة فى الاجواد والاصفاد

قال الفقيه ابو عمر أحمد بن محمد بن عبدربه تغمده الله برحمته : قد مضى قولنا فى الحروب وما يدخلها من النقص والكمال وتقدم الرجال علي منازلهم من الصبر والجلد والعدة والعدد ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الاجواد والاصفاد اذ كان أشرف ملابس الدنيا وازين حللها الحمد وادفعها لذم واسترها لعيب كرم طبيعة يتحلي بها السمع الدرى والجواد السخى ولو لم يكن فى الكرم الا انه صفة من صفات الله تعالى تسمي بها فهو الكريم عز وجل . ومن كان

كريما من خلقه فقد تسمي باسمه واحتذى على صفته . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه . وفي الحديث المأثور : الخلق عيال الله فاحب الخلق الى الله أنفعهم لعياله . وقال : الحسن والحسين لعبدالله بن جعفر انك قد أسرفت في بذل المال . قال : بابي وأمي أنتما ان الله قد عودني أن يتفضل عليّ وعودته أن أتفضل على عباده فاخاف أن أقطع العادة فيقطع عني . وقال : المامون لمحمد بن عبادة المهلبي أنت متلاف . قال : منع الجود سوء الظن بالمعبود يقول الله عز وجل « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا

١ — مدح الكرم وذم البخل — قال النبي صلى الله عليه وسلم : اصطناع المعروف يقي مصارع السوء . وقال عليه الصلاة والسلام : ان الله يحب الجود ومكارم الاخلاق و يبغض سفسافها . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقوم من العرب من سيدكم . قالوا : الحر بن قيس على بخل فيه . فقال صلى الله عليه وسلم : وأى داء أدوأ من البخل . وقال الله تعالى « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » . وقال أكثم بن صيفي حكيم العرب ذللوا أخلاقكم للمطالب وقودوها الى المحامد وعلموها المكارم ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم وصلوا من رغب اليكم وتحلوا بالجود يلبسكم المحبة ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر . أخذه الشاعر فقال :

أمن خوف فقر تعجلته * وأخرت انفاق ماتجمع
فصرت الفقير وأنت الغني * وما كنت تعدو الذى تصنع

وكتب رجل من البخلاء : الى رجل من الاسخياء يامره بالابقاء على نفسه و يخوفه بالفقر فرد عليه « الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا » واني أكره أن اترك امرا قد وقع لامر لعله لا يقع . وكان خالد بن عبدالله القسري يقول على المنبر : أيها الناس عليكم بالمعروف فان الله لا يعدم فاعله جوازيه وما ضعفت الناس عن أدائه قوى الله على جزائه . وأخذه من قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

وأخذه الحطيئة من بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى فيما انزله على داود عليه السلام من يفعل الخير يجده عندي لا يذهب العرف بيني وبين عبدي . وكان سعيد بن العاص يقول

على المنبر من رزقه الله رزقا حسنا فلينفق منه سرا وجهرا حتى يكون اسعد الناس به . فانما يترك ما ترك لاحد رجلين اما لمصلح فلا يقل عليه شيء واما المفسد فلا يبقى له شيء . أخذه الشاعر . فقال :

اسعد بمالك فى الحياة فانما * يبقي خلافك مصلح أو مفسد
فاذا جمعت لمفسد لم يغنه * وأخو الصلاح قليله يتزيد

وقال أبوذر : ان لك فى مالك شريكين الحدثان والوارث فان استطعت أن لا تكون ابخس الشركاء حظا فافعل . وقال بزرجمهر الفارسي : اذا أقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تبقى اخذ الشاعر هذا المعنى . فقال :

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
وان تولت فاحرى ان تجود بها * فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف

وكان كسري يقول : عليكم باهل السخاء و الشجاعة فانهم أهل حسن الظن بالله ولو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضر بخلهم ومذمة الناس لهم واطباق القلوب على بغضهم الا سوء ظنهم بربهم فى الخلف لكان عظيما . وأخذ هذا المعني محمود الوراق فقال :

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا * والبخل من سوء ظن المرء بالله

محمد بن يزيد بن عمر بن عبد العزيز . قال : خرجت مع موسى الهادى أمير المؤمنين من جرجان . فقال لى اما أن تحملني واما ان احملك . ففهمت ما اراد فانشدته أبيات ابن صرحة الانصاري :

أوصيكم بالله أول وهلة * وأحسابكم والبر بالله أول *
وان قومكم سادوا فلا تحسدوهم * وان كنتم اهل السيادة فاعدلوا
وان أنتم اعوزتمو فتعففوا * وان كان فضل المال فيكم فافضلوا

فامرلى بعشرين الفا . وقال : عبدالله بن عباس سادات الناس فى الدنيا الاسخياء وفى الآخرة الاتقياء . وقال : ابو مسلم الخولانى ماشيء احسن من المعروف الا ثوابه وما كل من قدر على المعروف كانت له نية فاذا اجتمعت القدرة والنية تمت السعادة وأنشد :

ان المكارم كلها حسن * والبذل أحسن ذلك الحسن
كم عارف بي لست اعرفه * ومخبر عني ولم يرني

ياتيهم خبري وان بعدت * داري وبوعد عنهم وطني
اني لحر المـــال ممتهـــن * ولحر عرضي غـير ممتهن

وقال . خالد بن عبدالله القسري : من أصابه عراب مركبي فقد وجب على شكره . وقال : عمرو بن العـاصى والله لرجل ذكرني ينـام على شقـه مرة وعلى شقـه أخرى يراني موضعا لحاجته لاوجب على حقا اذا سالنيها مني اذا قضيتها له . وقال : عبـدالعزيز بن مروان اذا أمكنني الرجل من نفسه حتى أضع معـروفى عنده فيده عندى أعظم من يدى عنده . وأنشد لابن عبـاس رضى الله تعـالى عنهما :

اذا طارقات الهم ضاجعت الفتى * وأعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكرنى فى حاجة لم يجـد لها * سواى ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجت بمـالى همه عن خناقه * وزاوله الهم الطروق المساور
وكان له فضـل علىّ بظنه * بى الخـيرانى للذى ظن شاكر

وقيل لابي عقيل البليغ العراقى : كيف رأيت مروان بن الحكم عبد طلب الحاجة اليه . قال: رأيت رغبته فى الانعـام فوق رغبته فى الشكر وحاجته الى قضاء الحاجة أشد من حاجـة صاحب الحاجة . وقال : زياد كفى بالبخل عارا ان اسمه لم يقع فى حمد قط وكفى بالجود مجدا ان اسمه لم يقع فى ذم قط . وقال آخر

ألاترانى وقـد قطعتني عـذلا * ماذا من الفضل بين البخل والجود
ألا يكـن ورق يوما أراح به * للخـابطين فانى لـين العود
لايعدم السائلون الخير أفعله * اما نوالا واماحسن مردود

قوله ألا يكن ورق : يريد المال وضربه مثلا . ويقال : أتى فلان يختبط ماعنده والاختباط ضرب الشجر ليسقط الورق لتاكله السا ئمة فجعل طالب الرزق مثل الخابط . وقالت أسماء بنت خارجة : ما أحب ان أرد أحدا فى حاجة طلبهـا لانه لايخـلو أن يكـون كريما فاصون له عرضه أولئيما فاصـون عرضي عنـه . وقال ارسطاطاليس : من انتجعك من بلاده فقد ابتدأك بحسن الظن بك والثقة بما عندك :

٢ — الترغيب في حسن الثناء واصـطناع المعروف — قال النبي صلى الله عليه وسلم : اذا أردتم أن تعلموا ماللعبد عند ربه فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء . وكتب عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه الى أبي موسى الاشعرى : اعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس . واعلم أن مالك عند الله مثل ما للناس عندك . وقيل لبعض الحكماء : ما أفادك الدهر . قال العلم به . قيل : فما أحمد الاشياء . قال : أن تبقى للانسان أحدوثة حسنة . وقال بعض أهل التفسير فى قول الله تعالى « واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » انه أراد حسن الثناء من بعده وقال : أكثم بن صيفى انما أنتم أخبار فطيبوا أخباركم . أخذ هذا المعني حبيب الطائى . فقال :

وما ابن آدم الا ذكر صالحة * أو ذكر سيئة يسري بها الكلم
أما سمعت بدهر باد أمته * جاءت باخبارها من بعدها أمم

وقالوا : الايام مزارع فما زرعت فيها حصدته . ومن قولنا : فى هذا المعني وغيره من مكارم الاخلاق :

يامن تجلد للزما * ن أما زمانك منك أجلد
سلط نهاك على هوا * ك وعد يومك ليس من غد
ان الحياة مزارع * فازرع بها ما شئت تحصد
والناس لا يبقي سوى * آثارهم والعين تفقد
أوما سمعت بمن مضي * هذا يذم وذاك يحمد
المال ان أصلحته * يصلح وان أفسدت يفسد

وقال الاحنف بن قيس : ما ادخرت الآباء للابناء ولا أبقت الموتى للاحياء شيا أفضل من اصطناع المعروف عند ذوى الاحساب . وقالوا ترتيب المعروف أولى من اصطناعه لان اصطناعه نافلة وترتيبه فريضة . وقالوا : احي معروفك باماتة ذكره وعظمه بالتصغير له وقالت الحكماء : من تمام كرم المنعم التغافل عن حجته والاقرار بالفضيلة لشاكر نعمته وقالوا للمعروف خصال ثلاث تعجيله وتيسيره وتستيره فمن أخل بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه وسقط عنه الشكر . وقيل لمعاوية : أى الناس احب اليك . قال : من كانت له عندى يد صالحة . قيل : فان لم تكن له . قال : فمن كانت لى عنده يد صالحة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فان لم يقم بتلك المؤنة عرض النعمة للزوال ابن المبارك : عن حميد عن الحسن . قال : لان أقضى حاجة لاخ لى احب الى من عبادة سنة وقال ابراهيم بن السندى قلت لرجل من اهل الكوفة من وجوه اهلها كان لا يجف لبده ولا يستريح

قلبه ولا تسكن حركته فى طلب حوائج الرجال وادخال المرافق على الضعفاء . فقلت : له أخبرنى عن الحالة التى خففت عليك النصب وهونت عليك التعب فى القيام بحوائج الناس ماهى . قال : قد والله سمعت تغريد الطير بالاسحار فى فروع الاشجار وسمعت خفق أوتار العيدان وترجيع أصوات القيان فما طربت من صوت قط طربى من ثناء حسن بلسان حسن على رجل قد أحسن ومن شكر حر لمنعم حر ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر . قال : ابراهيم فقلت لله أبوك لقد حشيت كرما . اسمعيل بن مسرور : عن جعفر بن محمد . قال : ان الله خلق خلقا من رحمته برحمته لرحمته وهم الذين يقضون الحوائج للناس فمن استطاع منكم ان يكون منهم فليكن

٣ — الجود مع الاقلال — قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن الانصار « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » . وقال : النبى صلى الله عليه وسلم أفضل العطية ما كان من معسر الى معسر . وقال عليه الصلاة والسلام : أفضل العطية جهد المقل . وقالت الحكماء : القليل من القليل أحمد من الكثير الى الكثير . أخذ هذا المعنى حبيب فنظمه فى أبيات كتب بها الى الحسن بن وهب الكاتب وأهدى اليه قلما

قد بعثنا اليك أكرمك الله بشيء فكن له ذا قبول
لا تقسه الى جدا كفك الغرا ولا نيلك الكثير الجزيل
واستجز قلة الهدية مني * ان جهد المقل غير القليل

وقالوا : جهد المقل أفضل من غنى المكثر . وقال صريع الغوانى :

ليس السماح لمكثر في قومه * لكن لمقتر قومه المتجمد

وقال ابو هريرة : ماوددت ان أحداولدتني أمه الا أم جعفر بن ابى طالب تبعته ذات يوم وأنا جائع فلما بلغ الباب التفت فرآنى . فقال لى : ادخل فدخلت ففكر حينا فما وجد فى بيته شيا الا نحيا كان فيه سمن مرة فانزله من رف لهم فشقه بين ايدينا فجعلنا نلعق ما كان فيه من السمن والزيت وهو يقول :

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد

وقيل لبعض الحكماء : من اجود الناس ؟ قال : من جاد من قلة وصان وجه السائل عن المذلة . وقال حماد عجرد :

أبرق بخير تؤمل للجزيل فما * ترجى الثمار اذا لم يورق العود

بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ماسد فقرا فهو محمود
وللبخيل على أمواله علل * زرق العيون عليها أوجه سود

وقال حاتم :

أضاحك ضيفي قبل انزال رحله * ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للاضياف أن يكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

وقال عبد الملك بن مروان : ما كنت أحب ان أحدا ولدني من العرب الا عروة بن الورد لقوله :

أتهزأ مني ان سمنت وأن ترى * بجسمي مس الحق والحق جاهد
لاني امرؤ عافي انائي شركة * وأنت امرؤ عافي انائك واحد
أقسم جسمي في جسوم كثيرة * وأحسو قراح الماء والماء بارد

ومن أحسن ماقيل في الجود مع الاقلال قول صريع :

فلو لم يكن في كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله

ومن افرط ماقيل في الجود . قول بكر بن النطاح :

أقول لمرتاد الندى عند مالك * تمسك بجدوى مالك وصلاته
فتي جمل الدنيا وقاء لعرضه * فاسدي بها المعروف قبل عداته
فلو خذلت أمواله جود كفه * لقاسم من يرجوه شطر حياته
وان لم يجز في العمر قسم لمالك * وجاز له أعطاه من حسناته
وجاد بها من غير كفر بربه * وأشركه في صومه وصلاته

وقال آخر في هذا المعنى وأحسن :

ملأت يدي من الدنيا مرارا * وماطمع العواذل في اقتصادي
ولا وجبت على زكاة مال * وهل تجب الزكاة على الجواد

٤ — العطية قبل السؤال — قال سعد بن العاصي : قبح الله المعروف ان لم يكن ابتداء من غير مسئلة فالمعروف عوض عن مسئلة الرجل اذا بذل وجهه فقلبه خائف ، وفرائصه ترعد ، وجبينه يرشح ، لا يدرى أيرجع بنجح الطلب ، أم بسوء المنقلب ، قد انتقع لونه ، وذهب دم وجهه . اللهم فان كانت الدنيا لها عندي حظ فلا تجعل لي حظا في الآخرة . وقال أكثم بن صيفي : كل سؤال وان قل أكثر من كل نوال وان جل . وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه

لاصحابه : من كانت له الى منكم حاجة فليرفعها فى كتاب لاصون وجوهكم عن المسئلة ، حبيب :

عطاؤك لايفني ويستغرق الثنا * ونبقى وجوه الراغبين بمائها

وقال حبيب أيضاً :

ذلّ السؤال شجا فى الحلق معترض * من دونه شرق من خلفه جرض
ماماء كفك ان جادت وان بخلت * من ماء وجهى اذا أفنيته عوض
انى بايسر ما أدنيت منبسط * كما بايسر ما أقصيت منقبض

وقالوا : من بذل اليك وجهه فقد وفاك عن نعمتك ، وقالوا : أكمل الخصال ثلاثة ، وقار بلا مهابة ، وسماح بلا طلب مكافاة ، وحلم بغير ذل . وقالوا : السخى من كان مسرورا ببذله ، متبرعا بعطائه ، لا يلتمس عرض دنيا فيحبط عمله ، ولا طلب مكافاة فيسقط شكره ، ويكون مثله فيما أعطي ، مثل الصائد الذي يلقي الحب للطائر لا يريد نفعها ولكن نفع نفسه . نظر المنذر بن أبي سيرة : الى أبي الاسود الدؤلى وعليه قميص مرقوع . فقال له : ما أصبرك على هذا القميص . فقال له : رب مملوك لا يستطاع فراقه فبعث اليه بتخت من ثياب . فقال أبو الاسود :

كساني ولم استكسه فحمدته * أخ لك يعطيك الجزيل وناصر
وان أحق الناس ان كنت شاكرا * بشكرك من أعطاك والعرض وافر

وسال معاوية صعصعة بن صوحان : ما الجود ؟ فقال : التبرع بالمال والعطية قبل السؤال . ومن قولنا فى هذا المعنى ،

كريم على العلات جزل عطاؤه * ينيل وان لم يعتمد لنوال
وما الجود من يعطي اذا ما سالته * ولكن من يعطى بغير سؤال

وقال بشار العقيلي :

مالكي تنشق عن وجهه الحر * ب كما انشقت الدجا عن ضياء
لنجاخ السماء فيض يديه * لقريب ونازح الدار ناء
ليس يعطيك للرجاء وللخو * ف ولكن يلذ طعم العطاء
لا ولا أن يقال شيمته الجو * د ولكن طبائع الآباء

وقال آخر :

ان بين السؤال والاعتذار * خطة صعبة على الاحرار

وقال حبيب :

لئن جحدتك ما أوليت من نعم * اني لفى اللؤم أمضى منك فى الكرم
أنسي ابتسامك والالوان كاسفة * تبسم الصبح فى داج من الظلم
رددت رونق وجهى فى صحيفته * رد الصقال بهاء الصارم الخدم
وما أبالى وخير القول أصدقه * حقنت لى ماء وجهى أو حقنت دمى

٥ — استنجاح الحوائج — كانوا يستفتحون حوائجهم بركعتين . يقولون فيهما : اللهم بك أستنجح من الخير ، وباسمك أستفتح ، و بحمد نبيك اليك أتوجه . اللهم ذلل لى صعوبته ، وسهل لى حزونته ، وارزقني من الخير أكثر مما أرجو ، واصرف عني من الشر أكثر مما أخاف . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : استعينوا على حوائجكم بالكتمان لها فان كل ذى نعمة محسود . وقال خالد بن صفوان : لا تطلبوا الحوائج فى غير حينها ، ولا تطلبوها من غير أهلها ، فان الحوائج تطلب بالرجاء ، وتدرك بالقضاء . وقال مفتاح : نجح الحاجة الصبر على طول المدة ، ومعلاقها اعتراض الكسل دونها . قال الشاعر :

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى امر يحاوله * فاستصحب الصبر الا فاز بالظفر

ومن أمثال العرب فى هذا من أدمن قرع الباب يوشك ان يفتح له . أخذ الشاعر هذا المعنى فقال :

لا تياسن وان طالت مطالبة * اذا تضايق أمر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر ان يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب أن يلجا

وقال خالد بن صفوان : فوت الحاجة خير من طلبها الى غير اهلها ، واشد من المصيبة سوء الخلف منها . وقالوا : صاحب الحاجة مبهوت ، وطلب الحوائج كلها تغرير . وقالت الحكماء : لا تطلب حاجتك من كذاب ، فانه يقربها بالقول ، ويبعدها بالفعل ، ولا من أحمق فانه يريد نفعك فيضرك ، ولا من رجل له اكلة من جهة رجل فانه لا يؤثر حاجتك على اكلة . وقال دعبل ابن على الخزاعى :

جئتك مسترفدا بلا سبب * اليك الا بحرمة الادب

فاقض زمامي فانني رجل * غير ملح عليك فى الطلب

وقال : شبيب بن شبة : اني لاعرف أمر الايتلاقي به انسانان لاوجب النجح بينهما . قيل له وما ذاك ؟ قال : العقل فان العاقل لا يسال مالا يمكن ولا يرد عما يمكن . وقال الشاعر :

أتيتك لا أدلي بقربي ولا يد * اليك سوي اني بجودك واثق
فان تولني عرفا أكن لك شاكرا * وان قلت لى عذراً أقل أنت صادق

وقال الحسن بن هاني. :

فان تولنى منك الجميل فاهله * والا فانى عاذر وشكور

وقال آخر :

لعمرك ما أخلقت وجها بذلة * اليك ولا عرضته للمعاير
فتي وفرت أيدي المكارم عرضه * عليه وخلت ماله غير وافر

ودخل محمد بن واسع على بعض الامراء . فقال : أتيتك فى حاجة فان شئت قضيتها وكنا كريمين ، وان شئت لم تقضها وكنا لئيمين ، أراد أن قضيتها كنت أنت كريما بقضائها وكنت أنا كريما بسؤالك اياها لاني وضعت الطلبة فى موضعها . فان لم تقضها كنت أنت لئيما بمنعك وكنت أنا لئيما بسوء اختياري لك . وسرق : حبيب هذا المعني . فقال :

عياش انك للئيم وانني * مذصرت موضع مطلبي للئيم

ودخل سوار القاضى على عبدالله بن طاهر صاحب خراسان . فقال : أصلح الله الامير :

لنا حاجة والعذر فيها مقدم * حقيق بمعناها مضعفة الاجر
فان تقضها فالحمد لله وحده * وان عاق مقدور ففى أوسع العذر

قال له : ماحاجتك أبا عبد الله . قال : كتاب لى ان رأى الامير اكرمه الله أن ينفذه فى خاصته كتب الى موسي بن عبد الملك فى تعجيل أرزاقي . قال : أو غير ذلك أبا عبد الله نعجلها لك من أرزاقنا فاذا وددت مخيرا بين أن تاخذ أو ترد . فانشد سوار يقول :

فبابك أيمن ابوابهم * ودارك ماهولة عامره
وكفك حين ترى المجدي * ن أندي من الليلة الماطره
وكلبك آنس بالمعتفين * من الام بابنتها الزائره

ودخل ابو حازم الاعرج على بعض أهل السلطان . فقال : أتيتك فى حاجة رفعتها الى الله

قبلك ، فان يأذن الله فى قضائها قضيتها وحمدناك ، وان لم يأذن فى قضائها لم تقضها وعذرناك . وفى بعض الحديث : اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه . اخذه : الطائي فنظمه في شعره فقال :

قد تأولت فيك قول رسول الله اذ قال مفصحا افصاحا
ان طلبتم حوائجاً عند قوم * فتنقوا لها الوجوه الصباحا
فلعمري لقد تنقيت وجها * مابه خاب من أراد النجاحا

قال : المنصور لرجل دخل عليه . سل حاجتك . قال : يبقيك الله ياأمير المؤمنين . قال : سل حاجتك فانك لست تقدر على هذا المقام فى كل حين : والله ياأمير المؤمنين ماأستقصر عمرك ، ولا اخاف بخلك ، وانما عطاؤك لشرف ، وان سؤالك لزين ، وما بامرىء بذل اليك وجهه نقص ولا شين . فوصله واحسن اليه :

٦ — استنجاز الموعد — من امثالهم فى هذا أنجز حر ما وعد . وقالوا : وعد الكريم نقد ، ووعد اللئيم تسويف . وقال : الزهري حقيق على من أورق بوعدان يثمر بفعل . وقال المغيرة : من أخر حاجة فقد ضمنها . وقال المو بذ ان الفارسى ، الوعد السحابة والانجاز المطر . وقال غيره : المواعيد رؤوس الحوائج والانجاز ابدانها . وقال عبدالله بن عمر : خلف الوعد ثلث النفاق ، وصدق الوعد ثلث الايمان ، وماظنك بشىء جعله الله مدحة فى كتابه ، وفخراً لانبيائه ، فقال تعالى « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد » وذكر جبار بن سلمى : عامر بن الطفيل . فقال : كان والله اذا وعد الخير وفى ، واذا وعد الشر أخلف وهو القائل :

ولا يرهب ابن العم ماعشت صولتي * ويامن منى سطوة المتهدد
واني وان أوعدته أووعدته * ليكذب ايعادى ويصدق موعدي

وقال ابن ابى حاتم ،

اذا قلت فى شيء نعم فأتمه * فان نعم دين على الحر واجب
والافقل لا تسترح وترح بها * لئلا يقول الناس انك كاذب

ولو لم يكن فى خلف الوعد الا قول الله عز وجل « ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون » لكفى . وقال عمر بن الحرث : كانوا يفعلون ولا يقولون . ثم صاروا يقولون ويفعلون ثم صاروا يقولون ولا يفعلون : فزعم انهم ضنوا بالكذب

فضلا عن الصدق . وفى هذا المعنى يقول الحسن بن هانىء :

قال لى ترضى بوعد كاذب * قلت ان لم يك شحم فنفس

ومثله قول الاحنف . و يقال : انها لمسلم بن الوليد صريع الغواني :

ماضر من شغل الفؤاد ببخله * لو كان عللنى بوعد كاذب
صبرا عليك فما أرى لى حيلة * الا التمسك بالرجاء الخائب
سأموت من كمد وتبقى حاجتى * فيما لديك وما لها من طالب

قال : عبد الرحمن بن أم الحكم لعبد الملك بن مروان فى مواعد وعدها اياه فمطله بها . نحن الى الفعل أحوج منا الى القول ، وأنت بالانجاز أولى منك من المطل . واعلم أنك لا تستحق الشكر الا بانجازك ، الوعد واستتمامك المعروف . القاسم بن معن المسعودى . قال قلت لعيسى بن موسى أيها الامير : ما انتفعت بك منذ عرفتك ، ولا أوصلت لى خيرا منذ صحبتك . قال : ألم أكلم لك أمير المؤمنين في كذا وأساله لك كذا . قال : قلت بلى . فهل استنجزت ما وعدت ، واستتممت ما أبدأت . قال : حال من دون ذلك أمور قاطعة ، وأحوال عاذرة . قلت : أيها الامير فما زدت على أن أنبهت العجز من رقدته ، وأثرت الحزن من ربضته ، ان الوعد اذا لم يشفعه انجاز يحققه ، كان كلفظ لا معنى له ، وجسم لا روح فيه . وقال عبد الصمد بن الفضل الرقاشى لخالد بن ديسم عامل الرى :

أخالد ان الرى قد أجحفت بنا * وضاق علينا رحبها ومعاشها
وقد أطمعتنا منك يوما سحابة * أضاءت لنا برقا وأبطا رشاشها
فلا غيمها يصحو فييئس طامعا * ولا ماؤها يأتى فيروي عطاشها

وقال سعيد بن سلم : وعدابي بشارا العقيلى حين مدحه بالقصيدة التي يقول فيها :

ضنت بخد وجلت عن خد * ثم انثنت كالنفس المرتد

فكتب اليه بشار بالغد :

مازال ما منيتني من همي * الوعد غم فاسترح من غمى
* ان لم ترد مدحي فراقب ذمى *

فقال له أبى : يا أبا معاذ هلا استنجحت الحاجة بدون الوعيد فاذ لم تفعل فتربص ثلاثا وثلاثا فاني والله ما رضيت بالوعد حتي سمعت الابرش الكلبي يقول لهشام يا امير المؤمنين لا تصنع الى

معروفا حتى تعدني فانه لم يأتني منك سبب على غير وعد الا هان على قدره وقل مني شكره . قال : له هشام لئن قلت ذلك لقد قاله سيد أهلك ابو مسلم الخولاني ان أوقع المعروف في القلوب ، وأبرده على الاكباد ، معروف منتظر ، بوعد لا يكدره المطل . وكان يحيى بن خالد بن برمك : لا يقضي حاجة الا بوعد . ويقول : من لم يبت على سرور الوعد لم يجد للصنيعة طعما . وقالوا : الخلف ألأم من البخل لانه من لم يفعل المعروف لزمه ذم اللؤم وحده ومن وعد واخلف لزمه ثلاث مذمات ذم اللؤم وذم الخلف وذم الكذب . وقال زياد الاعجم :

لله درك من فتى * لو كنت تفعل ما تقول
لا خير في كذب الجوا * د وحبذا صدق البخيل

استبطا حبيب الطائي الحسن بن وهب في عدة وعدها اياه . فكتب اليه ابياتا يستعجله بها فبعث اليه بالف درهم وكتب اليه

أعجلتنا فاتاك عاجل برنا * قلا ولو اخرته لم يقلل
فخذ القليل وكن كمن لم يسال * ونكون نحن كاننا لم نفعل

وقال عبد الملك بن مالك الخزاعي : دخلت على امير المؤمنين المهدي وعنده بن دأب وهو ينشد قول الشماخ :

وأبيض قد قد السفا رقيصه * يجر الشواء بالعصا غير منضج
دعوت الى ما نابني فاجابني * كريم من الفتيان غير مزلج
فتى يمرىء الساري ويروى سنانه * ويضرب في راس الكمي المدجج
فتي ليس بالراضى بادنى معيشة * ولا في بيوت الحي بالمتولج

فرفع راسه الى المهدي . وقال هذه صفتك يا ابا العباس : فقلت : بك نلتها يا امير المؤمنين قال : فانشدني فانشدته قول السموءل :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
اذا المرء أعيته المروءة يانعا * فمطلبها كهلا عليه ثقيل
تعيرنا انا قليل عدادنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

ونحن أناس لا نرى القتل سبه * اذا مارأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد السيوف نفوسنا * وليست على غير السيوف تسيل
وننكران شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول
فنحن كماء المزن ما فى نصابنا * كهام ولا فينا يعد بخيل *
وأسيافنا فى كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول

فقال أحسنت : اجلس بهذا بلغتم سل حاجتك . قلت : ياأمير المؤمنين تكتب لي في العطاء ثلاثين رجلا من أهلي فرضى . قال : نعم على اذا وعدت . فقلت : ياأمير المؤمنين انك متمكن من العدة و ليس دونك حاجز عن الفعل فما معني من العدة. فنظر الى ابن دأب كانه يريد منه كلاما فى فضل الموعد . فقال ابن دأب :

حلاوة الفعل بوعد ينجز * لا خير فى الفعل كنهب ينهز

فضحك المهدى . وقال :

الفعل أحسن ما يكو * ن اذا تقدمه ضمان

وقال المهلب بن أبي صفرة : لبنيه يابني اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا . وقال الشاعر :

أروح بتسليمي عليك وأغتدى * وحسبك بالتسليم مني تقاضيا

وقال آخر :

كفاك مخبرا وجهى بشاني * وحسبك أن أراك وان تراني
وماظني بان يغيبه أمري * و يعلم حاجتي و يرى مكاني

كتب العتابي : الى بعض أهل السلطان . أما بعد : فان سحاب وعدك قد أبرقت فليكن و بلها سالما من علل المطل والسلام . وكتب الجاحظ : الى رجل وعده . أما بعد : فان شجرة وعدك قد اورقت فليكن ثمرها سالما من جوائح المطل والسلام . وعد عبد الله بن طاهر : دعبلا بغلام فلما طال عليه تصدى له يوما وقد ركب الى باب الخاصة فلما رآه قال أسأت الاقتضاء وجهلت المأخذ ولم تحسن النظر . ونحن أولى بالفضل فلك الغلام والدابة كما تنزل ان شاء الله فاخذ بعنانه

دعبل وأنشده :

ياجواد اللسان من غير فعل * ليت فى راحتيك جود اللسان
عين مهران قد لطمت مرارا * فاتق ذا الجلال فى مهران
عرت عينا فدع لمهران عينا * لا تدعه يطوف فى العميان

قال : فنزل له عن دابته وأمر له بالغلام . وسأل خلف بن خليفة أبان بن الوليد جارية فوعده بها وابطأت عليه فكتب اليه :

ارى حاجتي عند الامير كانها * تهم زمانا عنده بمقام
واحصر من اذكاره ان لقيته * وشدق الحياء ملجم بلجام
اراها اذا كان النهار نسيئة * وبالليل تقضي عند كل منام
فيارب اخرجها فانك مخرج * من الميت حيا مفصحا بكلام
فتعلم ماشكرى اذا ماقضيتها * وكيف صلاتى عندها وصيامي

وكتب ابو العتاهية الى رجل وعده بعدة ومطله بها :

لا جعل الله لى اليك ولا * عندك ماعشت حاجة ابدا
ماجئت فى حاجة اسربها * الا تنا قلت ثم قلت غدا

وكتب دعبل الى رجل وعده وعدا واخلفه :

احسبت ارض الله ضيقة * عني فارض الله لم تضق
وجعلتني فقعا بقرقرة * فوطاتني وطا على حنق
فاذا سالتك حاجة ابدا * فاضرب بها قفلا علي غلق
واعد لى غلا وجامعة * فاجمع يدى بها الى عنق
ماطول الدنيا واوسعها * واذلني بمسالك الطرق

ومن قولنا فى رجل كتب الى بعدة فى صحيفة ومطلني بها :

صحيفة طابعها اللوم * عنوانها بالجهل مختوم
اهدى لها والخلف فى طيها * والمطل والتسويف واللوم
من وجه نحس ومن قربه * رجس ومن عرفانه شوم
لا تهتضم ان بت ضيفاله * فخبزه فى الجوف هاضوم

تكلمه الالحاظ من رقة * فهو بلحظ العين مكلوم
لاتأتدم شيا على أكله * فانه بالجوع مادوم

وقلت فيه :

صحيفة أفنيت ليت بهاوعسى * عنوانها راحة الراجي اذا يئسا
وعدله هاجس في القلب اذ برمت * أحشاء صدري به من طول ماهجسا
براعة غرني منها وميض سنا * حتي مددت اليها الكف مقتبسا
فصادفت حجرا لوكنت تضربه * من لؤمه بعصاموسى لما انبجسا
كانما صيغ من بخل ومن كذب * فكان ذاك له روحا وذا نفسا

وقلت فيه :

رجاء دون أقربه السحاب * ووعد مثل مالمع السراب
وتسويف يكل الصبر عنه * ومطل مايقوم له حساب

٧ — لطيف الاستمناح — قالت الحكماء : لطيف الاستمناح سبب النجاح والانفس ربما انطلقت وانشرحت بلطيف السؤال وانقبضت وامتنعت بجفاء السائل كما قال الشاعر :

وجفوتنى فقطعت عنك فوائدي * كالدر يقطعه جفاء الحالب

وقال العتابي : ان طلبت حاجة الى ذى سلطان فاجمل فى الطلب اليه . واياك والالحاح عليه . فان الحاجة تكلم عرضك . وتريق ماء وجهك فلا تأخذ منه عوضا لما يأخذ منك . ولعل الالحاح يجمع عليك أخلاق ماء الوجه وحرمان النجاح فانه ربما مل المطلوب اليه حتي يستخف بالطالب . وقال الحسن بن هانئ :

تأن مواعيد الكرام فربما * حملت من الالحاح سمحا على بخل

وقال آخر :

ان كنت طالب حاجة فتجمل * فيها بأحسن ماطلبت وأجمل
ان الكريم أخا المروءة والنهي * من ليس فى حاجاته بمثقل

المدائني . قال : قدم قوم من بنى أمية على عبد الملك بن مروان . فقالوا : ياأمير المؤمنين نحن ممن تعرف وحقنا مالا تنكر . وجئناك من بعيد ونمت بقريب ومهما تعطنا فنحن أهله . دخل

عبدالملك بن صالح . فقال : أسالك بالقرابة والخاصة أم بالخلافة والعامة . قال : بل بالقرابة والخاصة . قال : يداك يا أمير المؤمنين أطلق من لساني بالمسئلة فاعطاه وأجزل له . ودخل ابو الريان على عبد الملك بن مروان : وكان عنده اثيرا فرآه خائرا . فقال : يا ابا الريان مالك خائرا . قال : اشكو اليك الشرف يا أمير المؤمنين . قال : كيف ذلك . قال : نسئل مالا نقدر عليه ونعتذر فلا نعذر . قال : عبد الملك ما احسن ما استمنحت واستنورت يا أبا الريان أعطوه كذا وكذا . العتابى قال : كتب الشعبي الى الحجاج بساله حاجة فاعتل عليه فكتب اليه الشعبي والله لا عذرتك وأنت والى العراق وابن عظيم القريتين فقضى حاجته وكان جد الحجاج لامه عروة بن مسعود السقفى . العتبى قال : قدم عبدالله بن زرارة الكلابي على أمير المؤمنين معاوية . فقال : انى لم ازل أهز ذوائب الرحال اليك ، فلم أجد معولا الا عليك ، أمتطي الليل بعد النهار واسم المجاهل بالآثار ، يقودني اليك امل وتسوقني بلوى ، والمجتهد يعذر ، واذا بلغتك فقطني . فقال : احطط عن راحلتك . ودخل : كريز بن زفر بن الحرث على يزيد بن المهلب . فقال : صلح الله الامير انت اعظم من ان يستعان بك ويستعان عليك ولست تفعل من الخير شيا الا وهو يصغر عنك وانت اكبر منه ، ولا العجب ان تفعل ، ولكن العجب ان لا تفعل . قال : سل حاجتك . قال : حملت عن عشيرتي عشر ديات . قال : قد امرت لك بها وشفعتها بمثلها . العتبي عن ابيه قال : أتى رجل الى حاتم الطائى . فقال : انها وقعت بيني وبين قوم ديات فاحتملتها في مالى واملى فقدمت مالى وكنت املى فان تحملها عني فرب هم قد فرجته ، وغم كفيته ، ودين قضيته ، وان حال دون ذلك حائل ، لم اذم يومك ، ولم اياس من غدك ، فحملها عنه . المدائنى : قال : سال رجل خالدا القسرى حاجة فاعتل عليه . فقال : له لقد سالت الامير من غير حاجة . قال : ومادعاك الى ذلك . قال : رأيتك تحب من لك عنده حسن بلاء فاردت أن أتعلق منك بحبل مودة فوصله وحباه وأدني مكانه . الاصمعى قال : دخل أبو بكر الهجرى على المنصور . فقال : يا أمير المؤمنين تعصى فمى وانتم اهل البيت بركة فلو أذنت لى فقبلت رأسك . قال : اختر منها اومن الجائزة . فقال : يا امير المؤمنين ان أهون علىّ من ذهاب درهم من الجائزة ان لا تبقى حاكة فى في . فضحك المنصور وامر له بجائزة . وذكروا : ان جارا لابى دلف ببغداد لزمه كبير دين فادح حتى احتاج الى بيع داره فساوموه بها فسالهم الفى دينار . فقالوا : له ان دارك تساوى خمسمائة قال : وجوارى من ابى دلف بالف وخمسمائة فبلغ أبا دلف فامره بقضاء دينه . وقال : له

لاتبع دارك ولا تنتقل من جوارنا * ووقفت : امرأة على قيس بن سعد بن عبادة . فقالت : أشكو اليك قلة الجرذان . قال : ما أحسن هذه الكناية ، املؤا لها بيتها خبزا ولحما وسمنا . ابراهيم بن أحمد عن الشيباني . قال : كان أبو جعفر المنصور أيام بني أمية اذا دخل دخل مستترا فكان يجلس في حلقة أزهر السمان المحدث فلما أفضت الخلافة اليه قدم عليه أزهر فرحب به وقرّبه . وقال له : ما حاجتك يا أزهر . قال : داري متهدمة وعليّ أربعة آلاف درهم وأريد لو أن ابني محمدا بني بعياله ، فوصله باثني عشر الفا . وقال : قد قضينا حاجتك يا أزهر . فلا تأتنا طالبا فاخذها وارتحل ، فلما كان بعد سنة أتاه فلما رآه أبو جعفر . قال : ما جاء بك يا أزهر . قال : جئتك مسلما . قال : انه يقع في خلد أمير المؤمنين أنك جئت طالبا . قال : ما جئت الا مسلما . قال : قد أمرنا لك باثني عشر الفا واذهب فلا تأتنا طالبا ولا مسلما . فاخذها ومضى فلما كان بعد سنة أتاه . فقال : ما جاء بك يا أزهر . قال : أتيت عائدا . قال : انه يقع في خلدي انك جئت طالبا . قال : ما جئت الا عائدا . قال : قد أمرنا لك باثني عشر الفا ، واذهب فلا تأتنا طالبا ولا مسلما ولا عائدا . فاخذها وانصرف فلما مضت السنة أقبل . فقال : له ما جاء بك يا أزهر . قال : دعاء كنت أسمعك تدعو به يا أمير المؤمنين ، جئت لا كتبه فضحك ابو جعفر . وقال : انه دعاء غير مستجاب وذلك اني قد دعوت الله به أن لا أراك فلم يستجب لي وقد أمرنا لك باثني عشر الفا وتعال متى شئت فقد اعيتني فيك الحيلة * أقبل اعرابي : الي داود بن المهلب . فقال : له اني مدحتك فاستمع . قال : على رسلك ثم دخل بيته وتقلد سيفه وخرج . فقال قل : فان أحسنت حكمناك وان أسأت قتلناك فانشأ يقول :

أمنت بداود وجود يمينه * من الحدث المخشي والبؤس والفقر
فاصبحت لا أخشى بداود نبوة * من الحدثان اذ شددت به أزري
له حكم لقمان وصورة يوسف * وحكم سليمان وعدل أبي بكر
فتى تفرق الاموال من جود كفه * كما يفرق الشيطان من ليلة القدر

فقال : قد حكمناك . فان شئت على قدرك ، وان شئت على قدري . قال : بل على قدري فاعطاه خمسين الفا . فقال له جلساؤه : هلا احتكمت على قدر الامير . قال : لم يك في ماله مايفي بقدره . قال له داود أنت في هذه أشعر منك في شعرك . وأمر له بمثل ما أعطاه * الاصمعي قال : كنت عند الرشيد إذ دخل عليه ابراهيم الموصلي فانشده :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري * فليس الى ما تأمرين سبيلُ
فعالي فعال المكثرين تجملاً * ومالي كما قد تعلمين قليل
فكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى * ورأي أمير المؤمنين جميل

فقال : لله أبيات تأتينا بها ما أحسن أصولها ، وأبين فصولها ، وأقل فضولها ، ياغلام اعطه عشرين الفا . قال : والله لا أخذتُ منها درهما . قال : ولم . قال : لان كلامك والله يا أمير المؤمنين خير من شعري . قال : اعطوه أربعين الفا . قال الاصمعي : فعلمت والله أنه أصيدُ لدراهم الملوك مني * العتبي عن أبيه قال : قدم زيد بن منبه من البصرة على معاوية وهو اخو يعلى بن منبه صاحب الجمل جمل عائشة رضي الله عنها ومتولى تلك الحروب ورأس أهل البصرة . وكانت ابنة يعلى عند عتبة بن أبي سفيان . فلما دخل على معاوية شكا دينه . فقال : يا كعب اعطه ثلاثين الفا . فلما ولى . قال : وليوم الجمل ثلاثين الفا . ثم قال له : الحق بصهرك — يعنى عتبة — فقدم عليه مصر . فقال اني سرت اليك شهرين ، أخوض فيهما المتالفَ . ألبس أردية الليل مرة ، وأخوض في لُجج السراب أخرى . موقرا من حسن الظن بك ، وهاربا من دهر قطمَ ، ومن دين أزم ، بعد غنى جدّعنا به أنوف الحاسدين . فقال عتبة : ان الدهر أعاركم غنىً وخلطكم بنا ثم استرد ما أمكنه أخذُه . وقد أبقى لكم منا مالا ضيعة معه : وأنا رافع يدي ويدك بيد الله . فاعطاه ستين الفا كما أعطاه معاوية * ابراهيم الشيباني قال قال عبد الله بن علي بن سُويد بن منجوف : أعدمَ أبي إعدامة بالبصرة وأبغض . فخرج الى خراسان فلم يصب بها طولا فبينا هو يشكو تعذر الاشياء عليه اذ عدا غلامه على كسوته وبغلته فذهب بهما . فاتى أبا ساسان حضين بن المنذر الرقاشي فشكا اليه حاله . فقال : والله يا ابن أخي ما عمك ممن يحمل محاملك ، ولعلي أن أحتال لك فدعا بكسوة حسنة فالبسني اياها — ثم قال : امض بنا فاتي باب والي خراسان فدخل وتركني بالباب . فلم ألبث أن خرج الحاجب . فقال : أين علي بن سُويد . فدخلت الى الوالي فاذا حضين على فراش جنبه فسلمت على الوالي فرد عليّ — ثم أقبل عليه حضين . فقال : أصلح الله الامير هذا علي بن سويد بن منجوف سيد فتيان بكر بن وائل وابن سيد كهولها . وأكثر الناس مالا حاضرا بالبصرة وفي كل موضع ملكت به بكر بن وائل مالا . وقد تحمل بي الى الامير في حاجة . قال : هي مقضية . قال : فانه يسالك أن تمد يدك من

ماله ومراكبه وسلاحه الى ما أحببت . قال : لا والله لا أفعل ذلك به ، نحن أولى بزيادته . قال : فقد أعفيناك من هذه اذ كرهتها فهو يسالك أن تحمله حوائجك . قال : ان كانت حاجة فهو فيها ثقة . ولكن أسالك أن تكلمه في قبول معاونة منا فانا نحب أن يرى على مثله من أثرنا . فاقبل على فقال : يا أبا الحسن عزمت عليك أن لا ترد على عمك شيا أكرمك به ، فسكت . قال : فدعا لي بمال ودواب وكسا ورقيق . فلما خرجت قلت : أباساسان لقد أوقفتني على خطة ما وقفت على مثلها . قال : اذهب اليك يابن أخي فعمك أعلم بالناس منك . ان الناس ان علموا لك غرارة من مال حشوا لك أخرى ، وان يعلموك فقيرا تعدوا عليك مع فقرك * ابراهيم الشيباني قال : ولدلابي دلامة ابنة ليلا فاوقد السراج وجعل يخيط خريطة من شقيق . فلما أصبح طواها بين اصابعه وغدا بها الى المهدى فاستاذن عليه وكان لا يحجب عليه فانشده :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا من شعاع الشمس فى درج * الى السماء فانتم أكرم الناس

قال له المهدى : أحسنت والله أبادلامة فما الذى غدا بك الينا . قال : ولدت لى جارية يا أمير المؤمنين . قال : فهل قلت فيها شعرا . قال نعم قلت :

فما ولدتك مريم أم عيسى * ولم يكفلك لقمان الحكيم
ولكن قد تضمك أم سوء * الى لباتها وأب لئيم

قال فضحك المهدى . قال : فما تريد أن أعينك به فى تربيتها أبادلامة . قال : تملأ هذه يا أمير المؤمنين وأشار اليه بالخريطة بين أصبعيه . فقال المهدى : وما عسي أن تحمل هذه . قال : من لم يقنع بالقليل لم يقنع بالكثير ، فامر أن تملأ مالا فلما نشرت أخذت عليهم صحن الدار فدخل فيها أربعة آلاف درهم * وكان المهدى قد كسا أبادلامة ساجا فاخذ به وهو سكران فاتي به الى المهدي فامر بتمزيق الساج عليه وان يحبس فى بيت الدجاج . فلما كان فى بعض الليل وصحا أبودلامة من سكره ورأى نفسه بين الدجاج ، صاح يا صاحب البيت فاستجاب له السجان . قال : مالك يا عدو الله . قال : ويلك من أدخلني مع الدجاج . قال : أعمالك الخبيثة أتي بك أمير المؤمنين وأنت سكران فامر بتمزيق ساجك وحبسك مع الدجاج . قال له : ويلك ارقب لى سراجا وجئني بدواة وورق . فكتب أبودلامة الى المهدى :

أمن صهباء صافيــة المزاج * كأن شعاعها لهبُ السراج
تهشُّ لها النفوسُ وتشتهيها * اذا برزت ترقرقُ في الزجاج
أمير المؤمنين فدتك نفسي * علام حبستني وخرقت ساجي
أقادُ الى السجون بغير ذنب * كأني بعض عمـال الخراج
ولو معهم حبست لهان ذاكم * ولكني حبست مع الدجاج
دجاجات يطيفُ بهن ديك * ينادي بالصياح اذا يناجي
وقد كانت تخبرني ذنوبي * باني من عذابك غير ناجي
على أني وان لاقيت شرا * لخيرك بعد ذاك الشر راجي

ثم قال : أوصلها الى امير المؤمنين . فاوصلها اليه السجان . فلما قرأها أمر باطلاقه وأدخله عليه . فقال له : اين بت الليلة أبا دلامة . قال: مع الدجاج يا أمير المؤمنين . قال : فما كنت تصنع . قال : كنت أقوق معهن حتى أصبحت . فضحك المهدي وأمر له بصلة جزيلة وخلع عليه كسوة شريفة * وكتب أبو دلامة الى عيسى بن موسي وهو والى الكوفة رقعة فيها هذه الابيات :

اذا جئت الامير فقيل سلام * عليك ورحمــة الله الرحيم
فاما بعـد ذاك فلي غريم * من الانصار قبِّح من غريم
لزومٌ ما علمتُ لباب داري * لزومَ الكلب أصحاب الرقيم
له مائة عليَّ ونصف أخري * ونصف النصف في صك قديم
دراهم ماانتفعت بها ولكن * وصلت بها شيوخ بني تميم

قال : فبعث اليه بمائة الف درهم * ولقى ابو دلامة أبا دلف في مصادله وهو بالعراق ، فاخذ بعنان فرسه وأنشده :

اني حلفت لئن رأيتك سالما * بقرى العراق وأنت ذو وفر
لتصلينَّ على النبي محمد * وتملأنْ دراهما حجري

فقال : اما الصلاة على النبي محمد فصلى الله عليه وسلم . وأما الدراهم فلما نرجعُ ان شاء الله تعالى . قال له جعلتُ فداك لا تفرّق بينهما فاستلفها وصبت في حجره حتي أثقلته * ودخل ابو دلامة على المهدي فانشده ابياتا أعجب بها . فقال له : سلني أبا دلامة واحتكم وأفرط ماشئت . فقال : كلبٌ يا أمير المؤمنين أصطاد به . قال : قد امرنا لك بكلب وها هنا بلغت

أمنيتك . قال : لا تعجل عليّ يا أمير المؤمنين فانه بقي عليّ . قال : وما بقي عليك . قال : غلام يقود الكلب . قال : وغلام يقود الكلب . قال : وخادم يطبخ الصيد . قال : وخادم يطبخ الصيد . قال : ودار نسكنها . قال : ودار تسكنها . قال : وجارية تاوى اليها . قال : وجارية تاوى اليها . قال : قد بقي الآن المعاش . قال : قد أقطعناك ألف جريب عامرة وألف جريب غامرة . قال : وما الغامرة يا أمير المؤمنين . قال : التي لا تعمر . قال : انا اقطع أمير المؤمنين خمسين ألفا من فيا فى بنى أسد . قال : قد جعلتها كلها لك عامرة . قال فيأذن لى أمير المؤمنين فى تقبيل يده . قال : أما هذه فدعها . قال : ما منعتني شيئاً أيسر على أم ولدى فقدا منه ودخل أبو دلامة على أبي جعفر المنصور يوماً وعليه قلنسوة طويلة . وكان قد أخذ أصحابه بلباسها وأخذهم بلباس دراريع عليها مكتوب بين كتفي الرجل : « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » . وأمرهم بتعليق السيوف على أوساطهم . فدخل عليه أبو دلامة في ذلك الزيّ . فقال له : كيف أصبحت أبا دلامة . قال : بشر حال يا أمير المؤمنين . قال : كيف ذلك ويلك ؟ قال . وما ظنك يا أمير المؤمنين بمن أصبح وجهه فى وسطه ، وسيفه على استه ، ونبذ كتاب الله وراء ظهره . قال فضحك أبو جعفر وأمر بتغيير ذلك . وأمر لابى دلامة بصلة . وأوصل أبو دلامة ، الى العباس بن منصور رقعة فيها هذه الابيات :

قف بالديار وأيّ الدهر لم تقف * على منازل بين السهل والنجف
وما وقوفك فى أطلال منزلة * لولا الذى استحدثت من قلبك الكلف
ان كنت أصبحت مشغوفا بجارية * فلا وربك لا يشفيك من شغف
ولا يزيدك الا العلّ من أسف * فهل لقلبك من صبر على الاسف
هذي مقالة شيخ من بني أسد * يهدي السلام الى العباس فى الصحف
خطه من بوادى المصر كاتبة * فدطالما دربت فى اللام والالف
وطالما اختلفت صيفا وشاتية * الى معلمها باللوح والكتف
حتى اذا ما استوى الثديان وامتلات * منها وخيفت على الاشراف للعرف
صينت ثلاث سنين ماترى أحدا * كما تصان ببحر درة الصدف
بينا الفتي يتمشى نحو مسجده * مبادراً لصلاة الصبح بالسدف
حانت له نظرة منها فابصرها * مطلّة بين سجفيها من الغرف

نخر في الترب مايدري غداة اذ * أخر منكشفا أو غير منكشف
وجاءه القوم أفواجا بمائهم * لينضحوا الرّجل المغشى بالنطف
فوسوسوا بقران في مسامعه * خوفا من الجن والانسان لم يخف
شيئا ولكنه من حب جارية * أمسي وأصبح من موت على شرف
قالوا لك الخير ما أبصرت قلت لهم * جنية أقصدتني من بني خلف
أبصرت جارية محجوبة لهم * تطلعت من أعالي القصر ذي الشرف
فقلت من أيكم والله يأجره * يعير قوته مني الى ضعف
فقام شيخ زهي من تجارهم * قد طالما خدع الاقوام بالحلف
فابتاعها لي بالفي أحمر فغدا * بها الى فأ لقاها على كتفي
فبت ألثمها طورا وتلثمني * طورا ونفعل بعض الشيء في اللحف
بتنا كذلك حتي جاء صاحبها * يبغي الدنانير بالميزان ذي الكفف
وذكر حق على زند وكيف به * والحق في طرف والعين في طرف
وبين ذاك شهود ما أبالي بهم * أكنت معترفا أم غير معترف
فان تصلني قضيت القوم حقهم * وان تقل لا فحق القوم في تلف

فلما قرأ العباس الابيات . أعجب بها واستظرفها وقضى عنه ثمن الجارية . واسم أبي دلامة زند * ابراهيم بن المهدي : قال لي جعفر بن يحيي يوما اني استأذنت أمير المؤمنين في الحجامة وأردت ان اخلو وأفر من أشغال الناس وأتروح فهل أنت مساعدي . قلت : جعلني الله فداءك أنا أسعد الناس بمساعدتك وآنس بمخالاتك . قال : بكر الى بكور الغراب . قال : فاتيت عند الفجر الثاني فوجدت الشمعة بين يديه وهو قاعد ينتظرني للميعاد . قال : فصلينا ثم أفضنا في الحديث حتي جاء وقت الحجامة فاتي بحجام فحجمنا في ساعة واحدة ثم قدم الينا طعام فطعمنا . فلما غسلنا أيدينا خلع علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وظلانا باسر يوم مر بنا . ثم انه ذكر حاجة فدعا الحاجب . فقال : اذا جاء عبد الملك القهرماني فائذن له . فنسي الحاجب وجاء عبد الملك ابن صالح الهاشمي على جلالته وسنه وقدره وأدبه فاذن له الحاجب . فما راعنا الا طلعة عبد الملك فتغير لذلك جعفر بن يحيي وتنغص عليه ما كان فيه . فلما نظر عبد الملك اليه على تلك الحالة دعا غلامه فدفع اليه سيفه وسواده وعمامته ثم جاء ووقف على باب المجلس . وقال : اصنعوا بي

ماصنعتم بانفسكم . قال : فجاء الغلام فطرح عليه ثياب المنادمة ودعا بالطعام فطعم ثم دعا بالشراب فشرب ثلاثاثم . قال : ليخفف عني فانه شيء ماشر بته قط فتهلل وجه جعفر وفرح . وكان الرشيد قد عتب على عبدالملك بن صالح ووجد عليه . فقال : له جعفر بن يحيي جعلني الله فداءك قد تفضلت وتطولت وأسعدت . فهل من حاجة تبلغها مقدرتي ، أو تحيط بها نعمتي ، فاقضيها لك مكافأة لما صنعت . قال : بلى . ان قلب أمير المؤمنين عاتب على فسله الرضا عني . قال : قد رضي عنك أمير المؤمنين . ثم قال : على أربعة آلاف دينار . قال : حاضرة ولكن من مال أمير المؤمنين أحب لك : قال : وابني ابراهيم أحب أن أشد ظهره بصهر من أولاد أمير المؤمنين . قال : قد زوجه أمير المؤمنين عائشة . قال : وأحب ان تخفق الالوية على رأسه . قال : قد ولاه أمير المؤمنين مصر . قال وانصرف عبدالملك ونحن نعجب من اقدامه علي قضاء الحوائج من غير استئذان أمير المؤمنين . فلما كان من الغد وقفنا على باب الرشيد ودخل جعفر . فلم نلبث ان دعا بابي يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وابراهيم بن عبدالملك . فعقد النكاح وحملت البدر الى منزل عبد الملك وكتب سجل ابراهيم على مصر . وخرج جعفر فأشار الينا . فلما صار الى منزله ونحن خلفه نزل ونزلنا بنزوله . فالتفت الينا . فقال : تعلقت قلوبكم بأول أمر عبدالملك فاحببتم معرفة آخره . واني لما دخلت على أمير المؤمنين مثلت بين يديه وابتدأت القصة من أولها فجعل يقول أحسن والله أحسن فما صنعت . فاخبرته بما سأل وبما أجبته به . فجعل يقول فى ذلك أحسنت أحسنت وخرج ابراهيم واليا على مصر * وقدم : رجل على ملك من ملوك الاكاسرة فمكث ببابه حينا لا يصل اليه فتلطف فى رقعة أوصلها اليه وفيها أربعة أسطر ، فى السطر الاول : الضر والامل أقدماني عليك . والسطر الثانى : الفقر لا يكون معه صبر . السطر الثالث : الانصراف بلا فائدة فتنة وشماتة للعدوّ . والسطر الرابع : فاما نعم مثمرة واما لا مريحة . فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها ألف مثقال وأمر له بها . وقد دخل رجل من الشعراء على يحيي بن خالد بن برمك فانشده

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيي بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني عن والد بعد والد

فامر له بعشرة آلاف . ودخل اعرابي على خالد بن عبدالله القسري فانشده :

أخالد اني لم أزرك لخلة * سوى انني عاف وأنت جواد
أخالد بين الحمد والاجر حاجتي * فايهما تاتي فانت عماد

فامر له بخمسة آلاف درهم . ومن قولنا فى هذا المعنى ودخلت على أبى العباس القائد فانشدته :

الله جرّد للندى والباس * سيفا فقلده أبا العباس
ملك اذا استقبلت غرة وجهه * قبض الرجاء اليك روح الياس
وبه عليك من الحياء سكينة * ومحبة تجرى من الانفاس
واذا أحب الله يوما عبده * ألقى عليه محبة للناس

ثم سألته حاجة فيها بعض الفاظ فتلكأ على . فاخذت سحاته من بين يديه فوقعت فيها على البديهة

ماضر عندك حاجتي ماهزها * عذر اذا أعطيت نفسك قدرها
انظر الى عرض البلاد وطولها * أولست أكرم أهلها وأبرها
حاشى لجودك أن يوعّر حاجتى * ثقى بجودك سهلت لى وعرها
لايجتنى حلو المحامد ماجد * حتي يذوق من المطالب مرها

فقضى الحاجة وسارع اليها . وأبطا عبدالله بن يحيي عن الديوان . فارسل اليه المتوكل يتعرف خبره فكتب اليه :

عليل من مكانين * من الافلاس والدين
ففى هذين لى شغل * وحسبي شغل هذين

فبعث اليه بالف دينار * عبدالله بن منصور . قال : كنت يوما فى مجلس الفضل بن يحيي فاتاه الحاجب . فقال : ان بالباب رجلا قد أكثر فى طلب الاذن وزعم ان له يدا يمت بها . فقال : ادخله . فدخل رجل جميل رث الثياب فسلم فاحسن فاومأ اليه بالجلوس فجلس . فلما علم انه قد انطلق وأمكنه الكلام . قال له : ماحاجتك . قال له : قد اعربت رثاثة هيئتى وضعف طاقتى . قال : أجل فما الذي تمت به . قال : ولادة تقرب من ولادتك ، وجوار يدنو من جوارك ، واسم مشتق من اسمك . قال : أما الجوار فقد يمكن أن يكون كما قلت وقد يوافق الاسم الاسم ولكن ماعلمك بالولادة . قال : أعلمتني أمي انها لما وضعتني . قيل : انه ولد الليلة ليحيى بن خالد غلام وسمي الفضل فسمتني فضيلا اعظاما لاسمك ان تلحقني بك . فتبسم الفضل وقال : كم أتى عليك من السنين ؟ . قال : خمس وثلاثون قال صدقت . هذا المقدار الذى أتيت عليه فما فعلت أمك . قال : توفيت رحمها الله . قال : فما منعك عن اللحوق بنا فيما مضى . قال : لم أرض نفسى للقائك فى عامية وحداثة تقعد نى عن لقاء الملوك . قال : ياغلام اعطه لكل عام من سنيه الفا واعطه من كسوتنا ومراكبنا مايصلح له . فلم يخرج من الدار الا وقد طاف به اخوانه وخاصة

أمله — وكتب حبيب الطائى الى احمد بن أبي دؤاد

اعـلم وأنت المرء غير معـلم * وافهم جعلت فداك غير مفهم
ان اصطناع العرف مالم توله * مستكملا كالثوب مالم يعلم
والشكر مالم يستتر بصنيعة * كالخط تقرؤه وليس بمعجم
و يفوتني في القول إكثار وقد * أسرجت فى كرم الفعال فألجم

وقال دعبل فى طاهر بن الحسين

أيا ذا اليمينـين والدعـوتين * ومن عنده العرف والنائل
أترضى لمثلى فتى ان يقيم * ببـابك مطرح خامـل
رضيت من الود والعائدات * ومن كل ما أمل الآمل
بتسليمة بين خمس وست * اذا ضمك المجلس الحافل
وما كنت أرضى بذا من سواك * أيرضي بذا رجـل عاقل
وان ناب شغل ففى دون ما * تدبره شـغل شاغـل
عليك السـلام فانى امرؤ * اذا ضاق بى بلد راحـل

ونظر زياد الى رجل من ضبة يأكل أكلا قبيحا وهو أقبح الناس وجها . فقال : يا أخا ضبة كم عيالك قال سبع بنات أنا أجمل منهن وهن آكل مني فضحك زياد . وقال : لله درك ما ألطف سؤالك افرضوا لكل واحدة منهن مائة وخادما وعجلوا لهن بارزاقهن فخرج الضبي وهو يقول

اذا كنت مرتاد السماحة والندى * فناد زيادا أو أخاً لزياد
يجبك امرؤ يعطى على الحمـد ماله * اذا ضن بالمعروف كل جواد
ومالى لا أثني عليك وانمـا * طريقى من معروفكم وتلادى

ووقف دعبل ببعض أمراء الرقة فلما مثل بين يديه . قال : أصلح الله الامير انى لا أقول كما قال صاحب معن :

باى الخلتـين عليك أثنى * فانى عند منصرفى مسول
أبا لحسني وليس لها ضياء * على فمن يصدق ما أقـول
أم الاخري ولست لها باهل * وأنت لكل مكرمة فعول

ولكنني أقول

ماذا أقول اذا أتيت معاشري * صفراً يدى من عند أروع مجزل
ان قلت أعطاني كذبت وان اقل * ضنَّ الامير بماله لم يجمل
ولانت أعلم بالمكارم والعلا * من أن اقول فعلتَ مالم تفعل
فاختر لنفسك ما أقول فانني * لابد مخبرُهم وان لم اسئل

قال له : قاتلك الله وأمر له بعشرة آلاف درهم — العتبي قال : دخل ابن دعبل على بشر ابن مروان لما ولى الكوفة فقعد بين السماطين . ثم قال : أيها الامير انى رأيت رؤيا فائذن لى فى قصصها . فقال : قل . فقال

أغفيت قبل الصبح نوم مُسَهَّد * فى ساعة ما كنت قبل أنامها
فرأيت أنك رُعتني بوليدة * مغنوجة حسنٍ على قيامها
و ببدرة حُملت الىَّ و بغلةٍ * شهباء ناجية يصر لجامها

قال له : بشر بن مروان كل شيء رأيت فهو عندى الا البغلة فانها دهماء فارهة . قال : امرأتي طالق ثلاثا ان كنت رايتها الا دهماء الا انى غلطت — الشيباني : عن البطين الشاعر قال : قدمت على على بن يحيي الارمينى فكتبت اليه :

رأيت فى النوم أني راكب فرسا * ولى وصيف وفى كفى دنانير
فقال قوم لهم حذق ومعرفة * رأيت خيرا وللاحلام تعبير
رؤياك فسر غدا عند الامير تجد * تعبير ذاك وفى الفال التباشير
فجئت مستبشرا مستشعرا فرحا * وعند مثلك لى بالفعل تبشير

قال : فوقع لى فى أسفل كتابي « اضغاث احلام ومانحن بتاويل الاحلام بعالمين » . ثم امر لى بكل شيء ذكرته في أبياتى ورأيته فى منامى . وقال بشار العقيلى :

حتى متى ليت شعرى يا ابن يقطين * أثني عليك بما لا منك تولينى
اما علمت جزاك الله صالحة * عني وزادك خيرا يا ابن يقطين
اني اريدك للدنيا وزينتها * ولا اريدك يوم الدين للدين

وقال آخر فى مثل هذا المعني :

يا ابن العلاء و يا ابن القرم مرداس * انى لاطريك فى اهلى وجلاسى
أثني عليك ولى حال تكذبني * فيما أقول فاستحى من الناس

حتى اذا قيل ما أعطاك من صفد * طأطأت من سوء حالى عندها راسى

٨ — الاخذ من الامراء — حدثنا جعفر بن محمد عن يزيد بن سمعان عن عبدالله ابن ثور عن عبد الحميد بن وهب عن أبي الخلال . قال سالت عثمان بن عفان عن جائزة السلطان فقال : لحم طرى ذكى * جعفر بن محمد : عن يحيي بن محمد العامرى عن المعتمر عن عمران بن جرير . قال : انطلقت أنا ورجل الى عكرمة فرأى الرجل عليه عمامة متخرقة . فقال الرجل : عندنا عمائم ألا نبعث اليك بعمامة منها . قال عكرمة : انا لا نقبل من الناس شيا انما نقبل من الامراء * وقال هشام بن حسان : رأيت على الحسن البصرى خميصة لها أعلام يصلي فيها أهداها اليه مسلمة بن عبد الملك * وكان النبي صلي الله عليه وسلم يلبس خفين أسودين اهداهما اليه النجاشي صاحب الحبشة * وقال نافع : كان عبد الله بن عمر يقبل هدايا أهل الفتنة مثل المختار وغيره * ودخل مالك بن أنس على هرون الرشيد فشكا اليه دَيناً لزمه * فامر له بالف دينار عين فلما وضع يديه للقيام . قال : يا أمير المؤمنين وزوجت ابني محمدا فصار على فيه ألف دينار قال : ولابنه محمد ألف دينار . قال : فلقد مات مالك وتركها لورائه في مزود * وقال الاصمعي : حدثني اسحاق ابن يحيي بن طلحة . قال : كان الربيع بن خيثم في ألف ومائة من العطاء فكلم فيه معاوية فالحقه بالفين فلما حضر العطاء نودى الربيع بن خيثم فقيل له في ألفين فقعد فنظروا فوجدوا على اسمه مكتوبا كلم فيه اسحاق بن يحيي بن طلحة أمير المؤمنين فالحقه بالفين * وقال رجل لابراهيم بن أدهم : يا أبا اسحاق كنت أريد أن تقبل مني هذه الجُبة كسوة . قال : ان كنت غنيا قبلتها منك وان كنت فقيرا لم أقبلها منك . قال : فاني غني . قال : وكم مالك . قال : ألفا دينار . قال : فانت تودُّ أنها أربعة آلاف . قال : نعم . قال : فانت فقير لا أقبلها منك * وأمر ابراهيم بن الاغلب المعروف بزيادة الله بمال يقسم على الفقهاء فكان منهم من قبل ومنهم من لم يقبل فكان أسد بن الفرات فيمن قبل فجعل زيادة الله يغمِص على كل من قبل منهم فبلغ ذلك أسد بن الفرات . فقال : لا عليه انما أخذنا بعض حقوقنا والله سائله عما بقى * وقد فخرت العرب باخذ جوائز الملوك وكان من أشرف ما يتمولونه . فقال ذو الرمة :

وما كان مالى من تراث وَرِثته * ولا دية كانت ولا كسب مأثم
ولكن عطاء الله من كل رِحلة * الى كل محجوب السُّرادق خضرم

وقال آخر : يهجو مروان بن ابي حفصة ويعيبه باخذه من العامة ويفخر بانه لا ياخذ الا من

الملوك فقال :

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن * مقسمة من هؤلا وأولئكا
وما نلت حتى شبت الا عطية * تقوم بها مصرورة فى ردائكا

٩ — تفضيل بعض الناس على بعض فى العطاء — ذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الفقراء . فقال : ان سعيد بن خذيم منهم فاعطاه ألف دينار . وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أعطيت فاغن * وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد من العرب فاعطاهم وفضل رجلا منهم فقيل له فى ذلك . فقال : كل القوم عيال عليه * وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين المؤلفة قلوبهم فاعطى الاقرع بن حابس التيمي . وعيينة بن حصن الفزارى مائة من الابل . وأعطى العباس بن مرداس السلمى خمسين فشق ذلك عليه . فقال : أبياتا فاتاه بها وأنشده اياها فقال :

أيذهب نهبي ونهب العبيـ * ـد بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت غير امرىء منهم * ومن تضع اليوم لم يرفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال اقطع عني لسان العباس فاعطاه حتى أرضاه * وقال صفوان بن أمية : لقد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خلق الله خلقا بغض الى منه فما زال يعطيني حتى ما خلق الله خلقا أحب الى منه وكان صفوان بن أمية من المؤلفة قلوبهم

١٠ — شكر النعمة — سليمان التيمي . قال : ان الله انعم على عباده بقدر قدرته ، وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم * وقالوا مكتوب فى التوراة : اشكر لمن انعم عليك ، وانعم على من أشكرك . وقالوا : كفر النعمة يوجب زوالها ، وشكرها يوجب المزيد فيها * وقالوا : من حمدك فقد وفاك حق نعمتك * وجاء فى الحديث من نشر معروفا فقد شكره ومن ستره فقد كفره ، وقال : عبد الله بن عباس لو ان فرعون مصر اسدى الى يدا صالحة لشكرته عليها * وقالوا : اذا قصرت يداك عن المكافاة ، فليطل لسانك بالشكر * وقالوا : ما نحل الله تعالى عباده شيا أقل من الشكر واعتبر ذلك بقول الله عز وجل « وقليل من عبادى الشكور » * محمد بن صالح الواقدي . قال دخلت على يحيي بن خالد البرمكى . فقلت ان ههنا قوما جاؤا يشكرون لك معروفا . فقال :

يا محمد هؤلاء يشكرون معروفا فكيف لنا شكر شكرهم — وقال : النبي صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبده نعمة فرأى عليه أثرها الا كتب حبيب الله شاكرا لا نعمه ، وما أنعم الله على عبده نعمة فلم يرا اثرها عليه الا كتب بغيض الله كافرا لا نعمه — وكتب عدي ابن أرطاة الى عمر بن عبد العزيز . اني بارض كثرت فيها النعم وقد خفت على من قبلي من المسلمين قلة الشكر والضعف عنه . فكتب اليه عمر رضي الله عنه ان الله تعالى لم ينعم على قوم نعمة فحمدوه عليها الا كان ما أعطوه أكثر مما أخذوا منه : واعتبر ذلك بقول الله تعالى : « ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله » . فاى نعمة أفضل مما أوتى داود وسليمان — وسمع النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها تنشد أبيات زهير بن خَباب :

ارفع ضعيفك لا يحِز ضعفه * يوما فتدركه عواقب ماجني
يجزيك أو يثني عليك فانّ من * أثنى عليك بما فعلت كمن جزي

فقال النبي عليه الصلاة والسلام صدق يا عائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس — قال أنشدني الرياشي :

اذا أنا لم أشكر على الخير أهلهُ * ولم أذمم النحس اللئيم المذَمّما
ففيم عرفتُ الخيرَ والشر باسمه * وشق لى الله المسامع والفما

وأنشدني في الشكر :

ساشكر عَمرا ما تراخت منيتي * أيادى لم تُمنَنْ وإن هى جلت
فتي غير محجوب الغني عن صديقه * ولا مظهرُ الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلّتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قذي عينيه حتي تجلّت

١١ — قلة الكرام في كثرة اللئام — قال النبي صلي الله عليه وسلم : الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة * وقالت الحكماء : الكرام في اللئام كالغرة فى الفرس * وقال الشاعر :

تفاخرني بكثرتها قريظ * وقل لي والد الحجل الصقور
فان أك فى شرارِكمُ قليلا * فاني فى خيارِكم كثير
بغاثُ الطير أكثرها فراخا * وأم الصقر مقلاةٌ نزور

السموأل :

تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وماضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

وقال حبيب :

ولقد يكون ولا كريم تناله * حتى تخوض اليه ألف لئيم

وقال ابن أبي حازم

وقالوا لومدحت فتى كريما * فقلت وكيف لى بفتى كريم
بلوت ومر بي خمسون حولا * وحسبك بالمجرب من عليم
فلا أحد يعد ليوم هول * ولا أحد يعول على عديم

وقال دعبل :

ما أكثر الناس لا بل ماأقلهم * والله يعلم أني لم أقل فندا
اني لاغلق عيني ثم أفتحها * على كثير ولكن ما أرى أحدا

وأحسن ماقيل فى هذا المعنى قول حبيب الطائى :

ان الجياد كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا
لا يدهمنك من دهمائهم عجب * فان جلهم أو كلهم بقر
وكلما أضحت الاخطار بينهم * هلكى تبين من أضحى له خطر
لولم تصادف شياه البهم أحدها * فى الحمد لم يمدح الاوضاح والغرر

١٢ — من جاد اولا وضن آخرا — نزل اعرابى برجل من اهل البصرة، فاكرمه واحسن اليه ثم امسك . فقال الاعرابى :

تسرى فلما جاشت المرء نفسه * رأى انه لايستقيم له السرى

وكان يزيد بن منصور يجرى لبشار العقيلى وظيفة فى كل شهر . ثم قطعها عنه فقال :

أبا خالد مازلت سابح غمرة * صغيرا فلما شبت خيمت بالشاط
جريت زمانا سابقا ثم لم تزل * تأخر حتى جئت تقطوا مع القاطي
كسنور عبد الله بيع بدرهم * صغيرا فلما شب بيع بقيراط

وقال مسلم بن الوليد صريع الغوانى لمحمد بن منصور بن زياد :

أبا حسن قد كنت قدمت نعمة * والحقت شكرا ثم امسكت وانيا

فلا ضير لم تلحقك مني ملامة * أسأت بنا عوداً وأحسنت باديا

فاقسم لا أجزيك بالسوء مثله * كفى بالذي جازيتني لك جازيا

١٣ — من ضن أولا ثم جاد آخرا — قدم الحرث بن خالد المخزومي على عبد الملك فلم يصله. فرجع وقال: فيه:

صحبتك اذ عيني عليها غشاوة * فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

حبست عليك النفس حتى كأنما * بكفيك تجري بؤسها ونعيمها

فبلغ قوله عبد الملك. فارسل اليه فرده وقال: أرأيت عليك غضاضة من مقامك ببابي. قال: لا ولكني اشتقت الى الى أهلي ووطني ووجدت فضلا من القول فقلت وعلي دين لزمني. قال: وكم دينك. قال: ثلاثون الفا. قال: فقضاء دينك أحب اليك أم ولاية مكة. قال: بل ولاية مكة. فولاه اياها * وقدم الحطيئة المدينة فوقف الى عنبسة. فقال: مالك عندي حق فاعطيكه، ومافي مالي فضل عن عيالي فاعود به عليك. فخرج عنه مغضباً وعرفه به جلساؤه فامر برده. ثم قال له: ياهذا انك وقفت الينا فلم تستانس، ولم تسلم وكتمتنا نفسك. كأنك الحطيئة. قال: هو ذلك. قال: اجلس فلك عندنا كل ما تحب. قال له: من أشعر الناس. قال الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فقال لوكيله: خذ بيد هذا فامض به الى السوق فلا يشيرن الى شيء الا اشتريته له. فمضى معه الى السوق فعرض عليه الخز والقز فلم يلتفت الى شيء منه وأشار الى الكرابيس والقطن فاشترى له منها حاجته. ثم قال: امسك. قال: فانه قد أمرني أن أبسط يدي بالنفقة. قال: لا حاجة لي أن يكون له علي قوي يد أعظم من هذه. ثم أنشا يقول:

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا * فسيان لا ذم عليك ولا حمد

وأنت امرؤ لا الجود منك سجية * فتعطي وقد يعدي على النائل الوجد

١٤ — من مدح أمير الخيبه — قال سعيد بن سلم مدحني اعرابي فابلغ. فقال:

ألا قل لساري الليل لا تخش ضلة * سعيد بن سلم نور كل بلاد

لنا سيد أربى على كل سيد * جواد حثى في وجه كل جواد

قال فتاخرت عنه قليلا فهجاني فابلغ. فقال:

لكل أخي مدح ثواب علمته * وليس لمدح الباهلي ثواب

مدحتُ سعيدا والمدحُ مَهزَّةٌ * فكان كصفوان عليه تراب

ومدح الحسن بن رجاه أبادلف فلم يعطه شيئا . فقال :

أبادلف ما أكذبُ الناسِ كلهم * سوايَ فاني فى مديحك أكذبُ

وقال آخر فى مثل هذا المعنى :

انى مدحتك كاذبا فاثبتني * لما مدحتك ما يثابُ الكاذب

وقال آخر فى مثل هذا المعنى .

لئن أخطأت فى مدحك ما أخطأتَ فى منعي

لقد أحللتُ حاجاتي * بواد غير ذي زرع

ومدح حبيب الطائى عياش بن لهيعةَ وقدم عليه مصر واستسلفه مائتي مثقال . فشاور فيه زوجته فقالت له : هو شاعر يمدحك اليوم . و يهجوك غدا ، فاعتلّ عليه واعتذر اليه ولم يقض حاجته فقال فيه :

عياش انك للئيمُ وانني * مذ صرت موضعَ مطلبي للئيم

ثم هجاه حتى مات وهجاه بعد موته . فقال فيه :

لا أسقيتْ أطلالك الدائره * ولا انقضت عثرتُك العاثره

ياأسد الموت تخلصته * من بين فكى أسد القاهره

ومن قولنا فى هذا المعنى وسألت بعض موالى السلطان اطلاق محبوس فتلكأ فيه . فقلت :

حاشا لمثلك أن يفك أسيرا * أوأن يكون من الزمان مجيرا

لبست قوافى الشعر فيك مدارعا * سودا وضلت أوجها وصدورا

هلا عطفت برحمة لما دعت * و يلا عليك مدائحي وثبورا

لو انّ لؤمك عاد جودا عشرهُ * ما كان عندك حاتم مذكورا

قال ومدح ربيعة الرّقى يزيد بن حاتم الازدى وهو والى مصر فاستبطأه ربيعة . فشخص عنه من مصر وقال :

أراني ولا كفران لله راجعا * بخُفى حنين من نوال ابن حاتم

فبلغ يزيد بن حاتم فارسل فى طلبه فرداليه فلما دخل عليه . قال له : أنت القائل ؟

* أراني ولا كفران لله راجعا * قال : نعم . قال : فهل قلت غير هذا ؟ قال لا والله .

قال : لترجعن بخفى حنين مملوأة مالا . فامر بخلع نعليه وملئت له مالا . فقال فيه لما عزل عن مصر وولى يزيد بن حاتم السلمي مكانه :

بكي أهل مصر بالدموع السواجم * غداة غدا منها الاغر بن حاتم

وفيها يقول :

لشتان مابين اليزيدين فى الندي * يزيد سليم والاغر بن حاتم
فهم الفتي الازدى انفاق ماله * وهم الفتي القيسى جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام اني هجوته * ولكنني فضلت أهل المكارم

١٥ — أجواد أهل الجاهلية — الذين انتهي اليهم الجود فى الجاهلية ثلاثة نفر حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي . وهرم بن سنان المرى . وكعب بن مامة الايادي ولكن المضروب به المثل حاتم وحده : وهو القائل لغلامه يسار وكان اذا اشتد البرد وكلب الشتاء . أمر غلامه فاوقد نارا فى بقاع من الارض لينظر اليها من أضل الطريق ليلا فيصمد نحوه . فقال فى ذلك :

أوقد فان الليل ليل قر * والريح ياواقد ريح صر
على يري نارك من يمر * ان جلبت ضيفا فانت حر

وقالوا لم يكن حاتم ممسكا شيا ماعدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يجود بهما . ومر حاتم فى سفره على عنزة ، وفيهم أسير فاستغاث بحاتم ولم يحضره فكاكه . فاشتراه من العنزة وأطلقه وأقام مكانه فى القيد حتى أدى فداءه . وقالت نوار امرأة حاتم . أصابتنا سنة اقشعرت لها الارض واغبر أفق السماء ، وراحت الابل حدبا حدابير . وضنت المراضع على أولادها فما تبض بقطرة وحلقت السنة المال وأيقنا بالهلاك . فو الله انا لفى ليلة صنبر بعيدة مابين الطرفين اذ تضاغى صبيتنا جوعا عبد الله وعدى وسفانة . فقام حاتم الى الصبيين وقمت أنا الى الصبية . فوالله ماسكتوا الا بعد هدأة من الليل . وأقبل يعللنى بالحديث فعرفت مايريد فتناومت . فلما تهورت النجوم اذا شيء قد رفع كسر البيت ثم عاد . فقال : من هذا قال جارتك فلانة أتيتك من عند صبية يتعاوون عواء الذئاب . فما وجدت معولا الا عليك ياأبا عدى . فقال : اعجليهم فقد أشبعك الله واياهم : فاقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشى جنابيها أربعة كانها نعامة حولها رئالها فقام الى فرسه فوجا لبته بمدية فخر ثم كشطه عن جلده ودفع المدية الى المرأة . فقال لها : شانك فاجتمعنا على اللحم نشوى ونا كل . ثم جعل يمشى فى الحى يأتيهم

بيتا بيتا فيقول : هبوا أيها القوم عليكم بالنار . فاجتمعوا والتفع في ثوبه ناحية ينظر الينا . فلا والله أن ذاق منه مزعة وانه لاحوج اليه منا فاصبحنا وما على الارض من الفرس الاعظم وحافر . فانشا حاتم يقول :

مهلا نوار أقلي اللوم والعذلا * ولا تقولي لشيء فات مافعلا
ولا تقولي لمال كنت مهلكه * مهلا وان كنت أعطي البحر والجبلا
يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى في ماله سبلا

ولحاتم بن عبد الله أيضا :

أماوي قد طال التجنب والهجر * وقد عذرتنا في طلابكم العذر
أماوي ان المال غاد ورائح * ويبقي من المال الاحاديث والذكر
* أماوي اما مانع فمبين * واما عطاء لاينهنهه الزجر
أماوي اني لاأقول لسائل * اذا جاء يوما حل في مالي النذر
أماوي مايغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
أماوي ان يصبح صداي بقفرة * من الارض لاماء لدي ولاخمر
ترى أن ما أنفقت لم يك ضرني * وان يدي مما بخلت به صفر
* اذا أنا دلاني الذين يلونني * بمظلمة زلج جوانبها غبر
وراحوا سراعا ينفضون أكفهم * يقولون قد أدمى أظافرنا الحفر
أماوي ان المال اما بذلته * فاوله شكر وآخره ذكر
وقد يعلم الاقوام لو أن حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر
فاني وجدي رب واحد أمة * أجرت فلاقتل عليه ولا أسر
ولا أظلم ابن العم ان كان اخوتي * شهودا وقد أودى باخوته الدهر
غنينا زمانا بالتقصد والغني * وكلا سقانا بكاسيهما الدهر
فما زادنا ماوي على ذي قرابة * غنانا ولا أزرى باحلامنا الفقر

وأما هرم بن سنان فهو صاحب زهير الذي يقول فيه :

متى تلاقي على علاته هرما * تلق السماحة في خلق وفي خلق

وكان سنان ابو هرم سيد غطفان . وماتت أمه وهي حامل به . وقالت اذا أنامت .

فشقوا بطني فار سيد غطفان فيه . فلما ماتت شقوا بطنها فاستخرجوا منه سنانا . وفي بني سنان يقول زهير :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم * طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
جن اذا فزعوا انس اذا أمنوا * مرزؤن بها ليل اذا قصدوا
محسدون على ما كان من نعم * لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

وقال زهير في هرم بن سنان :

وأبيض فياض يداه غمامة * على معتفيه ما تغب فواضله
تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائله
أخو ثقة لا تتلف الخمر ماله * ولكنه قد يتلف المال نائله

أخذ الحسن بن هاني هذا المعنى . فقال .

فتى لا تلوك الخمر شحمة ماله * ولكن أياد عود وبواد

وقال زهير في هرم بن سنان وأهل بيته :

اليك أعملتها فتلا مرافقها * شهرين يجهض من ارحامها العلق
حتى دفعن الى حلو شمائله * كالغيث تنبت في آثاره الورق
من أهل بيت يرى ذو العرش فضلهم * يبني لهم في جنان الخلد مرتفق
المطعمين اذا ما أزمة أزمت * والطيبين ثيابا كلما عرقوا
كان آخرهم في الجود أولهم * ان الشمائل والاخلاق تتفق
ان قامروا قمروا أو فاخروا فخروا * أو ناضلوا نضلوا أو سابقوا سبقوا
تنافس الارض موتاهم اذا دفنوا * كما تنفس عند الباعة الورق

وأما كعب بن مامة الايادي : فلم يأت عنه الاما ذكر من ايثاره رفيقه السعدي بالماء حتى مات عطشا ونجا السعدي . وهذا أكثر من كل ما أثني لغيره . وله يقول حبيب :

يجود بالنفس اذ ضن البخيل بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وله ولحاتم الطائي

كعب وحاتم اللذان تقسما * خطط العلا من طارف وتليد
هذا الذي خلف السحاب ومات ذا * في الجهد ميتة خضرم صندبد

الا يكن فيها الشهيد فقومه * لا يسمحون به بالف شهيد

١٦ — أجواد أهل الاسلام — وأما أجواد أهل الاسلام فاحد عشر رجلا فى عصر واحد لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم . فاجواد الحجاز ثلاثة فى عصر واحد . عبيد الله بن العباس . وعبد الله بن جعفر . وسعيد بن العاص . وأجواد البصرة خمسة فى عصر واحد وهم : عبد الله بن عامر بن كريز . وعبيد الله بن أبي بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومسلم بن زياد . وعبيد الله بن معمر القرشي ثم التيمي . وطلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى . وله يقول الشاعر :

نضر الله أعظما دفنوها * بسجستان طلحة الطلحات

وأجواد أهل الكوفه ثلاثة فى عصر واحد . وهم عتاب بن ورقاء الرياحي . وأسماء بن خارجة الفزارى . وعكرمة بن ربعى العماصي

١٧ — فمن جود عبيد الله بن عباس — أنه اول من فطر جيرانه . واول من وضع الموائد على الطرق . واول من حيا على طعامه . واول من انهبه . وفيه يقول شاعر المدينه :

وفى السنة الشهباء اطعمت حامضا * وحلوا ولحما تامكا وممزعا
وانت ربيع لليتامى وعصمة * اذا المحل من جو السماء تطلعا
ابوك ابو الفضل الذى كان رحمة * وغوثا ونورا للخلائق اجمعا

ومن جوده : انه اتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه . فقال يا ابن عباس : ان لى عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره وصوبه . فلم يعرفه . ثم قال له : ما يدك عندنا . قال : رايتك واقفا بزمزم وغلامك يمتح لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف كسائى حتى شربت . قال : انى لاذكر ذلك وانه يتردد بين خاطري وفكرى . ثم قال : لقيمه ما عندك . قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم . قال : ادفعها اليه وما أراها تفى بحق يده عندنا . قال : فاعطاه ثلاثين ألفا . فقال له الرجل : والله لو لم يكن لاسمعيل ولد غيرك لكان فيه ما كفاه . فكيف وقد ولد سيد الاولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم . ثم شفعك به وبابيك . ومن جوده أيضاً : ان معاوية حبس عن الحسين بن على صلاته حتى ضاقت عليه . فقيل : لو وجهت الى ابن عمك عبيد الله فانه قدم بنحو من ألف ألف درهم . فقال الحسين : وأين تقع

ألف ألف من عبيد الله فوالله لهو أجود من الريح اذا عصفت ، وأسخى من البحر اذا زخر ، ثم وجه اليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق حاله ، وانه يحتاج الى مائة ألف درهم . فلما قرأ عبيد الله كتابه : وكان أرق الناس قلبا وألينهم عطفا ، انهملت عيناه . ثم قال : ويلك يا معاوية مما اجترحت يداك من الاثم حين أصبحت لين المهاد ، رفيع العماد ، والحسين يشكو ضيق الحال ، وكثرة العيال . ثم قال : لقهرمانه احمل الى الحسين نصف ما أملكه من فضة وذهب وثوب ودابة . وأخبره انى شاطرته مالى . فان أقنعه ذلك والا فارجع واحمل اليه الشطر الآخر . فقال له القيم : فهذه المؤن التى عليك من اين تقوم بها . قال : اذا بلغنا ذلك دللتك على أمر يقيم حالك . فلما أتى الرسول برسالته الى الحسين . قال : انا لله حملت والله على ابن عمى وما حسبته يتسع لنا بهذا كله . فاخذ الشطر من ماله . وهو أول من فعل ذلك فى الاسلام . ومن جوده : أن معاوية بن أبي سفيان أهدى اليه وهو عنده بالشام من هدايا النير وزحللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها مع حاجبه . فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها . فقال : هل فى نفسك منها شيء . قال نعم : والله ان فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام . فضحك عبيد الله . وقال : فشانك بها فهي لك . قال : جعلت فداءك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجد على . قال : فاختمها بخاتمك وادفعها الى الخازن فاذا حان خروجنا حملها اليك ليلا . فقال الحاجب : والله لهذه الحيلة فى الكرم أكثر من الكرم ولوددت أنى لا أموت حتى أراك مكانه يعني معاوية . فظن عبيد الله انها مكيدة منه . قال : دع عنك هذا الكلام فانا قوم نفي بما وعدنا ولا ننقض ما أكدنا ومن جوده أيضا : أنه أتاه سائل وهو لا يعرفه . فقال له : تصدق فاني نبئت ان عبيد الله بن عباس أعطي سائلا ألف درهم واعتذر اليه . فقال له : وأين أنا من عبيد الله . قال : أين أنت منه فى الحسب أم كثرة المال . قال : فيهما : قال : أما الحسب فى الرجل فمروأته وفعله ، واذا شئت فعلت واذا فعلت كنت حسيبا . فاعطاه ألفى درهم واعتذر اليه من ضيق الحال . فقال له السائل : ان لم تكن عبيد الله بن عباس فانت خير منه وان كنت هو فانت اليوم خير منك أمس . فاعطاه ألفا أخرى . فقال السائل : هذه هزة كريم حسيب ، والله لقد نقرت حبة قلبي فافرغتها فى قلبك فما أخطأت الا باعتراض الشد من جوانحى . ومن جوده أيضا : انه جاءه رجل من الانصار . فقال : يا ابن عم رسول الله انه ولد لى فى هذه الليلة مولود . وانى سميته باسمك

تبركا مني به وان أمه ماتت . فقال عبيدالله : بارك الله لك في الهبة وأجزل لك الاجر على المصيبة ثم دعا بوكيله . فقال . انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه وادفع اليه مائتي دينار للنفقة على تربيته . ثم قال للانصاري : عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفي العيش يبس وفي المال قلة . قال الانصاري : لو سبقت حاتما بيوم واحد ماذكرته العرب أبدا ولكنه سبقك فصرت له تاليا وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجهوده وطل كرمك أكثر من وابله

١٨ — جود عبدالله بن جعفر — ومن جود عبد الله بن جعفر أن عبد الرحمن بن أبي عمار دخل على نخاس يعرض قيانا له . فعلق واحدة منهن فشهر بذكرها حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه فكان جوابه ان قال :

يلومني فيك أقوام أجالسهم * فما أبالي أطار اللوم أم وقعا

فانتهى خبره الى عبدالله بن جعفر . فلم يكن له هم غيره فحج فبعث الى مولى الجارية فاشتراها منه باربعين ألف درهم . وأمر قيمة جواربه ان تزينها وتحليها ففعلت وبلغ الناس قدومه فدخلوا . فقال : مالي لا أرى ابن ابي عمار زارنا . فاخبر الشيخ فاتاه مسلما . فلما أراد أن ينهض استجلسه ثم قال : مافعل حب فلانة . قال : في اللحم والدم والمخ والعصب . قال أتعرفها لو رأيتها ؟ قال : لو أدخلت الجنة لم أنكرها . فامر بها عبد الله ان تخرج اليه . وقال له : انما اشتريتها لك ووالله مادنوت منها فشانك بها مباركا لك فيها . فلما ولى قال ياغلام احمل معه مائة ألف درهم ينعم بها معها . قال : فبكى عبد الرحمن فرحا . وقال ياأهل البيت لقد خصكم الله بشرف ما خص به أحدا قبلكم من صلب آدم فتهنيكم هذه النعمة وبورك لكم فيها . ومن جوده أيضا : انه أعطى امرأة سألته مالا عظيما . فقيل له : انها لا تعرفك وكان يرضيها اليسير . قال : ان كان يرضيها اليسير فاني لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فانا أعرف نفسي :

١٩ — جود سعيد بن العاص — ومن جود سعيد بن العاص انه مرض وهو بالشام فعاده معاوية ومعه شرحبيل بن السمط . ومسلم بن عقبة المري . ويزيد بن شجرة الزهري فلما نظر سعيد معاوية وثب عن صدر مجلسه اعظاما لمعاوية . فقال له : معاوية اقسمت عليك اباعثمان ان لا تتحرك فقد ضعفت بالعلة فسقط فتبادر معاوية نحوه حتي حنا عليه واخذ بيده فاقعده على فراشه وقعد معه وجعل يسائله عن علته ومنامه وغذائه ويصف له ماينبغي ان يتوقاه

وأطال القعود معه . فلما خرج التفت الى شرحبيل بن السمط ويزيد بن شجرة فقال : هل رأيتما خللا في مال أبي عثمان . فقالا : ما رأينا شيأ ننكره . فقال لمسلم بن عقبة ما تقول قال رأيت . قال وماذاك . قال رأيت على حشمه ومواليه ثيابا وسخة ورأيت صحن داره غير مكنوس ورأيت التجار يخاصمون قهرمانه . قال صدقت كل ذلك قد رأيته . فوجه اليه مع مسلم بثلثمائة ألف فسبق رسول يبشره بها ويخبره بما كان . فغضب سعيد وقال للرسول ان صاحبك ظن انه أحسن فاساء وتاول فاخطأ فاما وسخ ثياب الحشم فمن كثرة حركته اتسخ ثوبه ، وأما كنس الدار فليست أخلاقنا أخلاق من جعل داره مرآته وتزينه . لبسته . ومعروفه عطره . ثم لا يبالي بمن مات هزالا من ذي لحمة أو حرمة . وأما منازعة التجار قهرماني فمن كثرة حوائجه وبيعه وشرائه لم يجد بدا من أن يكون ظالما أو مظلوما . وأما المال الذي امر به امير المؤمنين فوصلته كل ذي رحم قاطعة وهناه كرامته المنعم بها عليه . وقد قبلناه وأمرنا لصاحبك منه بمائة ألف . ولشرحبيل بن السمط بمثلها . وليزيد بن شجرة بمثلها . وفي سعة الله وبسط يد أمير المؤمنين ما عليه معولنا . فركب مسلم بن عقبة الى معاوية فاعلمه فقال صدق ابن عمي فيما قال . وأخطأت فيما انتهيت اليه فاجعل نصيبك من المال لروح ابن زنباع عقوبة لك . فانه من جنى جناية عوقب بمثلها كما أنه من فعل خيرا كوفيء عليه . ومن جوده أيضا : ان معاوية كان يديل بينه وبين مروان بن الحكم في ولاية المدينة فكان مروان يقارضه . فلما دخل على معاوية . قال له كيف تركت أبا عبد الملك يعني مروان . قال تركته منفذ الامرك مصلحا لعملك . قال معاوية : انه كصاحب الخبزة كفى انضاجها فاكلها . قال كلا : يا أمير المؤمنين انه من قوم لا ياكلون الاما حصدوا ولا يحصدون الاما زرعوا . قال : فما الذي باعد بينك وبينه . قال : خفته على شرفي وخافني على مثله . قال : فاي شيء كان له عندك . قال : أسوؤه حاضرا وأسره غائبا . قال يا أبا عثمان تركتنا في هذه الحروب . قال حملت الثقل وكفيت الحزم . قال فما أبطأ بك . قال غناؤك عن ابطائي عنك وكنت قريبا لو دعوت لاجبناك ولو أمرت لاطعناك . قال ذلك ظننا بك . فاقبل معاوية : على أهل الشام فقال يا أهل الشام هؤلاء قومي وهذا كلامهم ثم قال اخبرني عن مالك فقد نبئت انك تتحرى فيه . قال يا أمير المؤمنين : لنا مال يخرج لنا منه فضل فاذا كان ما خرج قليلا انفقناه على قلته . وان كان كثيرا فكذلك غير انا لا ندخر منه شيا عن معسر ولا طالب ولا مختل ولا نستأثر منه بفلذة لحم ولا مزعة شحم . قال :

فكم يدوم لك هذا . قال من السنة نصفها قال فما تصنع في باقيها . قال نجد من يسلفنا ويسارع الى معاملتنا . قال ما أحد احوج الى ان يصلح من شانه منك . قال ان شأننا لصالح يا أمير المؤمنين ولو زدت في مالي مثله ما كنت الا بمثل هذه الحال . فامر له معاوية بخمسين الف درهم . وقال اشتر بها ضيعة تعينك على مروأتك . فقال : سعيد بل اشترى بها حمداً وذكرا باقيا أطعم بها الجائع وأزوج بها الأيم وافك بها العاني وأواسي بها الصديق وأصلح بها حال الجار . فلم تأت عليه ثلاثة أشهر وعنده منها درهم . فقال معاوية : مافضيلة بعد الايمان بالله هي أرفع في الذكر ولا أنبه في الشرف من الجود وحسبك أن الله تبارك وتعالى جعل الجود آخر صفاته . ومن جوده ايضا : ماحكاه الاصمعي قال كان سعيد بن العاص يسمر معه سمارة الى ان ينقضي حين من الليل فانصرف عنه القوم ليلة ورجل قاعد لم يقم فامر سعيد باطفاء الشمعة وقال حاجتك يافتى . فذكر ان عليه دينا اربعة آلاف درهم فامر له بها وكان اطفاؤه للشمعة اكثر من عطائه

٢٠ — جود عبيد الله بن ابي بكرة — ومن جود عبيد الله بن ابي بكرة : أنه ادلى اليه رجل بحرمة . فامر له بمائة ألف درهم . فقال اصلحك الله ما وصلني احد بمثلها قط ولقد قطعت لساني عن شكر غيرك ومارأيت الدنيا في يد أحد احسن منها في يدك ولولا أنت لم تبق لها بهجة الا أظلمت ولا نور الا انطمس

٢١ — جود عبيد الله بن معمر القرشي التيمي — ومن جود عبيد الله بن معمر القرشي : أن رجلا أتاه من أهل البصرة كانت له جارية نفيسة قد أدبها بانواع الادب حتى برعت وفاقت في جميع ذلك . ثم ان الدهر قعد بسيدها ومال عليه . وقدم عبيد الله بن معمر البصرة من بعض وجوهه . فقالت لسيدها انى أريد أن أذكر لك شيا أستحي منه اذفيه جفاء مني غير أنه يسهل ذلك على ماأرى من ضيق حالك وقلة مالك وزوال نعمتك وما اخافه عليك من الاحتياج وضيق الحال . وهذا عبيد الله بن معمر قدم البصرة وقد علمت شرفه وفضله وسعة كفه وجود نفسه . فلو اذنت لى فاصلحت من شانى ثم تقدمت بى اليه وعرضتني عليه هدية رجوت ان يأتيك من مكافاته ما يقلك الله به وينهضك ان شاء الله . قال فبكى وجدا عليها وجزعا لفراقها منه . ثم قال لها : لولا انك نطقت بهذا ما ابتدأتك به ابدا . ثم نهض بها حتى أوقفها بين يدي عبيد الله . فقال : اعزك الله هذه جارية ربيتها ورضيت بها لك فاقبلها مني هدية . فقال

مثلي لا يهدى له مثلك فهل لك في بيعها فاجزل لك الثمن عليها حتى ترضي . قال الذي تراه . قال يقنعك مني عشر بدر في كل بدرة عشرة آلاف درهم . قال والله ياسيدي ماامتد أملي الى عشر ماذكرت . ولكن هذا فضلك المعروف وجودك المشهور . فامر عبيد الله باخراج المال حتى صار بين يدي الرجل وقبضه . وقال للجارية ادخلي الحجاب . فقال سيدها : أعزك الله لو أذنت لي في وداعها . قال نعم : فوقفت وقام وقال لها وعيناه تدمعان

أبوح بحزن من فراقك موجع * أقاسي به ليلا يطيل تفكرى
ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن * يفرقنا شيء سوى الموت فاعذرى
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

قال عبيد الله بن معمر : قد شئت ذلك فخذ جاريتك وبارك الله في المال . فذهب بجاريته وماله فعاد غنيا . فهؤلاء أجواد الاسلام المشهورون في الجود المنسوبون اليه . وهم أحد عشر رجلا كما ذكرنا وسمينا . و بعدهم طبقة أخري من الاجواد قد شهروا بالجود وعرفوا بالكرم وحمدت أفعالهم وسنذكر ماأمكننا ذكره منها ان شاء الله تعالى

٢٢ — الطبقة الثانية من الاجواد — فمنهم الحكم بن حنطب : قيل لنصيب بن رباح خرف شعرك أبامحجن . قال لا ولكن خرف الكرم لقد رأيتني ومدحت الحكم بن حنطب فاعطاني ألف دينار ومائة ناقة وأربعمائة شاة . وسأل اعرابي الحكم بن حنطب فاعطاه خمسمائة دينار فبكي الاعرابي فقال مايبكيك يااعرابي لعلك استقللت ماأعطيناك . قال لا والله : ولكني أبكي لما تاكل الارض منك ثم أنشأ يقول :

وكأن آدم حين حان وفاته * أوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم * فكفيت آدم عيلة الابناء

العتبي قال : أخبرني رجل من أهل منبج . قال قدم علينا الحكم بن حنطب وهو مملق فاغنانا قال له كيف أغناكم وهو مملق . قال علمنا المكارم فعاد غنينا على فقيرنا :

٢٣ — ومنهم معن بن زائدة — وكان يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج . وأتاه رجل يسأله أن يحمله فقال ياغلام اعطه فرسا و برذونا و بغلا وعيرا وبعيرا وجارية . وقال لو عرفت مركوبا غير هؤلاء لاعطيتك . العتبي قال :

لما قدم معن بن زائدة البصرة واجتمع اليه الناس أتاه مروان بن أبي حفصة فاخذ بعضادتي الباب فانشده شعره الذي قاله فيه :

فما أحجم الاعداء عنك تقية * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الحتف والجود فيهما * أبى الله الا أن يضرّ وينفعا

٢٤ — ومنهم يزيد بن المهلب — وكان هشام بن حسان اذا ذكره قال : والله ان كادت السفن لتجري في جوده . وقيل لزيد بن المهلب مالك لا تبني دارا . قال : منزلي دار الامارة أو الحبس . ولما أتي يزيد بن عبد الملك برأس يزيد بن المهلب نال منه بعض جلسائه . فقال له : مه ان يزيد بن المهلب طلب جسيما وركب عظيما ومات كريما . ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلب فى الحبس فأنشده

صح فى قيدك السماحة والجـ * ـد وفك العناة والاغلال

قال أتمدحني وأنا فى هذه الحال . قال : أصبتك رخيصا فاشتريتك فامر له بعشرة آلاف . وقال سليمان بن عبد الملك : لموسي بن نصير : اغرم ديتك خمسين مرة . قال : ليس عندى ما أغرم قال : والله لتغرمن ديتك مائة مرة . قال : يزيد بن المهلب . أنا أغرمها عنه يا أمير المؤمنين . قال : اغرم فغرمها عنه مائة ألف . العتبى قال : أخبرنى عوانة . قال : استعمل الوليد بن عبد الملك عثمان بن حيان المرى على المدينة وأمره بالغلظة على أهل الظنة : فلما استخلف سليمان أخذه بالفى ألف درهم فاجتمعت القيسية فى ذلك فتحملوا شطرها وضاقوا ذرعا بالشطر الثاني . ووافق ذلك استعمال سليمان يزيد بن المهلب على العراق . فقال : عمر بن هبيرة عليكم بيزيد بن المهلب فما لها احد غيره فتحملوا الى يزيد عمر بن هبيرة . والقعقاع بن حبيب . والهذيل بن زفر بن الحرث وانتهوا الى رواق يزيد . قال يحيى بن اقتل : وكان حاجبا ليزيد بن المهلب . وكان رجلا من الازد فاستاذن لهم . فخرج يزيد الى الرواق فقرب ورحب ثم دعا بالغداء . فاوتوا بطعام ما أنكروا منه أكثر مما عرفوا . فلما تغدوا تكلم عثمان بن حيان وكان لسنا مفوها . وقال : زادك الله فى توفيقك أيها الامير ان الوليد بن عبد الملك وجهني الى المدينة عاملا عليها وأمرني بالغلظة على أهل الظنة والاخذ عليهم . وان سليمان أغرمني غرما رالله ما يسعه مالى ولا تحمله طاقتى . فاتيناك لتحمل من هذا المال ما خف عليك . وما بقي والله ثقيل على . ثم تكلم كل منهم بما حضره وقد اختصرنا كلامهم . فقال يزيد بن المهلب مرحبا بكم وأهلا ان خير المال ماقضى

به الحقوق وحملت فيه المغارم . وانما لى من المال مافضل عن اخوانى وأيم الله لو علمت ان أحداً أملأ بحاجتكم منى لهديتكم اليه فاحتكموا وأكثروا . فقال عثمان بن حيان النصف أصلح الله الامير . قال : نعم وكرامة اغدوا على مالكم فخذوه فشكروا له وقاموا فخرجوا . فلما صاروا على باب السرادق . قال : عمر بن هبيرة قبح الله رأيكم والله مايبالى يزيد أنصفها تحمل أم كلها فمن لكم بالنصف الباقى . قال : القوم هذا والله الرأى وسمع يزيد مناجاتهم . فقال لحاجبه : انظر يايحيي ان كان بقى على القوم شىء فليرجعوا فرجعوا اليه . وقالوا : أقلنا . قال : قد فعلت . قالوا : فان رأيت أن تحملها كلها فانت أهلها وان أبيت فما لها أحد غيرك . قال : قد فعلت . وغدا يزيد بن المهلب الى سليمان . فقال : ياأمير المؤمنين أتانى عثمان بن حيان وأصحابه . قال : امسك فى المال . قال : نعم . قال : سليمان والله لآخذنه منهم . قال : يزيد انى قد حملته . قال : فاده . قال : يزيد والله ماحملته الا لأؤديه . ثم قال : ياأمير المؤمنين ان هذه الحمالة وان عظم خطبها فحمدها والله أعظم منها ويدى مبسوطة بيدك فابسطها لسؤالها ثم غدا يزيد بالمال على الخزان فدفعه اليهم . فدخلوا على سليمان فاخبروه بقبض المال . فقال : وفت يمين سليمان احملوا الى أبى خالد ماله . فقال : عدى بن الرقاع العاملى :

ولله عينا من رأى كحمالة * تحملها كبش العراق يزيد

الاصمعى قال : قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاعه من بنى ضبة . فقال رجل منهم :

والله ماندرى اذا مافاتنا * طلب اليك من الذى نتطلب
ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد * أحدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتنا التى عودتنا * أولا فارشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار فلما كان فى العام المقبل وفد عليه . فقال :

مالى أرى أبوابهم مهجورة * وكأن بابك مجمع الاسواق
حابوك أم هابوك أم شاموا الندى * بيديك فاجتمعوا من الافاق
انى رأيتك للمكارم عاشقا * والمكرمات قليلة العشاق

فامر له بعشرة آلاف درهم . ومر يزيد بن المهلب فى طريق البصرة باعرابية فاهدت اليه عنزا فقبلها . وقال لابنه معاوية ماعندك من نفقة . قال : ثمانمائة درهم . قال : ادفعها اليها . قال : انها لاتعرفك ويرضيها اليسير . قال : ان كانت لاتعرفنى فانا أعرف نفسى وان كان

يرضيها اليسير فانا لا أرضي الا بالكثير

٢٥ — ومنهم يزيد بن حاتم — وكتب اليه رجل من العلماء يستوصله فبعث اليه ثلاثين الف درهم . وكتب اليه أما بعد : فقد بعثت اليك بثلاثين الفا لا أكثرها امتنانا ولا أقلها تجبرا ، ولا أستثيبك عليها ثناء ، ولا أقطع لك بها رجاء ، والسلام . وكان ربيعة الرقي قد قدم مصر فاتى يزيد بن حاتم السلمي فلم يعطه شيا . ثم عطف على يزيد بن حاتم الازدى فشغل عنه ببعض الامر . فخرج وهو يقول :

أراني ولا كفران لله راجعا * بخفي حنين من نوال ابن حاتم

فسال عنه يزيد : فاخبر انه قد خرج وقال كذا : وانشد البيت فارسل في طلبه فاتي به . فقال : كيف قلت فانشده البيت . فقال : شغلنا عنك . ثم أمر بخفيه فخلعتا من رجليه وملئتا مالا . وقال : ارجع بهما بدلا من خفي حنين . فقال فيه : لما عزل عن مصر وولى مكانه يزيد بن حاتم السلمي :

بكى أهل مصر بالدموع السواجم * غداة غدا منها الاغر بن حاتم

وفيها يقول :

لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم
فهمُّ الفتى الازدي اتلاف ماله * وهم الفتى القيسى جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام اني هجوته * ولكنني فضلت أهل المكارم

وخرج اليه رجل من الشعراء يمدحه . فلما بلغ مصر وجده قد مات . فقال فيه :

لئن مصر فاتتني بما كنت أرتجي * واخلفني منها الذى كنت آمل
فما كل من يخشى الفتى بمصيبة * ولا كل من يرجو الفتى هو نائل
وما كان بيني لو لقيتك سالما * وبين الغنى الا ليال قلائل

٢٦ — ومنهم أبو دلف — واسمه القاسم بن اسمعيل . وفيه يقول على ابن جبلة :

انما الدنيا أبو دلف * بين مبداه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

وقال فيه رجل من شعراء الكوفة :

الله أجرى من الارزاق أكثرها * على العباد على كفى أبي دلف
باري الرياح فاعطى وهى جارية * حتى اذا وقفت أعطى ولم يقف
ماخط لا كاتباه فى صحيفته * يوما كما خط لا فى سائر الصحف

فاعطاه ثلاثين الفا . ومدحه آخر فقال فيه :

يشبهه الرعد اذا الرعد رجف * كانه البرق اذا البرق خطف
كانه الموت اذا الموت أزف * تحمله الى الوغى الخيل القطف
ان سار سار المجد أوحل وقف * أنظر بعينيك الى أسنى الشرف
هل ناله بقدرة أو بكلف * خلق من الناس سوى أبى دلف

فاعطاه خمسين الفا :

٢٧ — ومن أخبار معن بن زائدة ـ قال شرحبيل بن معن بن زائدة حج هرون الرشيد وزميله أبو يوسف القاضى وكنت كثيرا ما أسايره اذ عرض له اعرابي من بني أسد فانشده شعرا مدحه فيه : وفرطه . فقال له هرون : ألم أنهك عن مثل هذا فى مدحك يا أخا بنى أسد . اذا قلت فينا فقل كقول القائل فى أبى هذا :

بنوا مطر يوم اللقاء كانهم * أسود لها فى غيل خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كانما * لجارهم بين السماكين منزل
بها ليل فى الاسلام سادوا ولم يكن * كاولهم فى الجاهلية أول
وما يستطيع الفاعلون فعالهم * وان أحسنوا فى النائبات وأجملوا
هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان اعطوا أطابوا وأجزلوا

٢٨ — ومنهم خالد بن عبد الله القسرى — وهو الذى يقول فيه الشاعر

الى خالد حتى أنخن بخالد * فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

بينا خالد بن عبد الله القسري جالس فى مظلة له اذ نظر الى اعرابي يخب به بعيره مقبلا نحوه . فقال لحاجبه اذا قدم فلا تحجبه فلما قدم أدخله عليه فسلم وقال :

أصلحك الله قل ما بيدي * فما أطيق العيال اذ كثروا
أناخ دهر القى بكلكله * فارسلوني اليك وانتظروا

فقال خالد ارسلوك وانتظروا : والله لا انزل حتى تنصرف اليهم بما يسرهم . وأمر له بجائزة عظيمة وكسوه شريفة

٢٩ — ومنهم عدي بن حاتم — دخل عليه بن دارة فقال اني مدحتك قال أمسك حتى آتيك بمالى ثم امدحني على حسبه فاني لا أعطيك ثمن ماتقول لى الف شاة والف درهم وثلاثة أعبد وثلاث اماء وفرسى هذا حبس فى سبيل الله . فامدحني على حسب ما أخبرتك فقال :

نحنّ قلوصى فى معد وانما * تلاقي الربيع في بلاد بني ثعل
وأبقي الليالى من عدي بن حاتم * جساما كنصل السيف سل من الخلل
أبوك جواد لايشق غباره * رأنت جواد ليس تعذر بالعلل
فان تفعلوا شرا فمثلكم اتقى * وان تفعلوا خيرا فمثلكم فعل

قال له عدى امسك لايبلغ مابي أكثر من هذا :

٣٠ — اصفاد الملوك على المدح — سعيد بن الباهلى قال : قدم على الرشيد أعرابى من باهلة وعليه جبة حبرة ورداء يمان قدشدّه على وسطه ثم ثناه على عاتقه وعمامته قدعصبها على فوديه وأرخي لها عذبة من خلفه . فمثل بين يدي الرشيد . فقال سعيد ياأعرابي خذ شرف أمير المؤمنين فاندفع فى شعره . فقال الرشيد يا اعرابى اسمعك مستحسنا وأنكرك متهما فقل لنا بيتين فى هذين يعنى محمداً الامين وعبدالله المأمون ابنيه وهما حفافاه . فقال يا أمير المؤمنين : حملتنى على الوعر القردد ، وارجعتنى على السهل الجدرد ، روعة الخلافة ، وبهر الدرجة ، ونفور القوافى على البديهة ، فاروُدني تتالف لى نوافرها ، ويسكن روعي . قال قد فعلت وجعلت اعتذارك بدلا من امتحانك : قال يا أمير المؤمنين نفست الخناق ، وسهلت ميدان السباق ، فانشأ يقول :

بنيت لعبد الله ثم محمد * ذرى قبة الاسلام فاخضر عودها
هما طنباها بارك الله فيهما * وأنت أمير المؤمنين عمودها

فقال الرشيد : وأنت يااعرابي بارك الله فيك فسل ولا تكن مسئلتك دون احسانك . قال الهنيدة يا امير المؤمنين فامرله بمائة ناقة وسبع خلع . وقال مروان بن أبى حفصة : دخلت على

المهدى فاستنشدنى . فانشدته الشعر الذى أقول فيه :

طرقتك زائرة فحى خيالها * بيضاء تخلط بالحياء دلالها
قادت فؤادك فاستقاد ومثلها * قاد القلوب الى الصبا فاما لها

حتى انتهيت الى قولى :

شهدت من الانفال آخر آية * ببراءة فرجوتمُ إبطالها
أو تدفعون مقالة عن ربه * جبريلُ بلغها النبي فقالها
هل تطمسون من السماء نجومها * باكفكم أو تسترون هلالها

قال وأنشدته أيضاً شعري الذي أقول فيه :

يا ابن الذى ورث النبي محمدا * دون الاقارب من ذوى الارحام
الوحى بين بني البنات و بينكم * قطعَ الخصامَ فلا تحين خصام
ماللنساء مع الرجال فريضة * نزلت بذلك سورة الانعام
أني يكون وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثة الاعمام
ألنى سهامهمُ الكتاب فحاولوا * أن يشرعوا فيها بغير سهام
ظفرت بنو ساقي الحجيج بحقهم * وغررتم بتوهم الاحلام

قال مروان بن أبي حفصة : فلما أنشدت المهدى الشعرين . قال وجب حقك على هؤلاء وعنده جماعة من أهل بيته قد أمرت لك بثلاثين ألفا . وفرضت على موسى خمسة آلاف وعلى هرون مثلها . وعلي على أربعة آلاف . وعلى العباس كذا وعلى فلان كذا فحسبت سبعين ألفا قال : فامر بالثلاثين ألفا فاتى بها . ثم قال : اغد على هؤلاء وخذ ما فرضت لك . فاتيت موسي فامر لى بخمسة آلاف وأتيت هرون فامر لى بمثلها . وأتيت عليا . قال : قصر بى دون اخوتى فلن أقصر بنفسي فامر لى بخمسة آلاف فاخذت من الباقين سبعين ألفا . ودخل أعشى ربيعة : على عبد الملك بن مروان وعن يمينه الوليد . وعن يساره سليمان . فقال له عبد الملك ماذا بقي يا أبا المغيرة . قال مضى مامضى وبقي وأنشأ يقول :

وما أنا في حق ولا فى خصومتى * بمهتضم حقي ولا قارع سني
ولا مسلم مولاي من سوء حاجتي * ولا خائف مولاي من سوء ما أجني
وفضلى فى الاقوام والشعر انى * أقول الذى أعني واعرف ما أعني

وان فؤادى بين جنبيّ عالم ✻ بما أبصرت عيني وماسمعت أذني
واني وان فضلت مروان وابنه ✻ على الناس قد فضلت خير أب وابن

فضحك عبدالملك . وقال للوليد وسليمان أتلومانى على هذا وأمرله بعشرة آلاف . العتبي قال : دخل الفرزدق على عبدالرحمن بن الحكم . فقال له عبد الرحمن أبافراس دعني من شعرك الذى لاياتي آخره حتى ينسي أوله وقل فيّ بيتين يعقلان أفواه الرواة وأعطيكها عطية لم يعطكها أحد قبلى فغدا عليه وهو يقول :

وأنت ابن بطحاوى قريش فان تشا ✻ تنل من ثقيف سيل ذي حبل غمر
وأنت ابن فرع ماجد لعقيلة ✻ تلقت بك الشمس المضيئة للبدر

قال أحسنت وأمرله بعشرة آلاف . أبوسويد قال : أخبرني الكوفى قال اعترض الفضل بن يحيي بن خالد فى وقت خروجه الى خراسان فتى من التجار كان شخص الى الكوفة فقطع به وأخذ جميع ماله الذى كان معه فاخذ بعنان دابة الفضل وقال :

سارسل بيتا ليس في الشعر مثله ✻ يقطع أعناق البيوت الشوارد
أقام الندي والبأس فى كل منزل ✻ أقام به الفضل بن يحيي بن خالد

قال فامرله بمائة الف درهم . العتبي قال : أبوالجنوب مروان بن أبي حفصة أبياتاً ورفعها الى زبيدة ابنة جعفر يمتدح ابنها محمدا وفيها يقول :

لله درك ياعقيلة جعفر ✻ ماذا ولدت من العلا والسودد
ان الخلافة قد تبين نورها ✻ للناظرين على جبين محمد

فامرت أن يملأ فمه درا . قال الحسن بن رجاء الكاتب : قدم علينا على بن جبلة الى عسكر الحسن بن سهل والمامون هناك بانيا على خديجة ابنة الحسن بن سهل المعروفة ببوران . ونحن اذذاك نجري على نيف وسبعين ألف ملاح . وكان الحسن بن سهل مع المامون يتصبح . فكان الحسن يجلس للناس الى وقت انتباهه . فلما قدم على بن جبلة نزل بي فقلت له قد قوى شغل الامير قال اذا لا اضيع معك قلت أجل . فدخلت على الحسن بن سهل فى وقت ظهوره فاعلمته مكانه . فقال ألا ترى مانحن فيه قلت لست بمشغول عن الامرله . فقال يعطى عشرة آلاف الى أن نتفرغ له فاعلمت على بن جبلة فقال فى كلمة له

أعطيتني ياولى الحق مبتدئا ✻ عطية كافأت حمدى ولم ترني

ماشمت برقك حتى نلت بريقه * كأنما كنت بالجدوى تبادرنى

عرض رجل لابن طوق : وقد خرج متنزها فى الرحبة فناوله رقعة فيها جميع حاجته فاخذها فاذا فيها :

جعلتك دنياى فان أنت جدت لى * بخير والا فالسلام على الدنيا

فقال والله لاصدقن ظنك . فاعطاه حتى أغناه . عرض دعبل بن على الشاعر لعبدالله بن طاهر الخراسانى . وهو راكب فى حراقة له فى دجلة فاشار اليه برقعة فامر باخذها فاذا فيها :

عجبت لحراقة بن الحسين * كيف تسير ولا تغرق
وبحران من تحتها واحد * وآخر من فرقها مطبق
وأعجب من ذاك عيدانها * اذا مسها كيف لا تورق

فامر له بخمسة آلاف درهم وجارية وفرس . وخرج عبدالله بن طاهر فتلقاه دعبل برقعة فيها :

طلعت قناتك بالسعادة فوقها * معقودة بلواء ملك مقبل
تهتز فوق طريدتين كأنما * تهفو بفصلها جناحا أجدل
ريح البخيل على احتيال عرضه * بندى يديك ووجهك المتهلل
لوكان يعلم أن نيلك عاجل * مافاض منه جدول في جدول

فامر له بخمسة آلاف . ووقف رجل من الشعراء الى عبدالله بن طاهر فانشده :

اذا قيل أي فتى تعلمون * أهش الى البأس والنائل
وأضرب للهام يوم الوقا * وأطعم فى الزمن الماحل
أشار اليك جميع الانام * اشارة غرقي الى ساحل

فامر له بخمسين ألف درهم . أحمد بن مطير قال : أنشدت عبدالله بن طاهر أبياتا كنت مدحت بها بعض الولاة وهي :

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس أنعم
فيقطر يوم الجود من كفه الندى * ويقطر يوم البؤس من كفه الدم
فلو أن يوم البؤس لم يثن كفه * على الناس لم يصبح على الارض مجرم
ولو أن يوم الجود فرغ كفه * لبذل الندى ما كان بالارض معدم

فقال لى عبد الله كم أعطاك . قلت خمسة آلاف . قال فقبلتها قلت نعم . قال لى أخطات . ما ثمن هذه الامانة ألف . ودخل حماد عجرد على أبى جعفر بعد موت أبى العباس أخيه فانشده :

أبوك بعد أبي العباس اذ بانا * يا أكرم الناس أعراقا وعيدانا
لومج عود على قوم عصارته * لمج عودك فينا الشد والبانا

فامر له بخمسة آلاف درهم . الفخذمى قال : جاء موسى سهوان الى سعيد بن خالد ابن عمرو بن عثمان . فقال : ان هنا جارية تعشقتها وأبوا أن ينقصونى من مائتى دينار . فقال بورك فيه فذهب الى سعيد بن خالد بن أسيد وأمه عائشة بنت طلحة الطلحات . فدعا بمطرف خز فبسطه وعقد فى كل ركن من أركانه مائة دينار . وقال لموسى خذ المطرف بما فيه فاخذه . ثم غدا عليه فانشده :

أبا خالد أعنى سعيد بن خالد * أخا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد
عميد الندى ما عاش يرضى به الندي * فان مات لم يرض الندى بعميد
دعوه دعوه انكم قدر قدتم * وما هو عن أحسابكم برقود

العتبي قال : سمعت عمى ينشد لابي العباس الزبيري :

وكل خليفة وولى عهد * لكم يا آل مروان الفداء
امارتكم شفاء حيث كانت * وبعض امارة الاقوام داء
فانتم تحسنون اذا ملكتم * وبعض القوم ان ملكوا أساؤا
أأجعلكم وغيركم سواء * وبينكم وبينهم الهواء
هم أرض لارجلكم وأنتم * لايديهم وأرجلهم سماء

فقلت له : كم أعطى عليها . قال : عشرين ألفا * الاصمعى قال : حدثني رؤبة قال : دخلت على أبى مسلم صاحب الدعوة . فلما أبصرنى نادى يارؤبة فاجبته :

لبيك اذ دعوتني لبيكا * أحمد ربا ساقني اليكا * الحمد والنعمة فى يديكا

قال : بل فى يدى الله تعالى . قلت له : وأنت اذا أنعمت اجدت . ثم قلت : ياذن لى الامير في الانشاد . قال نعم فانشدته :

مازال ياتى الملك فى أقطاره * وعن يمينه وعن يساره
مشمرا لا يصطلى بناره * حتى أقر الملك فى قراره

فقال : يارؤبة انك أتيتنا وقد شف المال واستنفده الانفاق . وقد أمرنا لك بجائزة وهي

تافهة يسيرة ومنك العود وعلينا المعول والدهر أطرق مستذيب فلا تلق بجنبيك الا شدة . قال: رؤبة . فقلت : الذى افادنى الامير من كلامه أكثر من الذي أفادني من ماله . ودخل نصيب بن رباح على هشام فانشده :

اذا استبق الناس العلا سبقتهم * يمينك عفوا ثم صلت شمالك

فقال هشام : بلغت غاية المدح فسلني . فقال : يا أمير المؤمنين يداك بالعطية أطلق من لساني بالمسئلة : قال : لا بد ان تفعل . قال : لى ابنة نفضت عليها من سوداى فكسدها فلو أنفقها أمير المؤمنين بشيء يجعله لها . قال : فاقطعها أرضا وأمر لها بحلى وكسوة فنفقت السوداء . الرياشى عن الاصمعي . قال : مدح نصيب بن رباح عبدالله بن جعفر فامر له بمال كثير وكسوة شريفة ورواحل موقرة براً وتمراً . فقيل له : أتفعل هذا بمثل هذا العبد الاسود . قال : أما لئن كان عبداً ان شعره لحر ولئن كان اسود ان ثناءه لابيض . وانما أخذ مالا يفني وثيابا تبلى ورواحل تنضي واعطى مديحا يروى وثناء يبقى . وذكروا عن أبي النجم العجلى أنه أنشد هشاما شعره الذى يقول فيه . الحمد لله الوهوب الجزل — وهو من أجود شعره حتى انتهي الى قوله — والشمس فى الجو كعين الاحول — وكان هشام أحول فاغضبه ذلك . فامر به فطرد فامل أبو النجم رجعته فكان ياوي الى المسجد فارق هشام ذات ليلة . فقال لحاجبه . أبغني رجلا عربيا فصيحا يحدثني و ينشدنى فطلب له ماسال فوجد أباالنجم فاتى به فلما دخل عليه : قال : أين تكون منذ أقصيناك . قال: حيث القانى رسولك . قال : فمن كان أبا النجم مثواك . قال : رجلين أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر . قال : فمالك من الولد . قال : ابنتان . قال : أزوجتهما . قال زوجت احداهما . قال : فبم أوصيتها ليلة أهديتها . قال قلت لها :

سبي الحماة وابهتي عليها * وان أبت فازدلفى اليها
ثم اقرعى بالعود مرفقيها * وجددى الحلف به عليها

قال : فهل أوصيتها بعد هذا . قال نعم :

أوصيت من برة قلبا برا * بالكلب خيرا والحماة شرا
لا تسامى خنقا لها وجرا * والحى عميهم بشر طرا
وان كسوك ذهبا ودرا * حتى يروا حلو الحياة مرا

قال هشام : ماهكذا أوصى يعقوب ولده . قال أبو النجم : ولا أنا كيعقوب ولا ولدى

كولده . قال : فما حال الاخري . قال هي ظلامة التي أقول فيها

كان ظلامة أخت شيبان ✻ يتيمة ووالداها حيان
الرأس قمل كله وصئبان ✻ وليس في الرجلين الا خيطان
فهي التي يذعر منها الشيطان

قال هشام لحاجبه ما فعلت الدنانير التي أمرتك بقبضها قال هي عندي وهي خمسمائة دينار . قال له ادفعها الى ابي النجم ليجعلها في رجلي ظلامة مكان الخيطين . أبو عبيدة قال : حدثني يونس بن حبيب قال لما استخلف مروان بن محمد دخل عليه الشعراء يهنؤنه بالخلافة . فتقدم اليه طريح بن اسمعيل الثقفي . قال الوليد بن يزيد فقال الحمد لله الذي أنعم بك على الاسلام اماما ، وجعلك لاحكام دينه قواما ، ولامة محمد المصطفى جنة ونظاما . ثم أنشده شعره الذي يقول فيه

تسوه عداك في سداد ونعمة ✻ خلافتنا تسعين عاما وأشهرا

فقال مروان كم الاشهر . قال تمام المائة يا أمير المؤمنين تبلغ فيها أعلى درجة وأسعد عاقبة في النصرة والتمكين . فامر له بمائة الف درهم ثم تقدم اليه ذو الرمة متحانيا كبرة قد انحلت عمامته منحدرة على وجهه فوقف يسويها فقيل له تقدم قال اني أجل أمير المؤمنين أن أخطب بشرفه مادحا بلوثة عمامتي . فقال مروان ما أملت أنه أبقت لنا منك مي ولا صيدح في كلامك امتاعا . قال بلى والله يا أمير المؤمنين أود منه قراحا والاحسن امتداحا . ثم تقدم فانشد شعرا يقول فيه :

فقلت لها سيري أمامك سيد ✻ تفرع من مروان أو من محمد

فقال له ما فعلت مي . فقال طويت غدائرها ببرد بلي ومحا التراب محاسن الخد . فالتفت مروان الى العباس بن الوليد . فقال أما ترى القوافي تنثال انثيالا يعطى بكل من سمي من آبائي الف دينار قال ذو الرمة لو علمت لبلغت به عبد شمس . الربيع حاجب المنصور قال : قلت يوما للمنصور ان الشعراء ببابك وهم كثيرون طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم . فقال اخرج اليهم فاقرأ عليهم السلام وقل لهم من مدحني منكم فلا يصفني بالاسد فانما هو كلب من الكلاب . ولا بالحية فانما هي دويبة منتنة تاكل التراب ولا بالجبل فانما هو حجر أصم . ولا بالبحر فانما هو عطائط لجب . ومن ليس في شعره هذا فليدخل ومن كان في شعره فلينصرف . فانصرفوا كلهم الا ابراهيم بن هرمة فانه قال له انا له يا ربيع . فادخلني فادخله . فلما مثل بين يديه قال المنصور يا ربيع قد علمت أنه لا يجيبك أحد غيره هات يا ابن هرمة . فانشده قصيدته التي يقول فيها :

له لحظات عن حفافى سريره * اذا كرها فيها عذاب ونائل
لهم طينة بيضاء من آل هاشم * اذا اسود من كوم التراب القبائل
اذاما أتى شيامضى كالذى أتى * وان قال انى فاعل فهو فاعل

فقال حسبك ههنا بلغت هذا عين الشعر قد أمرت لك بخمسة آلاف درهم . فقمت اليه وقبلت رأسه وأطرافه ثم خرجت . فلما كدت ان اخفى عن عينيه سمعته يقول يا ابراهيم فاقبلت اليه فزعا فقلت لبيك فداك أبى وأمى . قال احتفظ بها فليس لك عندنا غيرها فقلت بابي وأمى أنت احفظها حتى أوافيك بها على الصراط بخاتم الجهيد . على بن الحسين قال : انشد على ابن الجهم جعفر المتوكل شعره الذى أوله * هى النفس ماحملتها تتحمل * وكان فى يد المتوكل جوهرتان فاعطاه التى فى يمينه . فاطرق متفكرا فى شىء يقوله ليأخذ التى فى يساره . فقال مالك مفكرا انما تفكر فيما تاخذ به الاخرى خذها لا بورك لك فيها . فانشا يقول :

بسر من رأى امام عدل * تغرف من بحره البحار
يرجى ويخشى لكل أمر * كأنه جنة ونار
الملك فيه وفى بنيه * ما اختلف الليل والنهار
يداه فى الجود ضرتان * عليه كلتا هما تغار
لم تات منه اليمين شيا * الا أتت مثله اليسار

وقال آخر فى الهول :

اذا سالت الندى عن كل مكرمة * لم تلف نسبتها الا الى الهول
لو زاحم الشمس ألفى الشمس مظلمة * أو زاحم الصم الجاها الى الميل
أمضى من الدهران نابته نائبة * وعند أعدائه أمضى من السيل

ودخل شاعر من أهل الرى يقال له ابو زيد على عبد الله بن طاهر صاحب خراسان فانشده :

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا * من شادمهر ودع غمدان لليمن
فانت أولى بتاج الملك تلبسه * من هوذة بن على وابن ذى يزن

فامر له بعشرة آلاف درهم . ودخلت ليلى الاخيلية على الحجاج فانشدته :

اذا ورد الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها * غلام اذا هز القناة سقاها

فقال لها لا تقولى غلام ولكن قولى هيام . ثم قال اى النساء احب اليك أنزلك عندها . قالت ومن نساؤك أيها الامير . قال أم الجلاس ابنة سعيد بن العاص الاموية . وهند ابنة أسماء بن خارجة الفزارية وهند ابنة المهلب بن أبي صفرة العتكية . قالت العيصية أحب الى . فلما كان من الغد دخلت عليه . قال يا غلام أعطها خمسمائة . قالت أيها الامير أحسبها ادما . قال قائل انما أمر لك بشاة . قالت الامير أكرم من ذلك فجعلها ابلا على استحياء وانما كان أمر لها بشاة .

٤

فرش كتاب الوفود

قال احمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الاجواد والاصفاد على مراتبهم ومنازلهم وما جروا عليه وما ندبوا اليه من الاخلاق الجميلة ، والافعال الجزيلة ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الوفود الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الخلفاء والملوك فانها مقامات فضل ، ومشاهد حفل ، يتخير لها الكلام ، ويستعذب الالفاظ ، ويستجزل المعاني . ولا بد للوافد عن قومه أن يكون عميدهم وزعيمهم الذى عن قوسه ينزعون ، وعن رأيه يصدرون ، فهو واحد يعدل قبيلة ، ولسان يعرب عن ألسنة ، وما ظنك بوافد قوم يتكلم بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم أو خليفته ، أو بين يدى ملك جبار فى رغبة أو رهبة ، فهو يوطد لقومه مرة ويتحفظ من امامه أخرى ، أتراه مدخر نتيجة من نتائج الحكمة ، أو مستبقيا غريبة من غرائب الفطنة ، أم تظن القوم قدموه لفضل هذه الخطة الا وهو عندهم فى غاية الحذلقة واللسانة ، ومجمع الشعر والخطابة ، ألا ترى أن قيس بن عاصم المنقرى لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، بسط له رداءه وقال هذا سيد الوبر . ولما توفى قيس بن عاصم . قال فيه الشاعر :

عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ماشاء ان يترحما
تحية من ألبسته منك نعمة * اذا زاد عن شحط بلادك سلما
وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

١ — وفود العرب على كسرى — ابن القطامى عن الكلبي قال : قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين . فذكروا من ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان

بالعرب وفضلهم على جميع الامم لا يستثني فارس ولا غيرها . فقال كسرى : وأخذته عزة الملك يا نعمان لقد فكرت فى أمر العرب وغيرهم من الامم ، ونظرت فى حال من يقدم على من وفود الامم ، فوجدت الروم لها حظ فى اجتماع الفتها ، وعظم سلطانها ، وكثرة مدائنها ، ووثيق بنيانها ، وان لها دينا يبين حلالها وحرامها ، ويرد سفيهها ويقيم جاهلها ، ورأيت الهند نحوا من ذلك فى حكمتها وطبها ، مع كثرة انهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعاتها ، وطيب أشجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددها ، وكذلك الصين فى اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها ، وفروسيتها وهمتها فى آلة الحرب وصناعة الحديد وان لها ملكا يجمعها ، والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال فى المعاش ، وقلة الريف والثمار والحصون ، وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لهم ملوك تضم قواصيهم ، وتدبر أمرهم ولم أر للعرب شيا من خصال الخير فى أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوة ، ومع أن مما يدل على مهانتها ، وذلها وصغر همتها ، محلتهم التى هم بها مع الوحوش النافرة ، والطير الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ، ومشاربها ولهوها ، ولذاتها فافضل طعام ظفر به ناعمهم ، لحوم الابل التى يعافها كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها ، وخوف دائها ، وان قرى أحدهم ضيفا عدها مكرمة ، وان أطعم أكلة عدها غنيمة ، تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ، ما خلا هذه التنوخية التي أسس جدي اجتماعها ، وشد مملكتها ومنعها من عدوها ، فجرى لها ذلك الى يومنا هذا ، وان لها مع ذلك آثارا ولبوسا ، وقرى وحصونا ، وامورا تشبه بعض أمور الناس يعني اليمن . ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذلة والقلة والفاقة والبؤس حتي تفتخروا ، وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس . قال النعمان : أصلح الله الملك حق لامة الملك منها أن يسمو فضلها ، ويعظم خطبها ، وتعلو درجتها ، الا أن عندى جوابا فى كل ما نطق به الملك فى غير رد عليه ، ولا تكذيب له ، فان أمنني من غضبه نطقت به . قال كسرى : قل فانت آمن . قال النعمان : أما أمتك أيها الملك فليست تنازع فى الفضل لموضعها الذى هي به من عقولها وأحلامها ، وبسطة محلها وبحبوحة عزها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الامم التى ذكرت فاى أمة تقرنها بالعرب الا فضلتها . قال كسرى : بماذا . قال النعمان : بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وباسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفتها . ووفائها فاما عزها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوّخوا البلاد، ووطدوا الملك، وقادوا الجند،

لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ، حصونهم ظهور خيلهم ، ومهادهم الارض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعدتهم الصبر ، اذغيرها من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحر . وأما حسن وجوهها وألوانها ، فقد يعرف فضلهم فى ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة ، والصين المنحفة ، والترك المشوهة ، والروم المقشرة . وأما أنسابها وأحسابها ، فليست أمة من الامم الا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أولها ، حتى ان أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه دنيا ، فلا ينسبه ولا يعرفه ، وليس أحد من العرب الا يسمي آباءه أبا فابا حاطوا بذلك أحسابهم ، وحفظوا به أنسابهم ، فلا يدخل رجل فى غير قومه ولا ينتسب الى غير نسبه ، ولا يدعي الى غير أبيه ، وأما سخاؤها . فان أدناهم رجلا الذى تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغه فى حموله وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذى يكتفي بالفلذة و يجتزى بالشربة ، فيعقرها له ، و يرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوثة وطيب الذكر . وأما حكمة ألسنتهم : فان الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ، ورونق كلامهم ، وحسنه ووزنه ، وقوافيه مع معرفتهم بالاشياء ، وضربهم للامثال وابلاغهم فى الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الاجناس . ثم خيلهم أفضل الخيل ، ونساؤهم أعف النساء ، ولباسهم أفضل اللباس ، ومعادنهم الذهب والفضة ، وحجارة جبالهم الجزع ومطاياهم التى لا يبلغ على مثلها سفن ، ولا يقطع بمثلها بلد قفر . وأما دينها وشريعتها : فانهم متمسكون به ، حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه ان لهم أشهرا حرما ، وبلدا محرما ، و بيتا محجوجا ينسكون فيه مناسكهم ، و يذبحون فيه ذبائحهم : فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه ، وهو قادر على أخذ ثاره وادراك رغمه منه ، فيحجزه كرمه ، و يمنعه دينه عن تناوله باذى . وأما وفاؤها : فان أحدهم يلحظ اللحظة و يومىء الايماء . فهي ولث وعقدة لا يحلها الا خروج نفسه ، وان أحدهم يرفع عودا من الارض فيكون رهنا بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته ، وان أحدهم ليبلغه أن رجلا استجار به وعسى أن يكون نائيا عن داره فيصاب ، فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته ، لما أخفر من جواره ، وانه ليلجا اليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه ، وأموالهم دون ماله . وأما قولك أيها الملك : يئدون أولادهم فانما يفعله من يفعله منهم بالاناث أنفة من العار وغيرة من الازواج . وأما قولك : ان أفضل طعامهم لحوم الابل على ما وصفت منها ، فما تركوا ما دونها الا احتقارا له فعمدوا الى أجلها وأفضلها فكانت مراكبهم وطعامهم مع أنها أكثر البهائم

شحوما ، وأطيبها لحوما ، وأرقها ألبانا ، وأقلها غائلة ، وأحلاها مضغة ، وانه لاشيء من اللحمان يعالج مايعالج به لحمها الا استبان فضلها عليه . وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضاً ، وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم ، فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا أنست من نفسها ضعفاً ، وتخوفت نهوض عدوها بالزحف اليها ، وانه انما يكون فى المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم ، فيلقون اليهم أمورهم ، وينقادون لهم بأزمتهم . وأما العرب : فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والوزث بالعسف . وأما اليمن التي وصفها الملك : فلما أتى جد الملك اليها الذى أتاه عند غلبة الحبش له على ملك متسق ، وأمر مجتمع ، أتاه مسلوبا طريدا مستصرخا ، قد تقاصر عن ايوائه ، وصغر فى عينه ماشيد من بنائه ، ولولا ماوتر به من يليه من العرب ، لمال الى مجال ولوجد من يجيد الطعان ، ويغضب للاحرار ، من غلبة العبيد الاشرار . قال فعجب كسري لما اجابه النعمان به وقال انك لاهل لموضعك من الرياسة فى أهل اقليمك ولما هو أفضل . ثم كساه من كسوته ، وسرحه الى موضعه من الحيرة . فلما قدم النعمان الحيرة وفى نفسه مافيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين أمرهم . بعث الى أكثم بن صيفى . وحاجب بن زرارة التميميين والى الحرث بن ظالم وقيس بن مسعود البكريين ، والى خالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين ، والى عمرو بن الشريد السلمى وعمرو بن معديكرب الزبيدى والحرث بن ظالم المرى . فلما قدموا عليه فى الخورنق قال لهم : قد عرفتم هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منها . وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت أن يكون لها غور او يكون انما أظهرها لامر أراد أن يتخذ به العرب خولا كبعض طماطمته فى تاديتهم الخراج اليه كما يفعل بملوك الامم الذين حوله . فاقتص عليهم مقالات كسري وماردعليه : فقالوا أيها الملك : وفقك الله ما أحسن مارددت ، وأبلغ ماحججته به ، فمرنا بامرك ، وادعنا الى ماشئت . قال : انما أنا رجل منكم ، وانما ملكت وعززت بمكانكم ، ومايتخوف من ناحيتكم ، وليس شىء أحب الى مما سدد الله به أمركم ، وأصلح به شانكم ، وأدام به عزكم . والرأى أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط وتنطلقوا الى كسري . فاذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم ان العرب على غير ماظن أو حدثته نفسه . ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه ، فانه ملك عظيم السلطان ، كثير الاعوان مترف معجب بنفسه ، ولا تنخزلوا له انخزال الخاضع الذليل ، ولكن أمر بين ذلك تظهر به وثاقة حلومكم ، وفضل منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ،

وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكثم بن صيفي لسني حاله ، ثم تتابعوا على الامر من منازلكم التي وضعتكم بها ، فانما دعاني الى التقدمة اليكم علمي بجميل كل رجل منكم على التقدم قبل صاحبه . فلا يكونن ذلك منكم فيجد في آدابكم مطعناً ، فانه ملك مترف ، وقادر مسلط . ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حلل الملوك كل رجل منهم خلة وعممه عمامة وختمه بياقوتة وأمر لكل رجل منهم بنجيبة مهرية وفرس نجيبة . وكتب معهم كتابا . أما بعد : فان الملك ألقى الي من أمر العرب ما قد علم ، وأجبته بما قد فهم ، بما أحببت أن يكون منه على علم ولا يتلجلج في نفسه أن أمة من الامم التي احتجزت دونه بمملكتها وحمت ما يليها بفضل قوتها ، تبلغها في شيء من الامور التي يتعزز بها ذوو الحزم والقوة ، والتدبير والمكيدة ، وقد أوفدت ايها الملك رهطا من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم ، وعقولهم وآدابهم ، فليسمع الملك ، وليغامض عن جفاء ان ظهر من منطقهم ، وليكرمني باكرامهم ، وتعجيل سراحهم ، قد نسبتهم في أسفل كتابي هذا الى عشائرهم . فخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا اليه كتاب النعمان ، فقرأه وأمر بانزالهم الى أن يجلس لهم مجلسا يسمع منهم . فلما أن كان بعد ذلك بأيام أمر مرازبته ووجوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله . ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه ، وأقام الترجمان ليؤدي اليه كلامهم ، ثم أذن لهم في الكلام ، فقام أكثم بن صيفي . فقال : ان أفضل الاشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعا ، وخير الازمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والشر لجاجة ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطيء ، آفة الرأي الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الامور الصبر ، حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة ، أصلاح فساد الرعية ، خير من اصلاح فساد الراعي ، من فسدت بطانته ، كان كالغاص بالماء ، شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من خافه البريء ، المرء يعجز لا محالة ، أفضل من الاولاد البررة ، خير الاعوان من لم يراء بالنصيحة أحق الجنود بالنصر ، من حسنت سريرته ، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل ، حسبك من شر سماعه الصمت حكم ، وقليل فاعله ، البلاغة الايجاز ، من شدد نفر ، ومن تراخى تالف . فتعجب كسري من أكثم . ثم قال ويحك يا أكثم ما أحكمك ، وأوثق كلامك ، لولا وضعك كلامك في غير موضعه . قال أكثم : الصدق ينبيء عنك لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أكثم : رب قول أنفذ من صول . ثم قام حاجب بن زرارة التميمي فقال : وري

ندك ، وعلت يدك ، وهيب سلطانك ، إن العرب أمة قد غلظت أكبادها ، واستحصدت
مرتها ، ومنعت درتها ، وهي لك وامقة ما تألفتها ، مسترسلة ما لاينتها : سامعة ما سامحتها
وهي العلقم مرارة ، وهي الصاب غضاضة ، والعسل حلاوة ، والماء الزلال سلالة ، نحن
وفودها اليك ، وألسنتها لديك ، ذمتنا محفوظة ، واحسابنا ممنوعة ، وعشائرنا فينا
سامعة مطيعة ، ان نؤب لك حامدين خيرا ، فلك بذلك عموم محمدتنا ، وان نذم لم نخص بالذم
دونها . قال كسرى : يا حاجب ما أشبه حجر التلال بالوان صخرها . قال حاجب : بل زئير
الاسد بصولتها . قال كسري : وذلك . ثم قام الحرث بن عباد البكري : فقال : دامت
لك المملكة باستكمال جزيل حظها ، وعلو شأنها ، من طال رشاؤه كثر متحه ، ومن
ذهب ماله قل منحه ، تناقل الاقاويل يعرف اللب . وهذا مقام سيوجف بما ينطق به
الركب ، وتعرف به كنه حالنا العجم والعرب . ونحن جيرانك الادنون ، واعوانك
المعينون ، خيولنا جمة ، وجيوشنا فخمة ، ان استنجدتنا فغير ربض ، وان استطرقتنا
فغير جهض ، وان طلبتنا فغير غمض ، لا ننثني لذعر * ولا نتنكر لدهر ، رماحنا طوال ،
وأعمارنا قصار . قال كسرى : أنفس عزيزة ، وسامة ضعيفة . قال الحرث : أيها الملك
وأنى يكون لضعيف عزة أو لصغير مرة . قال كسرى : لو قصر عمرك ، لم تستول على
لسانك نفسك . قال الحرث : أيها الملك : ان الفارس اذا حمل نفسه على الكتيبة ، مغررا
بنفسه على الموت ، فهي منية استقبلها ، وجنان استدبرها ، والعرب تعلم انى أبعث الحرب قدما
واحبسها وهي تصرف بها حتى اذا جاشت نارها ، وسعرت لظاها ، وكشفت عن ساقها ،
جعلت مقادها رمحي ، وبرقها سيفي ورعدها زئيري ، ولم أقصر عن خوض خضخاضها ،
حتى أنغمس في غمرات لججها ، وأكون فلكا لفرساني الى بحبوحة كبشها ، فاستمطرها
دما وأترك حماتها جزر السباع ، وكل نسر قشعم . ثم قال كسرى لمن حضره من العرب
: أكذلك هو قالوا فعاله أنطق من لسانه قال كسرى : ما رأيت كاليوم وفدا أحشد
، ولا شهودا أوفد . ثم قام عمرو بن الشريد السلمى فقال : أيها الملك نعم
بالك ، ودام في السرور حالك ، ان عاقبة الكلام متدبرة ، وأشكال الامور
معتبرة ، وفي كثير ثقلة ، وفي قليل بلغة ، وفي الملوك سورة العز ، وهذا منطق له
ما بعده ، شرف فيه من شرف ، وخمل فيه من خمل . لم نأت لضيمك ، ولم نفد لسخطك
، ولم نتعرض لرفدك ، ان في أموالنا منتقدا ، وعلى عزنا معتمدا ، ان أورينا نارا أثقبنا
، وان أود دهرنا اعتدلنا ، الا أنا مع هذا لجوارك حافظون ، ولمن رامك كافحون

حتى يحمد الصدر ، ويستطاب الخبر . قال كسرى : مايقوم قصد منطقك بافراطك ، ولا مدحك بذمك . قال عمرو : كفى بقليل قصدي هاديا ، وبايسر افراطي مخبرا ، ولم يلم من غربت نفسه عما يعلم ، ورضى من القصد بما بلغ . قال كسري : ما كل ما يعرف المرء ينطق به اجلس . ثم قام خالد بن جعفر الكلابى فقال : أحضر الله الملك اسعادا ، وأرشده ارشادا ، ان لكل منطق فرصة ، ولكل حاجة غصة ، وعى المنطق أشد من عى السكوت ، وعثار القول أنكأ من عثار الوعث ، ومافرصة المنطق عندنا الا بما نهوى ، وغصة المنطق بما لا نهوى غير مستساغة ، وتركى ما أعلم من نفسي ويعلم من سمعي انني له مطيق أحب الى من تكلفي ما أتخوف ويتخوف مني . وقد أوفدنا اليك ملكنا النعمان ، وهو لك من خير الاعوان ، ونعم حامل المعروف والاحسان ، أنفسنا بالطاعة لك باخعة ، ورقابنا بالنصيحة خاضعة ، وأيدينا لك بالوفاء رهينة . قال له كسري : نطقت بعقل ، وسمرت بفضل ، وعلوت بنبل . ثم قام علقمة بن علاثة العامري . فقال نهجت لك سبل الرشاد ، وخضعت لك رقاب العباد ، ان للاقاويل مناهج ، وللآراء مو الج ، وللعويص مخارج ، وخير القول أصدقه ، وأفضل الطلب أنجحه ، أنا وان كانت المحبة أحضرتنا ، والوفادة قربتنا ، فليس من حضرك منا بافضل ممن عزب عنك ، بل لو قست كل رجل منهم ، وعلمت منهم ما علمنا لوجدت له فى آبائه دنيا أندادا وأكفاء كلهم الي الفضل منسوب ، وبالشرف والسودد موصوف ، وبالرأى الفاضل والادب النافذ معروف ، يحمي حماه ، ويروى نداماه ، ويذود أعداه ، لاتخمد ناره ، ولا يحترز منه جاره ، أيها الملك من يبل العرب يعرف فضلهم ، فاصطنع العرب ، فانها الجبال الرواسي عزا ، والبحور الزواخر طميا ، والنجوم الزواهر شرفا ، والحصي عددا ، فان تعرف لهم فضلهم يعزوك ، وان تستصرخهم لا يخذلوك . قال كسرى : وخشى أن يانى منه كلام يحمله على السخط عليه حسبك أبلغت وأحسنت . ثم قام قيس بن مسعود الشيباني فقال : أطاب الله بك المراشد ، وجنبك المصائب ، ووقاك مكروه الشصائب ، ما أحقنا اذ أتيناك باسماعك ، مالا يحنق صدرك ، ولا يزرع لنا حقدا فى قلبك ، لم نقدم أيها الملك لمساماة ، ولم نعتب لمعاداة ، ولكن لتعلم أنت ورعيتك ومن حضرك من وفود الامم انا فى المنطق غير محجمين ، وفى الناس غير مقصرين ، ان جورينا فغير مسبوقين ، وان سومينا فغير مغلوبين . قال كسرى : غير انكم اذا عاهدتم غير وافين ، وهو يعرض به فى تركه الوفاء بضمانه السواد . قال قيس : أيها الملك ما كنت فى ذلك الا كواف غدر به ، أو كخافر أخفر بذمته . قال كسرى : مايكون لضعيف ضمان ، ولا

لذليل خفارة . قال قيس : أيها الملك ما أنا فيما أخفر من ذمتي ، أحق بالزامي العار منك فيما قتل من رعيتك ، وانتهك من حرمتك . قال كسرى : ذلك من ائتمن الخائنة ، واستنجد الاثمة ناله من الخطاما نالني ، وليس كل الناس سواء ، كيف رأيت حاجب ابن زرارة لم يحكم قواه فيبرم ، ويعهد فيوفي ، ويعد فينجز . قال : وما أحقه بذلك وما رأيته الالى . قال كسرى . القوم بزل فافضلها أشدها . ثم قام عامر بن الطفيل العامري فقال : كثر فنون المنطق وليس القول أعمى من حندس الظلماء ، وانما الفخر في الفعال ، والعجز في النجدة ، والسودد مطاوعة القدرة ، وما أعلمك بقدرنا ، وأبصرك بفضلنا ، وبالحري أن أدالت الايام ، وثابت الاحلام ، أن تحدث لنا أمورا لها أعلام . قال كسرى : وما تلك الاعلام . قال مجتمع الاحياء من ربيعة ومضر ، على أمر يذكر . قال كسرى : وما الامر الذي يذكر . قال : مالى علم باكثر مما خبرني به مخبر . قال كسرى : متى تكاهنت يا ابن الطفيل . قال : لست بكاهن ، ولكني بالرمح طاعن . قال كسرى : فان أتاك آت من جهة عينك العوراء ما أنت صانع . قال : ما هيبتي في قفاي بدون هيبتي في وجهي وما أذهب عيني عبث ولكن مطاوعة العبث . ثم قام عمرو بن معديكرب الزبيدي فقال انما المرء باصغريه قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجدة الارتياد ، وعفو الرأى خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة ، خير من اعتساف الحيرة ، فاجتبذ طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرتنا بحلمك ، وألن لنا كنفك يسلس لنا قيادنا ، فانا اناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضما ، ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضما . ثم قام الحارث بن ظالم المري فقال : ان من آفة المنطق الكذب ، ومن لؤم الاخلاق الملق ، ومن خطل الرأى خفة الملك المسلط . فان أعلمناك أن مواجهتنا لك عن ائتلاف ، وانقيادنا لك عن تصاف ، ما أنت لقبول ذلك منا بخليق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ، ولكن الوفاء بالعهود ، واحكام ولث العقود ، والامر بيننا وبينك معتدل ، مالم يات من قبلك ميل أو زلل . قال كسرى : من أنت . قال : الحرث بن ظالم . قال : ان في أسماء آبائك لدليلا على قلة وفائك ، وأن تكون أولى بالغدر ، وأقرب من الوزر . قال الحرث : ان في الحق مغضبة ، والسرو التغافل ولن يستوجب أحد الحلم الامع القدرة ، فتشبه أفعالك بمجلسك . قال كسرى : هذا فتى القوم . ثم قال كسري : قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم ، وتفنن فيه متكلموكم ، ولولا أني أعلم أن الادب لم يثقف أودكم ، ولم يحكم أمركم ، وانه ليس لكم ملك يجمعكم فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة ، فنطقتم بما استولى على السنتكم وغلب على طباعكم

، لم اجز لكم كثيرا مما تكلمتم به ، واني لا كره أن أجبه وفودى وأحنق صدورهم ، والذى أحب من اصلاح مدبركم، وتالف شواذكم ، والاعذار الى الله فيما بيني وبينكم ، وقد قبلت ما كان فى منطقكم من صواب ، وصفحت عما كان فيه من خلل ، فانصرفوا الى ملككم فاحسنوا موازرته ، والزموا طاعته ، واردعوا سفهاءكم ، وأقيموا أودهم ، وأحسنوا أدبهم ، فان فى ذلك صلاح العامة

٢ — وفود حاجب بن زرارة على كسرى — العتبي عن ابيه : ان حاجب ابن زرارة وفد على كسري لما منع تميما من ريف العراق ، فاستاذن عليه فاوصل اليه فقال أسيد العرب أنت . قال : لا . قال : فسيد مضر . قال : لا : قال فسيد بني أبيك أنت . قال : لا . ثم أذن له فلما دخل عليه . قال له : من أنت . قال : سيد العرب . قال : أليس قد أوصلت اليك أسيد العرب . فقلت : لا . حتى اقتصرت بك على بني أبيك . فقلت : لا . قال له : أيها الملك لم أكن كذلك حتي دخلت عليك . فلما دخلت عليك صرت سيد العرب . قال كسرى : آه املؤا فاه درا . ثم قال : انكم معشر العرب غدر ، فان أذنت لكم أفسدتم البلاد ، وأغرتم على العباد ، وآذيتمونى قال حاجب : فانى ضامن للملك أن لا يفعلوا . قال : فمن لى بان تفى أنت . قال : أرهنك قوسى . فلما جاء بها ضحك من حوله . وقالوا لهذه العصا يفى . قال كسري . ما كان ليسلمها لشىء أبدا فقبضها منه . وأذن لهم ان يدخلوا الريف . ثم ان مضر أتت النبي صلى الله عليه وسلم . فقالوا : يارسول الله هلك قومك وأكلتهم الضبع يريدون الجوع والعرب يسمون السنة الضبع والذئب قال جرير : من ساقت السنة الشهباء والذئب . فدعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم فاحيوا . وقد كان دعا عليهم . فقال : اللهم اشدد وطاتك على مضر . وابعث عليهم سنين كسني يوسف . ومات حاجب بن زرارة . فارتحل عطارد بن حاجب الى كسرى يطلب قوس أبيه . فقال له : ما أنت الذي رهنتها . قال : أجل . قال : فما فعل . قال : هلك وهو أبى وقد وفى له قومه ووفى هو للملك. فردها عليه وكساه حلة . فلما وفد الى النبي صلي الله عليه وسلم عطارد بن حاجب وهو رئيس تميم. وأسلم على يديه أهداها النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها فباعها من رجل من اليهود باربعة آلاف درهم

٣ — وفود أبى سفيان الى كسري — الاصمعى . قال : حدثنا عبد الله بن

دينار عن عبدالله بن بكر المرى . قال أبو سفيان : أهديت لكسرى خيلا وأدما فقبل الخيل وردالادم وأدخلت عليه فكان وجهه وجهان من عظمه . فالقى الى مخدة كانت عنده . فقلت : واجوعاه أهـذه حظي من كسري بن هرمز . قال : فخرجت من عنده فـ أمر على أحـد من حشمه الا أعظمها حتى دفعت الى خازن له . فاخذهـا وأعطانى ثمانمائة اناء من فضـة وذهب . قال الاصمعي : فحدثت بهـذا الحديث أبا البورسـتان القارسي . فقال : كانت وظيفـة المخدة ألفاً الا أن الخازن اقتطع منها مائتين

٤ — وفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنـذر — قال وفد حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر . قال : فلقيت رجلا ببعض الطريق . فقال لى أين تريد . قلت : هـذا الملك . قال : فانك اذا جئتـه متروك شـهرا ثم تترك شـهرا آخـر . ثم عسى أن ياذن لك : فان أنت خلوت به وأعجبته فانت مصبب منه خـيرا . وان رأيت أبا أمامة النابغـة فاظعن فانه لاشيء لك . قال : فقدمت عليه ففعـل بي ما قال . ثم خلوت به وأصبت مالا كثيرا ونادمته . فبينا أنا معه اذا رجـل يرتجز حـول القبة ويقول :

تنام أم تسمع رب القبه * يا أوهب الناس لعنس صلبه
ضرابة بالمشفر الاذبه * ذات عباب فى يديها خلبه

فقال النعمان : أبو امامة ائذنوا له . فدخل فحياه وشرب معه ووردت النعم السود ولم يكن لاحد من العرب بعير أسود غيره ولا يفتحل أحد فحلا أسود . فاستاذنه النابغـة فى الانشاد فاذن له فانشده قصيدته التى يقول فيها :

فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فامر له بمائة ناقة من الابل السود برعانها فما حسدت أحداً قط حسدى له فى شعره وجزيل عطائه

٥ — وفود قريش على سيف بن ذى يزن بعد قتله الحبشة — نعيم بن عماد قال : أخبرنا عبدالله بن المبارك عن سفيان الثورى . قال قال ابن عباس : لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبي صلي الله عليه وسلم أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه . فاتاه وفد قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم

وأمية بن عبد شمس . وأسد بن عبد العزي . وعبد الله بن جدعان . فقدموا عليه وهو في قصر له يقال له غمدان . وله يقول أبو الصلت والد أمية بن أبي الصلت :

لم يدرك الثار أمثال ابن ذي يزن * لجج في البحر للاعداء أحوالا
أتي هرقل وقد شالت نعامته * فلم يجد عنده القول الذي قالا
ثم انثني نحو كسري بعد تاسعة * من السنين لقد أبعدت إيغالا
حتى أتى ببني الاحرار يقدمهم * انك عمرى لقد أسرعت إرقالا
من مثل كسري وبهرام الجنود له * ومثل وهرز يوم الجيش إدحالا
لله درهم من عصبة خرجوا * ماان رأينا لهم في الناس أمثالا
صيد جحا جحة بيض خضارمة * أسد تربب في الغابات أشبالا
أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد * غادرت أوجههم في الارض أفلالا
اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً * في رأس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطل بالمسك اذ شالت نعامتهم * وأسبل اليوم في برديك إسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فطلبوا الاذن عليه فاذن لهم . فدخلوا فوجدوه متضمخا بالعنبر يلصق وبيص المسك في مفرق رأسه وعليه بردان اخضران قد اتزر باحدهما وارتدى بالآخر وسيفه بين يديه والملوك عن يمينه وشماله وأبناء الملوك والمقاول . فدنا عبد المطلب فاستاذنه في الكلام . فقال له قل فقال : ان الله تعالى أيها الملك أحلك محلا رفيعا ، صعبا منيعا ، باذخا شامخا ، وأنبتك منبتا طابت ارومته ، وعزت جرثومته ، ونبل أصله : وبسق فرعه ، في أكرم معدن ، وأطيب موطن ، فانت أبيت اللعن رأس العرب ، وربيعها الذى به تخصب ، وملكها الذى به تنقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ، ومعقلها الذى اليه يلجأ العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا بعدهم خير خلف ، ولن يهلك من أنت خلفه ، ولن يخمل من أنت سلفه : نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة بيته ، أشخصنا اليك الذى أبهجك لكشف الكرب الذى فدحنا ، فنحن وفد التهنئة . قال : من انت أيها المتكلم . قال : أنا عبد المطلب بن هاشم نم . قال : ابن اختنا . قال نعم فادناه وقربه ثم أقبل عليه وعلى القوم ، وقال مرحبا وأهلا ، وناقة ورحلا ، ومستناخا سهلا ، وملكا ربحلا ، يعطي عطاء جزلا ، فذهبت مثلا . وكان أول ما تكلم به ، قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقبل

وسيلتكم ، فاهل الليل والنهار أنتم ، ولكم القربي ما أقمتم ، والحباء اذا ظعنتم . قال : ثم استنهضوا الى دار الضيافة والوفود ، وأجرى عليهم الانزال . فاقاموا ببابه شهرا لا يصلون اليه ، ولا يأذن لهم في الانصراف . ثم انتبه اليهم انتباهة . فدعا بعبد المطلب من بينهم فخلا به وأدني مجلسه . وقال : يا عبد المطلب اني مفوض اليك من علمي أمرا لو غيرك كان لم أبح له به ولكنني رأيتك معدنه فاطلعتك عليه فليكن مصونا حتى يأذن الله فيه ، فان الله بالغ أمره ، انى أجد في العلم المخزون ، والكتاب المكنون ، الذى ادخرناه لانفسنا ، واحتجبناه دون غيرنا ، خبرا عظيما ، وخطرا جسيما ، فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة ، للناس كافة ، ولرهطك عامة ، ولنفسك خاصة . قال عبد المطلب: مثلك يا أيها الملك بر وسر وبشر ، ما هو فداك أهل الوبر ، زمرا بعد زمر . قال ابن ذى يزن : اذا ولد مولود بتهامة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الامامة ، الى يوم القيامة . قال عبد المطلب . أبيت اللعن لقد أبت بخير ما آب به أحد ، فلولا اجلال الملك لسالته عما ساره الى ما ازداد به سرورا . قال ابن ذى يزن : هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد يموت أبوه وأمه ، ويكفله جده وعمه ، قد وجدناه مرارا ، والله باعثه جهارا ، وجاعل له منا أنصاراً ، يعز بهم أولياءه ، ويذل بهم أعداءه ، ويفتتح كرائم الارض ، ويضرب بهم الناس عن عرض ، يخمد الاديان ، ويكسر الاوثان ، ويعبد الرحمن ، قوله حكم وفصل ، وأمره حزم وعدل ، يامر بالمعروف ويفعله ، وينهي عن المنكر ويبطله . فقال عبد المطلب طال عمرك ، ودام ملكك ، وعلا جدك ، وعز فخرك ، فهل الملك يسرني ، بان يوضح فيه بعض الايضاح . فقال ابن ذى يزن : والبيت ذى الطنب ، والعلامات والنصب ، انك يا عبد المطلب لجده من غير كذب ، فخر عبد المطلب ساجدا . قال ابن ذي يزن : ارفع رأسك ، ثلج صدرك ، وعلا أمرك ، فهل أحسست شيأ مما ذكرت لك . قال عبد المطلب أيها الملك : كان لي ابن كنت له محبا وعليه حدبا مشفقا ، فزوجته كريمة من كرائم قومه ، يقال لها آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، فجاءت بغلام بين كتفيه شامة ، فيه كل ما ذكرت من علامة ، مات أبوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه ، قال ابن ذي يزن : ان الذى قلت لك كما قلت ، فاحفظ ابنك واحذر عليه اليهود ، فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا اطو ما ذكرت لك ، دون هؤلاء الرهط الذين معك ، فاني لست آمن أن تدخلهم النفاسة ، من أن تكون لكم الرياسة ، فيبغون لك الغوائل ، وينصبون لك الحبائل ، وهم فاعلون وأبناؤهم ، ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار مهاجره . فاني

أجد فى الكتاب الناطق ، والعلم السابق ، أن يثرب دار هجرته ، و بيت نصرته ولولا أنى أقيه الافات ، وأحذر عليه العاهات ، لاعلنت على حداثة سنه وأوطات أقدام العرب عقبه ، ولكني صارف اليك ذلك عن تقصير مني بمن معك . ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد ، وعشر اماء سود وخمسة أرطال فضة وحلتين من حلل اليمن وكرش مملوأة عنبرا . وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك . وقال اذا حال الحول فانبئني بما يكون من أمره . فما حال الحول حتى مات ابن ذى يزن ، فكان عبد المطلب بن هاشم يقول يامعشر قريش لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك فانه الى نفاد ولكن يغبطني بما يبقى لى ذكره وفخره ولعقبى ، فاذا قالوا له وما ذاك ، قال سيظهر بعد حين :

٦ — وفود عبد المسيح على سطيح — جرير بن حازم عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما كان ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم ارتج ايوان كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرافة فعظم ذاك على أهل مملكته . فما كان أوشك أن كتب اليه صاحب اليمن يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة . وكتب اليه صاحب السماوة يخبره أن وادى السماوة انقطع تلك الليلة وكتب اليه صاحب طبرية أن الماء لم يجر تلك الليلة فى بحيرة طبرية . وكتب اليه صاحب فارس يخبره أن بيوت النيران خمدت تلك الليلة ، ولم تخمد قبل ذلك بالف سنة . فلما تواترت الكتب أبرز سريره وظهر لاهل مملكته ، فاخبرهم الخبر ، فقال الموبذان أيها الملك : اني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتني . قال له : وما رأيت . قال : رأيت ابلا صعابا ، تقود خيلا عرابا ، قد اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادنا . قال رأيت عظيما فما عندك فى تاويلها . قال ماعندى فيها ولا فى تاويلها شيء . ولكن ارسل الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان فبعث اليه عبد المسيح بن نفيلة الغسانى . فلما قدم عليه أخبره كسري الخبر . فقال له : أيها الملك والله ماعندى فيها ولا فى تاويلها شيء . ولكن جهزني الى خال لى بالشام يقال له سطيح . قال جهزوه فلما قدم على سطيح وجده قد احتضر . فناداه فلم يجبه وكلمه فلم يرد عليه . فقال عبد المسيح .

أصم أم تسمع غطريف اليمن * يافاصل الخطة أعيت من ومن
أتاك شيخ الحى من آل سنن * أبيض فضفاض الرداء والسدن
رسول قيل العجم يهوى للوثن * لا يرهب الوعد ولا ريب الزمن

فرفع اليه رأسه . وقال عبد المسيح ، على جمل مشيح ، الى سطيح وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان ، لارتجاج الايوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، رأى ابلا صعابا ،

تقود خيلا عرابا ، قد اقتحمت فى الواد ، وانتشرت فى البلاد ، عبد المسيح ، اذاظهرت التلاوة ، وفاض وادى السماوة ، وظهر صاحب الهراوة ، فليست الشام لسطيح بشام ، يملك منهم ملوك وملكات ، عددسقوط الشرفات ، وكل ماهو آت آت . ثم قال :

ان كان ملك بنى ساسان أفرطهم * فان ذا الدهر أطوار دهارير
منهم بنوا الصرح بهرام واخوته * والهرمزان وسابور وسابور
فربما أصبحوا منهم بمنزلة * يهاب موتهم الاسد الاهاصير
حثوا المطى وجدوا في رحالهم * فما يقوم لهم سرج ولا كور
والناس أولاد علات فمن علموا * ان قد أقل فمحقور ومهجور
والخير والشرمقرونان فى قرن * فالخير متبع والشر محذور

ثم أتى كسرى فاخبره فغمه ذلك . ثم تعزى فقال : الى أن يملك منا أربعة عشر ملكا يدور الزمان فهلكوا كلهم فى أربعين سنة

٧ — وفود همدان على النبى صلى الله عليه وسلم — قدم مالك بن نمط في وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلقوه مقبلا من تبوك . فقال مالك بن نمط : يارسول الله نحية من همدان من كل حاضر وباد ، أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الاسلام ، لاتاخذهم فى الله لومة لائم ، مخلاف خارف ، وتام عهدهم لا ينتقض ، عن سنة ماحل ولاسوداء عنقفير ماقامت لفلع وماجرى اليعفور بصيلع . فكتب اليهم النبي صلي الله عليه وسلم : هذا كتاب من محمد رسول الله الى مخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافد هادي المشار مالك بن نمط ومن أسلم من قومك أن لهم فراعها ووهاطها وعزازها ماأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ، ويرعون عفاها ، لنامن دفئهم وصرامهم ماسلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والكبش الحوارى وعليهم الصالغ والقارح

٨ — وفود النخع على النبي صلى الله عليه وسلم — قدم أبو عمر النخعى على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني رأيت فى طريقي هذه رؤيا رأيت أتانا تركتها فى الحي ولدت جديا أسفع أحوى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من أمة

تركتها مصرة حملا قال نعم تركت أمة لى أظنها قد حملت . قال : فقد ولدت غلاما وهو ابنك . قال فماله أسفع أحوى قال ادن منى فدنا منه . فقال هل بك برص تكتمه . قال نعم والذى بعثك بالحق ما رآه مخلوق ولا علم به قال فهو ذلك . قال : ورأيت النعمان ابن المنذر عليه قرطان ودملجان ومسكتان قال ذلك ملك العرب عاد الى أفضل زيه و بهجته . قال : ورأيت عجوزا شمطاء تخرج من الارض . قال تلك بقية الدنيا . قال : ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت بينى وبين ابن لى يقال له عمرو ورأيتها تقول لظى لظى بصير وأعمى أطعمونى آكلكم آكلكم أهلكم ومالكم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : تلك فتنة فى آخر الزمان قال وما الفتنة يارسول الله قال يقتل الناس امامهم ثم يشتجرون اشتجار اطباق الرأس . وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصابعه يحسب المسىء انه محسن ودم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء

٩ — وفود كلب على النبي صلى الله عليه وسلم — قدم قطن بن حارثة العليمي فى وفد كلب على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر كلاما . فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا نسخته : هذا كتاب من محمد رسول الله لعائر كلب وأحلافها ومن صاده الاسلام من غيرها مع قطن بن حارثة العليمي باقامة الصلاة لوقتها ، وايتاء الزكاة لحقها ، فى شدة عقدها ، ووفاء عهدها ، بمحضر شهود من المسلمين . سعد بن عبادة . وعبد الله بن أنيس . ودحية بن خليفة الكلبي عليهم فى الهمولة الراعية البساط الظؤارفى كل خمسين ناقة غير ذات عوار والحمولة المائرة لهم لاغية وفى الشوى الوريّ مسنة حامل او حافل وفيما سقي الجدول من العين المعين من ثمرها مما أخرجت أرضها وفى العثر العشرى شطره بقيمة الامين فلا تزاد عليهم وظيفة ولا تفرق يشهد الله تعالى على ذلك ورسوله . وكتب ثابت بن قيس بن شماس

١٠ — وفود ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم — وفدت ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فكتب لهم كتابا حين أسلموا أن لهم ذمة الله وأن واديهم حرام عضاهه وصيده وظلم فيه وأن ما كان لهم من دين الى أجل فبلغ أجله فانه لياط مبرأ من الله ورسوله وان ما كان لهم من دين فى رهن وراء عكاظه فانه يقضى الى رأسه و يلاط بعكاظ

١١ — وفود مذحج على النبي صلى الله عليه وسلم — وفد ظبيان بن حداد فى سراة

مذحج على النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء على الله عز وجل بما هو أهله : الحمد لله الذى صدع الارض بالنبات . وفتق السماء بالرجع ، ثم قال نحن قوم من سراة مذحج من يحابر بن مالك . ثم قال فتوقلت بنا القلاص ، من أعالى الحوف ورؤس الهضاب ، يرفعها عوار الربا ، ويخفضها بطنان الرقاق ، وتلحقها دياجى الدجا . ثم قال وسروات الطائف كانت لبنى مهلائيل بن قينان غرسوا ودانه ، وذللوا خشانه ، ورعوا قربانه ، ثم ذكر نوحا حين خرج من السفينة بمن معه . قال فكان أكثر بنيه بناتا ، وأسرعهم نباتا ، عادا وثمود فرماهم الله بالدمالق ، وأهلكهم بالصواعق ، ثم قال وكانت بنو هانى من ثمود تسكن الطائف ، وهم الذين خطوا مشاربها ، وأتوا جداولها ، وأحيوا غراسها ، ورفعوا عريشها ، ثم قال ان حمير ملكوا معاقل الارض وقرارها ، وكهول الناس وعمارها ، ورؤس الملوك وغرارها ، فكان لهم البيضاء والسوداء ، وفارس الحمراء ، والجزية الصفراء ، فبطروا النعم ، واستحقوا النقم ، فضرب الله بعضهم ببعض . ثم قال وان قبائل من الازد نزلوا على عهد عمرو بن عامر ففتحوا فيها الترائع ، وبنوا فيها المصانع ، واتخذوا الدسائع ، ثم ترامت مذحج بأسنتها ، وتنزت بأعنتها ، فغلب العزيز ذلها ، وقتل الكثير أقلها ، ثم قال وكان بنو عمرو بن حدبة يخبطون عصيدها ، ويأكلون حصيدها ، ويرشحون خضيدها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان نعيم الدنيا اقل وأصغر عند الله من خرء بعيضة . ولو عدلت عند الله جناح ذباب لم يكن لكافر منها خلاق ولا لمسلم منها لحاق

١٢ — وفود لقيط بن عامر بن المنتفق على النبي صلى الله عليه وسلم —

وفد لقيط بن عامر بن المنتفق على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن المنتفق. قال لقيط فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا المدينة لانسلاخ رجب . فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة . فقام فى الناس خطيبا فقال أيها الناس . ألا اني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لاسمعكم اليوم الا فهل من امريء قد بعثه قومه فقالوا اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم . ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو تلهيه الضلال ألا وانى مسؤل هل بلغت ألا اسمعوا ألا اجلسوا فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى اذا فرغ لنا فؤاده وبصره . قلت يا رسول الله : ما عندك من علم

الغيب فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أني أبتغي سقطه فقال : ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن الا الله . قال : علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه ، وعلم ما في غد ، وعلم المني حين يكون في الرحم قد علمه ولا تعلمونه ، وعلم الغيث يشرف عليكم آذلين مشفقين فيظل يضحك قد علم أن عونكم قريب . قال لقيط : لن نعدم من رب يضحك خيراً وعلم يوم الساعة . قلت يارسول الله : اني سائلك عن حاجتي فلا تعجلني . قال سل عما شئت . قال قلت يارسول الله : علمنا ما تعلم الناس وما تعلم فانا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد من مذحج التي تدنو الينا . وخثعم التي توالينا . وعشيرتنا التي نحن منها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلبثون ما لبثتم ، ثم يتوفى نبيكم ، ثم تلبثون حتى تبعث الصيحة فلعمر الهك ما تدع على ظهرها من شيء الا مات والملائكة الذين عند ربك ، فيصبح ربك يطوف في الارض وقد خلت عليهم البلاد . فيرسل ربك بهضب من عند العرش . فلعمر الهك ما يدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت الا شقت القبر عنه حتى يلقيه من قبل رأسه فيستوي جالسا ، ثم يقول ربك مهيم لما كان فيه يقول أمس لعهده بالحياة يحسبه حديث عهد باهله . فقلت يارسول الله : كيف يجمعنا بعد ما قد تمزقتنا الرياح والبلى والسباع . قال انبئك بمثل ذلك في إل الله أشرفت على الارض وهي مدرة يابسة . فقلت : لا تحيا هذه أبدا ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث الا أياما حتى أشرفت عليها وهي شربة واحدة . ولعمر الهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الارض فتخرجون من الاصواء . قال ابن اسحق : الاصواء أعلام القبور من مصارعهم فتنظرون اليه ساعة وينظر اليكم . قال قلت يارسول الله : كيف ونحن ملء الارض وهو شخص واحد ينظر وننظر . قال : أنبئك بمثل ذلك في إل الله الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها ساعة واحدة ويريانكم . قال قلت يارسول الله : فما يفعل بنا ربنا اذا لقيناه . قال تعرضون عليه بادية صفحاتكم لا تخفى منكم خافية . فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها قبلكم . فلعمر الهك ما تخطىء وجه واحد منكم قطرة . فاما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء . وأما الكافر فتخطمه بمثل الحمم الاسود ، ثم ينصرف نبيكم ويتفرق على اثره الصالحون . قال فتسلكون جسرا من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول أحس يقول ربك وانه فتطلعون على حوض الرسول لا يظمأ والله ناهله . فلعمر الهك ما يبسط أحد منكم يده الا وقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والاذى وتخنس الشمس والقمر فلا ترون منهما أحدا . قال

قلت يارسول الله : فبم نبصر يومئذ . قال بمثل بصر ساعتك وذلك مع طلوع الشمس فى يوم سفرته الارض واجهته بالجبال . قال قلت يارسول الله : فبم نجزي من سيآ تنا وحسناتنا . قال : الحسنة بعشرة أمثالها . والسيئة بمثلها أو يعفو . قال قلت يارسول الله : فما الجنة أم النار . قال : لعمر الهك ان النار سبعة أبواب مامنها بابان الا يسير الراكب بينهما سبعين عاما . قال قلت يارسول الله : فعلام نطلع من الجنة . قال : على أنهار من عسل مصفى . وأنهار من كاس ما ان بها صداع ولا ندامة . وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة . لعمر الهك ما تعلمون وخير من مثله معه وأزواج مطهرة . قال قلت يارسول الله : أولنا فيها أزواج أومنهن مصلحات . قال : الصالحات للصالحين تلذون بهن مثل لذاتكم فى الدنيا وتلذذ بكم غير أن لا توالد . قال لقيط : أقصى مانحن بالغون ومنتهون اليه . قال قلت يارسول الله : علام أبايعك . قال : فبسط الى يده . قال : على اقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وزيال الشرك ، فلا نشرك بالله إلها غيره . قال فقلت : وان لنا ما بين المشرق والمغرب فقبض يده وظن أنى أشترط عليه شيئاً لا يعطينيه . قال قلت : نحل منها حيث شئنا ، ولا يجزى عن امرئ الا نفسه ، فبسط الى يده وقال ذلك لك : حل حيث شئت ، ولا يجزى عنك الا نفسك . فانصرفنا عنه

١٣ - وفود قيلة على النبى صلى الله عليه وسلم - خرجت قيلة ابنة مخرمة التميمية تبغى الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عم بناتها وهو أثوب بن أزهر قد انتزع منها بناتها فبكت جريبة منهن حديباء قد أخذتها الفرصة عليها مسيح من صوف . فذهبت بها فبينما هما ترتكان الجمل اذا انتفجت الارنب . فقالت الحديباء : الفيصة والله لا يزال كعبك أعلى من كعب أثوب ، ثم سنح الثعلب فسمته اسما نسيه ناقل الحديث . ثم قالت فيه مثل ما قالت فى الارنب : فبينما هما ترتكان الجمل اذ برك الجمل وأخذه رعدة . فقالت الحديباء : أخذتك والامانة أخذة أثوب . قالت قيلة . فقلت لها فما أصنع ويحك . قالت : قلبي ثيابك ظهورها لبطونها ، ودحرجى ظهرك لبطنك ، وقلبي أحلاس جملك ، ثم خلعت سبيجها فقلبته . ثم ادحرجت ظهرها لبطنها . فلما فعلت ما أمرتني به انتفض الجمل . ثم قام فناج وبال . فقالت : أعيدى عليه أداتك ففعلت ، ثم خرجنا نرتك . فاذا أثوب يسعي وراءنا بالسيف صلتا فوألنا الى حواء ضخم فداراه حتى ألقى الجمل الى رواقه الاوسط جملا ذلولا واقتحمت داخله وأدركني بالسيف فاصابت ظبته طائفة من قرون رأسيه . ثم قال ألق الى ابنة أخى يادفار فالقيتها اليه

فحملها على منكبيه وذهب بها وكانت أعلم به من أهل البيت ، وخرجت الى أخت لى ناكح في بني شيبان أبتغى الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبينما أنا عندها تحسب اني نائمة اذجاء زوجها من الشام . فقال لها : وأبيك لقد وجدت لقيلة صاحب صدق . قالت أختي من هو . قال : حريث بن حسان الشيباني وافد بكر بن وائل ذا صباح . فقالت أختى : لا تخبرها فتتبع اخا بكر بن وائل بين سمع الارض و بصرها ليس معها أحد من قومها . قالت : وسمعت ماقالا ، فغدوت الى جملي فشددت عليه . ثم نشدت عنه فوجدته غير بعيد ، فسألته الصحبة : فقال نعم : وكرامة وركابهم مناخة . قالت : فسرت معه صاحب صدق حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى بالناس صلاة غد قد أقيمت حين شق الفجر والنجوم شابكة فى السماء والرجال لا تكاد تعارف من ظلمة الليل ، فصففت مع الرجال ، وكنت امرأة قريبة عهد بجاهلية . فقال الرجل الذى يليني من الصف : امرأة أنت أم رجل فقلت لا : بل امرأة . فقال : انك كدت تفتنيني فصلى فى النساء وراءك فاذا صف من نساء قد حدث عند الحجرات لم أكن رأيته اذ دخلت فكنت فيهن حتى اذا طلعت الشمس دنوت فجعلت اذا رأيت رجلا ذا رثاء وقشر طمح اليه بصرى لارى رسول الله فوق الناس حتى جاء رجل . فقال : السلام عليك يارسول الله . فقال : وعليك السلام ورحمة الله وعليه تعني النبي صلى الله عليه وسلم أسمال مليتين كانتا بزعفران قد نفضتا ومعه عسيب نخلة منشق غير توصيتين من أعلاه وهو قاعد القرفصاء . فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متخشعا فى الجلسة أرعدت من الفرق . فقال جليسه يارسول الله : أرعدت المسكينة . فقال رسول الله : أرعدت المسكينة . فقال رسول الله : ولم ينظر الى وأنا عند ظهره يامسكينة عليك السكينة . قالت : فلما قالها صلى الله عليه وسلم أذهب الله ما كان أدخل فى قلبي من الرعب وتقدم صاحبي أول رجل . فبايعه على الاسلام عليه وعلى قومه ، ثم قال يارسول الله : اكتب بيننا وبين تميم كتابا بالدهناء لا يجاوزها الينا منهم الا مسافر أو مجاور . قال ياغلام : اكتب له بالدهناء . قالت : فلما رأيته أمر بان يكتب له شخص بى وهى وطني ودارى . فقلت يارسول الله : انه لم يسالك السوية من الارض اذ سالك انما هذه الدهناء مقيد الجمل ومرعى الغنم ونساء بنى تميم وأبناؤها وراء ذلك . فقال : امسك ياغلام صدقت المسكينة المسلم أخو المسلم يسعهما الماء والشجر ، ويتعاونان على الفتان . فلما رأى حريث أن قد حيل دون كتابه . قال : كنت أنا وأنت كما قال فى المثل : حتفها تحمل ضان باظلافها . فقلت :

اما والله ان كنت لدليلا فى الظلماء جواد الدي الرحل عفيفا عن الرفيقة ولكن لا تلمنى على حظي اذسألت حظك . قال : وأى حظ لك فى الدهناء لا أبالك . قلت : مقيد جملى تريده لجمل امرأتك . فقلت : لاجرم أنى أشهد رسول الله انى لك أخ ماحييت اذأثنيت على عنده . فقلت : اذبدأتها فلن أضيعها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيلام ابن هذه أن يفصل الخطبة ، وينتصر من وراء الحجرة . فقلت : فقدو الله ولدته يارسول الله حراما فقاتل معك يوم الربذة ، ثم ذهب يميرى من خيبر فاصابته حماها وترك على النساء . فقال : أيغلب أحيدكم على أن يصاحب صويحبة فى الدنيا معروفا . فوالذى نفس محمد بيده ان أحيدكم ليبكى فيستعبر اليه صويحبة فيا عباد الله لا تعذبوا اخوانكم . فكتب لها فى قطعة أديم أحمر لقيلة ونسوة قيلة ان لا يظلمن حقا ولا يكرهن على منكح وكل مؤمن مسلم لهن نصير أحسن ولا تسئن

١٤ - كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكيدر دومه - من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكيدر دومة حين أجاب الى الاسلام ، وخلع الانداد والاصنام ، مع خالد بن الوليد سيف الله فى دومة الجندل وأكنافها ان لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامى واغفال الارض والحلقة . ولكم السلاح والحصن . ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور بعد الخمس لا تعدل سارحتكم ، ولا تعد فاردتكم ، ولا يحظر عليكم النبات ، تقيمون الصلاة لوقتها ، وتؤتون الزكاة لحقها ، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه .

١٥ — كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر الحضرمى — من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاقيال العباهلة من حضر موت باقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، فى التبعة شاة ، وفى التيمة لصاحبها ، وفى السيوب الخمس ، لا خلاط ولا وراط ولا شناق ولا شغار ومن أجبى فقد أربى ، وكل مسكر حرام .

١٦ - حديث جرير بن عبد الله البجلى - قدم جرير بن عبد الله البجلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسأله عن منزله ببيشة فقال سهل ودكداك ، وسلم وأراك ، وحمض وعلاك ، الى نخلة ونخلة ماؤها ينبوع ، وجنابها مريع ، وشتاؤها ربيع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان خير الماء الشبم ، وخير المال الغنم ، وخير المرعى الاراك ،

والسلم ، اذا أخلف كان لجينا ، واذا أسقط كان رديناً ، واذا أكل لينا ، وفى كلامه عليه الصلاة والسلام : ان الله خلق الارض السفلى من الزبد الجفاء ، والماء الكباء .

١٧ — حديث عياش بن أبي ربيعة — بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عياش بن أبي ربيعة الى بنى عبد كلال . وقال له خذ كتابي بيمينك وادفعه بيمينك فى أيمانهم . فهم قائلون لك اقرأ فاقرأ : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين . فاذا فرغت منها فقل آمن محمد وأنا أول المؤمنين فلن تاتيك حجة الا وقد دحضت ، ولا كتاب زخرف الاوذهب نوره ، ومح لونه ، وهم قارئون فاذا رطنوا فقد ترجموا فقل حسن آمنت بالله وبما أنزل من كتاب الله . فاذا أسلموا فسلهم قضبهم الثلاثة التي اذا تخصروا بها سجدلهم . وهي الاثل قضيب ملمع ببياض . وقضيب ذو عجز كانه من خيزران . والاسود البهيم كانه من ساسم . ثم اخرج بها فحرقها فى سوقهم :

١٨ — حديث راشد بن عبد الله السلمى — عبد الله بن الحكم الواسطى من بعض أشياخ أهل الشام قال قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب . ووجه راشد بن عبد الله أميرا على القضاء والمظالم قال . راشد بن عبد الله :

صحا القلب عن سلمي وأقصر شاوه * ووردت عليه مانقته تماضر
وحكمه شيب القذال عن الصبا * وللشيب عن بعض الغواية زاجر
فاقصر جهلى اليوم وارتد باطلي * عن الجهل لما ابيض مني الغدائر
على انه قد هاجه بعد صحوة * بعفرض ذى الآجام عيش بواكر
ولما دنت من جانب الفرض اخصبت * وحلت ولاقاها سليم وعامر
وخبرها الركبان أن ليس بينها * وبين قري بصرى ونجران كافر
فالقت عصاها واستقر بها النوي * كما قر عينا بالاياب المسافر

١٩ — وفود نابغة بني جعدة على النبي صلى الله عليه وسلم — وفد أبو ليلى نابغة بنى جعدة على النبي صلى الله عليه وسلم فانشده شعره الذي يقول فيه :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا * وانا لنبغي فوق ذلك مظهرا

قال له النبي صلى الله عليه وسلم : الى أين أبا ليلى قال الى الجنة . قال النبي صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى . فلما انتهى الى قوله :

ولا خير في حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك . فعاش مائة وثلاثين سنة لم ينفض له ثنية . و بقى حتى وفد على عبد الله بن الزبير في أيامه بمكة وامتدحه . فقال له ، يا أبا ليلى ان أدني وسائلك عندنا الشعر . لك في مال الله حقان حق برؤيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق بشركتك أهل الاسلام في فيئهم ثم أحسن صلته وأجازه

٢٠ — وفود طهية بن أبي زهير النهدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم —

لما قدمت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم قام طهية بن أبي زهير فقال يا رسول الله أتيناك من غور تهامة با كوار الميس ، ترمى بنا العيس ، نستحلب الصبير ، و نستخلب الخبير ، ونستعضد البرير ، ونستخيل الرهام ، ونستجيل الجهام ، من أرض غائلة النطا ، غليظة الوطا ، نشف المدهن ، ويبس الجعشن ، وسقط الاملوج ، ومات العسلوج ، وهلك الهدى ، ومات الودى ، برئنا اليك يا رسول الله من الدثن والعنن ، وما يحدث الزمن ، لنا دعوة السلام ، وشريعة الاسلام ، ماطما البحر ، وقام تعار ، ولنا نعم همل اغفال ، ماتبض ببلال ، ووقير كثير الرسل ، قليل الرسل ، أصابتها سنية حمراء ، مؤزلة ليس بها علل ، ولا نهل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر ، وياتع الثمر ، وافجر له الثمد ، وبارك له في المال والولد ، من أقام الصلاة كان مسلما ، ومن آتى الزكاة كان محسنا ، ومن شهد أن لا إله الا الله كان مخلصا ، لكم يا بني نهد ، ودائع الشرك ، ووضائع الملك ، لا تلطط في الزكاة ، ولا تلحد في الحياة ، ولا تثاقل عن الصلاة ، وكتب معه كتابا الى بني نهد .

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى بني نهد بن زيد السلام على من آمن بالله ورسله ، لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ، ولكم العارض والفريش ، وذو العنان الركوب ، والفلو الضبيس ، لا يمنع سرحكم ، ولا يعضد طلحكم ، ولا يحبس دركم ، مالم تضمروا الرماق ، وتأكلوا الرباق ، من أقر بما في هذا الكتاب ، فله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاء بالعهد والذمة ، ومن أبى عليه فعليه الدبوة

٢١ — وفود جبلة بن الايهم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه —

العجلى قال : حدثنى أبو الحسن على بن أحمد بن عمرو بن الاجدع الكوفى بهيت . قال حدثني ابراهيم بن على مولى بني هاشم . قال حدثنا ثقات شيوخنا أن جبلة بن الايهم بن أبي شمر الغساني لما أراد أن يسلم كتب الى عمر بن الخطاب من الشام يعلمه بذلك و يستاذنه فى القدوم عليه . فسر بذلك عمرو المسلمون . فكتب اليه أن اقدم ولك ما لنا وعليك ما علينا . فخرج جبلة فى خمسمائة فارس من عك وجفنة . فلما دنا من المدينة ألبسهم ثياب الوشي المنسوج بالذهب والفضة ولبس يومئذ جبلة تاجه وفيه قرط مارية وهي جدته . فلم يبق يومئذ بالمدينة أحد الاخرج ينظر اليه حتى النساء والصبيان وفرح المسلمون بقدومه واسلامه حتي حضر الموسم من عامه ذلك مع عمر بن الخطاب . فبيناهو يطوف بالبيت اذ وطىء على ازاره رجل من بنى فزارة فحله . فالتفت اليه جبلة مغضبا فلطمه فهشم أنفه فاستعدي عليه الفزارى عمر بن الخطاب فبعث اليه فقال ما دعاك ياجبلة الى أن لطمت أخاك هذا الفزاري فهشمت أنفه . فقال انه وطىء ازارى فحله . فلولا حرمة هذا البيت لاخذت الذى فيه عيناه . فقال له عمر أما أنت فقد أقررت اما أن ترضيه والا أقدته منك . قال أتقيده مني وأنا ملك وهو سوقة . قال ياجبلة انه قد جمعك واياه الاسلام فما تفضله بشىء الا بالعافية . قال والله لقد رجوت أن أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية . قال عمر هو ذلك قال اذن أتنصر . قال ان تنصرت ضربت عنقك . قال واجتمع قوم جبلة و بنو فزارة فكادت تكون فتنة . فقال جبلة أخرني الى غد يا أمير المؤمنين . قال ذلك لك فلما كان جنح الليل خرج جبلة وأصحابه فلم يثن حتي دخل القسطنطينية علي هرقل فتنصر وأقام عنده وأعظم هرقل قدوم جبلة وسر بذلك وأقطعه الاموال والارضين والرباع . فلما بعث عمر بن الخطاب رسولا الى هرقل يدعوه الى الاسلام فاجابه الى المصالحة على غير الاسلام . فلما أراد أن يكتب جواب عمر قال للرسول ألقيت ابن عمك هذا الذى ببلدنا يعني جبلة الذى أتانا راغبا فى ديننا . قال ما لقيته . قال القه ثم ائتنى أعطك جواب كتابك . وذهب الرسول الى باب جبلة فاذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل . قال الرسول فلم أزل أتلطف فى الاذن حتى أذن لى فدخلت عليه فرأيت رجلا أصهب اللحية ذا سبال . وكان عهدى به أسمر أسود اللحيه والرأس فنظرت اليه فانكرته فاذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرها فى لحيته حتي

جاد أصهب وهو قاعد على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسود من ذهب فلما عرفني رفعني معه
في السرير فجعل يسائلني عن المسلمين فذكرت خيرا وقلت قد اضعفوا أضعافا على ما تعرف
. فقال كيف تركت عمر بن الخطاب قلت بخير . فرأيت الغم قد تبين فيه لما ذكرت له
من سلامة عمر قال فانحدرت عن السرير . فقال لم تابى الكرامة التي أكرمناك بها قلت ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا . قال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك من
الدنس ولا تبال علام قعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه . فقلت له :
ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله . قال أبعد ما كان مني قلت نعم قد فعل رجل
من بني فزارة أكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى
الاسلام وقبل ذلك منه وخلفته بالمدينة مسلما . قال ذرني من هذا ان كنت تضمن لي ان
يزوجني عمر ابنته و يوليني الامر بعده رجعت الى الاسلام قال ضمنت لك التزويج ولم
أضمن لك الامرة . قال فاوما الى خادم بين يديه فذهب مسرعا فاذا خدم قد جاؤا يحملون
الصناديق فيها الطعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة . وقال لى كل
فقبضت يدى وقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل في آنية الذهب والفضة
. فقال نعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت قال فاكل في الذهب
والفضة وأكلت في الخلنج . فلما رفع الطعام جيء بطساس الفضة وأباريق الذهب .
وأوما الى خادم بين يديه فمر مسرعا فسمعت حسا فالتفت فاذا خدم معهن الكراسي مرصعة
بالجوهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره ثم سمعت حسا فاذا عشر جوار قد أقبلن
مطمومات الشعر متكسرات في الحلى عليهن ثياب الديباج فلم أر وجوها قط أحسن
منهن فاقعدهن علي الكراسي عن يمينه ثم سمعت حسا فاذا عشر جوار أخرى
فاجلسهن على الكراسي عن يساره . ثم سمعت حسا فاذا جارية كأنها الشمس حسنا
وعلى رأسها تاج على ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفي يدها اليمنى جامة فيها مسك
وعنبر وفي يدها اليسرى جامة فيها ماء ورد فاومأت الى الطائر أو قال فصفرت بالطائر
فوقع في جامة ماء الورد فاضطرب فيه . ثم أومأت اليه أو قال . فصفرت به فطار
حتى نزل على صليب في تاج جبلة . فلم يزل يرفرف حتى نفض ما في ريشه عليه وضحك
جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ثم التفت الى الجواري اللواتي عن يمينه فقال بالله
اطربنني فاندفعن يتغنين يخفقن بعيدانهن و يقلن

لله درعصابة نادمتهم * يوما بجلق في الزمان الاول

يسقون من ورد البريص عليهم * راحا يصفق بالرحيق السلسل

أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

يغشون حتى ماتهر كلابهم * لايسالون عن السواد المقبل

بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

قال فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال أتدرى من قائل هذا . قلت : لا . قال قائله حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم التفت الى الجواري اللاتي عن يساره فقال : بالله ابكيننا فاندفعن يتغنين يخفقن بعيدانهن ويقلن

لمن الدار أقفرت بمعان * بين أعلى اليرموك فالجمان

ذاك مغنى لآل جفنة في الدهر محلا لحادث الازمان

قد اراني هناك دهرا مكينا * عند ذي التاج مقعدي ومكاني

ودنا الفصح فالولائد ينظمن سراعا أكلة المرجان

لم يعللن بالمغافر والصمغ ولا نقف حنظل الشريان

قال فبكى حتى جعلت الدموع تسيل على لحيته . ثم قال : أتدرى من قال هذا . قلت لا أدرى قال حسان بن ثابت ثم أنشأ يقول :

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكنفني منها لجاج ونخوة * وبعت لها العين الصحيحة بالعور

فياليت أمي لم تلدني وليتني * رجعت الى الامر الذى قال لى عمر

ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيرا في ربيعة أو مضر

ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة * أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ثم سالني عن حسان أحي هو ؟ قلت نعم تركته حيا . فامر لى بكسوة ومال ، ونوق موقرة برا ، ثم قال لى : ان وجدته حيا فادفع اليه الهدية واقرئه سلامي . وان وجدته ميتا فادفعها الى أهله وانحر الجمال على قبره . فلما قدمت على عمر أخبرته خبر جبلة وما دعوته اليه من الاسلام ، والشرط الذى شرطه واني ضمنت له التزويج ولم أضمن له الامرة . فقال : هلا ضمنت له

الامرة ، فاذا أفاءه الله به الى الاسلام قضي عليه بحكمه عز وجل ، ثم ذكرت له الهدية التى أهداها الى حسان بن ثابت ، فبعث اليه وقد كف بصره فاتى وقائد يقوده . فلما دخل قال يا أمير المؤمنين : اني لاجد رياح آل جفنة عندك . قال : نم هذا رجل أقبل من عنده . قال : هات يا ابن أخي انه كريم من كرام مدحتهم فى الجاهلية ، فحلف أن لا يلقى أحداً يعرفني الا أهدى الىّ معه شيئاً ، فدفعت اليه الهدية المالَ والثيابَ وأخبرته بما كان أمر به فى الابل ان وجد ميتاً . فقال : وددت اني كنت ميتاً فنحرت على قبرى . قال الزبير : وانصرف حسان وهو يقول :

ان ابن جفنة من بقية معشر * لم تغذهم آباؤهم باللوم
لم ينسني بالشام اذ هو ربها * ملكا ولا متنصرا بالروم
يعطي الجزيل ولا يراه عنده * الا كبعض عطية المذموم

فقال له رجل : كان فى مجلس عمر أتذكر ملوكا كفرة أبادهم الله وأفناهم . قال ممن الرجل ؟ قال مزنى . قال أما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لطوقتك طوق الحمامة . قال ثم جهزنى عمر الى قيصر وأمرني ان أضمن لجبلة مااشترط به ، فلما قدمت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته ، فعلمت أن الشقاء غلب عليه فى أم الكتاب

٢٢ - وفود الاحنف على عمر بن الخطاب رضى الله عنه - المدائني قال : قدم الاحنف ابن قيس التميمي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى أهل البصرة وأهل الكوفة . فتكلموا عنده فى أنفسهم ومايتوب كلّ واحد منهم . وتكلم الاحنف . فقال : يا أمير المؤمنين ان مفاتيح الخير بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وان اخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الامم الخالية ، والملوك الجبابرة ، ومنازلَ كسرى وقيصر ، وبنى الاصفر . فهم من المياه العذبة ، والجنان المختلفة ، فى مثل حولاء السلى وحدقة البعير ، تاتيهم ثمارهم غضة لم تخضر ، وانا نزلنا أرضا نشاشة طرف فى فلاة ، وطرف فى ملح أجاج ، جانب منها منابت القصب ، وجانب سبخة نشاشة ، لا يجف ترابها ، ولا ينبت مرعاها ، تاتينا منافعها فى مثل مري النعامة ، يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة بمثل ذلك ترنق ولدها ترنق العنز تخاف عليه العدو والسبع أفلا ترفع خسيستنا ، وتنعش ركيستنا ، وتجبر فاقتنا ، وتزيد فى عيالنا عيالا ، وفى رجالنا رجالا ، وتصغر درهمنا ، وتكبر قفيزنا ، وتامر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء هلكنا . قال عمر : هذا والله السيد . هذا والله السيد . قال الاحنف : فما

نزلت أسمعها بعدها . فاراد زيد بن جبلة أن يضع منه . فقال يا أمير المؤمنين : انه ليس هناك وأمه باهلية . قال عمر : هو خير منك ان كان صادقا يريد ان كانت له نية . فقال الاحنف :

أنا ابن الباهلية أرضعتني * بثدى لا أجد ولا وخيم
أغض على القذي أجفان عيني * الى شر السفيه الى الحليم

قال فرجع الوفد واحتبس الاحنف عنده حولا وأشهرا . ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرنا كل منافق صنع اللسان ، وانى خفتك فاحتبستك ، فلم يبلغني عنك الا خير رأيت لك جولا ومعقولا فارجع الى منزلك واتق الله ربك * وكتب الى أبي موسى الاشعري : ان يحتفر لهم نهرا

٢٣ — وفود الاحنف وعمرو بن الاهتم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه

العتبي عن أبيه قال . وفد الاحنف وعمرو بن الاهتم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فارادان يقرع بينهما في الرياسة . فلما اجتمعت بنو تميم . قال الاحنف :

ثوى قدح عن قومه طالما ثوى * فلما أتاهم قال قوموا اتناجروا

فقال عمرو بن الاهتم : انا كنا وأنتم في دار جاهلية فكان الفضل فيها لمن جهل . فسفكنا دماءكم ، وسبينا نساءكم وانا اليوم في دار الاسلام والفضل فيها لمن حلم ، نغفر الله لنا ولك . قال : فغلب يومئذ عمرو بن الاهتم على الاحنف ووقعت القرعة لآل الاهتم . فقال عمرو بن الاهتم :

لما دعتني للرياسة منقر * لدى مجلس أضحى به النجم باديا
شددت لها أزرى وقد كنت قبلها * لا مثالها مما أشد ازاريا

وعمرو بن الاهتم ؟ هو الذى تكلم بين يدى رسول الله صلي الله عليه وسلم وساله عن الزبرقان . فقال عمرو : مطاع في أدنيه شديد العارضة ، مانع لما ورلم ظهره . فقال الزبرقان : والله يارسول الله انه ليعلم مني أكثر مما قال ولكن حسدني . قال : أما والله يارسول الله انه الزمر المروأة ، ضيق العطن ، أحمق الولد ، لئيم الخال . والله ما كذبت في الاولى ، ولقد صدقت في الاخرى رضيت عن ابن عمى . فقلت : أحسنت ما علمت ، ولم أكذب ، وسخطت عليه . فقلت أقبح ما علمت ، ولم أكذب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من البيان لسحرا

٢٤ - وفود عمرو بن معديكرب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه - اذ أوفده سعد

لما فتحت القادسية على يدي سعد بن أبي وقاص : أبلى فيها عمرو بن معديكرب بلاء حسناء فأوفده سعد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكتب اليه معه بالفتح وأثنى فى الكتاب على عمرو . فلما قدم على عمر بن الخطاب ساله عن سعد . فقال أعرابى فى نمرته ، أسدفى تامورته ، نبطى فى حبوته ، يقسم بالسوية ، ويعدل فى القضية ، وينفل فى السرية ، وينقل الينا حقنا نقل الذرة : فقال عمر : لشدما تقارضتما الثناء ، وكان عمر قد كتب الى سعد يوم القادسية أن يعطى الناس على قدر مامعهم من القرآن . فقال سعد لعمرو بن معديكرب : مامعك من القرآن . قال : مامعى شيء . قال : ان أمير المؤمنين كتب الى أن اعطى الناس على قدر مامعهم من القرآن فقال عمرو :

اذا قتلنا ولا يبكي لنا أحد * قالت قريش الا تلك المقادير
تعطي السوية من طعن له نفذ * ولا سوية اذ تعطى الدنانير

قال فكتب سعد بأبياته الي عمر فكتب اليه أن يعطى على مقاماته فى الحرب .

٢٥ — وفود أهل اليمامة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه — وفد أهل اليمامة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد ايقاع خالد وقتله مسيلمة الكذاب : فقال لهم أبو بكر ما كان يقول صاحبكم . قالوا اعفنا ياخليفة رسول الله . قال : لابد أن تقولوا . قالوا : كان يقول ياضفدع كم تنقين لا الشراب تمنعين ، ولا الماء تكدرين ، لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريش قوم لا يعدلون . فقال لهم أبو بكر : ويحكم ماخرج هذا من إل ولا بر ، فاين ذهب بكم . قال أبو عبيد الال الله تعالى والبر الرجل الصالح

٢٦ — وفود عمرو بن معديكرب على مجاشع بن مسعود وفد عمرو بن معديكرب الزبيدى على مجاشع بن مسعود السلمي وكانت بين عمرو وبين سليم حروب في الجاهلية فقدم عليه البصرة يسأله الصلة . فقال له اذكر حاجتك . فقال له : حاجتي صلة مثلى . فاعطاه عشرة آلاف درهم وفرسا من بنات الغبراء وسيفا جرازا ، ودرعا حصينة ، وغلاما خبازا . فلما خرج من عنده قال له أهل المجلس كيف وجدت صاحبك . قال لله بنو سليم ما أشد في الهيجاء لقاءها ، وأكرم فى اللأواء عطاءها ، وأثبت فى المكرمات بناءها ، والله يابني سليم لقد قاتلناكم فى الجاهلية فما أجبناكم ، ولقد هاجيناكم فما أفحمناكم ، ولقد سألناكم فما أبخلناكم

فلله مسؤلا نوالا ونائلا * وصاحب هيج يوم هيج مجاشع

٢٧ — وفود الحسن بن علي رضي الله عنهما على معاوية رضى الله عنه

أبو بكر بن أبي شيبة قال : وفد الحسن بن علي رضى الله عنهما على معاوية بعد عام الجماعة . فقال له معاوية : والله لاحبونك بجائزة ما أجزت بها أحدا قبلك ، ولا أجيز بها أحدا بعدك ، فامر له بمائة الف . وفي بعض الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ابنته فاطمة . فوجد الحسن طفلا يلعب بين يديها . فقال لها : ان الله تعالى سيصلح على يدي ابنك هذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين

٢٨ — وفود زيد بن منبه على معاوية رحمه الله — العتبي قال : قدم زيد بن منبه على معاوية من البصرة وهو أخو يعلى بن منبه صاحب جمل عائشة ومتولى تلك الحروب ورأس أهل البصرة . وكان عتبة بن أبي سفيان قد تزوج ابنة يعلى بن منبه . فلما دخل على معاوية شكا اليه دينا لزمه . فقال يا كعب : اعطه ثلاثين الفا . فلما ولى قال : وليوم الجمل ثلاثين ألفا أخرى . ثم قال له الحق بصهرك يعني عتبة فقدم عليه مصر . فقال : اني سرت اليك شهرين أخوض فيهما المتالف ، ألبس أردية الليل مرة ، وأخوض في السراب أخري ، موقرا من حسن الظن بك وهاربا من دهر فطم ، ودين لزم ، بعد غني جدعنا به أنوف الحاسدين فلم أجد الا اليك مهربا وعليك معولا . فقال عتبة : مرحبا بك وأهلا ان الدهر أعاركم غني ، وخلطكم بناء ثم استرد ما أمكنه أخذه . وقد أبقى لكم منا مالا ضيعة معه ، وأنا واضع يدي ويدك بيد الله . فاعطاه ستين ألفا كما أعطاه معاوية رحمه الله تعالى

٢٩ — وفود عبد العزيز بن زرارة على معاوية رحمه الله تعالى — العتبي عن أبيه قال : وفد عبد العزيز بن زرارة علي معاوية وهو سيد أهل الكوفة . فلما أذن له وقف بين يديه وقال يا أمير المؤمنين : لم أزل أهز ذوائب الرحال اليك ، اذلم أجد معولا الا عليك ، أمتطى الليل بعد النهار . وأسم المجاهل بالآثار ، يقودني اليك أمل ، وتسوقني بلوى ، والمجتهد يعذر ، واذا بلغتك فقطني . فقال معاوية : احطط عن راحلتك رحلها . وخرج عبد العزيز بن زرارة مع يزيد بن معاوية الى الصائفة فهلك هناك فكتب به يزيد بن معاوية الى معاوية . فقال لزرارة : أتاني اليوم نعي سيد شباب العرب . قال زرارة يا أمير المؤمنين . هو ابني أو ابنك . قال بل ابنك .

قال : للموت ماتلد الوالدة : أخذه سابق البربدي فقال :

وللموت تغذو الوالدات سخالها ✻ كما لخراب الدهر تبني المساكن

وقال آخر :

للموت يولد منا كل مولود ✻ لاشيء يبقى ولا يفني بموجود

٣٠ — وفود عبدالله بن جعفر على يزيد بن معاوية — المدائني قال : قدم عبدالله بن جعفر على يزيد بن معاوية . فقال له : كم كان عطاؤك . فقال له : ألف ألف . قال قد أضعفناها لك قال : فداك أبي وأمي ، وماقلتها لاحد قبلك . قال : أضعفناها لك ثانية . فقيل ليزيد : أتعطي رجلا واحداً أربعة آلاف ألف . فقال ويحكم ، انما أعطيتها أهل المدينة أجمعين ، فما يده فيها الاعارية . فلما كان في السنة الثانية قدم عبدالله ابن جعفر . وقدم مولى له يقال له نافع كانت له منزلة من يزيد بن معاوية . قال نافع : فلما قدمنا عليه أمر لعبدالله بن جعفر بألف ألف وقضي عنه ألف ألف ثم نظر الى فتبسم . فقلت هذه لتلك الليلة . وكنت سامرته ليلة في خلافة معاوية وأسمعته فيها فذكرته بها . وقدمت عليه هدايا من مصر كثيرة . فامر بها لعبدالله بن جعفر وكانت له مائة ناقة . فقلت لابن جعفر : لوسألته منها شيأ نحتلبه في طريقنا ففعل فامر بصرفها كلها اليه فلما أراد الوداع أرسل الىّ فدخلت عليه . فقال : ويلك انما أخرتك لاتفرغ اليك هات قول جميل :

خليلي فيما عشتما هل رأيتما ✻ قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

قال فاسمعته فقال : أحسنت والله هات حاجتك فما سألته شيئاً الا أعطانيه . فقال : ان يصلح الله هذا الامر من قبل ابن الزبير تلقانا بالمدينة فان هذا لايحسن الا هناك فمنع والله من ذلك شؤم ابن الزبير .

٣١ — وفود عبدالله بن جعفر على عبد الملك بن مروان قال بديح : وفد عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان . وكان زوج ابنته أم كلثوم من الحجاج على ألفي ألف في السر وخمسمائة ألف في العلانية . وحملها اليه الى العراق . فمكثت عنده ثمانية أشهر . قال بديح : فلما خرج عبد الله بن جعفر الي عبد الملك بن مروان خرجنا معه حتى دخلنا دمشق فانا لنحط رحالنا اذ جاءنا الوليد بن عبد الملك على بغلة وردة ومعه الناس . فقلنا : جاء الى ابن جعفر ليحيه ويدعوه الى منزله . فاستقبله ابن جعفر بالترحيب . فقال له : لكن أنت لا مرحباً بك ولا أهلا .

فقال : مهلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك . قال : بلى ولشر منها . قال : وفيم ذلك . قال : انك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة بني عبد مناف ففرشتها عبد ثقيف يتفخذها . قال وفي هذا عتب علي يا ابن أخي . قال وما أكثر من هذا . قال والله ان أحق الناس أن لا يلومني في هذا لأنت وأبوك ان من كان قبلكم من الولاة ليصلون رحمي ويعرفون حقي وانك وأباك منعتماني ما عندكما حتى ركبني من الدين ما والله لو أن عبدا مجدعا حبشيا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها فانما فديت بها رقبتي من النار . قال فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك وكان الوليد اذا غضب عرف ذلك في وجهه فلما رآه عبد الملك . قال مالك أبا العباس . قال انك سلطت عبد ثقيف وملكته ورفعته حتى تفخذ نساء عبد مناف . وأدركته الغيرة فكتب عبد الملك الى الحجاج يعزم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها . فما قطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا . قال ومازال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى هلك . قال بديح فما كان يأتي علينا هلال الا وعندنا عير مقبلة من الحجاج عليها لطف وكسوة وميرة حتى لحق عبد الله بن جعفر بالله . ثم استأذن ابن جعفر على عبد الملك فلما دخل عليه استقبله عبد الملك بالترحيب ثم أخذ بيده فاجلسه معه على سريره . ثم سأله فالطف المسئلة حتى سأله عن مطعمه ومشربه . لما انقضت مسألته قال له يحيى بن الحكم أمن خبثة كان وجهك أبا جعفر . قال وما خبثة : قال أرضك التي جئت منها . قال سبحان الله رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميها طيبة وتسميتها خبثة لقد اختلفتما في الدنيا وأظنكما في الآخرة مختلفين . فلما خرج من عنده هيأ له ابن جعفر هدايا والطافا فقلت لبديح ما قيمته ذلك قال قيمته مائة الف من وصف ووصائف وكسوة وحرير ولطف من لطف الحجاز . قال فبعثني بها دخلت عليه وليس عنده احد فجعلت اعرض عليه شيأ شيأ . قال فما رأيت مثل اعظامه لكل ما عرضت عليه من ذلك وجعل يقول كلما أريته شيئاً عافى الله ابا جعفر مارايت كاليوم وما كنا نريد ان يتكلف لنا شيأ من هذا وان كنا لمتذممين محتشمين . قال فخرجت من عنده واذن لأصحابه فوالله لبينا أنا أحدثه عن تعجب عبد الملك واعظامه لما أهدى اليه اذا بفارس قد أقبل علينا . فقال ابا جعفر ان امير المؤمنين يقرأ السلام عليك ويقول لك جمعت له وخش رقيق الحجاز واباقهم وحبست عنا فلانة فابعث بها الينا وذلك انه حين دخل عليه أصحابه جعل يحدثهم عن هدايا ابن جعفر ويعظمها عندهم . فقال له يحيى ابن الحكم وماذا أهدى اليك ابن جعفر جمع لك وخش رقيق الحجاز وأباقهم وحبس عنك

فلانة . قال وبلك وما فلانة هذه . قال مالم يسمع والله أحد بمثلها قط جمالا وكمالا وخلقا وأدبا لو أراد كرامتك بعث بها اليك . قال وأين تراها وأين تكون . قال هي والله معه وهي نفسه التي بين جنبيه . فلما قال الرسول ما قال وكان ابن جعفر في أذنه بعض الوقر اذا سمع ما يكره تصام فاقبل على فقال ما يقول يابذيح . قال : قلت فان أمير المؤمنين يقرأ السلام ويقول انه جاءني بريد من ثغر كذا يقول ان الله نصر المسلمين وأعزهم . قال اقرأ أمير المؤمنين السلام وقل له أعز الله نصرك وكبت عدوك : فقال الرسول ياأباجعفر اني لست أقول هذا وأعاد مقالته الاولى فسالني فصرفته الى وجه آخر فاقبل على الرسول : فقال ياماض أبرسل أمير المؤمنين تهكم وعن أمير المؤمنين تجيب هذا الجواب أما والله لاطلن دمك . فانصرف وأقبل على ابن جعفر فقال من تري صاحبنا قلت صاحبك بالامس ، قال أظنه فما الرأي عندك قلت ياأباجعفر قد تكلفت له ما تكلفت فان منعتها اياه جعلتها سببا لمنعك ولو طلب أمير المؤمنين احدي بناتك ما كنت أرى أن تمنعها اياه . قال ادعها لي : فلما أقبلت رحب . ثم أجلسها الى جنبه . ثم قال أما والله ما كنت أظن أن يفرق بيني وبينك الا الموت . قالت وماذاك قال انه حدث أمر وليس والله كائنا فيه الا ما أحببت جاء الدهر فيه بما جاء . قالت وما هو قال ان أمير المؤمنين بعث يطلبك فان تهوين فذاك والا والله لم يكن أبدا ، قالت ما شيء لك فيه هوى ولا أظن فيه فرج عنك الا فديته بنفسي وأرسلت عينيها بالبكاء . فقال لها أما اذا فعلت فلا ترين مكروها فمسحت عينيها وأشار اليها . فقال ويحك يابذيح استحثها قبل ان تقدم الى من القوم بادرة قال ودعا باربع جوار ودعا صاحب نفقته بخمسمائة دينار ودعا مولاة له كانت تلي طيبه قد حست لها ربعة عظيمة مملوأة طيبا . ثم قال عجلها ويلك فخرجت أسوقها حتي انتهيت الى الباب واذا الفارس قد بلغ عني فما تركني الحجاب أن تمس رجلاي الارض حتى أدخلت على عبد الملك وهو يتلظى . فقال لي ياماض وكذا أنت المجيب عن أمير المؤمنين والمتهكم برسله قلت : ياأمير المؤمنين ائذن لي أتكلم . قال وما تقول يا كذا وكذا . قلت ائذن لي جعلني الله فداءك أتكلم . قال تكلم قلت ياأمير المؤمنين أنا أصغر شانا وأقل خطرا من أن يبلغ كلامي من أمير المؤمنين ما أرى وهل أنا الا عبد من عبيد أمير المؤمنين . نعم قد قلت ما بلغك وقد يعلم أمير المؤمنين أنا انما نعيش في كنف هذا الشيخ وان الله لم يزل اليه محسنا فجاءه من قبلك شيء ما أتاه قط مثله انما طلبت نفسه التي بين جنبيه فاجبت بما بلغك لاسهل الامر عليه ثم سالني فاخبرته واستشارني فاشرت

عليه وهاهي ذه قد جئتك بها . قال أدخلها ويلك : قال فادخلتها عليه وعنده مسلمة ابنه غلام ما رأيت مثله ولا أجمل منه حين اخضر شاربه . فلما جلست وكلمتها أعجب بكلامهـا : فقال لله أبوك أمسكك لنفسي أحب اليك أم أهبك لهذا الغلام فانه ابن أمير المؤمنين ، قالت يا أمير المؤمنين لست لك بحقيقة وعسى أن يكون هذا الغلام لي وجها . قال فقام من مكانه مارا جعها فدخل وأقبل عليها مسلمة : فقال يا لكاع أعلى أمير المؤمنين تختـارين . قالت يا عدو نفسه انما تلومني ان اخترتك لعمر الله . لقد قال رأى من اختارتك قال فضيقت والله مجلسه واطلع علينا عبد الملك قد ادهن بدهن وارى الشيب وعليه حلة تتلألأ كأنها الذهب بيده مخصرة يخطر بها فجلس مجلسه على سريره . ثم قال ايها الله أبوك أمسكك لنفسي أحب لك ، أم أهبك لهذا الغلام : قالت ومن أنت أصلحك الله ، قال لها الخصي هذا أمير المؤمنين . قالت لست مختارة على أمير المؤمنين أحدا . قال فاين قولك آنفا قالت رأيت شيخا كبيرا وأري أمير المؤمنين أشب الناس وأجملهم ولست مختارة عليه أحدا . قال دونكها يا مسلمة . قال بذيح فنشرت عليه الكسوة والدنانير التي معي وأريته الجواري والطيب قال عافى الله ابن جعفر أخشي أن لا يكون لها عندنا نفقة وطيب وكسوة : فقلت بلى ولكنـه أحب أن يكون معها ماتكتفي به حتي تستانس . قال فقبضها مسلمة فلم تلبث عنده الا يسيرا حتي هلكت قال بذيح فو الله الذي ذهب بنفس مسلمة ما جلست معه مجلسا ولا وقفت موقفا نازعه فيه الحديث الا قال أبغني مثل فلانة . فاقول ابغني مثل ابن جعفر . قال فقلت لبذيح ويلك فما أجازه به قال قال حين دفع اليه حاجته ودينه لاجيزنك جائزة لو نشر لي مروان من قبره مازدته عليها فامر له بمائة ألف ؟ وايم الله اني لاحسبه أنفق في هديته ومسيره ذلك وجاريته التي كانت عدل نفسـه مائتي ألف

٣٢ — وفود الشعبي على عبد الملك بن مروان — كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أن ابعث الى رجلا يصلح للدين والدنيا أتخذه سميرا وجليسا وخليلا . فقال الحجاج ماله الا عامر الشعبي وبعث به اليه فلما دخل عليه وجده قد كبا مهتما فقال ما بال أمير المؤمنين . قال ذكرت قول زهير :

كأني وقد جاوزت سبعين حجة ✻ خلعت بها عني عـذار لجامي

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ✻ فكيف بمن يرمى وليس برامي

فـلو أنني أرمى بنبـل رأيتهـا ✻ ولكنني أرمي بغيـر سهـام

على الراحتين تارة وعلى العصا * أنوء ثلاثا بعدهن قيامى

قال له الشعبي ليس كذلك يا أمير المؤمنين . ولكن كما قال لبيد بن ربيعة وقد بلغ سبعين حجة :

كانى وقد جاوزت سبعين حجة * خلعت بها عن منكبي ردائيا

لما بلغ سبعا وسبعين سنة قال :

باتت تشكي الى النفس موهنة * وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فان تزادي ثلاثا تبلغي أملا * وفى الثلاث وفاء للثمانينا

ولما بلغ تسعين سنة قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد

ولما بلغ عشرا ومائة سنة قال :

أليس ورائي ان تراخت منيتي * لزوم العصا تحنى عليها الاضالع
أخبر أخبار القرون التي خلت * أنوء كاني كلما قمت راكع

ولما بلغ ثلاثين ومائة وحضرته الوفاة قال :

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما * وهل أنا الا من ربيعة أو مضر
فقوما فقولا بالذى تعلمانه * ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه * أضاع ولا خان الخليل ولا غدر
الى سنة ثم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

قال الشعبي فلقد رأيت السرور فى وجه عبد الملك طمعا أن يعيشها

٣٣ — وفود الحجاج بابراهيم بن طلحة على عبد الملك بن مروان —

عمر بن عبد العزيز قال : لما ولى الحجاج بن يوسف الحرمين بعد قتله ابن الزبير استخلص ابراهيم بن محمد بن طلحة فقربه وعظم منزلته فلم تزل تلك حاله عنده حتى خرج الى عبد الملك بن مروان فخرج معه معادلا لا يقصر له فى بر واعظام حتى حضر به عبد الملك . فلما دخل عليه لم يبدأ بشىء بعد السلام الا أن قال له قدمت عليك أمير المؤمنين برجل الحجاز لم أدع له بها نظيرا فى الفضل والادب والمروءة وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق وعظم قدر الابوة وما بلوت منه فى الطاعة والنصيحة وحسن الموازرة وهو ابراهيم بن محمد بن طلحة . وقد أحضرته بابك ليسهل عليه اذنك وتعرف له ما عرفته . فقال أذكرتنا رحما قريبة وحقا واجبا ياغلام ائذن لابراهيم بن محمد بن طلحة . فلما

دخل عليه أدناه عبد الملك حتي أجلسه على فراشه . ثم قال له يا ابن طلحة ان أبا محمد ذكرنا مالم نزل نعرفك به فى الفضل والادب والمروءة وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق وعظم قدر الابوة وما بلاه منك فى الطاعة والنصيحة وحسن الموازرة . فلا تدعنّ حاجة فى خاصة نفسك وعامتك الا ذكرتها . فقال يا أمير المؤمنين ان أول الحوائج وأحق ما قدم بين يدى الامور ما كان لله فيه رضا ولحق نبيه صلى الله عليه وسلم أداء ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة وعندي نصيحة لا أجد بدًّا من ذكرها ولا أقدر على ذلك الا وأنا خال فاخلني يا أمير المؤمنين ترد عليك نصيحتي . قال : دون أبي محمد . قال : نعم دون أبي محمد . قال عبد الملك للحجاج قم . فلما خطرف الستر أقبل على . فقال : يا ابن طلحة قل نصيحتك . فقال : تالله يا أمير المؤمنين لقد عمدت الى الحجاج فى تغطرسه وتعجرفه وبعده من الحق وقربه من الباطل فوليته الحرمين وهما ماهما وبهما من بهما من المهاجرين والانصار والموالى الاخيار يطؤهم ويسومهم الخسف ويحكم فيهم بغير السنة بعد الذى كان من سفك دمائهم وما انتهك من حرمهم ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله زاهق وفيما بينك وبين نبيك غدا اذا جاثاك للخصومة بين يدى الله فى أمته أما والله لا تنجو هنالك الا بحجة فاربع على نفسك أودع . فقال له عبد الملك : كذبت ومنت وظن بك الحجاج مالم يجده فيك وقد يظن الخير بغير أهله قم فانت الكاذب المائن . قال : فقمت وما أعرف طريقا . فلما تخطرفت الستر لحقني لاحق فقال احبسوا هذا وقال للحجاج ادخل . فدخل فمكث مليا من النهار لا أشك أنهما فى أمري . ثم خرج الآذن فقال ادخل يا ابن طلحة . فلما كُشف لى الستر لقيني الحجاج وهو خارج وأنا داخل . فاعتنقني وقبل ما بين عيني وقال اما اذا أجزى الله المتواخين خيرا بفضل تواصلهم فجزاك الله عني أفضل الجزاء . فوالله لئن سلمت لك لارفعنّ ناظرك ولاعلينّ كعبك ولاتبعنّ الرجال غبرة قدميك . قال فقلت يهزأ بي وحق الكعبة . فلما وصلت الى عبد الملك أدناني حتى أدناني مجلسي الاول . ثم قال : يا ابن طلحة لعل أحدا شاركك في نصيحتك هذه قلت والله يا أمير المؤمنين ما أعلم أحدا اتضع عندى يدا ولا أعظم معروفا من الحجاج . ولو كنت محابيا أحدا لغرض دنيا لحابيته . ولكني آثرت الله ورسوله وآثرتك والمؤمنين عليه . قال : قد علمت أنك لم ترد الدنيا ولو أردتها لكانت لك فى الحجاج . ولكن أردت الله والدار الآخرة وقد عزلته عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استقلالا لهما ووليته العراقين وما هنالك من الامور التى لا يدحضها

الامثله وأعلمته أنك استدعيتني الى ولايته عليهما استزادة له لالزمه بذلك من حقك ما يؤدى اليك عني أجر نصيحتك فاخرج معه فانك غير ذام لصحبته

٣٤ — وفود رسول المهلب على الحجاج بقتل الازارقة — أبو الحسن المدايني قال : لما هزم المهلب بن أبي صفرة قطرى بن الفجاءة صاحب الازارقة بعث الى مالك ابن بشير . فقال له : انى موفدك الى الحجاج فسر فانما هو رجل مثلك . وبعث اليه بجائزة فردها . وقال انما الجائزة بعد الاستحقاق وتوجه . فلما دخل على الحجاج قال له ما اسمك قال مالك بن بشير قال ملك و بشارة كيف تركت المهلب . قال أدرك ما أمّل وأمن من خاف . قال كيف هو بجنده . قال والد رؤف قال فكيف جنده له . قال أولا د بررة . قال كيف رضاهم عنه . قال وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل . قال فكيف تصنعون اذا لقيتم عدوكم . قال نلقاهم بجدنا فنطمع فيهم ويلقونا بجدهم فيطمعون فينا . قال كذلك الجد اذا لقى الجد . قال فما حال قطرى . قال كادنا ببعض ما كدناه قال فما منعكم من اتباعه . قال رأينا المقام من ورائه خيرا من اتباعه . قال فاخبرني عن ولد المهلب قال أعباء القتال بالليل حماة السرح بالنهار . قال أيهم أفضل . قال ذلك الى أبيهم . قال لتقولن . قال هم كحلقة مضروبة لا يعرف طرفاها . قال أقسمت عليك هل روّأت فى هذا الكلام . قال ما أطلع الله على غيبه أحدا . فقال الحجاج لجلسائه ، هذا والله الكلام المطبوع ، لا الكلام المصنوع

٣٥ — وفود جرير على عبد الملك بن مروان — لما مدح جرير بن الخطفى الحجاج بن يوسف بشعره الذي يقول فيه :

من سد مطلع النفاق عليكم * أم من يصول كصولة الحجاج

وبشعره الذي يقول فيه :

أم من يغار على النساء حفيظة * اذ لا يثقن بغيرة الازواج

وقوله دعا الحجاج مثل دعاء نوح * فاسمع ذا المعارج فاستجابا

قال له الحجاج : ان الطاقة تعجز عن المكافأة . ولكني موفدك على امير المؤمنين عبد الملك بن مروان . فسر اليه بكتابي هذا فسار اليه . ثم استأذنه فى الانشاد فاذن له . فقال : أتصحو أم فؤادك غير صاح * قال له عبد الملك بل فؤادك فلما انتهى الى قوله :

تعزت أم حرزة ثم قالت * رأيت الواردين ذوي امتياح

ثقي بالله ليس له شريك * ومن عند الخليفة بالنجاح
ساشكر ان رددت الى ريشي * وأنبت القوادم فى جناحي
ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

ارتاح عبد الملك وكان متكئاً فاستوي جالسا . ثم قال : من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت . ثم قال له يا جرير أترى أم حرزة ترويها مائة ناقة من نعم كلب . قال : اذا لم تروها يا أمير المؤمنين فلا أرواها الله . فامر له بمائة ناقة من نعم كلب كلها سود الحدق . فقال يا أمير المؤمنين : انها اباق ونحن مشايخ وليس باحدنا فضل عن راحلته فلو أمرت بالرعاء . فامر له بثمانية من الرعاء وكانت بين يدي عبد الملك صحاف من فضة يقرعها بقضيب فى يده فقال له جرير : والمحلب يا أمير المؤمنين وأشار الى صحفة منها فنبذها اليه بالقضيب . وقال خذها لا نفعتك ففى ذلك يقول جرير :

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية * مافى عطائهم منّ ولا سرف

٣٦ — وفود جرير عن أهل الحجاز على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه — قدم جرير بن الخطفى على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عن أهل الحجاز فاستاذنه فى الشعر . فقال مالى وللشعر ياجرير انى لفى شغل عنه . فقال : يا أمير المؤمنين انها رسالة عن أهل الحجاز . قال فهاتها اذا . فقال :

كم من ضرير أمير المؤمنين لدى * أهل الحجاز دهاه البؤس والضرر
اصابت السنة الشهباء ماملكت * يمينه فحناه الجهد والكبر
ومن قطيع الحشا عاشت مخباة * ما كانت الشمس تلقاها ولا القمر
لما اجتلتها صروف الدهر كارهة * قامت تنادي باعلى الصوت ياعمر

٣٧ — وفود دكين الراجز على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه — قال دكين ابن رجاء الفقيمي الراجز : مدحت عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة فامر لى بخمس عشرة ناقة كرائم صعابا . فكرهت ان ارمى بها الفجاج فتنشر على ولم تطب نفسى ببيعها فقدمت علينا رفقة من مصر فسالتهم الصحبة . فقالوا ان خرجت الليلة فقلت اني لم اودع الامير ولا بد من وداعه . قالوا فان الامير لا يحجب عن طارق ليل فاستاذنت عليه فاذن لى وعنده شيخان لا اعرفهما . فقال لى يا دكين ان لى نفسا تواقة فان انا صرت الى اكثر مما انا فيه فبعين ما ارينك قلت له اشهد لى بذلك ايها الامير . قال انى أشهد الله قلت ومن خلقه قال هذين الشيخين . قلت لاحدهما من انت

يرحمك الله أعرفك . قال سالم بن عبد الله . فقال لى عمر لقد استسميت الشاهد . وقلت للآخر من أنت ؟ يرحمك الله . قال أبو يحيي مولى الامير : وكان مزاحم يكني أبا يحيي . قال دكين : فخرجت بهن الى بلدي فرمي الله فى أذنابهن بالبركة حتى اتخذت منهن الضياع والرباع والغلمان فاني لبصحراء فلج اذا بريد يركض الى الشام . فقلت له : هل من مغربة خبر قال مات سليمان بن عبد الملك قلت فمن القائم بعده . قال عمر بن عبد العزيز . قال فأنخت قلوصي فالقيت عليها أداتى وتوجهت عنده فلقيت جريرا فى الطريق جائيا من عنده . فقلت من أين أبا حرزة . قال من عند أمير يعطى الفقراء و يمنع الشعراء . قلت فما ترى فانى خرجت اليه . قال عول عليه فى مال ابن السبيل كما فعلت فانطلقت فوجدته قاعدا على كرسي في عرصة داره قد أحاط الناس به . فلم أجد اليه سبيلا للوصول . فناديت باعلى صوتي :

يا عمر الخيرات والمكارم * وعمر الدسائع العظائم
انى امرؤ من قطن بن دارم * أطلب حاجي من أخى مكارم
اذ تنتحي والليل غير نائم * عند أبي يحيي وعند سالم

فقام أبو يحيي فقال يا أمير المؤمنين ان لهذا البدوى عندي شهادة قال أعرفها ادن مني يادكين أنا كما ذكرت لك ان لى نفسا تواقة وان نفسي تاقت الى اشرف منازل الدنيا . فلما أدركتها وجدتها تتوق الى الآخر والله ما رزأت من أموال الناس شيا فاعطيك منه وماعندى الا الفا درهم أعطيك أحدهما فامر لى بالف درهم . فوالله ما رأيت الفا كان أعظم بركة منه

٣٨ — وفود كثير والاحوص على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه —

حماد الراوية قال : قال لى كثير عزة ألا أخبرك عما دعانى الى ترك الشعر . قلت نعم قال شخصت أنا والاحوص و نصيب الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وكل واحد منا يدلى عليه بسابقة و إخاء قديم ونحن لا نشك أنا سيشركنا فى خلافته . فلما رفعت لنا أعلام خناصره لقينا مسلمة بن عبد الملك وهو يومئذ فتي العرب فسلمنا فرد . ثم قال أما بلغكم أن امامكم لا يقبل الشعر قلنا ما توضح الينا خبر حتي انتهينا اليك ووجمنا وجمة عرف ذلك فينا . فقال ان يك ذو دين بني مروان قد ولى وخشيتم حرمانه فان ذا دنياها قد بقى ولكم عندى ما تحبون وما ألبث حتى أرجع اليكم وأمنحكم ما أنتم أهله . فلما قدم كانت رحالنا عنده باكرم منزل وأكرم منزول عليه . فاقمنا عنده أربعة أشهر يطلب لنا الاذن هو وغيره فلا يؤذن لنا الى ان قلت في جمعة من تلك الجمع لوانى دنوت من عمر فسمعت كلامه فحفظته كان ذلك رأيا .

فقملت فكان مما حفظت من كلامه لكل سفر زاد لا محالة فتزود والسفر كم من الدنيا الى الآخرة بالتقوى . وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه أو عقابه فترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم في كلام كثير لا أحفظه . ثم قال : أعوذ بالله ان آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيلتي وتبدو مسكنتي في يوم لا ينفع فيه الا الحق والصدق ثم بكي حتى ظننت أنه قاض نحبه وارتج المسجد وما حوله بالبكاء وانصرفت الى صاحبي . فقلت لها خذا في شرح من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه فان الرجل آخرى وليس بد نيوي الى ان استاذن لنا مسلمة في يوم جمعة بعد ما أذن للعامة فلما دخلت سلمت ثم قلت يا أمير المؤمنين طال الثواء وقلت الفائدة وتحدث بجفائك ايانا وفود العرب . قال يا كثير انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل أفي واحد من هؤلاء أنت قلت بلى ابن السبيل منقطع به . وأنا صاحبك قال ألست صاحب أبي سعيد قلت بلى . قال ما أرى ضيف أبي سعيد منقطعا به . قلت يا أمير المؤمنين أتاذن لى فى الانشاد . قال نعم ولا تقل الا حقا فقلت :

. وليت فلم تشتم عليا ولم تخف * بريا ولم تقبل إشارة مجرم
وصدقت بالفعل المقال مع الذي * أتيت فامسى راضيا كل مسلم
ألا انما يكفي الفتى بعد زيغه * من الاود الباقى ثقاف المقوم
وقد لبست لبس الملوك ثيابها * تراءى لك الدنيا بكف ومعصم
وتومض أحيانا بعين مريضة * وتبسم عن مثل الجمان المنظم
فاعرضت منها مشمئزا كانما * سقتك مدوفا من سمام وعلقم
وقد كنت من أجبالها فى ممنع * ومن بحرها فى مزبد الموج مفعم
وما زلت تواقا الى كل غاية * بلغت بها أعلي البناء المقوم
فلما أتاك الملك عفوا ولم يكن * لطالب دنيا بعده من تقدم
ومالك اذ كنت الخليفة مانع * سوى الله من مال رعيت ودرهم
تركت الذى يفني وان كان رونقا * وآثرت ما يبقى برأي مصمم
وأضررت بالفاني وشمرت للذى * أمامك فى يوم من الشر مظلم
سماك هم فى الفؤاد مؤرق * بلغت به أعلى المعالى بسلم
فما بين شرق الارض والغرب كلها * مناد ينادى من فصيح وأعجم

يقول أمير المؤمنين ظلمتني * لاخذ لدينار ولا أخذ درهم
ولا بسط كف لامرئ غير مجرم * ولا السفك منه ظالما ملء محجم
ولو يستطيع المسلمون لقسموا * لك الشطر من أعمارهم غير ندم
فاربح بها من صفقة لمبايع * وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

قال فاقبل علي وقال انك مسؤل عما قلت . ثم تقدم الاحوص فاستاذنه في الانشاد فقال قل ولا تقل الا حقا فقال :

وما الشعر الا حكمة من مؤلف * لمنطق حق أو لمنطق باطل
فلا تقبلن الا الذي وافق الرضا * ولا ترجعنا كالنساء الارامل
رأيناك لم تعدل عن الحق يمنة * ولا شامة فعل الظلوم المخاتل
ولكن أخذت الحق جهدك كله * تقفو مثال الصالحين الاوائل
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا * ومن ذا يرد الحق من قول قائل
ومن ذا يرد السهم بعد مضائه * على فوقه اذ غار من نزع نائل
ولولا الذي قد عودتنا خلائف * غطاريف كانوا كالليوث البواسل
لما وخدت شهرا برحلي شملة * يقدّ متون البيد بين الرواحل
ولكن رجونا منك مثل الذي به * حبينا زمانا من ذويك الاوائل
فان لم يكن للشعر عندك موضع * وان كان مثل الدر في نظم قائل
وكان مصيبا صادقا لا يعيبه * سوى أنه يبنى بناء المنازل
فان لنا قربى ومحض مودة * وميراث آباء مشوا بالمناصل
فذادوا عدو السلم عن عقر دارهم * وأرسوا عمود الدين بعد التمايل
وقبلك ما أعطى هنيدة جلة * على الشعر كعبا من سديس وبازل
رسول الاله المستضاء بنوره * عليه سلام بالضحى والاصائل

فقال انك مسؤل عما قلت . ثم تقدم نصيب فاستاذنه في الانشاد . فلم ياذن له وأمره بالغزو الى دابق فخرج اليها وهو محموم وأمر لي بثلثمائة وللاحوص بمثلها ولنصيب بمائة وخمسين :

٣٩ — وفود الشعراء على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه — ابن الكلبي لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وفدت اليه الشعراء كما كانت تفد الى الخلفاء قبله . فاقاموا ببابه أياما لا ياذن لهم بالدخول حتى قدم عدي بن أرطاة على عمر بن عبد العزيز

وكانت له منه مكانة فقال جرير :

يا أيها الرجل المزجي مطيته * هذا زمانك اني قد مضي زمني
أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيه * اني لدى الباب كالمصفود في قرن
وحش المكانة من أهلي ومن ولد * نائي المحلة عن داري وعن وطني

قال نعم : أبا حرزة ونعمي عين . فلما دخل على عمر . قال يا أمير المؤمنين : ان الشعراء ببابك وأقوالهم باقية وسنانهم مسنونة . قال يا عدي : مالي وللشعراء . قال يا أمير المؤمنين : ان النبي صلى الله عليه وسلم قد مدح وأعطي وفيه أسوة لكل مسلم قال ومن مدحه قال : عباس بن مرداس فكساه حلة قطع بها لسانه قال وتروي قوله . قال نعم :

رأيتك ياخير البرية كلها * نشرت كتابا جاء بالحق معلما
ونورت بالبرهان أمرا مدمسا * وأطفات بالبرهان نارا مضرما
فمن مبلغ عني النبي محمدا * وكل امرىء يجزى بما قد تكلما
تعالى علوا فوق عرش الهنا * وكان مكان الله أعلى وأعظما

قال صدقت فمن بالباب منهم . قال : ابن عمك عمر بن أبي ربيعة . قال : لاقرب الله قرابته ولا حيا وجهه اليس هو القائل :

ألا ليت أني يوم حانت منيتي * شممت الذي مابين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله * وليت حنوطي من مشاشك والدم
وياليت سلمى في القبور ضجيعتي * هنالك أو في جنة أو جهنم

فليته والله تمني لقاءها في الدنيا ويعمل عملا صالحا . والله لادخل على أبدا . فمن بالباب غير من ذكرت . قلت جميل بن معمر العذري . قال هو الذي يقول :

ألا ليتنا نحيا جميعا وان نمت * يوافي لدى الموتى ضريحي ضريحها
فما انا في طول الحياة براغب * اذا قيل قد سوى عليها صفيحها
أظل نهاري لا أراها ويلتقي * مع الليل روحي في المنام وروحها

اعزب به فوالله لادخل على أبدا فمن غير من ذكرت . قال : كثير عزة . قال هو الذي يقول :

رهبان مدين والذي عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة ركعا وسجودا

اعزب به فمن بالباب غير من ذكرت . قال الاحوص الانصارى . قال : أبعده الله وأسحقه . أليس هو القائل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جارية هربت منه :

الله بيني وبين سيدها * يفرعني بها وأتبع

أعزب به فمن بالباب غير من ذكرت . قال همام بن غالب الفرزدق قال : أليس هو القائل يفخر بالزنا :

هما دلياني من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا * أحي يرجى أم قتيل نحاذره
وأصبحت لا القوم الجلوس واصبحت * مغلقة دوني عليها دساكره
فقلت ارفعوا الاحراس لا يشعروا بنا * ووليت في أعقاب ليل أبادره

أعزب به فوالله لا دخل على أبدا . فمن بالباب غير من ذكرت . قلت الاخطل التغلبي قال : أليس هو القائل

فلست بصائم رمضان عمري * ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بزاجر عنسا بكوراً * الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعير يدعو * قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني ساشربها شمولا * وأسجد عند منبلج الصباح

أعزب به فوالله لا وطيء لي بساطا أبدا وهو كافر . فمن بالباب غير من ذكرت . قلت جرير ابن الخطفى قال أليس هو القائل

لولا مراقبة العيون أريننا * مقل المها وسوالف الارام
هل ينهينك ان قتلنا مرقشا * أو ما فعلن بعروة بن حزام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولا بد فهذا فاذن له فخرجت اليه : فقلت ادخل أبا حرزة فدخل وهو يقول :

ان الذى بعث النبي محمدا * جعل الخلافة في امام عادل
وسع الخلائق عدله ووفاؤه * حتي ارعوى وأقام ميل المائل
والله أنزل في القرآن فضيلة * لابن السبيل وللفقير العائل

اني لارجو منك خيرا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل

فلما مثل بين يديه . قال : اتق الله ياجرير ولا تقل الا حقا فانشا يقول :

كم باليمامة من شعثاء أرملة * ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن بعدك تكفى فقد والده * كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به * خبلا من الجن أو مسا من البشر
خليفة الله ماذا تامرن بنا * لسنا اليكم ولا فى دار منتظر
مازلت بعدك فى هم يؤرقني * قد طال فى الحي اصعادى ومنحدري
لا ينفع الحاضر المجهود بادينا * ولا يعود لنا باد على حضر
انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا * من الخليفة مانرجو من المطر
أتى الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر
هذى الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

فقال : ياجرير والله لقد وليت هذا الامر وما أملك الا ثلثمائة فمائة أخذها عبد الله ومائة أخذتها أم عبد الله ياغلام أعطه المائة الباقية . فقال : والله ياأمير المؤمنين انها لاحب مال كسبته الي ثم خرج . فقالوا له : ماوراءك . قال : مايسوءكم خرجت من عند أمير يعطي الفقراء ويمنع الشعراء واني عنه لراض . ثم أنشا يقول

رأيت رقي الشيطان لا تستفزه * وقد كان شيطاني من الجن راقيا

٤٠ — وفود نابغة بني جعدة على ابن الزبير رحمه الله تعالى — الزبير بن بكار قاضي الحرمين قال : قحمت السنة ، نابغة بني جعدة ، فوفد الى ابن الزبير . فدخل عليه فى المسجد الحرام ثم أنشده :

حكيت لنا الصديق لما وليتنا * وعثمان والفاروق فارتاح معدم
وسويت بين الناس فى الحق فاستووا * فعاد صباحا حالك اللون مظلم
أتاك أبو ليلى تجوب به الرجا * دجى الليل جواب الفلاة عثمثم
لتجبر منه جانبا زعزعت به * صروف الليالى والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير : هون عليك أبا ليلى فالشعر أدني وسائلك عندنا ، أما صفوة أموالنا فلآل الزبير وأما عفوته . فان بني أسد وتيما تشغلها عنك ، ولكن لك فى مال الله سهمان سهم برؤيتك

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسهم بشركتك فى فيئهم . ثم أخذ بيده ودخل به دار النعم فاعطاه قلائص سبعا ، وجملا رحيلا . وأوقر له الركاب براو تمرا ، فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحب صرفا . فقال ابن الزبير : ويح أبي ليلى لقد بلغ به الجهد . قال النابغة أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . ماوليت قريش فعدلت ، واسترحمت فرحمت ، وحدثت فصدقت : ووعدت فانجزت ، فانا والنبيون فراط القاصفين . قال الزبير بن بكار : الفارط الذى يتقدم الى الماء ، يصلح الرشاء والدلاء ، والقاصف الذي يتقدم لشراء الطعام

٤١ — وفود أهل الكوفة على ابن الزبير رحمه الله تعالى — قال : لما قتل مصعب ابن الزبير المختار بن أبي عبيد خرج حاجا فقدم على أخيه عبد الله بن الزبير بمكة ومعه وجوه أهل العراق . فقال له يا أمير المؤمنين : جئتك بوجوه أهل العراق لم أدع لهم بها نظيرا لتعطيهم من هذا المال . قال : جئتني بعبيد أهل العراق لاعطيهم مال الله والله لا فعلت . فلما دخلوا عليه وأخذوا مجالسهم . قال لهم : يا أهل الكوفة وددت والله أن لى بكم من أهل الشام صرف الدينار والدرهم بل لكل عشرة رجلا . قال عبيد الله بن ظبيان أتدرى يا أمير المؤمنين مامثلنا ومثلك فيماذكرت . قال وماذلك : قال فان مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام كما قال أعشى بكر بن وائل :

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيرى وعلق أخرى ذلك الرجل

أحببناك نحن وأحببت أنت أهل الشام وأحب أهل الشام عبد الملك . ثم انصرف القوم من عنده خائبين . فكاتبوا عبد الملك بن مروان وغدروا بمصعب بن الزبير

٤٢ — وفود رؤبة على أبي مسلم — الاصمعى . قال : حدثنا رؤبة قال قدمت على أبي مسلم صاحب الدعوة فانشدته فنادانى يارؤبة فنوديت له من كل مكان يارؤبة فاجبت :

لبيك اذ دعوتني لبيكا * أحمد ربا ساقني اليكا * الحمد والنعمة فى يديكا

قال بل فى يدى الله عزوجل . قلت وأنت لما أنعمت حمدت . ثم استاذنت فى الانشاد فاذن لى فانشدته :

مازال ياتى الملك من أقطاره * من عن يمينه وعن يساره

مشمرا لا يصطلي بناره * حتى أقر الملك فى قراره

فقال انك أتيتنا وقد شف المال واستنفده الانفاق . وقد أمرنا لك بجائزة وهي تافهة يسيرة

ومنك العود وعلينا المعول ، والدهر أطرق مستتب ، فلا تلق بجنبيك الاشدة . قال : فقلت الذي أفادني الامير من كلامه أحب الى من الذى أفادني من ماله

٤٣ — وفود العتابى على المامون — الشيبانى قال : كان كلثوم العتابي أيام هرون الرشيد في ناحية المامون . فلما خرج الى خراسان شيعه الى قومس حتي وقف على سنداد كسرى ، فلما حاول وداعه قال له المامون لا تدع زيارتنا ان كان لنا من هذا الامر شيء . فلما أفضت الخلافة الى المامون وفد اليه العتابي زائرا فحجب عنه فتعرض ليحيي بن أكثم . فقال أيها القاضى ان رأيت ان تذكر بي أمير المؤمنين . فقال له يحيى ما أنا بالحاجب . قال له قد علمت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان . فدخل على المامون . فقال يا أمير المؤمنين أجرني من العتابى ولسانه . فلم ياذن له وشغل عنه . فلما رأي العتابى جفاءه قد تمادى كتب اليه :

ماعلى ذا كنا افترقنا بسندا * دولا هكذا رأينا الاخاء * لم أكن أحسب الخلافة يزدا دبها ذو الصفاء الاصفاء * تضرب الناس بالمثقفة السمـ * ـر على غدرهم وتنسى الوفاء

فلما قرأ أبياته دعا به . فلما دنا منه سلم بالخلافة ووقف بين يديه . فقال : ياعتابى بلغتنا وفاتك نعمتنا ثم انتهت الينا وفادتك فسرتنا . فقال يا أمير المؤمنين : لو قسم هذا البر على أهل منى وعرفات لوسعهم : فانه لا دين الا بك ولا دنيا الا معك . قال سل حاجتك . قال يدك بالعطية أطلق من لسانى بالمسئلة فاحسن جائزته وانصرف

٤٤ — وفود أبي عثمان المازنى على الواثق — لما وفد أبو عثمان بكر بن محمد على الواثق قال له هل خليت وراءك أحدا يهمك أمره : قلت أخية لى ربيتها فكانها بنتى . قال ليت شعرى ما قالت حين فارقتها . قال أنشدتني قول الاعشي :

تقول ابنتي يوم جد الرحيل * أرانا سواء ومن قد يتم
أبانا فلا رمت من عندنا * فانا نخاف بان تخترم
أرانا اذا أضمرتك البلا * دتجفى وتقطع منا الرحم

قال ليت شعري ما قلت لها . قال أنشدتها ياأمير المؤمنين قول جرير :

ثق بالله ليس له شريك * ومن عند الخليفة بالنجاح

قال أتاك النجاح وأمر له بعشرة آلاف درهم . ثم قال حدثني حديثا تربه وعن أبي مهدية مستظرفا . قلت يا أمير المؤمنين حدثني الاصمعي قال : قال لى أبو مهدية بلغني أن الاعراب

والاغراب سواء فى الهجاء . قلت نعم . قال فاقرأ : الاعراب أشد كفرا ونفاقا ولا تقرأ الاغراب ولا يغرنك الغرب وان صام وصلي . فضحك الواثق حتى شغر برجله وقال لقد لقى أبومهدية من الغربة شرا وأمرلى بخمسمائة دينار

٤٥ - الوافدات على معاوية *وفود سودة ابنة عمارة على معاوية - عامر الشعبي قال : وفدت سودة ابنة عمارة بن الاشتر الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان فاستأذنت عليه فأذن لها . فلما دخلت عليه سلمت عليه . فقال لها كيف أنت يا ابنة الاشتر . قالت بخير يا أمير المؤمنين قال لها أنت القائلة لابيك :

شمّر كفعل أبيك يا ابن عمارة * يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر عليا والحسين ورهطه * واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام أخا النبي محمد * علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه * قدما بابيض صارم وسنان

قالت يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب . فدع عنك تذكار ما قد نسى . قال هيهات ليس مثل مقام أخيك نسى . قالت صدقت : والله يا أمير المؤمنين ما كان أخي خفيّ المقام ، ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كانه علم في رأسه نار

وبالله أسال يا أمير المؤمنين اعفائى مما استعفيته . قال قد فعلت فقولى حاجتك . قالت يا أمير المؤمنين انك للناس سيد ، ولامورهم مقلد ، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبسط بسلطانك ، فيحصدنا حصاد السنبل ، ويدوسنا دياس البقر ، و يسومنا الخسيسة ، ويسالنا الجليلة ، هذا ابن أرطاة قدم بلادى ، وقتل رجالى ، وأخذ مالى ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فاما عزلته فشكرناك ، واما لا فعرفناك ، فقال معاوية : اياى تهددين بقومك ، والله لقد هممت أن أردك اليه على قتب أشرس ، فينفذ حكمه فيك فسكتت . ثم قالت :

صلى الاله على روح تضمنه * قبر فاصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغى به ثمنا * فصار بالحق والايمان مقرونا

قال ومن ذلك . قالت على بن أبى طالب رحمه الله تعالى . قال ما أرى عليك منه أثرا . قالت بلى

أتيته يوما فى رجل ولاه صدقاتنا . فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين . فوجدته قائما يصلى فانفتل من الصلاة . ثم قال برأفة وتعطف ألك حاجة فاخبرته خبر الرجل . فبكى ثم رفع يديه الى السماء . فقال اللهم انى لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا ترك حقك ، ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم . قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ . اذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام . فعزله يا أمير المؤمنين ما خزمه بخزام ولا ختمه بختام . فقال معاوية اكتبوا لها بالانصاف لها والعدل عليها . فقالت ألى خاصة أم لقومى عامة . قال وما أنت وغيرك . قالت هي والله اذا الفحشاء واللؤم ان كان عدلا شاملا وان لا يسعني ما يسع قومى : قال هيهات لمظكم ابن ابي طالب الجرأة وغركم قوله : فلو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقوله : ناديت همدان والابواب مغلقة * ومثل همدان سني فتحة الباب

كالهندوانى لم تفلل مضاربه * وجه جميل وقلب غير وجاب

اكتبوا لها بحاجتها :

٤٦ — وفود بكارة الهلالية على معاوية — محمد بن عبد الله الخزاعى عن الشعبي قال استاذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان فاذن لها وهو يومئذ بالمدينة . فدخلت عليه وكانت امرأة قد أسنت وعشي بصرها وضعفت قوتها ترعش بين خادمين لها . فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام . وقال كيف انت ياخالة . قالت بخير ياامير المؤمنين . قال غيرك الدهر قالت كذلك هو ذو غير من عاش كبر ومن مات فقد : قال عمرو ابن العاص : هى والله القائلة ياامير المؤمنين

يازيد دونك فاحتفر من دارنا * سيفا حساما فى التراب دفينا

قد كنت أدخره ليوم كريهة * فاليوم أبرزه الزمان مصونا

قال مروان وهى والله القائلة ياامير المؤمنين :

اترى ابن هند للخلافة مالكا * هيهات ذاك وان اراد بعيد

منتك نفسك فى الخلاء ضلاله * اغراك عمرو للشقا وسعيد

قال سعيد بن العاصى هي والله القائلة :

قد كنت اطمع ان اموت ولا ارى * فوق المنابر من امية خاطبا

فالله أخر مـدتي فتطاولت * حتى رأيت من الزمن عجائبـا
في كل يوم للزمان خطيبهم * بين الجميع لآل أحمد عائبـا

ثم سكتوا . فقالت يامعاوية كلامك أعشى بصرى وقصر حجتي ، أنا والله قائلة ماقالوا وماخفى عليك مني أكثر . فضحك وقال : ليس يمنعنا ذلك من برك اذكري حاجتك قالت الآن فلا

٤٧ — وفود الزرقاء على معاوية — عبيد الله بن عمرو الغساني عن الشعبي قال : حدثني جماعة من بني أمية ممن كان يسمر مع معاوية . قال : بينما معاوية ذات ليـلة مع عمرو وسعيد وعتبة والوليد ، اذ ذكروا الزرقاء ابنة عدى بن قيس الهمدانية . وكانت شهدت مع قومها بصفين : فقال أيكم يحفظ كلامها . قال بعضهم نحن نحفظه يا أمير المؤمنين . قال فأشيروا على في أمرها . فقال بعضهم نشير عليك بقتلها : قال بئس الرأى أشرتم به على ، أيحسن بمثلي أن يتحدث عنه ، أنه قتل امرأة بعد ماظفر بها . فكتب الى عامله بالكوفة أن يوفدها اليه مع ثقة من ذوى محارمها ، وعـدة من فرسان قومها ، وان يمهد لها وطاء لينا . ويسترها بستر خصيف ، ويوسع لها في النفقة . فأرسل اليها فاقرأها الكتاب : فقالت ان كان أمير المؤمنين جعل الخيار الى فانى لا آتيه وان كان حتم فالطاعة أولى . فحملها وأحسن جهازها على ماأمر به . فلما دخلت على معاوية : قال مرحبا وأهلا قدمت خير مقـدم قدمه وافد كيف حالك ، قالت بخير يا أمير المؤمنين أدام الله لك النعمة . قال كيف كنت في مسيرك ، قالت ربيبة بيت أو طفلا ممهدا . قال بذلك أمرناهم ، أتدرين فيم بعثت اليك . قالت أني لى بعلم مالم أعلم : قال ألست الراكبة الجمل الاحمر والواقفة بين الصفين تحضين على القتال وتوقدين الحرب ، فما حملك على ذلك . قالت يا أمير المؤمنين مات الرأس ، وبتر الذنب ، ولم يعد ماذهب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والامر يحدث بعده الامر . قال لها معاوية : أتحفظين كلامك يومئذ قالت : لا والله لا أحفظه ولقد أنسيته قال لكني أحفظه لله أبوك ، حين تقولين ، أيها الناس ارعووا وارجعوا ، انكم قد أصبحتم في فتنة ، غشتكم جلابيب الظلم ، وجارت بكم عن قصد المحجة ، فيا لها فتنة عمياء صماء بكماء ، لا تسمع لناعقها ، ولا تنساق لقائدها ، ان المصباح لا يضيء في الشمس ، لا تنير الكواكب مع القمر ، ولا يقطع الحديد الا الحديد ، ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سأل لنا أخبرناه . أيها الناس : ان الحق كان يطلب ضالته فاصابها ، فصبرا يامعشر المهاجرين على الغصص ، فكان قد اندمل شمل الشتات ، والتأمت كلمة الحق ، ودمغ الحق الظلمة ، فلا يجهلن أحد فيقول

كيف وأني ليقضي الله أمرا كان مفعولا ، ألا وان خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء ، ولهذا اليوم ما بعدم * والصبر خير في الامور عواقبا * ايهاً في الحرب قدماً غير ناكصين ولا متشاكسين ثم قال لها : والله يا زرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه . قالت احسن الله بشارتك ، وأدام سلامتك ، فمثلك بشر بخير وسر جليسه . قال أو يسرك ذلك . قالت نعم : والله لقد سررت بالخبر ، فاني لك بتصديق الفعل . فضحك معاوية وقال : والله لوفاؤكم له بعد موته ، أعجب من حبكم له في حياته ، اذكرى حاجتك ، قالت يا أمير المؤمنين : آليت على نفسي أن لا أسأل أميرا أعنت عليه أبدا ، ومثلك أعطى عن غير مسئلة ، وجاد عن غير طلبة . قال صدقت : وأمر لها وللذين جاؤا معها بجوائز وكساء

٤٨ — وفود أم سنان بنت جشمة على معاوية رحمه الله تعالى — سعيد بن أبي حذافة قال : حبس مروان وهو والى المدينة غلاما من بني ليث في جناية جناها ، فاتته جدة الغلام وهي أم سنان بنت جشمة بن خرشة المذحجية . فكلمته في الغلام فاغلظ مروان ، فخرجت الى معاوية . فدخلت عليه فانتسبت فعرفها . فقال لها : مرحباً يا ابنة جشمة ما أقدمك أرضنا . وقد عهدتك تشتميننا وتحضين علينا عدونا : قالت ان لبني عبد مناف أخلاقا طاهرة ، وأحلاما وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسفهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو ، وان أولى الناس باتباع ما سن آباؤه لأنت . قال : صدقت نحن كذلك فكيف قولك :

عزب الرقاد فمقلتى لا ترقد * والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا * ان العدو لآل أحمد يقصد
هذا على كالهلال تحفه * وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد * ان يهدكم بالنور منه تهتدوا
مازال مذشهد الحروب مظفرا * والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت : كان ذلك يا أمير المؤمنين ، وأرجو أن تكون لنا خلفا . فقال رجل من جلسائه كيف يا أمير المؤمنين وهي القائلة :

اما هلكت أبا الحسين فلم تزل * بالحق تعرف هاديا مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك مادعت * فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفا كما * أوصى اليك بنا فكنت وفيا

قالت يا أمير المؤمنين : لسان صدق ، وقول نطق ، ولئن تحقق ماظننا ، فحظك الاوفر والله ماورثك والله الشنآن فى قلوب المسلمين الاهؤلاء ، فادحض مقالتهم ، وأبعد منزلتهم ، فانك ان فعلت ذلك تزدد من الله قربا ، ومن المؤمنين حبا ، قال وانك لتقولين ذلك . قالت : سبحان الله والله مامثلك مدح بباطل ، ولا اعتذر اليه بكذب ، وانك لتعلم ذلك من رأينا ، وضمير قلوبنا ، كان والله على أحب الينا منك ، وأنت أحب الينا من غيرك . قال ممن : قالت من مروان بن الحكم وسعيد بن العاصي . قال وبم استحققت ذلك عندك ، قالت بسعة حلمك وكريم عفوك . قال : فانهما يطمعان فى ذلك ، قالت هما والله من الرأى على ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله تعالى . قال والله لقد قاربت فما حاجتك . قالت يا أمير المؤمنين : ان مروان تبنك بالمدينة تبنك من لا يريد منها البراح لا يحكم بعدل ، ولا يقضي بسنة ، يتتبع عثرات المسلمين ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابن ابنى فاتيته : فقال كنت وكنت . فاسمعته أخشن من الحجر ، والقمته أمر من الصاب ، ثم رجعت الى نفسى بالائمة ، وقلت لم لا أصرف ذلك الى من هو أولى بالعفو منه . فاتيتك يا أمير المؤمنين لتكون فى أمرى ناظراً ، وعليه معربا . قال صدقت : لا أسالك عن ذنبه ، والقيام بحجته ، اكتبوا لها باطلاقه . قالت يا أمير المؤمنين وأني لى بالرجعة ، وقد نفد زادى ، وكلت راحلتى ، فامر لها براحلة وخمسة آلاف

٤٩ — وفود عكرشة بنت الاطرش على معاوية رحمه الله تعالى —

أبو بكر الهذلى عن عكرمة قال : دخلت عكرشة بنت الاطرش بن رواحة على معاوية متوكئة على عكار فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست . فقال لها معاوية : الآن ياعكرشة صرت عندك أمير المؤمنين . قالت نعم اذلا على حى : قال ألست المتقلدة حمائل السيوف وأنت بصفين واقفة بين الصفين تقولين . أيها الناس : عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان الجنة لا يرحل من أوطنها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم همومها ، وكونوا قوما مستبصرين فى دينهم ، مستظهرين بالصبر على طلب حقهم ، ان معاوية دلف اليكم بعجم العرب غلف القلوب ، لا يفقهون الايمان ولا يدرون ما الحكمة ، دعاهم بالدنيا فاجابوه ، واستدعاهم الى الباطل فلبوه ، فالله الله عباد الله فى دين الله ، اياكم والتواكل فان ذلك ينقض عز الاسلام ، ويطفىء نور الحق ، هذه بدر الصغرى ، والعقبة الاخرى ، يامعشر المهاجرين والانصار ، امضوا على بصيرتكم ،

واصبروا على عزيمتكم ، فكأني بكم غداً ، وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البعير ، فكأني أراك على عصاك هذه وقد انكفأ عليك العسكران يقولون هذه عكرشة بنت الاطرش بن رواحة ، فان كنت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً فما حملك على ذلك . قالت يا أمير المؤمنين : انه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا . وانا قد فقدنا ذلك . قالت فما يجبر لنا كسير ، ولا ينعش لنا فقير ، فان كان ذلك عن رأيك ، فمثلك تنبه عن الغفلة وراجع التوبة ، وان كان عن غير رأيك ، فما مثلك استعان بالخونة ، ولا استعمل الظلمة . قال معاوية : يا هذه انه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور تنبثق ، وبحور تنفهق . قالت يا سبحان الله : والله ما فرض الله لنا حقا فجعل فيه ضررا على غيرنا وهو علام الغيوب . قال معاوية : يا أهل العراق نبهكم علي بن أبي طالب فلم تطاقوا . ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وانصافها

٥٠ — قصة دارمية الحجونية مع معاوية رحمه الله تعالى — سهل بن أبي سهل التميمي عن ابيه قال : حج معاوية فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجون يقال لها دارمية الحجونية . وكانت سوداء كثيرة اللحم . فاخبر بسلامتها فبعث اليها فجيء بها . فقال : ما جاء بك يا ابنة حام . فقالت : لست لحام ان عبتني أنا امرأة من بني كنانة . قال صدقت : أتدرين لم بعثت اليك . قالت : لا يعلم الغيب الا الله . قال : بعثت اليك لاسالك علىم أحببت عليا وأبغضتني ، وواليته وعاديتني . قالت اوتعفيني . قال : لا أعفيك . قالت : اما اذا أبيت . فاني أحببت علياً على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالامر ، وطلبتك ما ليس لك بحق ، وواليت عليا على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء وحبه المساكين ، واعظامه لاهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى . قال : فلذلك انتفخ بطنك ، وعظم ثدياك ، وربت عجيزتك . فقالت يا هذا بهند والله كان يضرب المثل في ذلك لابي . قال معاوية : يا هذه اربعي فانا لم نقل الا خيراً انه اذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها ، واذا عظم ثدياها تروي رضيعها ، واذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها فرجعت وسكنت . قال لها يا هذه : هل رأيت عليا . قالت إي والله . قال : فكيف رأيته . قالت : رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك . قال : فهل سمعت كلامه . قالت نعم والله فكان يجلو القلوب من العمي ، كما يجلو الزيت صدأ الطست . قال صدقت : فهل لك من حاجة . قالت : أو تفعل اذا سألتك . قال نعم . قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء

فيها خلها وراعيها . قال : تصنعين بها ماذا . قالت : اغذو بالبانها الصغار ، واستحيي بها الكبار ، واكتسب بها المكارم ، وأصلح بها بين العشائر . قال . فان أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل على بن أبي طالب . قالت : سبحان الله أودونه . فانشأ معاوية يقول :

اذا لم أعد بالحلم منى عليكم * فمن ذا الذى بعدي يؤمل للحلم
خذيها هنيأ واذكرى فعل ماجد * جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال : أما والله لو كان على حيا ما أعطاك منها شيئا . قالت : لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين

٥١ — وفود أم الخير بنت حريش على معاوية — عبد الله بن عمر الغساني عن الشعبي قال : كتب معاوية الى واليه بالكوفة أن يحمل اليه أم الخير بنت الحريش ابن سراقة البارقى برحلها وأعلمه انى مجازيه بالخير خيراً وبالشر شراً بقولها فيه . فلما ورد عليه كتابه ركب اليها فاقرأها كتابه . فقالت : أما أنا فغير زائغة عن طاعة ، ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لامور تختلج فى صدرى ، فلما شيعها وأراد مفارقتها . قال لها : يا أم الخير ان أمير المؤمنين كتب الى أنه مجازيني بالخير خيراً وبالشر شراً . فمالى عندك . قالت ياهذا : لا يطمعك برك بى أن أسرك بباطل ، ولا يؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق ، فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية . فانزلها مع الحرم . ثم أدخلها فى اليوم الرابع وعنده جلساؤه . فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير بحق ما دعوتني بهذا الاسم . قالت : يا أمير المؤمنين لكل أجل كتاب . قال صدقت : فكيف حالك ياخالة وكيف كنت فى مسيرك . قالت : لم أزل يا أمير المؤمنين فى خير وعافية حتى صرت اليك . فانا فى مجلس أنيق ، عند ملك رفيق . قال معاوية : بحسن نيتى ظفرت بكم . قالت يا أمير المؤمنين : يعيذك الله من دحض المقال ، وما تؤدى عاقبته . قال : ليس هذا أردنا . أخبرينا كيف كان كلامك اذ قتل عمار بن ياسر . قالت : لم أكن زودته قبل ، ولا رويته بعد . وانما كانت كلمات نفثها لسانى عند الصدمة فان أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت . فالتفت معاوية الى جلسائه . فقال : أيكم يحفظ كلامها . فقال رجل منهم : أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين . قال : هات قال كانى بها بين بردين زئبرين كثيفى النسيج وهي على جمل أرمك وبيدها سوط منتشر الضفيرة وهى كالفحل يهدر فى شقشقته تقول . يا أيها الناس : اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم . ان الله قد أوضح لكم الحق ، وأبان الدليل ، وبين السبيل ،

ورفع العلم ولم يدعكم فى عمياء مدلهمة ، فاين تريدون رحمكم الله أفرارا عن أمير المؤمنين ، أم فرارا من الزحف ، أم رغبة عن الاسلام ، أم ارتداداً عن الحق . أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول: ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوأخباركم ثم رفعت رأسها الى السماء وهي تقول: اللهم قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، وبيدك يارب أزمة القلوب ، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدي ، واردد الحق الى أهله ، هلموا رحمكم الله الى الامام العادل ، والرضى التقي ، والصديق الاكبر ، انها إحن بدرية ، وأحقاد جاهلية ، وثب بها واثب حين الغفلة ، ليدرك ثارات بني عبد شمس . ثم قالت : قاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ، صبراً يا معشر المهاجرين والانصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فكأني بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قسورة ، لا تدري أين يسلك بها من فجاج الارض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وعما قليل ليصبحن نادمين ، حتى تحل بهم الندامة ، فيطلبون الاقالة ولات حين مناص ، انه من ضل والله عن الحق وقع فى الباطل ، ألا ان أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسعوا لها ، فالله الله أيها الناس قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، وتقوى كلمة الشيطان ، فالى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره وابي سبطيه خلق من طينته ، وتفرع من نبعته ، وجعله باب دينه ، وأبان ببغضه المنافقين ، وها هو ذا مفلق الهام ، ومكسر الاصنام ، صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل فى ذلك حتى قتل مبارزيه ، وأفنى أهل أحد ، وهزم الاحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع أهوائهم ، فيا لها من وقائع زرعت فى قلوب نفاقا ، وردة وشقاقا ، وزادت المؤمنين ايمانا ، قد اجتهدت فى القول ، وبالغت فى النصيحة ، وبالله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله . فقال معاوية : يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام الا قتلي ولو قتلتك ما حرجت فى ذلك . قالت والله ما يسوؤني أن يجري قتلي على يدي من يسعدني الله بشقائه قال : هيهات يا كثيرة الفضول ما تقولين فى عثمان بن عفان رحمه الله . قالت : وما عسيت أن أقول فى عثمان استخلفه الناس وهم به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون . قال معاوية : يا أم الخير هذا ثناؤك الذي تثنين . قالت : لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا ما أردت بعثمان نقصا . ولكن كان سابقا الى الخير وانه لرفيع الدرجة غدا . قال فما تقولين فى الزبير . قالت وما أقول في ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه . وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . وأنا أسألك بحق الله يا معاوية فان قريشا تحدثت انك احلمها ان تعفيني من هذه المسائل وتسألني عما شئت من

غيرها . قال نعم : ونعمة عين قد أعفيتك منها . ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردها مكرمة

٥٢ — وفود أروى بنت عبد المطلب على معاوية رحمه الله — العباس بن بكار قال : حدثني عبد الله بن سليمان المدني وأبو بكر الهذلي أن أروى بنت الحرث بن عبد المطلب دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة . فلما رآها معاوية قال : مرحبا بك وأهلا يا خالة فكيف كنت بعدنا فقالت يا ابن أخي لقد كفرت يد النعمة ، وأسأت لابن عمك الصحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقك ، من غير دين كان منك ، ولا من آبائك ، ولا سابقة في الاسلام ، بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فاتعس الله منكم الجدود ، وأضرع منكم الخدود ، ورد الحق الى أهله ، ولو كره المشركون ، وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبينا صلى الله عليه وسلم هو المنصور ، فوليتم علينا من بعده وتحتجون بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أقرب اليه منكم ، وأولى بهذا الامر ، فكنا فيكم بمنزلة بني اسرائيل في آل فرعون ، وكان علي بن أبي طالب رحمه الله بعد نبينا بمنزلة هرون من موسى ، فغايتنا الجنة وغايتكم النار . فقال : لها عمرو بن العاص كفى أيتها العجوز الضالة واقصري عن قولك مع ذهاب عقلك اذ لا تجوز شهادتك وحدك . فقالت له : وأنت يا ابن النابغة تتكلم وامك كانت أشهر امرأة تغني بمكة وأخذهن لاجرة ، ادعاك خمسة نفر من قريش . فسئلت أمك عنهم . فقالت : كلهم أتاني . فانظروا أشبههم به . فالحقوه به فغلب عليك شبه العاصي بن وائل فلحقت به . فقال مروان : كفى أيتها العجوز واقصري لما جئت له . فقالت : وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم . ثم التفتت الى معاوية . فقالت : والله ما جرأ على هؤلاء غيرك . فان أمك القائلة في قتل حمزة :

نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان لي عن عتبة من صبر * وشكر وحشي على دهري
* حتى ترم أعظمي في قبري *

فاجابتها بنت عمي وهي تقول :

خزيت في بدر وبعد بدر * يا ابنة جبار عظيم الكفر

فقال معاوية عفا الله عما سلف يا خالة هات حاجتك : قالت مالي اليك حاجة وخرجت عنه :

٥

فرش كتاب مخاطبة الملوك

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الوفود والوافدات ومقاماتهم بين يدى نبى الله صلى الله عليه وسلم وبين يدى الخلفاء والملوك . ونحن قائلول بعون الله وتوفيقه وتأييده وتسديده في مخاطبة الملوك والزلف اليهم بسحر البيان ، الذي يمازج الروح لطافة ، ويجرى مع النفس رقة ، والكلام الرقيق مصايد القلوب ، وان منه لما يستعطف المستشيط غيظاً ، والمندمل حقدا ، حتى يطفىء جمرة غيظه ، ويسل دقائق حقده ، وان منه لما يستميل قلب اللئيم ، ويأخذ بسمع الكريم وبصره ، وقد جعله الله تعالى بينه وبين خلقه وسيلة نافعة ، وشافعا مقبولا قال تبارك وتعالى « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم » وسنذكر فى كتابنا هذا ان شاء الله تعالى من تخلص من أنشوطة الهلاك ، وتفلت من حبائل المنية ، بحسن التنصل ، ولطيف التوصل ، ولين الجواب ، ورقيق الاستعتاب ، حتي عادت سيآته حسنات ، وعيض بالثواب بدلا من العقاب ، وحفظ هذا الباب ، أوجب على الانسان من حفظ عرضه ، والزم له من قوام بدنه :

١ - البيان - كل شيء كشف لك قناع المعنى الخفى حتي يتادى الى الفهم ويتقبله العقل ، فذلك البيان الذى ذكره الله فى كتابه ، ومنّ به على عباده . فقال تعالى : « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان » وسئل النبى صلى الله عليه وسلم . فيم الجمال : فقال فى اللسان يريد البيان . وقال صلى الله عليه وسلم : « ان من البيان لسحراً » وقالت العرب أنفذ من الرمية كلمة خفية . وقال الراجز :

لقد خشيت أن تكون ساحرا ✻ راوية مرا ومرا شاعرا

وقال سهل بن هرون : العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والبيان ترجمان العلم . وقالوا البيان بصر ، والعى عمى كما أن العلم بصر والجهل عمي . والبيان من نتاج العلم . والعى من نتاج الجهل . وقالوا ليس لمنقوص البيان بهاء ، ولو حك بيافوخه عنان السماء . وقال : صاحب المنطق حد الانسان الحي الناطق المبين . وقال : الروح عماد البدن ، والعلم عماد الروح ، والبيان عماد العلم

٢ — تبجيل الملوك وتعظيمهم — قال النبي صلى الله عليه وسلم «اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» وقالت العلماء لا يؤم ذو سلطان في سلطانه، ولا يجلس على تكرمته الا باذنه وقال زياد : لا يسلم على قادم بين يدى أمير المؤمنين . وقال يحيي بن خالد بن برمك : مساءلة الملوك عن حالها ، من سجية النوكى ، فاذا اردت أن تقول كيف أصبح الامير : فقل صبح الله الامير بالنعمة والكرامة ، واذا كان عليلا فاردت أن تساله عن حاله : فقل أنزل الله على الامير الشفاء والرحمة ، فان الملوك لا تسئل ولا تشمت ولا تكيف وأنشد :

ان الملوك لا يخاطبونا * ولا اذا ملوا يعاتبونا * وفى المقال لا ينازعونا
وفى العطاس لا يشمتونا * وفي الخطاب لا يكيفونا * يثنى عليهم ويبجلونا
* فافهم وصاتي لا تكن مجنونا *

اعتل الفضل بن يحيي فكان اسمعيل بن صبيح الكاتب اذا أتاه عائدا لم يزد على السلام عليه والدعاء له . و يخفف في الجلوس . ثم يلقي : حاجبه فيساله عن حاله وماكله ومشربه ونومه وكان غيره يطيل الجلوس . فلما أفاق من علته : قال ما عادني في علتي هذه الا اسمعيل بن صبيح . وقال أصحاب معاوية : لمعاوية انا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك فنريد أن تجعل لنا علامة نعرف بها ذلك . فقال علامة ذلك ، أن أقول اذا شئتم . وقيل ذلك ابزيد فقال اذا قلت على بركة الله . وقيل ذلك لعبد الملك بن مروان : فقال اذا وضعت الخيزرانة ، ومن تمام خدمة الملوك ان يقرب الخادم اليه نعليه . ولا يدعه أن يمشي اليهما ويجعل النعل اليمني مقابلة الرجل اليمنى واليسرى مقابلة اليسرى واذا رأي متكأ يحتاج الى اصلاح أصلحه قبل ان يؤمر فلا ينتظر فى ذلك أمره . و يتفقد الدواة قبل ان يامره و ينفض عنها الغبار اذا قربها اليه وان رأى بين يديه قرطاسا قد تباعد عنه قربه ووضعه بين يديه على كسره . ودخل الشعبي على الحجاج قال له كم عطائك . قال ألفين . قال ويحك كم عطاؤك قال الفان قال فلم لحنت فيما لا يلحن فيه مثلك . قال لحن الامير فلحنت ، وأعرب الامير فاعربت . ولم أكن ليلحن الامير فاعرب أنا عليه ، فاكون كالمقرع له بلحنه ، والمستطيل عليه بفضل القول قبله ، فاعجبه ذلك منه ووهبه مالا

٣ — قبلة اليد — عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال : كنا نقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم . ومن حديث وكيع عن سفيان . قال قال قبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب

ومن حديث الشعبي قال : لقى النبي عليه الصلاة والسلام جعفر بن أبي طالب . فالتزمه وقبل مابين عينيه . قال اياس بن دغفل رأيت أبا نضرة يقبل خد الحسين . الشيباني عن أبي الحسن عن مصعب قال . رأيت رجلا دخل على علي بن الحسين في المسجد فقبل يده ووضعها على عينيه فلم ينهه . العتبي . قال : دخل رجل على عبد الملك بن مروان فقبل يده . وقال يدك يا أمير المؤمنين أحق يد بالتقبيل ، لعلوها في المكارم ، وطهرها من المآثم ، وانك تقل التثريب ، وتصفح عن الذنوب ، فمن أرادك بسوء فجعله الله حصيد سيفك ، وطريد خوفك ، ودخل جعفر بن يحيي في زي العامة وكتمان النباهة على سليمان صاحب بيت الحكومة ومعه ثمامة بن أشرس . فقال ثمامة هذا أبو الفضل فنهض اليه سليمان فقبل يده . وقال له بابي أنت مادعاك الى ان تحمل عبدك هذه المنة التي لا أقوم بشكرها ولا أقدر ان أكافىء عليها . قال الشعبي : ركب زيد بن ثابت فاخذ عبد الله بن عباس بركابه . فقال له لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال هكذا أمرنا ان نفعل بعلمائنا . قال له زيد أرني يدك فاخرج اليه يده فاخذها وقبلها . وقال هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان نفعل باهل بيت نبينا وقالوا قبلة الامام في اليد وقبلة الاب في الرأس وقبلة الاخ في الخد وقبلة الاخت في الصدر وقبلة الزوجة في الفم

٤ — من كره من الملوك تقبيل اليد — العتبي قال : دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقبل يده : فقال أف له ان العرب ماقبلت الايدى الا هلوعا ولا فعلته العجم الا خضوعا واستاذن رجل المامون في تقبيل يده : فقال له ان قبلة اليد من المسلم ذلة ومن الذمي خديعة ولا حاجة بك ان تذل ولا بنا أن نخدع . واستاذن أبو دلامة الشاعر المهدى في تقبيل يده : فقال أما هذه فدعها . قال مامنعت عيالي شيا أيسر فقدا عليهم من هذه

٥ — حسن التوقيع في مخاطبة الملوك — قال هرون الرشيد لمعن بن زائدة كيف زمانك يامعن . قال يا أمير المؤمنين : أنت الزمان فان صلحت صلح الزمان وان فسدت فسد الزمان . وهذا نظير قول سعيد بن مسلم . وقد قال له أمير المؤمنين الرشيد من بيت قيس في الجاهلية . قال يا أمير المؤمنين بنو فزارة . قال فمن بيتهم في الاسلام قال يا أمير المؤمنين الشريف من شرفتموه : قال صدقت أنت وقومك . ودخل معن بن زائدة على ابي جعفر فقال له : كبرت يامعن قال في طاعتك يا أمير المؤمنين قال وانك لتتجلد . قال على اعدائك يا أمير المؤمنين . قال وان فيك لبقية : قال هي لك يا أمير المؤمنين . قال اى الدولتين احب اليك او أبغض دولتنا او دولة بني أمية . قال

ذلك اليك يا أمير المؤمنين ان زاد برك على برهم كانت دولتك أحب الى وان زاد برهم على برك كانت دولتهم أحب الى . قال صدقت : وقال هرون الرشيد لعبد الملك بن صالح أهذا منزلك . قال هو لامير المؤمنين ولى به قال كيف ماؤه . قال أطيب ماء : قال فكيف هواؤه . قال أفسح هواء . وقال أبو جعفر المنصور لجرير بن يزيد : انى أردتك لامر . قال يا أمير المؤمنين : قد أعد الله لك مني قلبا معقودا بطاعتك ، ورأيا موصولا بنصيحتك ، وسيفا مشهورا على عدوك ، فاذا شئت فقل . وقال المامون لطاهر بن الحسين : صف لى ابنك عبد الله . قال يا أمير المؤمنين : ان مدحته عبته ، وان ذممته اغتبته ، ولكنه قدح فى كف مثقف ليوم نضال فى خدمة أمير المؤمنين . وأمر بعض الخلفاء رجلا بامر فقال أنا أطوع لك من الرداء ، وأذل لك من الحذاء . وقال آخر : أنا أطوع لك من يدك ، وأذل لك من نعلك ، وقال المنصور لمسلم بن قتيبة : ماترى فى قتل أبى مسلم . قال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا . قال حسبك أبا أمية . وقال المامون : ليزيد بن مزيد ما أكثر الخلفاء في ربيعة . قال بلى ، ولكن منابرهم الجذوع . وقال المنصور لاسحاق بن مسلم أفرطت فى وفائك لبني أمية . قال يا أمير المؤمنين : انه من وفى لمن يرجى كان لمن لا يرجى أوفى . وقال هرون لعبد الملك ابن صالح : صف لى منبجا . قال رقيقة الهواء ، لينة الوطاء ، قال فصف لى منزلك بها . قال دون منازل أهلى ، وفوق منازل أهلها ، قال ولم وقدرك فوق أقدارهم قال ذلك خلق أمير المؤمنين أتاسى به وأقفو أثره وأحذو مثاله ، ودخل المامون يوما بيت الديوان : فرأى غلاما جميلا على أذنه قلم ، فقال من أنت يا غلام : قال أنا الناشىء فى دولتك ، والمتقلب فى نعمتك ، والمؤمل لخدمتك ، الحسن بن رجاء ، قال المامون بالاحسان فى البديهة تفاضلت العقول ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته . على بن يحيي قال : إنى عند المتوكل حين دخل عليه الرسول برأس اسحاق بن اسمعيل . فقام على ابن الجهم يخطر بين يدي المتوكل ويقول :

أهلا وسهلا بك من رسول * جئت بما يشفى من الغليل

* برأس اسحاق بن اسمعيل *

فقال المتوكل قوموا التقطوا هذا الجوهر لا يضيع ، ودخل ابن عقال بن شبة على أبي عبيد الله كاتب المهدى . فقال يا ابن عقال لم أرك منذ اليوم . قال والله انى لا لقاك بشوق ، واغيب عنك بتوق ، وقال عبد العزيز بن مروان لنصيب بن رباح . وكان اسود هل لك فيما يثمر المحادثة

يريد المنادمة . فقال أصلح الله الامير : اللون مرمد ، والشعر مفلفل ، ولم أقعد اليك بكريم عنصر ، ولا بحسن منظر ، وانما هو عقلي ولساني ، فان رأيت أن لا تفرق بينهما فافعل . ولما ودع المأمون الحسن بن سهل عند مخرجه من مدينة السلام قال له : يا أبا محمد ألك حاجة تعهد الى فيها . قال نعم يا أمير المؤمنين أن تحفظ على من قلبك مالا أستعين على حفظه الا بك . وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة للمأمون : لو لم أشكر الله الا على حسن ما أبلاني في أمير المؤمنين من قصده الى بحديثه ، واشارته الى بطرفه ، لكان ذلك من أعظم ما توجبه النعمة ، وتفرضه الصنيعة ، قال المأمون ذلك والله لان الامير يجد عندك من حسن الافهام اذا حدثت ، وحسن الفهم اذا حدثت ، مالا يجده عند غيرك

٦ — مدح الملوك والتزلف اليهم — في سيرة العجم أن أزدشير بن يزد جرد لما استوثق له أمره جمع الناس . فخطبهم خطبة حضهم فيها على الالفة والطاعة ، وحذرهم المعصية ومفارقة الجماعة ، وصف الناس أربعة ، فخروا له سجدا ، وتكلم متكلمهم ، فقال لا زلت أيها الملك محبوا من الله بعز النصر ، ودرك الامل ، ودوام العافية ، وتمام النعمة ، وحسن المزيد ، ولا زالت تتابع لديك المكرمات ، وتشفع اليك الذمامات ، حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها ، ولا تنقطع زهرتها ، في دار القرار التى أعدها الله لنظرائك من أهل الزلفى عنده ، والحظوة لديه ، ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة البحور والانهار حتى تستوى أقطار الارض كلها في علوك عليها ، ونفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الصبح ، ووصل الينا من عظيم رأفتك ما اتصل بانفسنا اتصال النسيم فاصبحت قد جمع الله بك الايادى بعد افتراقها ، وألف بين القلوب بعد تباغضها ، وأذهب عنا الاحن والحسائد بعد توقد نيرانها ، بفضلك الذى لا يدرك بوصف ، ولا يحد بنعت . فقال أزدشير : طوبى للممدوح اذا كان للمدح مستحقا ، وللداعي اذا كان للاجابة أهلا . دخل حسان بن ثابت على الحرث الجفني فقال : أنعم صباحا أيها الملك السماء غطاؤك . والارض وطاؤك ، ووالدى ووالدتى فداؤك ، أنى يناويك المنذر ، فو الله لقذالك أحسن من وجهه ، ولأمك أحسن من أبيه ، ولظلك خير من شخصه ، ولصمتك خير من كلامه ، ولشمالك خير من يمينه . ثم أنشا يقول :

قذالك أحسن من وجهه * وأمك خير من المنذر

ويسرى يديك اذا أعسرت * كيمنى يديه فلا تمتر

ودخل خالد بن عبد الله القسرى على عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة فقال : يا أمير المؤمنين من تكون الخلافة قد زانته فانت قد زنتها ، ومن تكون شرفته فانت قد شرفتها ، كما قال الشاعر :

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله أعطي صاحبكم مقولا ولم يعط معقولا . ابن أبي طاهر قال : دخل المامون بغداد فتلقاه وجوه أهلها . فقال له رجل منهم يا أمير المؤمنين بارك الله لك في مقدمك ، وزاد في نعمتك ، وشكرك عن رعيتك ، تقدمت من قبلك ، وأتعبت من بعدك ، وآيست أن يعاين مثلك ، أما فيما مضى فلا نعرفه ، وأما فيما بقي فلا نرجوه ، فنحن جميعا ندعو الك ، ونثني عليك ، خصب لنا جنابك ، وعذب ثوابك ، وحسنت نظرتك وكرمت مقدرتك ، جبرت الفقير ، وفككت الاسير ، فانت يا أمير المؤمنين كما قال الاول :

مازلت في البذل والنوال واط * لاق لعان بجرمه غلق

حتي تمني البراء أنهم * عندك أسرى في القيد والحلق

ودخل رجل على خالد بن عبد الله القسرى فقال : أيها الامير انك لتبذل ماجل ، وتجبر ما اعتل ، وتكثر ماقل ، ففضلك بديع ، ورأيك جميع . وقال رجل للحسن بن سهل : لقد صرت لا أستكثر كثيرك ، ولا أستقل قليلك ، قال وكيف ذلك . قال لانك أكثر من كثيرك ، وان قليلك أكثر من كثير غيرك . وقال خالد بن صفوان لوال دخل عليه : قدمت فاعطيت كلا بقسطه من نظرك ومجلسك ، وصلاتك وعداتك ، حتى كانك من كل أحد وكانك لست من أحد . وقال الرشيد لبعض الشعراء . هل أحدثت فينا شيا . قال يا أمير المؤمنين المديح كله دون قدرك ، والشعر فيك كله فوق قدرى ، ولكني أستحسن قول العتابى :

ماذا عسى مادح يثني عليك وقد * ناداك في الوحى تقديس وتطهير

فت المادح الا أن ألسننا * مستنطقات بما تخفى الضمائر

مدح خالد بن صفوان رجلا فقال . قريع المنطق جزل الالفاظ ، عربي اللسان ، قليل الحركات حسن الاشارات ، حلو الشمائل ، كثير الطلاوة ، صموتا قؤولا ، يهنا الجرب ، ويداوى الدبر ، ويقيل الحر ، ويطبق المفصل لم يكن بالبرم في مروءته ، ولا بالهذر في منطقه ، متبوعا غير تابع ،

كانه علم فى رأسه نار . دخل سهل بن هرون على الرشيد فوجده يضاحك ابنه المامون . فقال : اللهم زده من الخيرات ، وابسط له فى البركات ، حتي يكون كل يوم من أيامه موفيا على أمسه ، مقصرا عن غده . فقال له الرشيد : ياسهل من روى من الشعر أحسنه وأجوده ، ومن الحديث أصحه وأبلغه ، ومن البيان أفصحه وأوضحه ، اذا رام أن يقول لم يعجزه . قال سهل : ياأمير المؤمنين ماظننت أحدا تقدمني الى هذا المعني . فقال : بل أعشى همدان حيث يقـول :

وجدتك أمس خير بني لؤى * وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غدا تزيد الخير ضعفا * كذاك تزيد سادة عبد شمس

وكان المامون قد استثقل سهل بن هرون . فدخل عليه يوما والناس عنده على منازلهم . فتكلم المامون بكلام ذهب فيه كل مذهب . فلما فرغ أقبل سهل بن هرون على ذلك الجمع . فقال : مالكم تسمعون ولا تعون ، وتفهمون ولا تعجبون ، وتعجبون ولا تصفون ، أما والله انه ليقول و يفعل فى اليوم القصير ، مثل ماقالت وفعلت بنو مروان فى الدهر الطويل ، عربكم كعجمهم ، وعجمهم كعرب بني تميم ، ولكن كيف يشعر بالدواء ، من لا يعرف الداء ، قال فرجع له المامون الى رأيه الاول . وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمر العتكي . فلما أثني الوفد على الحجاج عند عبد الملك بن مروان قال زياد ياأمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو ، وسهمك الذي لا يطيش ، وخادمك الذى لا تاخذه فيك لومة لائم . فلم يكن بعد ذلك عند الحجاج أحد أخف ولا أحب اليه منه . الشيباني قال : أقام المنصور صالحا ابنه . فتكلم فى أمر فاحسن . فقال شبيب بن شبة : تالله مارأيت كاليوم أبين بيانا ، ولا أعرب لسانا ، ولا أربط جاشا ، ولا أبل ريقا ، ولا أحسن طريقا ، وحق لمن كان المنصور أباه ، والمهدى أخاه ، أن يكون كما قال زهير

هو الجـواد فان يلحق بشاوهما * على تـكاليفه فمثله لحقـا
أو يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ماقدمامن صالح سبقا

وخرج شبيب بن شبة من دار الخلافة يوما . فقيل له كيف رأيت الناس . قال رأيت الداخل راجيا ، والخارج راضيا ، وقيل لبعض الخلفاء ان شبيب بن شبة يستعمل الكلام ويستعد به فلو أمرته أن يصعد المنبر فجأة لافتضح قال : فامر رسولا فاخذ بيده فصعده المنبر فحمد الله وأثني عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قال ألا ان لامير المؤمنين أشباها أربعة . فمنها الاسد الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر ، فاما الاسد الخادر . فاشبه منه

صولته ومضاءه، وأما البحر الزاخر: فاشبه منه جوده وعطاءه، وأما القمر الباهر: فاشبهه منه نوره وضياءه، وأما الربيع الناضر: فاشبه منه حسنه وبهاءه. ثم نزل: قال عبد الملك ابن مروان لرجل دخل عليه تكلم بحاجتك. قال يا أمير المؤمنين: بهر الدرجة، وهيبة الخلافة، يمنعاني من ذلك. قال: فعلى رسلك، فانا لا نحب مدح المشاهدة، ولا تزكية اللقاء. قال يا أمير المؤمنين: لست أمدحك، ولكن أحمد الله على النعمة فيك. قال: حسبك فقد أبلغت. ودخل رجل على المنصور. فقال له: تكلم بحاجتك. فقال: يبقيك الله يا أمير المؤمنين. قال: تكلم بحاجتك فانك لا تقدر على هذا المقام كل حين. قال والله يا أمير المؤمنين: ما أستقصر أجلك، ولا أخاف بخلك، ولا أغتنم مالك، وان عطاءك لشرف وان سؤالك لزين، وما لامرىء بذل وجهه اليك نقص ولا شين. قال: فاحسن جائزته وأكرمه. ابراهيم بن السندى قال: دخل العمانى على المامون وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج. فقال له: اياك ان تنشدنى الا وعليك عمامة عظيمة الكور وخفان دلقان. قال: فغدا عليه فى زى الاعراب فانشده. ثم دنا فقبل يده. وقال قد والله يا أمير المؤمنين أنشدت يزيد بن الوليد، وابراهيم بن الوليد، ورأيت وجوههما، وقبلت أيديهما، وأخذت جوائزهما، وأنشدت مروان وقبلت يده، وأخذت جائزته، وأنشدت المنصور ورأيت وجهه وقبلت يده، وأخذت جائزته، وأنشدت المهدى ورأيت وجهه وقبلت يده، وأخذت جائزته، الى كثير من أشباه الخلفاء، وكبراء الامراء، والسادة الرؤساء، فلا والله يا أمير المؤمنين ما رأيت فيهم أبهى منظرا، ولا أحسن وجها، ولا أنعم كفا، ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين. قال: فاعظم له الجائزة على شعره، وأضعف له على كلامه، وأقبل على بوجهه وبشره، فبسطه حتى تمنى جميع من حضره أنهم قاموا مقامه. العتبي عن سفيان بن عيينة قال: قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق. فنظر الى شاب منهم يتجوس للكلام. فقال: أكبروا أكبروا. فقال يا أمير المؤمنين انه ليس بالسن. ولو كان الامر كله بالسن لكان فى المسلمين من هو أسن منك. فقال عمر: صدقت رحمك الله تكلم. فقال يا أمير المؤمنين: انا لم نأتك رغبة ولا رهبة، أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا، وقدمت علينا بلادنا. وأما الرهبة فقد أمننا الله بعدلك من جورك. قال: فما أنتم. قال: وفد الشكر. قال: فنظر محمد بن كعب القرظى الى وجه عمر يتهلل. فقال: يا أمير المؤمنين لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك. فان ناسا خدعهم الثناء وغرهم شكر الناس فهلكوا. وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم. فالقى

عمر رأسه على صدره

٧ — التنصل والاعتذار — قال النبي صلى الله عليه وسلم «من لم يقبل من متنصل عذرا صادقا كان أو كاذبا لم يرد على الحوض» وقال «المعترف بالذنب كمن لا ذنب له» وقال «الاعتراف يهدم الاقتراف» وقال الشاعر :

اذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائبا * اليك فلم تغفر له فلك الذنب

واعتذر رجل الى ابراهيم بن المهدى فقال : قد عذرتك غير معتذر ان المعاذير يشوبها الكذب . واعتذر رجل الى جعفر بن يحيي فقال : قد أغناك الله بالعذر عن الاعتذار ، وأغنانا بحسن النية عن سوء الظن . وقال ابراهيم الموصلى سمعت جعفر بن يحيي يعتذر الى رجل من تاخر حاجة ضمنها وهو يقول : أحتج اليك بغالب القضاء ، وأعتذر اليك بصادق النية . وقال رجل لبعض الملوك : انا من لا يحاجك عن نفسه ، ولا يغالطك فى جرمه ، ولا يلتمس رضاك الا من جهة عفوك ، ولا يستعطفك الا بالاقرار بالذنب ، ولا يستميلك الا بالاعتراف بالزلة وقال الحسن بن وهب :

ما أحسن العفو من القادر * لا سيما عن غير ذي ناصر
ان كان لى ذنب ولا ذنب لى * فما له غيرك من غافر
أعوذ بالود الذي بيننا * ان يفسد الاول بالآخر

وكتب الحسن بن وهب الى محمد بن عبد الملك الزيات

أبا جعفر ما أحسن العفو كله * ولا سيما عن قائل ليس لى عذر

وقال آخر

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال او فجرا
فقد أطاعك من ارضاك ظاهره * وقد اجلك من يعصيك مستترا

وقالت الحكماء : ليس من العدل سرعة العذل . وقال الاحنف بن قيس : رب ملوم لا ذنب له . وقال آخر : لعل له عذرا وانت تلوم

وقال حبيب :

البر بي منك وطأ العذر عندك لى * فيما اتاك فلم تقبل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لى * مقام شاهد عدل غير متهم

وقال آخر :

اذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه * وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

ومن قولنا في هذا المعني :

عذيري من طول البكا لوعة الاسى * وليس لمن لا يقبل العذر من عذر

وقال آخر .

فهبني مسيأ كالذي قلت ظالما * فعفو جميل كي يكون لك الفضل

فان لم أكن للعفو عندي للذي * أتيت به أهلا فانت له أهل

ومن الناس من لا يرى الاعتذار ويقول : اياك وما يعتذر منه . وقالوا : ما اعتذر مذنب الا ازداد ذنباً . وقال الشاعر محمود الوراق :

اذا كان وجه العذر ليس ببين * فان اطراح العذر خير من العذر

قال ابن شهاب الزهري : دخلت على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة . فرآني أحدثهم سنا . فقال لي من أنت : فانتسبت له . فقال : لقد كان أبوك وعمك نعاقين في فتنة ابن الاشعث . فقلت يا أمير المؤمنين : ان مثلك اذا عفا لم يعد ، واذا صفح لم يثرب ، فاعجبه ذلك . وقال أين نشأت قلت بالمدينة . قال : عند من طلبت . قلت سعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وقبيصة بن ذؤيب . قال : فاين أنت من عروة ابن الزبير فانه بحر لا تكدره الدلاء . فلما انصرفت من عنده لم أبارح عروة بن الزبير حتى مات . ودخل ابن السماك على محمد بن سليمان بن علي ، فرآه معرضا عنه . فقال : مالي أرى الامير كالعاتب علي . قال ذلك لشيء بلغني عنك كرهته . قال : اذا لا أبالي . قال ولم . قال : لانه اذا كان ذنبا غفرته ، وان كان باطلا لم تقبله . دخل جرير بن عبد الله على أبي جعفر المنصور وكان واجدا عليه . فقال له : تكلم بحجتك . فقال : لو كان لي ذنب تكلمت بعذري . ولكن عفو أمير المؤمنين أحب الي من براءتي . وأتي موسى الهادي برجل فجعل يقرعه بذنوبه . فقال يا أمير المؤمنين : ان اعتذاري مما تقرعني به ردعليك ، واقراري به يلزمني ذنبا لم أجنه . ولكن أقول :

فان كنت ترجو في العقوبة راحة * فلا تزهدن عند المعافاة في الاجر

سعي بعبد الملك بن الفارسي الى المأمون . فقال له المأمون : ان العدل من عدله أبو العباس . وقد كان وصفك بما وصفك به . ثم أتتني الاخبار بخلاف ذلك . فقال : يا أمير المؤمنين ان الذي بلغك عني تحميل علي . ولو كان كذلك لقلت نعم كما بلغك . فاخذت بحظي من الله في الصدق . واتكلت على أمير المؤمنين في سعة

عفوه . قال : صدقت . محمد بن القاسم الهاشمي أبو العيناء قال : كان أحمد بن يوسف الكاتب قد تولى صدقات البصرة . فجار فيها وظلم ، فكثر الشاكى له والداعى عليه ، ووافى باب أمير المؤمنين زهاء خمسين رجلا من جلة البصريين . فعزله المأمون وجلس لهم مجلسا خاصا . وأقام أحمد بن يوسف لمناظرتهم . فكان مما حفظ من كلامه . أن قال يا أمير المؤمنين لو أن أحدا ممن ولى الصدقات سلم من الناس لسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الله عز وجل « ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون » فاعجب المأمون جوابه ، واستجزل مقاله ، وخلى سبيله . محمد بن القاسم الهاشمي أبو العيناء قال : قال لى أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد ، دخلت على الواثق . فقال لى مازال قوم فى ثلبك ونقصك . فقلت يا أمير المؤمنين لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، والله ولى جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين من ورائه ، وما ذل من كنت ناصره ، ولا ضاع من كنت حافظه ، فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين . قال قلت أبا عبد الله :

وسعى الى بعيب عزة معشر * جعل الاله خدودهن نعالها

قال أبو العيناء : قلت لاحمد بن أبي دؤاد ، ان قوما تظافروا على . قال يد الله فوق أيديهم : قلت انهم عدد وأنا واحد . قال : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة : قلت ان للقوم مكرا : قال ولا يحيق المكر السيء الا باهله : قال أبو العيناء فحدثت بهذا الحديث أحمد بن يوسف الكاتب . فقال : مايرى ابن أبي دؤاد الا أن القرآن انزل عليه . هجا نهار بن توسعة قتيبة بن مسلم وكان ولى خراسان بعد يزيد بن المهلب فقال :

كانت خراسان أرضا اذ يزيد بها * وكل باب من الخيرات مفتوح
فبدلت بعده قردا نطوف به * كأنما وجهه بالخل منضوح

فطلبه فهرب منه . ثم دخل عليه بكتاب أمه . فقال ويحك باى وجه تلقاني . قال : بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي اليه أكثر من ذنوبي اليك . فقربه ووصله وأحسن اليه . وأقبل المنصور يوما راكبا والفرج بن فضالة جالس عند باب الذهب . فقام الناس اليه ولم يقم فاستشاط المنصور غيظا وغضبا ودعا به : فقال مامنعك من القيام مع الناس حين رأيتني . قال خفت أن يسالني الله تعالى لم فعلت ويسالك عنه لم رضيت . وقد كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسكن غضبه وقربه

وقضى حوائجه . يحيى بن أكثم قال : اني عند المامون يوما ، حتى أتي برجل ترعد فرائصه فلما مثل بين يديه . قال له المامون : كفرت نعمتي . ولم تشكر معروفي . قال يا أمير المؤمنين : وأين يقع شكري في جنب ما أنعم الله بك على . فنظر الى وقال متمثلا :

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد * لكثرة مال أو علو مكان
لما ندب الله العباد لشكره * فقال اشكروا لى أيها الثقلان

ثم التفت الى الرجل . فقال له هلا قلت كما قال أصرم بن حميد :

رشحت حمدى حتي انني رجل * كلي بكل ثناء فيك مشتغل
خولت شكرى ما خولت من نعم * فخر شكرى لما خولتني خول

٨ — الاستعطاف والاعتراف — لما سخط المهدى على يعقوب بن داود : قال له يا يعقوب . قال لبيك يا أمير المؤمنين تلبيه مكروب لموجدتك . قال ألم أرفع من قدرك اذ كنت وضيعا ، وأبعد من ذكرك اذ كنت خاملا ، وألبسك من نعمتي مالم أجد لك بها يدين من الشكر ، فكيف رأيت الله أظهر عليك ، ورد اليك منك . قال : ان كان ذلك بعلمك يا أمير المؤمنين فتصديق معترف منيب ، وان كان مما استخرجته دقائق الباغين فعائذ بفضلك . فقال : والله لولا الحنث فى دمك بما تقدم لك ، لا لبستك منه قميصا لا تشد عليه زرا . ثم أمر به الى الحبس . فتولى وهو يقول الوفاء يا أمير المؤمنين كرم ، والمودة رحم ، وأنت بهما جدير . أخذت الشعراء معنى قوله ألبستك منه قميصا لا تشد عليه زرا . فقال معلى الطائي :

طوقته بحسام طوق داهيه * ما يستطيع عليه شد أزرار

وقال حبيب :

طوقته بالحسام طوق ردى * أغناه عن مس طوقه بيده

وقال : طوقته بالحسام منصلتا * آخر طوق يكون فى عنقه

ولما رضى الرشيد عن يزيد بن مزيد . أذن له بالدخول عليه . فلما مثل بين يديه . قال : الحمد لله الذي سهل لى سبيل الكرامة بلقائك ، ورد على النعمة بوجه الرضا منك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين ، فى حال سخطك جزاء المحسنين المراقبين ، وفى حال رضاك جزاء المنعمين المتطولين ، فقد جعلك الله وله الحمد تثبت تحرجا عند الغضب ، وتمتن تطولا بالنعم ، وتستبقي المعروف عند الصنائع تفضلا بالعفو . لما ظفر المامون بابراهيم بن المهدي : وهو الذى يقال له ابن شكلة . أمر

بادخاله عليه . فلما مثل بين يديه . قال : ولى الثار محكم فى القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، وقد جعل الله كل ذنب دون عفوك ، فان صفحت فبكرمك ، وان أخذت فبحقك . قال المامون : اني شاورت أبا أسحق والعباس فى قتلك ، فاشار اعلى به قال اما أن يكون قد نصحاك فى عظم قدر الملك ، وماجرت عليه عادة السياسة فقد فعلا . ولكن أبيت أن تستجلب النصر الامن حيث عودك الله ، ثم استعبر باكيا . قال له المأمون : مايبكيك . قال جذلا اذ كان ذنبي الى من هذه صفته . ثم قال ياأمير المؤمنين : انه وان كان جرمى يبلغ سفك دمى ، فحلم أمير المؤمنين وتفضله يبلغاني عفوه ، ولى بعدهما شفاعة الاقرار بالذنب ، وحرمة الاب بعد الاب . قال المأمون : لولم يكن فى حق نسبك مايبلغ الصفح عن زلتك ، لبلغك اليه حسن توصلك ! ولطيف تنصلك ، فصواب تصويب ابراهيم لرأى أبى اسحق والعباس الطف فى طلب الرضا ودفع المكروه عن نفسه من تخطئتهما . وقال المأمون : لاسحق بن العباس لاتحسبني أغفلت اجلابك مع ابن المهلب وتاييدك لرأيه ، وايقادك لناره . قال ياأمير المؤمنين : والله لاجرام قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من جرمى اليك ولرحمى أمس من أرحامهم . وقد قال : كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين : وأنت ياأمير المؤمنين أحق وارث لهذه المنة وممتثل بها . قال هيهات تلك أجرام جاهلية عفا عنها الاسلام وجرمك جرم فى اسلامك وفى دار خلافتك . قال ياأمير المؤمنين : فوالله للمسلم أحق باقالة العثرة ، وغفران الزلة ، من الكافر هذا كتاب الله بيني وبينك يقول الله تعالى « وسارعوا الى مغفرة من ربكم الى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » فهى للناس ياأمير المؤمنين سنة دخل فيها المسلم والكافر والشريف والمشروف . قال صدقت : اجلس وريت بك زنادي ، فلا قدح ناري ، من الغابرين من أهلك أمثالك . العتبي عن أبيه قال : قبض مروان بن محمد لمعاوية بن عمرو بن عتبة ماله بالبرداسان . فقال انى قد وجدت قطيعة عمك لابيك أنى أقطعتك بستانى . والبستان لايكون الاعامرا . وأنا مسلم اليك العامر وقابض منك الغامر . فقال ياأمير المؤمنين : ان سلفك الصالح لوشهدوا مجلسنا هذا كانوا شهودا على ماادعيته ، وشفعاء فيما طلبته ، يسالونك باحسانك الى ، مكافاة احسان سلفى اليهم ، فشفع فينا الاموات ، واحفظ منا القرابات ، واجعل مجلسك هذا مجلسا يلزم من بعد نا شكره قال لا والله الا ان أجعلها طعمة منى لك لا قطيعة من عمك لابيك . قال قد قبلت ذلك ففعل . العتبي قال : أمر عبد الملك بن مروان بقطع أرزاق آل أبى سفيان وجوائزهم

لموجدة وجدها على خالد بن يزيد بن معاوية . فدخل عليه عمر بن عتبة . فقال يا أمير المؤمنين : ان أدنى حقك متعب ، وبعضه فادح لنا ، ولنا مع حقك علينا حق عليك ، باكرام سلفنا لسلفك ، فانظر الينا بالعين التي نظروا بها اليهم ، وضعنا بحيث وضعتنا الرحم منك . قال عبد الملك : انما يستحق عطيتي من استعطاها ، فاما من ظن أنه يكتفي بنفسه ، فسنكله الى نفسه . ثم أمر له بعطية وبلغ ذلك خالدا فقال أبا لحرمان يهددني يد الله فوق يده باسطة ، وعطاء الله دونه مبذول ، فاما عمرو فقد أعطي من نفسه أكثر مما أخذها . العتبي قال : حدثنا طارق بن المبارك عن عمرو بن عتبة قال : جاءت دولة المسودة ، وأنا حديث السن كثير العيال ، متفرق المال ، فجعلت لا أنزل قبيلة من قبائل العرب الا شهرت فيها . فلما رأيت أمري لا يكتتم أتيت سليمان بن علي . فاستأذنت عليه قرب المغرب . فاذن لي وهو لا يعرفني . فلما صرت اليه قلت أصلحك الله لفظتني البلاد اليك ، ودلني فضلك عليك ، فاما قبلتني غانما ، واما رددتني سالما . قال : ومن أنت فانتسبت له فعرفني وقال مرحبا اقعد . فتكلم غانما سالما . قلت أصلحك الله ان الحرم التي انت أقرب الناس اليهن معنا ، وأولى الناس بهن بعدنا ، قد خفن بخوفنا ، ومن خاف خيف عليه . قال : فاعتمد سليمان على يديه ، وسالت دموعه على خديه . ثم قال يا ابن أخي : يحقن الله دمك ، و يستر حرمك . و يسلم مالك ان شاء الله . ولو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلت . فلم أزل في جوار سليمان آمنا . وكتب سليمان الى أبي العباس أمير المؤمنين أما بعد يا أمير المؤمنين فانا انما حاربنا بني أمية على عقوقهم ، ولم نحاربهم على أرحامهم ، وقد دفت الي منهم دافة لم يشهروا سلاحا ، ولم يكثروا جمعا ، وقد أحسن الله اليك فاحسن ، فان رأى أمير المؤمنين ان يكتب لهم أمانا ويامر بانفاذه الي فليفعل . فكتب لهم كتابا منشورا وأنفذه الى سليمان بن علي في كل من لجأ اليه من بني أميـة ، فكان يسميه أبو مسلم كهف الاباق . دخـل عبـد الملك بن صالح يوما على الرشيد . فـلم يلبث في مجلسه أن التفت الرشيد فقال متمثلا :

أريد حياته و يريد قتلي * عذيرك من خليلك من مراد

ثم قال أما والله لكأني أنظر الى شؤبوبها قد همع ، وعارضها قد لمع وكأني بالوعيد قد وقع ، فاقلع عن براجم بلا معاصم ، وجماجم بلا غلاصم ، فمهلا مهـلا فبي والله يسهل لكم الوعر ، ويصفو لكم الكدر ، وألقت اليكم الامور مقاليد أزمتها ، فالتدارك التدارك قبل حلول داهية ، خبوط باليد لبوط بالرجل . قال عبد الملك : أفذا ما تكلمت أم توأما يا أمير المؤمنين

. قال بل فذا . قال اتق الله فى ذى رحمك وفى رعيتك التي استرعاك الله ، ولا تجعل الكفر مكان الشكر ، ولا العقاب موضع الثواب ، فقد محضت لك النصيحة ، وأديت لك الطاعة ، وشددت أواخى ملكك باثقل من ركني يلملم ، وتركت عدوك سبيلا تتعاوره الاقدام ، فالله الله فى ذى رحمك أن تقطعه بعد أن وصلته ، ان الكتاب لنميمة واش وبغى باغ ينهش اللحم ، ويلغ الدم ، فكم ليل تمام فيك كابدته ، ومقام ضيق فرجته ، وكنت كما قال الشاعر أخو بني كلاب :

ومقام ضيق فرجته * بلسانى ومقامى وجدل
لو يقوم الفيل أو فياله * زل عن مثل مقامى وزحل

فرضى عنه ورحب به . وقال وريت بك زنادى . والتفت الرشيد يوما الى عبد الملك بن صالح فقال أكفرا بالنعمة ، وغدرا بالامام ، قال لقد بوئت اذا اعباء الندم ، وسعيت فى استجلاب النقم ، وماذاك يا أمير المؤمنين الا بغى باغ نافسني فيك بقديم الولاية ، وحق القرابة ، يا أمير المؤمنين انك خليفة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فى أمته ، وأمينه على رعيته ، لك عليها فضل الطاعة ، واداء النصيحة ولها عليك التثبت فى حادثها ، والعدل فى حكمها . فقال له هرون : تضع لى من لسانك ، وترفع على من جناحك بحيث يحفظ الله لى عليك . هذا قمامة كاتبك يخبرنى بفعلك . فقال عبد الملك أحقا يا قمامة . قال نعم لقد أردت ختل أمير المؤمنين والغدر به . فقال عبد الملك : كيف لا يكذب على من خلفى من بهتنى فى وجهى . قال الرشيد : هذا ابنك شاهد عليك . قال يا أمير المؤمنين : هو بين مامور أو عاق فان كان مامورا فمعذور وان كان عاقا فما أخاف من عقوقه أكثر . وقال له الرشيد : يوما وكان معتلا عليه أتبقون بالرقة . قال ونبرغث قال له يا ابن الفاعلة ما حملك على أن سألتك عن مسئلة . فرددت على فى مسئلتين . وأمر به الى الحبس . فلم يزل فى حبسه حتى أطلقه الامين . ابراهيم بن السندى . قال : سمعت عبد الملك بن صالح يقول بعد اخراج المخلوع له من الحبس وذكر الرشيد وفعله به . فقال : والله ان الملك لشئ مانويته ولا تمنيته ، ولا نصبت له ولا أردته ولو أردته لكان الى أسرع من الماء الى الحدور ، ومن النار الى يبس العرفج ، وانى لماخوذ بما لم أجن ومسؤل عما لا أعرف ، ولكن حين رآنى للملك قمينا ، وللخلافة خطيرا ، ورأى لى يدا تنالها اذا امدت ، وتبلغها اذا بسطت ، ونفسا تكمل لخصالها ، وتستحقها بفعالها ، وان كنت لم أجن تلك الخصال ، ولم أصطنع تلك الفعال ، ولم أترشح لها فى السر ، ولا اشرت اليها فى الجهر ، رآها تحن حنين الوالدة الواهلة ، وتميل ميل الهلوك خاف أن

ترغب الى خير مرغب ، وتنزع الى أخصب منزع ، عاقبني عقاب من سهر في طلبها ، وجهد في التماسها ، فان كان انما حسبني اني أصلح لها و تصلح لى ، وأليق بها و تليق بى ، فليس ذلك بذنب جنيته فاتوب منه ، ولا تطاولت له فاحط نفسي عنه ، وان زعم أنه لاصرف لعقابه ، ولا نجاة من عذابه ، الا أن أخرج له من حد العلم ، والحلم والحزم ، فكما لا يستطيع المضياع أن يكون مصلحا ، كذلك لا يستطيع العاقل أن يكون جاهلا ، وسواء عليه عاقبنى على علمي وحلمي ، أم عاقبنى على نسبي وسني ، وسواء عليه عاقبني على جمالى ، أو عاقبني على محبة الناس لى ، ولو أردتها لاعجلته عن التفكير ، وشغلته عن التدبير ، ولما كان فيها من الخطب الا اليسير . ابراهيم بن السندى قال : كنت أسايرسعد بن سلم حتى قيل له ان أمير المؤمنين قد غضب على رجاء بن أبي الضحاك وأمر باخذ ماله . فارتاع بذلك وجزع . فقيل له مايروعك منه . فوالله ماجعل الله بينكما نسبا ولا سببا . فقال بلى النعمة نسب بين أهلها والطاعة سبب موكد بين الاولياء . و بعث بعض الملوك الى رجل وجد عليه . فقال لما مثل بين يديه أيها الامير ان الغضب شيطان . فاستعذ بالله منه . وانما خلق العفو للمذنب ، والتجاوز للمسيء ، فلا تضق عما وسع الرعية من حلمك وعفوك فعفا عنه وأطلق سبيله . لما اتهم سالم بن قتيبة أبا مجلز على بعض الامر قال : أصلح الله الامير تثبت فان التثبت نصف العفو . قال الحجاج لرجل دخل عليه أنت صاحب الكلمة : قال أبوء بالذنب وأستغفر الرب وأسال العافية . قال قد عفونا عنك . وأرسل بعض الملوك فى رجل أراد عقوبته . فلما مثل بين يديه قال أسالك بالذى أنت بين يديه أذل مني بين يديك ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي ، الا نظرت فى أمرى نظر من برئى أحب اليه من سقمي ، و براءتي أحب اليه من جرمي . وقال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك حين وجد عليه يا أمير المؤمنين ان القدرة تذهب الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة ونحن مقرون بالذنب . فان تعف عني فاهل ذلك أنت وان تعاقبنى فاهل ذلك أنا . أمر معاوية ابن أبي سفيان بعقوبة روح بن زنباع . فقال . أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع مني خسيسة أنت رفعتها ، او تنقض مني مريرة أنت أبرمتها ، أو تشمت بي عدوا أنت وقمته ، الا أتى حلمك وصفحك عن خطئى وجهلى . فقال معاوية خليا عنه اذا أراد الله أمرا يسره . وجد عبد الملك بن مروان على رجل فجفاه واطرحه . ثم دعا به ليساله عن شيء فرآه شاحبا ناحلا ، فقال له متي اعتللت فقال مامسنى سقم . ولكنى جفوت نفسي اذ جفانى الامير وآليت أن لا أرضى عنها حتى يرضى عني أمير المؤمنين فادعاه الى

نفسه . وقعد الحسن بن سهل لنعيم بن حازم فاقبل اليه حافيا حاشراً وهو يقول ذنبي أعظم من السماء ذنبي أعظم من الارض . فقال له الحسن أيها الرجل لا باس عليك قد تقدمت لك طاعة ، وحدثت لك توبة وليس للذنب بينهما موضع . ولئن وجد موضعا فما ذنبك في الذنوب باعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو . أذنب رجل من بني هاشم ذنبا الى المامون فعاتبه فيه . فقال يا أمير المؤمنين : من حمل مثل حالتي ، ولبس ثوب حرمتي ، ومت بمثل قرابتي ، أغتفر له فوق زلتي ، قال صدقت يا ابن عمي وصفح عنه . واعتذر رجل الى المامون من ذنب . فقال له وان كانت زلتي قد أحاطت بحرمتي فان فضلك محيط بها ، وكرمك موقوف عليها ، أخذه صريع الغواني فقال :

ان كان ذنبي قد أحاط بحرمتي * فاحط بذنبي عفوك المامولا

دخل يزيد بن عمر بن هبيرة على أبي جعفر المنصور بعدما كتب أمانه . فقال يا أمير المؤمنين : ان امارتكم بكر ، ودولتكم جديدة ، فاذيقوا الناس حلاوتها ، وجنبوهم مرارتها ؛ تخف على قلوبهم طاعتكم ، وتسرع الى أنفسهم محبتكم ، ومازلت مستبطئا لهذه الدعوة ، فلما قام قال أبو جعفر عجبا من كل من يامرني بقتل هذا . ثم قتله بعد ذلك غدراً . الهيثم بن عدى قال : لما انهزم عبدالله بن على من الشام قدم على المنصور وفد منهم فتكلموا عنده . ثم قام الحرث فقال يا أمير المؤمنين انا لسنا وفد مباهاة ، وانما نحن وفد توبة ، ابتلينا بفتنة استخفت كريمنا ، واستفزت حليمنا ، ونحن بما قدمنا معترفون ، ومما سلف منا معتذرون ، فان تعاقبنا فقد أجرمنا ، وان تعف عنا فطالما أحسنت الى من أساء منا . فقال المنصور : للحرسي هذا خطيبهم وأمر برد ضياعه عليه بالغوطة . قال أحمد بن أبي دواد ما رأيت رجلا نزل به الموت فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يحب ان يفعله الا تميم بن جميل فانه كان تغلب على شاطيء الفرات . وأوفى به الرسول باب امير المؤمنين المعتصم في يوم الموكب حين يجلس للعامة . ودخل عليه . فلما مثل بين يديه دعا بالنطع والسيف فاحضرا فجعل تميم بن جميل ينظر اليهما ولا يقول شيئا . وجعل المعتصم يصعد النظر فيه ويصوبه وكان جسيما وسيما ورأى ان يستنطقه لينظر اين جنانه ولسانه من منظره . فقال يا تميم : ان كان لك عذر فات به او حجة فادل بها . فقال اما اذ قد أذن لى امير المؤمنين فاني أقول . الحمد لله الذى احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . يا أمير المؤمنين : ان الذنوب تخرس الالسنة ، وتصدع الافئدة ، ولقد عظمت الجريرة ، وكبر الذنب وساء الظن ولم يبق الا عفوك او انتقامك وارجو أن يكون اقربهما منك واسرعهما اليك اولاهما بامتنانك ،

وأشبههما بخلافتك ، ثم أنشا يقول :

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا * يلاحظني من حيثما أتلفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي * وأي امرىء مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يدلي بعذر وحجة * وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الاوس بن تغلب موقف * يسل على السيف فيه وأسكت
وما جزعي من أن أموت وانني * لأعلم أن الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم * وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى اليهم * وقد خمشوا الك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا خافضين بغبطة * أذود الردى عنهم وان مت موتوا
فكم قائل لا يبعد الله روحه * وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فتبسم المعتصم وقال : كاد والله يا تميم يسبق السيف العذل ، اذهب فقد غفرت لك الصبوة وتركتك للصبية . وحكى أن أمير المؤمنين المهدى قال لابي عبيد الله لما قتل ابنه انه لو كان في صالح خدمتك ، وما تعرفناه من طاعتك ، وفاء يجب به الصفح عن ولدك ، ما تجاوز أمير المؤمنين ذلك به الى غيره . ولكنه نكص على عقبيه وكفر بربه . قال : أبو عبيد الله رضانا عن أنفسنا وسخطنا عليها موصول برضاك وسخطك . ونحن خدم نعمتك تثيبنا على الاحسان فنشكر ، وتعاقبنا على الاساءة فنصبر . أبو الحسن المدائني قال : لما حج المنصور مر بالمدينة : فقال للربيع الحاجب على بجعفر بن محمد قتلني الله ان لم أقتله فمطل به . ثم ألح عليه فحضر . فلما كشف الستر بينه وبينه ومثل بين يديه همس جعفر بشفتيه . ثم تقرب وسلم فقال لا سلم الله عليك يا عدو الله تعمل على الغوائل في ملكي قتلني الله ان لم أقتلك . قال يا أمير المؤمنين ان سليمان صلى الله على محمد وعليه أعطى فشكر ، وان أيوب ابتلى فصبر ، وان يوسف ظلم فغفر ، وأنت على ارث منهم ، وأحق من تاسي بهم ، فنكس أبو جعفر رأسه مليا وجعفر واقف . ثم رفع رأسه فقال : الى أبا عبد الله فانت القريب القرابة ، وذو الرحم الواشجة ، السليم الناحية ، القليل الغائلة ، ثم صافحه بيمينه ، وعانقه بشماله ، وأجلسه معه على فراشه ، وانحرف له عن بعضه وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسائله . ثم قال يا ربيع عجل لابي عبد الله كسوته وجائزته واذنه . فلما حال الستر بيني وبينه أمسكت بثوبه . فقال ما أرانا يا ربيع الا وقد حبسنا : فقلت لا عليك هذه مني لا منه . فقال هذه أيسر سل

حاجتك ، فقلت له انى منذ ثلاث أدفع عنك وادارى عليك ورأيتك اذ دخلت همست بشفتيك ثم رأيت الامر انجلى عنك وأنا خادم سلطان ولا غنى لى عنه فاحب منك أن تعلمنيه . قال نعم قلت : اللهم احرسنى بعينك التي لا تنام ، واكنفني بحفظك الذى لا يرام ؟ ولا أهلك وانت رجائى فكم من نعمة أنعمتها على قل لك عندها شكرى فلم تحرمنى وكم من بلية ابتليتني بها قل عندها صبرى فلم تخذلنى بك أدرأ فى نحره ، واستعيذ بخيرك من شره ، فانك على كل شىء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . المدائنى قال : لما كان يزيد بن راشد خطيبا وكان فيمن دعا الى خلع سليمان بن عبد الملك والبيعة لعبد العزيز بن الوليد . فنذر سليمان قطع لسانه فلما أفضت الخلافة اليه دخل عليه يزيد بن راشد . فجلس على طرف البساط مفكرا . ثم قال يا أمير المؤمنين : كن كنبى الله صلى الله عليه وسلم : ابتلى فصبر ، وأعطى فشكر ، وقدر فغفر . قال ومن أنت . قال يزيد بن راشد فعفا عنه . حبس الرشيد رجلا . فلما طال حبسه كتب اليه ان كل يوم يمضى من نعيمك يمضى من بؤسى مثله والامد قريب والحكم لله فاطلقه . ومر أسد بن عبد الله القسرى وهو والى خراسان بدار من دور الاستخراج ودهقان يعذب فى حبسه وحول أسد مساكين يستجدونه فامر لهم بدراهم تقسم فيهم . فقال الدهقان : يا أسد ان كنت تعطى من يرحم فارحم من يظلم فان السموات تنفرج لدعوة المظلوم ، يا أسد احذر من ليس له ناصر الا الله ، واتق من لا جنة له الا الابتهال الى الله ان الظلم مصرعه وخيم ، فلا يغتر بابطاء الغياث من ناصر متى شاء ان يجيب أجاب ، وقد أملى لقوم ليزدادوا اثما فامر أسد بالكف عنه . عتب المأمون على رجل من خاصته فقال يا أمير المؤمنين : ان قديم الحرمة ، وحديث التوبة ، يمحوان ما بينهما من الاساءة . فقال صدقت ورضى عنه . وكان ملك من ملوك فارس عظيم المملكة شديد النقمة وكان له صاحب مطبخ فلما قرب اليه طعامه صاحب المطبخ سقطت نقطة من الطعام على يديه . فزوى لها الملك وجهه وعلم صاحب الطبخ أنه قاتله فكفأ الصحفة على يديه : فقال الملك على به . فلما أتاه قال له قد علمت أن سقوط النقطة أخطأت بها يدك ، فما عذرك فى الثانية . قال استحييت للملك أن يقتل مثلى فى سنى وقديم حرمتى في نقطة . فاردت أن أعظم ذنبى ليحسن به قتلى . فقال له الملك لئن كان لطف الاعتذار ينجيك من القتل ما هو بمنجيك من العقوبة اجلدوه وخلوه . الشيبانى دخل محمد بن عبد الملك ابن صالح على المأمون حين قبض ضياعهم . فقال يا أمير المؤمنين : محمد بن عبد الملك بين يديك ، ربيب دولتك ، وسليل نعمتك ، وغصن من اغصان دوحتك ، اتاذن فى الكلام

قال نعم : قال استمتع الله حياطة ديننا ودنيانا . ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك ، وأساله أن يزيد فى عمرك من أعمارنا ، وفي أثرك من آثارنا ، ويقيك الاذى باسماعنا وأبصارنا ، هذا مقام العائذ بفضلك ، الهارب الى كنفك وظلك ، الفقير الى رحمتك وعدلك ، ثم تكلم فى حاجته فقضاها . وقال عبيد بن أيوب وكان يطلبه الحجاج لجناية جناها . فهرب منه وكتب اليه :

أذقني طعم النوم أوسل حقيقة * على فان قامت ففصل بنانيا
خلعت فؤادي فاستطار فاصبحت * ترامي به البيدا القفار تراميا

ولم يقل أحد فى هذا المعنى أحسن من قول النابغة الذبيانى للنعمان ابن المنذر :

أتانى أبيت اللعن أنك لمتني * وتلك التي تستك منها المسامع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع
وكلفتنى ذنب امرىء وتركته * كذى العر يكوى غيره وهو راتع
فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

وقال فيه أيضا ،

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب
فان أك مظلوما فعبد ظلمته * وان تك ذا عتب فمثلك يعتب
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني جناية * لمبلغك الواشى أغش وأكذب
ألم تر أن الله أعطاك صورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقال ابن الطثرية :

فهبني امرأ اما بريئا علمته * واما مسيئا تاب منه وأعتبا
وكنت كذي داء يبغى لدائه * طبيبا فلما لم يجده تطببا

وقال الممزق العبدى لعمرو بن هند :

تروح وتغدو ومايحل وضينها * اليك ابن ماء المزن وابن المحرق
احقا ابيت اللعن ان ابن مزننا * على غير اجرام بريقي مشرق
فان كنت ماكولا فكن خير آكل * والا فادركني ولما أمزق

فانت عميد الناس مهما تقل نقل * ومهما تصع من باطل لا يحقق

وتمثل بهذه الابيات عثمان بن عفان فى كتابه الى على بن أبي طالب يوم الدار . وكتب محمد بن الزيات لما أحس بالموت وهو فى حبس المتوكل برقعة الى المتوكل فيها :

هى السبيل فمن يوم الى يوم * كأنه ماتريك العين فى النوم
لا تعجلن رويدا انها دول * دنيا تنقل من قوم الى قوم
ان المنايا وان أصبحت ذا فرج * تحوم حولك حوما أيما حوم

فلما وصلت الى المتوكل وقرأها أمر باطلاقه فوجدوه ميتا . وقال عمرو للمنصور وقد أراد عقوبة رجل يا أمير المؤمنين ان الانتقام عدل ، والتجاوز فضل ، والمتفضل قد جاوز حد المنصف ، ونحن نعيذ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه أوكس النصيبين ، دون ان يبلغ الدرجتين ، جرى بين أبي مسلم صاحب الدعوة وقائد من قواده يقال له شهرام كلام . فقال له قائده كلمة فيها بعض الغلظ ثم ندم على ما كان منه فجعل يتضرع ويتنصل اليه . فقال له أبو مسلم لا عليك لسان سبق ، ووهم أخطأ ، وانما الغضب شيطان ، وانما جرأتك على ، لطول احتمالى عنك ، فان كنت للذنب معتمدا ، فقد شاركتك فيه ، وان كنت مغلوبا فان العذر يسعك ، وقد عفونا على كل حال . فقال أصلح الله الامير ، ان عفو مثلك لا يكون غرورا . قال أجل . قال فان عظم الذنب لا يدع قلبي يسكن وألح فى الاعتذار . فقال له أبو مسلم : عجبا لك انك أسأت فاحسنت ، فلما أحسنت أأسيء . دخل ابو دلف على المأمون وقد كان عتب عليه ثم أقاله . فقال له وقد خلا مجلسه قل أبا دلف وما عسيت أن تقول وقد رضى عنك أمير المؤمنين وغفر لك ما فعلت . فقال

يا أمير المؤمنين : ليالى تدنى منك بالبشر مجلسى * ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لى بالعين التى كنت مرة * الى بها فى سالف الدهر تنظر

قال المامون لك بها رجوعك الى مناصحتك ، واقبالك على طاعتك ، ثم عاد له الى ما كان عليه وقال له المامون يوما أنت الذى تقول :

انى امرؤ كسروى الفعال * أصيف الجبال واشتو العراقا

ما أراك قدمت لحق طاعة ، ولا قضيت واجب حرمة . قال يا أمير المؤمنين : انما هي نعمتك ، ونحن فيها خدمك ، وما هراقة دمى فى طاعتك ، الا بعض ما يجب لك . ودخل أبو دلف على المامون . فقال أنت الذى يقول فيك ابن جبلة :

انما الدنيـا أبو دلف * بين باديه ومحتضـره
فاذا ولي أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

فقال ياامير المؤمنين شهادة زور ، وكذب شاعر ، وملق مستجد ، ولكني الذي يقول فيه ابن أخيه :

ذريني أجوب الارض فى طلب الغنى * فما الكرخ بالدنيا ولا الناس قاسم

الكرخ منزل أبي دلف وكان اسمه قاسم بن عبدالله . وقال المنصور لمعن بن زائدة ما أظن ماقيل عنك من ظلمك أهل اليمن واعتسافك عليهم الاحقا . قال كيف ذلك ياأمير المؤمنين . قال بلغني عنك أنك أعطيت شاعرا لبيت قاله الف دينار . فانشده البيت وهو :

معن بن زائدة الذى زيدت به * شرفا الى شرف بنو شيبـان

قال نعم ياأمير المؤمنين قد أعطيته الف دينار لكن على قوله :

مازلت يوم الهاشميـة معلما * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهنـد وسنـان

قال فاستحيا المنصور وجعل ينكت بالمخصرة . ثم رفع رأسه وقال اجلس أبا الوليد . أتى عبدالملك بن مروان باعرابى سرق فامر بقطع يده فانشا يقول :

يدى ياأمـير المؤمنـين أعيـذها * بعفوك أن تلقى مكانا يشينها
ولا خير فى الدنيا وكانت خسيسة * اذا ماشمـالى فارقتها يمينـها

فابي الاقطعه . فقالت أمه ياأمير المؤمنين واحدى وكاسبي . قال بئس الكاسب كان لك وهذا حد من حـدود الله . قالت ياأمير المؤمنين اجعله من بعض ذنوبك التي تستغفر الله منها فعفا عنه :

٩ ــ تذكير الملوك بذمام متقدم ــ قال ثمامة بن أشرس للمامون لما صارت اليه الخلافة كان لى أملان أمل لك وأمل بك . فاما أملى لك فقد بلغته . وأما أملى بك فلا أدرى مايكون منك فيه . قال يكون أفضل مارجوت وأملت فجعله من سماره وخاصته . الاصمعى قال : لما مات يزيد بن عبدالملك وصارت الخلافة الى هشام بن عبدالملك خر أصحابه سجودا الا الابرش الكلبي . فقال له : ياأبرش مامنعك أن تسجد كما سجدوا . قال ياأمير المؤمنين : لانك ذهبت عنا وتركتنا . قال فان ذهبت بك معى . قال أو تفعل ياأمير المؤمنين . قال نعم : قال فالآن طاب السجود ثم سجد . ولما صارت الخلافة الى أبي جعفر كتب

اليـه رجل من اخوانه

انا بطانتك الالى * كنا نكابد مانكابد
ونرى فنعرف بالعدو * ة والبعاد لمن تباعد
ونبيت من شفق عليك ربيئة والليل هاجد
هذا أوان وفاء ما * سبقت به منك المواعد

فوقع أبو جعفر على كل بيت منها صدقت صدقت . ثم دعا به وألحقه في خاصته . وقال حبيب الشاعر في هذا المعني :

وان أولى الموالى أن تواسيه * عند السرور لمن واساك في الحزن
ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في الموطن الخشن

١٠ — حسن التخلص من السلطان — ابو الحسن المدائني قال : كان العباس ابن سهل والى المدينة لعبدالله بن الزبير . فلما بايع الناس عبدالملك بن مروان ولى عثمان بن حيان المري وأمره بالغلظة على أهل الظنة . فعرض يوما بذكر الفتنة وأهلها . فقال له قائل هذا العباس بن سهل على ما فيه كان مع ابن الزبير وعمل له . فقال عثمان بن حيان ويلي والله لاقتلنه . قال العباس فبلغني ذلك فتغيبت حتي أضر بي التغيب . فاتيت ناسا من جلسائه . فقلت لهم مالى أخاف وقد أمنني عبدالملك بن مروان . فقالوا والله مايذكرك الا تغيظ عليك وقلما كلم على طعامه في ذنب الا انبسط . فلو تنكرت وحضرت عشاءه وكلمته . قال ففعلت وقلت على طعامه وقد اتى بجفنة ضخمة ذات ثريد ولحم والله لكانى انظر الى جفنة حيان بن معبد والناس يتكاوسون عليها وهو يطوف في حاشيته يتفقد مصالحها يسحب اردية الخز حتي ان الحسك ليتعلق به فما يميطه . ثم يؤتى بجفنة تهادى بين اربعة ما يستقلون بها الا بمشقة وعناء وهذا بعد ما يفرغ الناس من الطعام ويتنحون عنه فياتي الحاضر من أهله والطارى من اشراف قومه وما باكثرهم من حاجة الى الطعام وما هو إلا الفخر بالدنو من مائدته والمشاركة ليده . قال هيه انت رأيت ذلك قلت اجل والله . قال لى ومن انت . قلت وانا آمن . قال نعم : قلت العباس بن سهل بن سعد الانصاري . قال مرحبا واهلا اهل الشرف والحق . قال فلقد رأيتنى بعد ذلك وما بالمدينة رجل اوجه مني عنده فقيل له بعد ذلك أنت رأيت حيان بن معبد يسحب أردية الخز ويتكاوس الناس على مائدته . فقال والله لقد رأيته ونزلنا الماء وغشينا وعليه عباءة ذكوانية فلقد جعلنا نذوده عن رحلنا مخافة أن يسرقه . أبو حاتم قال : حدثنا ابو عبيدة . قال اخذ سراقة بن مرادس

أسيرا يوم جبانة السبيع . فقدم في الاسري الى المختار . فقال سراقة :

امنن على اليوم يا خير معد * وخير من لبى وصلى وسجد

فعفا عنه المختار وخلي سبيله . ثم خرج مع اسحق بن الاشعث فاتى به المختار أسيرا . فقال له : ألم أعف عنك وأمنن عليك أما والله لاقتلنك . قال لا والله لا تفعل ان شاء الله . قال ولم : قال لان ابي خبرني انك تفتح الشام حتى تهدم مدينة دمشق حجرا حجرا وانا معك ثم أنشده :

ألا ابلغ أبا اسحق أنا * حملنا حملة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء منا * وكان خروجنا بطرا وحينا
تراهم في مصافهم قليلا * وهم مثل الدبا لما التقينا
فاسجح اذ قدرت فلو قدرنا * لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل توبة مني فاني * ساشكران جعلت النقد دينا

قال فخلى سبيله . ثم خرج اسحق بن الاشعث ومعه سراقة فاخذ أسيرا وأتى به المختار . فقال الحمد لله الذى أمكنني منك يا عدو الله هذه ثالثة . فقال سراقة أما والله ماهؤلاء الذين أخذوني فأين هم لا أراهم انا لما التقينا رأينا قوما عليهم ثياب بيض وتحتهم خيل بلق تطير بين السماء والارض . فقال المختار خلوا سبيله ليخبر الناس . ثم دعا لقتاله فقال :

الا من مبلغ المختار عني * بان البلق دهم مضمرات
أرى عيني مالم ترأياه * كلانا عالم بالترهات
كفرت بوحيكم وجعلت نذرا * على قتالكم حتى الممات

كان معن بن زائدة قد أمر بقتل جماعة من الاسرى . فقام اليه أصغر القوم . فقال له : يا معن اتقتل الاسرى عطاشا فامر لهم بالماء فلما سقوا . قال : يا معن أتقتل ضيفانك فامر معن باطلاقهم . لما أتى عمر بن الخطاب بالهرمزان أسيرا دعاه الى الاسلام فابى عليه . فامر بقتله فلما عرض عليه السيف قال لو أمرت لي يا امير المؤمنين بشربة من ماء فهو خير من قتلي على الظما . فامر له بها فلما صار الاناء بيده . قال: أنا آمن حتى أشرب . قال نعم : فالقى الاناء من يده وقال الوفاء يا أمير المؤمنين نور أبلج . قال : لك التوقف حتى أنظر في امرك ارفعا عنه السيف فلما رفع عنه . قال: الآن اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله . فقال له عمر ويحك أسلمت خير اسلام فما أخرك . قال : خشيت يا أمير المؤمنين أن يقال ان اسلامي انما كان جزعا

من الموت . فقال عمران لفارس حلومابها استحقت ما كانت فيه من الملك . ثم كان عمر يشاوره بعد ذلك فى اخراج الجيوش الى أرض فارس و يعمل برأيه . لما أتى الحجاج بالأسرى الذين خرجوا مع ابن الاشعث أمر بقتلهم . فقال رجل أصلح الله الامير ان لي حرمة . قال : وماهي . قال : ذكرت في عسكر ابن الاشعث فشتمت فى أبويك فعرضت دونهما فقلت لا والله مافى نسبه مطمن فقولوا فيه ودعوا نسبه . قال : ومن يعلم ماذكرت فالتفت الى أقرب الاسرى الى فقلت هذا يعلمه . قال : له الحجاج ماتقول فيما يقول . قال : صدق أصلح الله الامير و بر . قال : خليا عن هذا لنصرته وعن هذا لحفظ شهادته . عمرو بن بحر الجاحظ قال : أتى روح بن حاتم برجل كان متلصصاً فى طريق الزقاق . فأمر بقتله . فقال اصلح الله الامير لى عندك يد بيضاء . قال : وماهى . قال : انك جئت يوما الى مجمع موالينا بني نهشل والمجلس محتفل . فلم يتحفز لك احد . فقمت من مكانى حتى جلست فيه ، ولولا محض كرمك ، وشرف قدرك ، ونباهة اوليتك ، ماذكرتك هذه عند مثل هذا . قال ابن حاتم صدق وامر باطلاقه . وولاه تلك الناحية وضمنه اياها . ولما ظفر المأمون بابي دلف وكان يقطع فى الجبال امر بضرب عنقه . فقال ياامير المؤمنين : دعني أركع ركعتين . قال افعل فركع وحبر أبياتا . ثم وقف بين يديه فقال :

بع بي الناس فانى * خلف ممن تبيع
واتخذنى لك درعا * قلصت عنه الدروع
وارم بي كل عدو * فانا السهم السريع

فاطلقه وولاه تلك الناحية فاصلحها . أتى معاوية يوم صفين باسير من أهل العراق فقال : الحمد لله الذى أمكننى منك . قال لا تقل ذلك يامعاوية فانها مصيبة . قال وأى نعمة أعظم من ان امكنني الله من رجل قتل جماعة من أصحابي فى ساعة واحدة اضرب عنقه ياغلام . فقال الاسير اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ، وانك لا ترضي بقتلى ، وانما يقتلني فى الغلبة على حطام هذه الدنيا ، فان فعل فافعل به ما هو أهله : وان لم يفعل فافعل به ماأنت أهله ، قال له ويحك لقد سببت فابلغت ، ودعوت فاحسنت ، خليا عنه . امر مصعب بن الزبير برجل من اصحاب المختار ان تضرب عنقه . قال ايها الامير : ما أقبح بك ان اقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ، ووجهك هذا الذى يستضاء به ، فاتعلق باطرافك واقول ، اى رب سل هذا فيم قتلنى . قال اطلقوه فانى جاعل ماوهبت له من حياته فى خفض اعطوه مائة ألف . قال : الاسير بابى انت وامى اشهد ان لقيس الرقيات

منها بحسين الفا . قال ولم . قال لقوله :

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

أمر عبد الملك بقتل رجل . فقال يا أمير المؤمنين انك أعز ما تكون أحوج ما تكون الى الله فعفا عنه . اتي الحجاج باسرى من الخوارج . فامر بضرب أعناقهم فقدم فيهم شاب . فقال والله يا حجاج لئن كنا أسانا في الذنب فما أحسنت في العفو . فقال اف لهذه الجيف ما كان فيهم من يقول مثل هذا وأمسك عن القتل . وأتي الحجاج باسري فامر بقتلهم . فقال له رجل منهم لا جزاك الله يا حجاج عن السنة خيرا فان الله تعالى يقول «فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتي اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء» فهذا قول الله في كتابه . وقد قال شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الاخلاق :

ومانقتل الاسري ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل القلائد

فقال الحجاج ويحكم أعجزتم أن تخبروني بما أخبرني هذا المنافق وأمسك عمن بقي . الهيثم ابن عدى قال : اتى الحجاج بحرورية . فقال لاصحابه ما تقولون في هذه قالوا اقتلها أصلح الله الامير ونكل بها غيرها . فتبسمت الحرورية . فقال لها لم تبسمت . فقالت لقد كان وزراء أخيك فرعون خيرا من وزرائك يا حجاج استشارهم في قتل موسى . فقالوا أرجه وأخاه . وهؤلاء يامرونك بتعجيل قتلي . فضحك الحجاج وأمر باطلاقها . قال معاوية ليونس الثقفي : اتق الله لا طيرنك طيرة بطيا وقوعها . قال أليس بي وبك المرجع الى الله . قال نعم فاستغفر الله . ودخل رجل من بني مخزوم على عبد الملك بن مروان وكان زبيريا . فقال له عبد الملك أليس الله قد ردك على عقبيك . قال ومن ردك اليك يا أمير المؤمنين فقد رد على عقبيه . فسكت عبد الملك وعلم أنها خطا . دخل يزيد ابن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك . فقال له سليمان على امرئ أمرك وجرأك وسلطك على الامة لعنة الله أتظن الحجاج استقر في قعر جهنم أم هو يهوى فيها . قال يا أمير المؤمنين : ان الحجاج ياتي يوم القيامة بين أخيك وأبيك فضعه من النار حيث شئت . قال : عبيد الله بن زياد لقيس بن عباد ما تقول فيّ وفي الحسين . قال اعفني أعفاك الله . قال : لابد ان تقول . قال : يجيء أبوه يوم القيامة فيشفع له ويجيء أبوك فيشفع لك . قال : قد علمت غشك وخبثك لئن فارقتني يوما لاضعن أكثرك شعرا بالارض . الاصمعى قال : بعث الحجاج الى يحيى بن يعمر . فقال له انت الذي تقول ان الحسين بن على ابن

عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن رسول الله لتاتيني بالمخرج مما قلت او لاضربن عنقك .
فقال له ابن يعمر وان جئت بالمخرج فانا آمن . قال نعم : قال اقرأ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه الى قوله ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى الى قوله وعيسى فمن ابعد عيسى من ابراهيم وانما هو ابن بنته أو الحسين من محمد صلى الله عليه وسلم . فقال له الحجاج والله لكاني ماقرأت هذه الآية قط وولاه قضاء بلده فلم يزل بها قاضيا حتي مات . ابو بكر بن ابي شيبة قال : دخل عبد الرحمن بن ابي ليلى على الحجاج . فقال لجلسائه ان اردتم ان تنظروا الى رجل يسب امير المؤمنين عثمان بن عفان فهذا عندكم يعني عبد الرحمن . فقال عبد الرحمن معاذ الله ايها الامير ان أكون أسب امير المؤمنين انه ليحجزني عن ذلك ثلاث آيات في كتاب الله تعالى قال الله تعالى «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا و ينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون» فكان عثمان منهم . ثم قال « والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الآية » فكان ابي منهم . ثم قال « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية» فكنت أنا منهم . فقال صدقت .
ابو عوانة قال : بعث الى الحجاج فقال لي ما اسمك قلت ما ارسل الى الامير حتي عرف اسمي . قال متي هبطت هذا البلد . قلت حين هبطا اهله . قال ما تقرا من القرآن . قلت اقرا منه ما اذا تبعته كفاني . قال اني اريد ان استعين بك في عملي . قلت ان تستعن بي تستعن بكبير اخرق ضعيف يخاف اعوان السوء وان تدعني فهو احب الي وان تقحمني اقتحم . قال ان لم اجد غيرك اقحمتك وان وجدت غيرك لم اقحمك . قلت واخرى اكرم الله الامير . اني ماعلمت الناس هابوا اميرا قط هيبتهم لك . والله اني لا تعار من الليل فما يأتيني النوم من ذكرك حتي اصبح هذا ولست لك على عمل . قال : هيه كيف قلت فاعدت عليه . فقال اني والله لا اعلم على وجه الارض خلقا هو اجرأ على دم مني انصرف . قال : فقمت فعدلت عن الطريق كاني لا ابصر . فقال ارشدوا الشيخ — لما اتي الحجاج باسرى الجماجم اتي فيهم بعامر الشعبي . ومطرف بن عبد الله بن الشخير . وسعيد بن جبير وكان الشعبي ومطرف يريان التقية . وكان سعيد بن جبير لا يراها وكان قد تقدم كتاب عبد الملك بن مروان الى الحجاج في اسرى الجماجم ان يعرضهم على السيف . فمن اقر منهم بالكفر في خروجهم علينا فيخلى سبيله . ومن زعم انه مؤمن فيضرب عنقه . فقال الحجاج للشعبي وانت ممن الب علينا مع ابن الاشعث اشهد على نفسك بالكفر فقال اصلح الله الامير نبا بنا المنزل ، وأحزن بنا

الجناب ، واستحلسنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وخبطنا فتنة لم نكن فيها أتقياء بررة ، ولا فجرة أقوياء . قال : لله أبوك لقد صدقت مابررتم بخروجكم علينا ، ولا قويتم خلوا سبيل الشيخ . ثم قال : لمطرف أتقر على نفسك بالكفر . قال . أصلح الله الاميران من شق العصا ، وسفك الدماء ، ونكث البيعة ، وفارق الجماعة ، وأخاف المسلمين ، لجدير بالكفر فخلى سبيله . ثم قال : لسعيد بن جبير أتقر على نفسك بالكفر . قال : ما كفرت منذ آمنت بالله . فضرب عنقه . ثم استعرض الاسري فمن أقر بالكفر خلى سبيله ومن أبي قتله حتى أتى بشيخ وشاب . فقال للشاب أكافر أنت . قال نعم : لكن الشيخ لا يرضى بالكفر . فقال له الشيخ أعن نفسي تخادعني ياحجاج والله لو علمت أعظم من الكفر لقلته . فضحك الحجاج وخلى سبيله . فلما مات الحجاج وقام سليمان . قال الفرزدق .

لئن نفر الحجاج آل معتب * لقوا دولة كان العدو يدالها
لقد أصبح الاحياء منهم أدلة * وموتاهم فى النار كلحا سبالها
وكانوا يرون الدئرات بغيرهم * فصار عليهم بالعذاب انفتالها
ألكني الى من كان بالصين أورمي * به الهند الواح عليها خلالها
هلم الى الاسلام والدين عندنا * فقدمات عن أهل العراق خبالها

لما ولى سليمان بن عبد الملك كتب الى عامله بالاردن اجمع يدى عديّ بن الرقاع الى عنقه وابعث به الىّ على قتب بلاوطاء . ووكل به من ينخس به ففعل ذلك . فلما انتهى الى سليمان ابن عبد الملك أتى بين يديه القاه لا روح فيه . فتركه حتي ارتد اليه روحه . ثم قال : له أنت أهل لما نزل بك ألست القائل فى الوليد :

معاذ ربى أن تبقي وتفقده * وأن نكون لراع بعده تبعا

قال لا والله يا أمير المؤمنين ماهكذا قلت وانما قلت :

معاذ ربي أن نبقي ونفقدهم * وان نكون لراع بعدهم تبعا

فنظر اليه سليمان واستضحك . فامر له بصلة وخلى سبيله . العتبي قال : كان بين شريك القاضى والربيع حاجب المهدى معارضه . فكان الربيع يحمل عليه المهدى . فلا يلتفت اليه حتى رأى المهدي فى منامه شريكا القاضى مصروفا وجهه عنه . فلما استيقظ من نومه دعا الربيع وقص عليه رؤياه . فقال يا أمير المؤمنين : ان شريكا مخالف لك وانه فاطمي محض . قال المهدى :

علي به . فلما دخل عليه قال له ياشريك بلغني أنك فاطمي . قال له شريك : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون غير فاطمي الا أن تعني فاطمة بنت كسرى . قال : ولكني أعني فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم . قال : افتلعنها يا أمير المؤمنين . قال : معاذ الله . قال : فماذا تقول فيمن يلعنها . قال : عليه لعنة الله . قال : فالعن هذا يعني الربيع فانه يلعنها فعليه لعنة الله . قال الربيع : لا والله يا امير المؤمنين ما ألعنها . قال له شريك : ياماجن فما ذكرك لسيدة نساء العالمين وابنة سيد المرسلين في مجالس الرجال . قال المهدى : دعني من هذا فاني رأيتك في منامي كان وجهك مصروف عني وقفاك الى . وما ذلك الا بخلافك على . ورأيت في منامي كاني أقتل زنديقا . قال شريك : ان رؤياك يا أمير المؤمنين ليست برؤيا يوسف الصديق صلوات الله على محمد وعليه . وان الدماء لا تستحل بالاحلام . وان علامة الزندقة بينة . قال : وماهي . قال : شرب الخمر والرشا في الحكم ومهر البغي . قال : صدقت والله أبا عبد الله أنت والله خير من الذي حملني عليك . ودخل شريك القاضي علي المهدى . فقال له الربيع خنت مال الله ومال أمير المؤمنين . قال : لو كان ذلك لاتاك سهمك . العتبي قال : دخل جامع المحاربي على الحجاج وكان جامع شيخا صالحا خطيبا لبيبا جريا على السلطان . وهو الذي قال للحجاج اذ بنى مدينة واسط بنيتها في غير بلدك ، وتورثها غير ولدك ، فجعل الحجاج يشكو سوء طاعة أهل العراق وقبح مذهبهم . فقال له جامع أما انه لو أحبوك لاطاعوك ، على انهم ماشنؤك لنسبك ولا لبلدك ، ولا لذات نفسك ، فدع عنك مايبعدهم منك ، الى مايقربهم اليك ، والتمس العافية ممن دونك ، تعطها ممن فوقك ، وليكن ايقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك . قال الحجاج ماأرى أن اردبني اللكيعة الى طاعتي الا بالسيف . قال ايها الامير ان السيف اذا لاقي السيف ذهب الخيار . قال : الخيار يومئذ لله . قال : أجل ولكنك لاتدرى لمن يجعله الله . فغضب وقال ياهناه انك من محارب فقال جامع :

وللحرب سمينا وكنا محاربا * اذا ما القنا أمسى من الطعن احمرا

فقال الحجاج والله لقد هممت بان أخلع لسانك فاضرب به وجهك . قال جامع : ان صدقناك اغضبناك ، وان غششناك أغضبنا الله ، فغضب الامير أهون علينا من غضب الله . قال : اجل وسكن وشغل الحجاج ببعض الامر فانسل جامع . فمر بين الصفوف من اهل الشام حتي جاوزها الى صفوف العراق . فابصر كبكبة فيها جماعة من بكر العراق . وقيس العراق : وتميم العراق .

وأزد العراق . فلما رأوه أشرابوا اليه . وقالوا الله ماعندك دفع الله عنك . قال : ويحكم عموه بالخلع كما يعمكم بالعداوة ، ودعوا التعادى ما عاداكم ، فاذا ظفرتم تراجعتم وتعافيتم ، أيها التميمي هو أعدى لك من الازدى ، وأيها القيسي هو أعدى لك من التغلبي . وهل ظفر بمن ناواه منكم الا بمن بقي معه منكم وهرب جامع من فوره ذلك الى الشام واستجار بزفر بن الحرث فاجاره . العتبي قال : كان هرون الرشيد يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم وكان مسلم ابن الوليد صريع الغواني قد رمى عنده بالتشيع . فامر بطلبه فهرب منه ثم أمر بطلب أنس بن أبي شيخ كاتب البرامكة . فهرب منه . ثم وجد هو ومسلم بن الوليد عند قينة ببغداد . فلما أتي بهما قيل له يا أمير المؤمنين قد أتي بالرجلين . قال : أي الرجلين قيل أنس بن أبي شيخ ومسلم بن الوليد . فقال : الحمد لله الذى أظفرني بهما يا غلام أحضرهما . فلما دخلا عليه نظر الى مسلم وقد تغير لونه فرق له . وقال ايه يا مسلم أنت القائل :

أنس الهوى ببني علي في الحشا * وأراه يطمح عن بني العباس

قال بل أنا الذى أقول يا أمير المؤمنين :

أنس الهوى ببني العمومة في الحشا * مستوحشا من سائر الايناس
واذا تكاملت الفضائل كنتم * أولى بذلك يا بني العباس *

قال فعجب هرون من سرعة بديهته . وقال له بعض جلسائه استبقه يا أمير المؤمنين فانه من أشعر الناس وامتحنه فسترى عنه عجبا . فقال له قل شيئا في أنس . فقال يا أمير المؤمنين أفرخ روعتي أفرخ الله روعك يوم الحاجة الى ذلك فاني لم أدخل على خليفة قط ثم أنشأ يقول :

تلمظ السيف من شوق الى أنس * فالموت يلحظ والاقدار تنتظر
* فليس يبلغ منه مايؤمله * حتي يؤامر فيه رأيك القدر
أمطى من الموت يعفو عند قدرته * وليس للموت عفو حين يقتدر

قال : فاجلسه هرون وراء ظهره لئلا يري ماهم به حتي اذا فرغ من قتل أنس . قال له : أنشدني أشعر شعرلك . فكلما فرغ من قصيدة . قال : لا التي تقول فيها الوحل فاني رويتها وأنا صغير فانشده شعره الذى أوله :

أديرا على الراح لاتشربا قبلي * ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي

حتى انتهى الى قوله :

اذا ماعلت منا ذؤابة شارب * تمشت بنا مشي المقيد في الوحل

فضحك هرون وقال عليك أما رضيت أن قيدته حتى يمشي في الوحل . ثم أمر له بجائزة وخلي سبيله ، قال كسري : ليوسف المعني وقد قتل الفلنهد تلميذه كنت أستريح منك اليه ، ومنه اليك ، فاذهب حسدك ، ونغل صدرك ، شطر تمتعي وأمر أن يطرح تحت أرجل الفيلة . فقال أيها الملك : اذا كنت أنا قد أذهبت شطر تمتعك وأذهبت أنت الشطر الآخر أليس جنايتك على نفسك مثل جنايتي عليك . قال كسري : دعوه . فما دله على هذا الكلام الا ما جعل له من طول المدة . يعقوب بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس قال : دخلت يوما على الرشيد أمير المؤمنين وهو متغيظ متربد . فندمت على دخولي عليه وقد كنت أفهم غضبه في وجهه . فسلمت فلم يرد . فقلت داهية ناد . ثم أومأ الى فجلست . فالتفت الى وقال لله عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فلقد نطق بالحكمة حيث يقول :

يا أيها الزاجرى عن شيمتى سفها * عمدا عصيت مقام الزاجر الناهي
أقصر فانك من قوم أرومتهم * في اللؤم فافخر بهم ماشئت أو باهي
يز بن الشعر أفواها اذا نطقت * بالشعر يوما وقد يزرى بافواه
قد يرزق المرء لا من فضل حيلته * ويصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهي
لقد عجبت لقوم لا أصول لهم * أثروا ولبسوا وان أثروا باشباه
مانالني مني غني يوما ولا عدم * الا وقولى عليه الحمد لله *

فقلت يا أمير المؤمنين ومن ذا الذى بلغت عليه المقدرة أن يسامى مثلك او يدانيه . قال : لعله من بنى أبيك وأمك . كان الكميت بن يزيد يمدح بني هاشم ويعرض ببني أمية : فطلبه هشام فهرب منه عشرين سنة لا يستقر به القرار من خوف هشام . وكان مسلمة بن عبد الملك له على هشام حاجة في كل يوم يقضيها له ولا يرده فيها . فلما خرج مسلمة بن عبد الملك يوما الى بعض صيوده اتي الناس يسلمون عليه وأتاه الكميت بن يزيد فيمن اتي فقال السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته اما بعد :

قف بالديار وقوف زائر * وتأن انك غير صاغر
حتى انتهي الى قوله يامسلم بن ابي الوليـ * ـد لميت ان شئت ناشر
علقت حبالى من حبا * لك ذمة الجار المجاور
فالآن صرت الى أمية والامور الى المصائر

والآن كنت به المصيب * ـب كمهتد بالامس حائر

فقال مسلمة سبحان الله من هذا الهندكى الجلحاب الذى أقبل من اخريات الناس فبدأ بالسلام ثم أما بعد ثم الشعر . قيل له هذا الكميت بن يزيد . فاعجب به لفصاحته وبلاغته فسأله مسلمة عن خبره وما كان فيه طول غيبته . فذكر له سخط أمير المؤمنين عليه . فضمن له مسلمة أمانه وتوجه به حتى أدخله على هشام وهشام لا يعرفه . فقال الكميت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الحمد لله . قال هشام : نعم الحمد لله ما هذا قال : الكميت مبتديء الحمد ومبتدعه ، الذي خص بالحمد نفسه ، وأمر به ملائكته ، وجعله فاتحة كتابه ، ومنتهى شكره ، وكلام أهل جنته ، أحمده حمد من علم يقينا ، وأبصر مستبينا ، وأشهد له بما شهد به لنفسه قائما بالقسط ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده العربى ، ورسوله الامى ، أرسله والناس فى هفوات حيرة ، ومدلهمات ظلمة ، عند استمرار أبهة الضلال ، فبلغ عن الله ما أمر به ، ونصح لامته ، وجاهد فى سبيله ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وسلم . ثم انى يا أمير المؤمنين تهت فى حيرة ، وحرت فى سكرة ، ادلام بي خطرها ، وأهب بى داعيها ، واجابنى غاويها ، فاقطوطيت الى الضلالة ، وتسكعت فى الظلمة والجهالة ، حائرا عن الحق ، قائلا بغير صدق ، فهذا مقام العائذ ، ومنطق التائب ، ومبصر الهدى بعد طول العمى ، يا أمير المؤمنين كم من عاثر أقلتم عثرته ، ومجترم عفوتم عن جرمه . فقال له هشام : وأيقن أنه الكميت ويحك من سن لك الغواية ، وأهب بك فى العماية . قال : الذى أخرج أبى آدم من الجنة فنسى ولم يجد له عزما ، وأمير المؤمنين كريح رحمة أثارت سحابا متفرقا فلفقت بعضه الى بعض حتى التحم فاستحكم هدار رعده ، وتلألؤ برقه ، فنزل الارض فرويت واخضلت واخضرت وأسقت فروى ظمآنها ، وامتلأ عطشانها ، فكذلك نعدك أنت يا أمير المؤمنين أضاء الله بك الظلمة الداجية بعد العموس فيها ، وحقن بك دماء قوم أشعر خوفك قلوبهم فهم يبكون لما يعلمون من حزمك وبصيرتك ، وقد علموا أنك الحرب وابن الحرب اذا احمرت الحدق ، وعضت المغافير بالهام ، عزباسك ، واستربط جاشك ، مسعار هتان ، وكاف بصير بالاعداء مغرى ، الخل بالنكراء مستغن برأيه عن رأى ذوى الالباب برأى أريب ، وحلم مصيب ، فاطال الله لامير المؤمنين البقاء ، وتمم عليه النعماء ، ودفع به الاعداء فرضى عنه هشام وأمر له بجائزة . العتبى قال : لما أتى بابن هبيرة الى خالد بن عبد الله القسرى وهو والى العراق أتى به مغلولا مقيدا فى مدرعة فلما صار بين يدى خالد ألقته الرجال الى

الارض . فقال أيها الامير : ان القوم الذين أنعموا عليك بهذه النعمة قد أنعموا بها على من قبلك ، فانشدك الله أن تستن فى بسنة يستن بها فيك من بعدك ، فامر به الى الحبس فامر ابن هبيرة غلمانه فحفروا له تحت الارض سردابا حتى خرج الحفر تحت سريره . ثم خرج منه ليلا وقد أعدت له أفراس يداولها حتى أتى مسلمة بن عبد الملك . فاستجار به فاجاره واستوهبه مسلمة بن عبد الملك فوهبه اياه . فلما قدم خالد بن عبد الله القسرى على هشام وجد عنده ابن هبيرة . فقال له اباق العبد أبقت . قال له حين نمت نومة الامة فقال الفرزدق فى ذلك :

لما رأيت الارض قد سد ظهرها * فلم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذي ناداه يونس بعدما * ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا
فاصبحت تحت الارض قد سرت ليلة * وماسار سار مثلها حين أدلجا
خرجت ولم تمنن عليك طلاقة سوى * حثك التقريب من آل أعوجا

ودخل الناس على ابن هبيرة بعدما أمنه هشام بن عبد الملك يهنونه ويحمدون له رأيه . فقال متمثلا :

من يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

ثم قال لهم ما كان قولكم لو عرض لى أو أدركت فى طريقى . ومثل هذا قول القطامى :

والناس من يلق خيرا قائلون له * مايشتهي ولام المخطىء الهبل

عبد الله بن سوار قال : قال لى الربيع الحاجب أتحب أن تسمع حديث ابن هبيرة مع مسلمة . قلت نعم قال فارسل لخصى كان لمسلمة يقوم على وضوئه فجاءه فقال حدثنا حديث ابن هبيرة مع مسلمة . قال : كان مسلمة بن عبد الملك يقوم من الليل فيتوضا ويتنفل حتى يصبح فيدخل على أمير المؤمنين فانى لأصب الماء على يديه من آخر الليل وهو يتوضا اذ صاح صائح من وراء الرواق انا بالله وبالامير . فقال مسلمة صوت ابن هبيرة اخرج اليه فخرجت اليه ورجعت فاخبرته . فقال أدخله فدخل فاذا رجل يميد نعاسا . فقال : أنا بالله وبالامير . قال : أنا بالله وأنت بالله . ثم قال انا بالله وبالامير قال انا بالله وانت بالله حتى قالها ثلاثا ثم قال انا بالله فسكت عنه ثم قال لى : انطلق به فوضئه وليصل : ثم اعرض عليه احب الطعام اليه فاته به وافرش له فى تلك الصفة لصفة بين يدى بيوت النساء : ولا توقظه حتى يقوم متى قام : فانطلقت به فتوضا وصلى وعرضت عليه الطعام . فقال : شربة سويق فشرب وفرشت له فنام وجئت الى مسلمة فاعلمته فغدا الى هشام فجلس عنده حتى اذا حان قيامه . قال : ياأمير المؤمنين لى حاجة : قال قضيت

الآن تكون في ابن هبيرة . قال : رضيت يا أمير المؤمنين . ثم قام منصرفا حتى اذا كاد أن يخرج من الايوان رجع فقال يا أمير المؤمنين ما عودتني أن تستثني في حاجة من حوائجي واني أكره ان يتحدث الناس انك أحدثت على الاستثناء . قال : لا أستثني عليك . قال فهو ابن هبيرة فعفا عنه

١١ — فضيلة العفو والترغيب — كان للمامون خادم وهو صاحب وضوئه فبينما هو يصب الماء على يديه اذ سقط الاناء من يده فاغتاظ المامون عليه . فقال : يا أمير المؤمنين ان الله يقول والكاظمين الغيظ . قال : قد كظمت غيظي عنك . قال : والعافين عن الناس . قال : قد عفوت عنك . قال : والله يحب المحسنين . قال : اذهب فانت حر . أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل . فقال : له رجاء بن حيوة يا أمير المؤمنين ان الله قد فعل ما تحب من الظفر فافعل ما يحب من العفو . الاصمعي قال : عزم عبد الله بن علي على قتل بني أمية بالحجاز . فقال له عبد الله بن حسين بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم اذا اسرعت بالقتل في أكفائك ، فمن تباهي بسلطانك ، فاعف يعف الله عنك . دخل ابن خريم على المهدي وقد عتب على بعض أهل الشام وأراد أن يغزوهم جيشا . فقال يا أمير المؤمنين عليك بالعفو عن المذنب ، والتجاوز عن المسيء ، فلأن تطيعك العرب طاعة محبة ، خير لك من أن تطيعك طاعة خوف . أمر المهدي بضرب عنق رجل . فقام اليه ابن السماك . فقال ان هذا الرجل لا يجب عليه ضرب العنق . قال : فما يجب عليه . قال : تعفو عنه فان كان من أجر كان لك دوني وان كان من وزر كان على دونك فخلى سبيله . كلم الشعبي ابن هبيرة في قوم حبسهم . فقال ان كنت حبستهم بباطل فالحق يطلقهم ، وان كنت حبستهم بحق فالعفو يسعهم . العتبي قال : وقعت دماء بين حيين من قريش فاقبل أبو سفيان فما بقي أحد واضع رأسه الا رفعه . فقال : يامعشر قريش هل لكم في الحق أو فيما هو أفضل من الحق . قالوا وهل شيء أفضل من الحق . قال نعم : العفو فتهادر القوم واصطلحوا . وقال عدي بن أبي طلحة ليزيد بن عاتكة ما ظلم أحد ظلمك ولا نصر نصرك فهل لك في ثالثة نقولها . قال وما هي . قال: ولا عفا عفوك . وقال المبارك بن فضالة كنت عند أبي جعفر جالسا في السماط اذ أمر برجل ان يقتل . فقلت يا أمير المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا كان يوم القيامة نادى مناد بين يدي الله ألا من كانت له عند الله يد فليتقدم فلا يتقدم الا من عفا عن مذنب » فامر باطلاقه . وقال الاحنف بن قيس أحق الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أقرب ما يكون العبد من غضب الله اذا

غضب» وتقول العرب فى أمثالها ملكت فاسجح ، وارحم ترحم ، وكما تدين تدان ، ومن بر يوما بر به

١٢ — بعد الهمة وشرف النفس — دخل نافع بن جبير بن مطعم على الوليد. وعليه كساء غليظ وخفان حسيان . فسلم وجلس فلم يعرفه الوليد . فقال لخادم بين يديه سل هذا الشيخ من هو فساله . فقال له اعزب فعاد الى الوليد فاخبره . فقال عد اليه واساله فعاد اليه . فقال له مثل ذلك فضحك الوليد . وقال له من أنت . قال : نافع بن جبير بن مطعم . وقال زياد بن ظبيان لابنه عبيد الله الا أوصي بك الامير زيادا . قال: يا أبت اذا لم يكن للحي الاوصية الميت فالحي هو الميت . وقال معاوية لعمرو بن سعيد : الى من أوصى بك أبوك . قال ان أبي أوصى الى ولم يوص بي . قال وبما أوصى اليك . قال ان لا يفقد اخوانه منه الا وجهه . وقال مالك بن مسمع لعبيد الله بن ظبيان : مافى كنانتي سهم أنا به أوثق مني بك . قال واني لفي كنانتك أما والله لئن كنت فيها قائما لاطولنها ولئن كنت فيها قاعدا لاخرقنها . قال كثر الله مثلك فى العشيرة . قال لقد سالت الله شططا . وقال يزيد بن المهلب : ما رأيت أشرف نفسا من الفرزدق هجاني ملكا ومدحني سوقة . وقدم عبيد الله بن ظبيان على عتاب بن ورقاء الرياحى: وهو والى خراسان فاعطاه عشرين الفا . فقال له والله ما أحسنت فاحمدك ، ولا أسات فالومك ، وانك لاقرب البعداء ، وأحب البغضاء ، وعبيد الله بن ظبيان هذا هو القائل والله ماندمت على شيء قط ندمي على عبد الله بن مروان اذ أتيته برأس مصعب بن الزبير فخر لله ساجدا أن لا أكون قد ضربت عنقه . فاكون قد قتلت ملكين من ملوك العرب فى يوم واحد . ومن أشرف الناس همة عقيل بن علفة المرى وكان اعرابيا يسكن البادية . وكان تصهر اليه الخلفاء . وخطب اليه عبد الملك بن مروان ابنته لاحد أولاده . فقال له جنبني هجناء ولدك . وقال عمر بن عبد العزيز : لرجل من بني أمية كان له اخوال فى بني مرة قبح الله شبها غلب عليك من بني مرة . فبلغ ذلك عقيل بن علفة . فاقبل اليه فقال له قبل أن يبتدئه بالسلام بلغني يا أمير المؤمنين انك غضبت على رجل من بنى عمك له أخوال فى بني مرة . فقلت قبح الله شبها غلب عليك من بني مرة . وأنا أقول قبح الله الام الطرفين . ثم انصرف . فقال عمر بن عبد العزيز : من رأى أعجب من هذا الشيخ الذى أقبل من البادية ليست له حاجة الا شتمنا . ثم انصرف . فقال له رجل من بني مرة والله يا أمير المؤمنين ما شتمك وما شتم الا نفسه نحن والله ألام الطرفين . ابو حاتم السجستانى عن محمد بن العتبي ابن عبد الله قال . سمعت أبي يحدث عن أبي عمرو المري قال : كان بنو عقيل بن علفة بن

مرة بن غطفان بثنا قلون و ينتجعون الغيث . فسمع عقيل بن علفة بنتاله ضحكت . فشهقت في آخر ضحكها . فاخترط السيف وحمل عليها وهو يقول :

فرقت اني رجل فروق * بضحكة آخرها شهيق

وقال عقيل   انى وان سيق الى المهر * ألف وعبدان وذود عشر

* أحب أصهارى الى القبر *

وقال الاصمعى كان عقيل بن علفة المرى رجلا غيورا . وكان يصهر اليه الخلفاء واذا خرج يمتار خرج بابنته الجربا معه . قال فنزلوا ديرا من أديار الشام يقال له دير سعد . فلما ارتحلوا قال عقيل :   قضت وطرا من دير سعد وربما * علا عرض منها بدير الجماجم

ثم قال لابنه يا عملس أجز . فقال :

* فاصبحن بالموماة يحملن فتية * نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته يا جربا أجيزى . فقالت :

كان الكرا أسقاهم صرخدية * عقارا تمشي فى المطا والقوائم

قال وما يدريك أنت نعت الخمر . فاخذ السيف وهوى نحوها . فاستعانت باخيها عملس . فحال بينه وبينها . قال فاراد أن يضربه . قال فرماه بسهم فاختل فخذيه فبرك . ومضوا وتركوه حتى اذا بلغوا أدنى ماء للاعراب . قالوا لهم انا أسقطنا جزورا فادركوها وخذوا معكم الماء . ففعلوا فاذا عقيل بارك وهو يقول

ان بني زملوني بالدم * شنشنة أعرفها من أخزم * من يلق أبطال الرجال يكلم

والشنشنة الطبيعه . وأخزم فحل معروف . وهذا مثل للعرب . ومن أعز الناس نفسا وأشرفهم همما الانصار . وهم الاوس والخزرج ابنا قيلة لم يؤدوا أتاوة قط فى الجاهلية الى أحد من الملوك . وكتب اليهم تبع يدعوهم الى طاعته ويتوعدهم ان لم يفعلوا . فكتبوا اليه

العبد تبعكم يروم قتالنا * ومكانه بالمنزل المتذلل

انا أناس لا ننام بارضنا * عض الرسول بظر أم المرسل

فغزاهم تبع أبو كرب . فكانوا يقاتلونه نهارا ويخرجون اليه القرى ليلا . فتذمم من قتالهم ورحل عنهم . ودخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك . فقال له من أنت وتجهم له كانه لا يعرفه . فقال له : الفرزدق وما تعرفنى يا أمير المؤمنين . قال لا . قال أنا من قوم منهم أوفى

العرب ، وأسود العرب ، وأجود العرب ، وأحلم العرب ، وأفرس العرب ، وأشعر العرب ، قال والله لتبينن ما قلت أو لاوجعن ظهرك . ولاهدمن دارك ، قال نعم يا أمير المؤمنين . أما أوفى العرب فحاجب بن زرارة الذى رهن قوسه عن جميع العرب فوفى بها . وأما أسود العرب فقيس بن عاصم الذى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبسط له رداءه وقال هذا سيد الوبر . وأما أحلم العرب فعتاب بن ورقاء الرياحى . وأما أفرس العرب فالحريش ابن عبد الله السعدى . وأما أشعر العرب فها أناذا بين يديك يا أمير المؤمنين . فاغتم سليمان مما سمع من فخره ولم ينكره . وقال ارجع على عقبيك . فمالك عندنا شيء من خير . فرجع الفرزدق وقال :

أتيناك لا من حاجة عرضت لنا * اليك ولا من قلة فى مجاشع

وقال الفرزدق فى الفخر :

بنو دارم قومى ترى حجزاتهم * عتاقا حواشيها رقاقا نعالها
يجرون هداب اليمان كأنهم * سيوف جلا الا طباع عنها صقالها

وقال الاحوص فى الفخر وهو أفخر بيت قالته العرب :

مامن مصيبة نكبة أرمى بها * الاتشرفني وترفع شاني
واذا سالت عن الكرام وجدتني * كالشمس لاتخفى بكل مكاني

وقال أبو عبيدة اجتمعت وفود العرب عند النعمان بن المنذر . فاخرج اليهم بردى محرق . وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليلبسهما . فقام عامر بن احيمر السعدى فاتزر باحدهما وارتدى بالآخر . فقال النعمان بم أنت اعز العرب . قال العز والعدد من العرب فى معد . ثم فى نزار . ثم فى تميم . ثم في سعد . ثم فى كعب . ثم فى عوف . ثم فى بهدل . فمن أنكر هذا من العرب فلينافرنى فسكت الناس ثم . قال النعمان : هذه حالك فى قومك . فكيف انت فى نفسك واهل بيتك . قال انا ابو عشرة . وخال عشرة . وعم عشرة . واما انا فى نفسي فهذا شاهدى ثم وضع قدمه فى الارض ثم قال من ازالها عن مكانها . فله مائة من الابل فلم يقم اليه احد . فذهب بالبردين ففيه يقول الفرزدق

فما ثم فى سعد ولا آل مالك * غلام اذا ماقيل لم يتبهدل
لهم وهب النعمان بردى محرق * بمجد معد والعديد المحصل

وفى أهل هذا البيت من سعد بن زيد مناة كانت الافاضة فى الجاهلية . ومنهم بنو صفوان الذى يقول فيهم أوس بن مغراء السعدي :

ولا يريمون فى التعريف موقفهم * حتي يقال أجيزوا آل صفوانا
ماتطلع الشمس الا عند أولنا * ولا تغيب الا عند أخرانا

وقال الفرزدق فى مثل هذا المعني :

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا * وان نحن أومأنا الى الناس أوقفوا

وكانت هند بنت صعصعة هي عمة الفرزدق تقول : من جاءت من نساء العرب باربعة كاربعتي يحل لها أن تضع عندهم خمارها فصرمتي لها . أبى صعصعة . وأخى غالب . وخالى الاقرع بن حابس . وزوجى الزبرقان بن بدر . فسميت ذات الخمار . وممن شرفت نفسه ، وبعدت همته ، طاهر بن الحسين الخرساني . وذلك أنه لما قتل محمد بن زبيدة وخاف المامون أن يغدر به امتنع عليه بخراسان ولم يظهر خلعه . وقال :

أيسومني المامون خطة عاجز * أوما رأي بالامس رأس محمد
يوفى على رأس الخلائق مثل ما * توفى الجبال على رؤس الفدفد
اني من القوم الذي هم هم * قتلوا أخاك وأقعدوك بمرصد

وهو القائل :

غضبت على الدنيا فانهبت ماحوت * وأعقبتها مني باحدى المتالف
قتلت أمير المؤمنين وانما * بقيت فناء بعده للخلائف
وقد بقيت فى أم رأسى فتكة * فاما لرشد أو لرأى مخالف

فاجابه محمد بن يزيد بن مسلمة :

عتبت على الدنيا فلا كنت راضيا * فلا أعقبت الا باحدى المتالف
فمن انت أوما أنت يافقع فرقد * اذا أبت منا لم تعلق بكاتف
ستعلم ماتجنى عليك وما جنت * يداك فلا تفخر بقتل الخلائف

وهو القائل :

مدمن الاغضاء موصول * ومديم العتب مملول
ومدين البيض فى تعب * وغريم البيض ممطول
وأخو الوجهين حيث رمي * بهواه فهو مدخول
اقصرى عما طمحت به * ففراغى عنك مشغول

سائلي عمن تسائلني * قد يرد الخير مسؤل
أنا من تعرف نسبته * سلفي الغر البهاليل
سل بهم تنبيك نجدتهم * مشرفيات مصاقيل
كل عضب مشرب علقا * وغرار الحد مفلول
مصعب جدي نقيب بني * هاشم والامر مخبول
وحسين رأس دعوتهم * بعده والحق مقبول
وأبي من لاكفاء له * من يسامي مجده قولوا
صاحب الرأى الذي حصلت * رأيه القوم المحاصيل
حل منهم بالذرا شرفا * دونه عز وتبجيل
تفصح الانباء عنه اذا * أسكت الانباء مجهول
سل بني الجبار يوم غدا * حوله الجرد الابابيل
اذ علت مفرقه يده * نوطها أبيض مصقول
أبطن المخلوع كلكله * وحواليه المقاويل
فثوى والترب مصرعه * غال عنه ملكه غول
قاد جيشا نحو بابله * ضاق عنه العرض والطول
وهبوا لله أنفسهم * لا معازيل ولا ميل
ملك تحتاج صولته * ونداء الدهر مبذول
نزعت منه تمائمه * وهو مرهوب ومأمول
وتره يسعى اليه به * ودم يجنيه مطلول
وبدت يوم الوداع لنا * غادة كالشمس عطبول
* ثم ولت لتودعنا * كحلها بالدمع مغسول
* ايها البادى ببطنته * لا غاليطك تحصيل

فاجابه محمد بن يزيد بن مسلمة وكان من اصحابه وآثرهم عنده . ثم اعتذر اليه وزعم أنه لم يدعه الى اجابته الا قوله * من يسامي مجده قولوا * فامر له بمائة الف وزاده أثرة ومنزلة :

لا يرعك القال والقيل * كل ماحملت تحميل

ماهوى لى كنت أعرفه * بهوى غيرك موصول
يخون العهد ذوثقة * لايخون العهد متبول
حملتنى كل لائمة * كل ماحملت محمول
واحكى ماشئت راحتكي * فحرامى لك تحليل
أين لى عنك الى بدل * لابديل منك مقبول
ما لدارى منك مقفرة * وضميرى منك ماهول
تتعاطى شد مئزرها * ونطاق الخصر محلول
شملنا اذ ذاك مجتمع * وجناح البين مشكول
قد تاولت على جهة * ولنا ويحك تاويل
ان دليلك يوم غدا * بك فى الحين لضليل
قاتل المخلوع مقتول * ودم القاتل مطلول
قد يخون الرمح حامله * وسنان الرمح مصقول
وينال الوتر طالبه * بعد ماتشلو المثاكيل
ياأخا المخلوع طلت يدا * لم يكن فى باعها طول
وبنعماه الذى كفرت * جالت الخيل الا بابيل
وبراع غيرذى شفق * فعلت تلك الافاعيل
يا ابن بنت النار موقدها * ماالحاذيه سراويل
من حسين أبوه من * مصعب غالتهم غول
ان خير القول أصدقه * حين تصطك الاقاويل

ابوجعفر البغدادي قال : لما انقبض طاهر بن الحسين بخراسان عن المامون وأخذ حذرهٔ ادب له المامون وصيفا باحسن الآداب وعلمه فنون العلم : ثم اهداه اليه مع الطاف كثيرة : من طرائف العراق . وقد واطاه على ان يسمه واعطاه سم ساعة : ووعدهٔ علي ذلك باموال كثيرة : فلما انتهى الى خراسان واوصل طاهر الهدية قبل الهدية : وامر بانزال الوصيف فى دار واجري عليه مايحتاج اليه من التوسعة في النزالة و تركه اشهرا : فلما برم الوصيف بمكانه كتب اليه ياسيدي ان كنت تقبلني فاقبلني والا فردني الي امير المؤمنين : فارسل اليه واوصله الى نفسه : فلما انتهى الي باب المجلس

الذى كان فيه أمره بالوقوف عنـد باب المجلس . وقد جلس على لبـد أبيض وقرع رأسه . وبين يديه مصحف منشور وسيف مسلول . فقال قد قبلنا ما بعث به أمير المؤمنين غيرك فانا لا نقبلك . وقد صرفناك الى امير المؤمنين وليس عندى جواب أكتبه الا ماترى من حالى . فابلغ أمير المؤمنين السلام وأعلمه بالحال التى رأيتني فيها . فلما قدم الوصف على المامون وكلمه ما كان من أمره ووصف له الحالة التى رآه فيها شاور وزراءه فى ذلك وسالهم عن معناه . فلم يعلمه واحد منهم . فقال المامون : لكني قد فهمت معناه : أما تقريعه رأسه وجلوسه على اللبد الابيض فهو يخبرنا انه عبد ذليل . وأما المصحف المنشور فانه يذكرنا بالعهود التى له علينا . وأما السيف المسلول ، فانه يقول : ان نكثت تلك العهود فهذا يحكم بيني وبينك أغلقوا عنا باب ذكره . ولا تهيجوه فى شيء مما هو فيه . فلم يهجه المامون حتي مات طاهر بن الحسين وقام عبد الله بن طاهر مكانه فكان أحكم الناس على المامون . وكتب طاهر بن الحسين الى المامون فى اطلاق ابن السندى من حبسه وكان عامله على مصر . فعزله عنها وحبسه . فاطلقه له وكتب اليه :

أخي أنت ومولاي * فما ترضاه أرضاه * وما تهوى من الامر
فانى انا اهواه * لك الله على ذاك * لك الله لك الله

١٣ — مراسلة بين الملوك — العتبي عن أبيه قال : أهدى ملك اليمن عشر جزائر الى مكة . وأمر أن ينحرها أعز قرشي فقدمت وأبو سفيان عروس بهند بنت عتبة ، فقالت له أيها الرجل لا يشغلنك النساء عن هذه المكرمة التي لعلها أن تفوتك . فقال لها يا هذه دعي زوجك وما يختار لنفسه . والله ما نحرها غيري الا نحرته . فكانت فى عقلها حتي خرج أبو سفيان فى اليوم السابع فنحرها . زهير عن أبى الجوية الجرمى قال . كتب قيصر الى معاوية أخبرنى عمن لا قبلة له وعمن لا أب له وعمن لا عشيرة له وعمن سار به قبره . وعن ثلاثة أشياء لم تخلق فى رحم . وعن شيء ونصف شيء ولا شيء . وابعث الى فى هذه القارورة . ببزر كل شيء . فبعث معاوية بالكتاب والقارورة الى ابن عباس . فقال اما من لا قبلة له فالكعبة . وأما من لا أب له فعيسى . وأما من لا عشيرة له فآدم . وأما من سار به قبره فيونس . وأما ثلاثة أشياء لم تخلق فى رحم فكبش ابراهيم . وناقة ثمود . وحية موسي . وأما شيء . فالرجل له عقل يعمل بعقله . وأما نصف شيء فالرجل ليس له عقل ويعمل برأى ذوي العقول : وأما لا شيء . فالذي ليس له عقل يعمل به ولا يستعين بعقل غيره : وملأ القارورة ماء : وقال هذا بزر كل شيء : فبعث به الى معاوية فبعث به

معاوية الى قيصر . فلما وصل اليه الكتاب والقارورة . قال ما خرج هذا الا من أهل بيت النبوة . نعيم بن حماد قال : بعث ملك الهند الى عمر بن عبد العزيز كتابا فيه من ملك الاملاك الذي هو ابن الف ملك . والذي تحته ابنة الف ملك والذي في مربطه الف فيل . والذي له نهران ينبتان العود والالوة والجوز والكافور الذي يوجد ريحه على مسيرة اثني عشر ميلا الى ملك العرب الذي لا يشرك بالله شيئا . أما بعد : فاني قد بعثت اليك بهدية وما هي بهدية ولكنها تحية قد أحببت أن تبعث الى رجلا يعلمني ويفهمني الاسلام والسلام يعني بالهدية الكتاب . الرياشي قال : لما هدم الوليد كنيسة دمشق كتب اليه ملك الروم انك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها . فان كان صوابا فقد أخطا أبوك وان كان خطا فما عذرك . فكتب اليه وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما . وكتب ملك الروم الى عبد الملك بن مروان أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة لاغزينك جنودا مائة الف ومائة الف . فكتب عبد الملك الى الحجاج أن يبعث الى علي بن الحسين ويتوعده ويكتب اليه بما يقول . ففعل فقال ان الله عز وجل لوحا محفوظا يلحظه كل يوم ثلثمائة لحظة ليس منها لحظة الا يحيي فيها ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء . واني لارجو أن يكفيتك منها بلحظة واحدة . فكتب به الحجاج الى عبد الملك بن مروان . وكتب به عبد الملك الى ملك الروم . فلما قرأه قال ما خرج هذا الا من كلام النبوة . بعث ملك الهند الى هرون الرشيد بسيوف قلعية . وكلاب سيورية . وثياب من ثياب الهند . فلما أتته الرسل بالهدية أمر الاتراك فصفوا صفين ولبسوا الحديد حتي لا يرى منهم الا الحدق وأذن للرسل فدخلوا عليه . فقال لهم ما جئتم به . قالوا هذه أشرف كسوة بلدنا . فامر هرون القطاع بان يقطع منها جلالا وبراقع كثيرة لخيله . فتصلب الرسل على وجوههم وتذمموا ونكسوا رؤسهم . ثم قال لهم ما عندكم غير هذا . قالوا له هذه سيوف قلعية لا نظير لها . فدعا هرون بالصمصامة سيف عمرو بن معد يكرب فقطعت السيوف بين يديه سيفا سيفا كما يقطع الفجل من غير أن تنثني له شفرة . ثم عرض عليهم حد السيف فاذا لا فل فيه . فصلب القوم على وجوههم . ثم قال لهم ما عندكم غير هذا . قالوا هذه كلاب سيورية لا يلقاها سبع الا عقرته . فقال لهم هرون فان عندي سبعا فان عقرته فهي كما ذكرتم . ثم أمر بالاسد فاخرج اليهم فلما نظروا اليه هالهم . وقالوا ليس عندنا مثل هذا السبع في بلدنا . قال لهم هرون هذه سباع بلدنا . قالوا فنرسلها عليه وكانت

ألا كلب ثلاثة . فارسلت عليه فمزقته . فاعجب بها هرون . وقال لهم تمنوا فى هذه الكلاب ماشئتم من طرائف بلدنا . قالوا ماتتمني الا السيف الذى قطعت به سيوفنا . قال لهم هذا لا يجوز فى ديننا أن نهاديكم بالسلاح . ولولا ذلك ما بخلنا به عليكم . ولكن تمنوا غير ذلك ماشئتم قالو ما نتمني الا به . قال لا سبيل اليه ثم أمر لهم بتحف كثيرة واحسن جائزتهم :

٦

كتاب الياقوتة فى العلم والادب

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى مخاطبة الملوك ومقاماتهم . وماتفننوا فيه من بديع حكمهم والتزلف اليهم بحسن التوصل ولطيف المعاني وبارع منطقهم واختلاف مذاهبهم . ونحن قائلون بحمد الله وتوفيقه في العلم والادب فانهما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا . وفرق ما بين الانسان وسائر الحيوان وما بين الطبيعة الملكية ، والطبيعة البهيمة وهو مادة العقل وسراج البدن ، ونور القلب وعماد الروح ، وقد جعل الله بلطيف قدرته ، وعظيم سلطانه ، بعض الاشياء عمد البعض ، ومتولدا من بعض . فاجالة الوهم فيما تدركه الحواس تبعث خواطر الذكر ، وخواطر الذكر تنبه روية الفكر . وروية الفكر تثير مكامن الارادة والارادة تحكم أسباب العمل : فكل شيء يقوم فى العقل ويمثل فى الوهم يكون ذكرا . ثم فكرا ثم ارادة ثم عملا ، والعقل متقبل للعلم لا يعمل فى غير ذلك شيا . والعلم علمان علم حمل وعلم استعمل . فما حمل منه ضر وما استعمل نفع والدليل على ان العقل انما يعمل فى تقبل العلوم كالبصر فى تقبل الالوان والسمع فى تقبل الاصوات وان العاقل اذا لم يعلم شيئا كان كمن لا عقل له والطفل الصغير لو لم تعرفه أدبا وتلقنه كتابا كان كابله البهائم وأضل الدواب . فان زعم زاعم فقال انا نجد عاقلا قليل العلم فهو يستعمل عقله فى قلة علمه فيكون أسدرأيا ، وأنبه فطنة ، وأحسن موارد ومصادر من الكثير العلم مع قلة العقل . فان حجتنا عليه ماقد ذكرناه من حمل العلم واستعماله فقليل العلم يستعمله العقل خير من كثيره يحفظه القلب قيل للمهلب بم ادركت ما أدركت . قال بالعلم قيل له فان غيرك قد علم أكثر مما علمت ولم يدرك ما ادركت ، قال ذلك علم حمل وهذا علم استعمل . وقد قالت الحكماء العلم قائد والعقل سائق والنفس ذود فان كان قائد بلا سائق

هلكت ، وان كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا ، واذا اجتمعا أنابت طوعا أو كرها

١ — فنون العلم — قال سهل بن هرون وهو عند المأمون من أصناف العلم مالا ينبغي للمسلمين أن ينظروا فيه . وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال . فقال المأمون قد يسمى بعض الناس الشيء علما وليس بعلم . فان كان هذا أردت فوجهه الذي ذكرت ولو قلت أيضا ان العلم لا يدرك غوره ، ولا يسبر قعره ، ولا تبلغ غايته ، ولا تستقصى أصوله ، ولا تنضبط أجزاؤه ، صدقت . فان كان الامر كذلك فابدأ بالاهم فالاهم ، والاوكد فالاوكد ، وبالفرض قبل النفل ، يكن ذلك عدلا قصدا ومذهبا جميلا . وقد قال بعض الحكماء لست أطلب العلم طمعا فى غايته ، والوقوف على نهايته ، ولكن التماس مالا يسع جهله . فهذا وجه لما ذكرت . وقال آخرون : علم الملوك النسب والخبر ، وعلم أصحاب الحروب درس كتب الايام والسير ، وعلم التجار الكتاب والحساب . فاما أن يسمي الشيء علما وينهى عنه من غير أن يسئل عما هو أنفع منه فلا . وقال محمد بن ادريس رضي الله عنه : العلم علمان علم الابدان . وعلم الاديان . وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة : من اراد ان يكون عالما فليطلب فنا واحدا . ومن أراد أن يكون أديبا فليتفنن في العلوم . وقال أبو يوسف القاضى : ثلاثة لا يسلمون من ثلاثة . من طلب النجوم لم يسلم من الزندقة . ومن طلب الكيمياء لم يسلم من الفقر . ومن طلب غرائب الحديث لم يسلم من الكذب . وقال ابن سيرين رحمه الله تعالى : العلم أكثر من أن يحاط به فخذوا من كل شيء أحسنه . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كفاك من علم الدين أن تعرف مالا يسع جهله . وكفاك من علم الادب أن تروى الشاهد والمثل . وقول الشاعر :

وما من كاتب الا ستبقي * كتابته وان فنيت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء * يسرك فى القيامة أن تراه

وقال الاصمعي : وصلت بالملح ونلت بالغريب . وقالوا : من أكثر من النحو حمقه ، ومن أكثر من الشعر بذله ، ومن أكثر من الفقه شرفه . وقال أبو نواس الحسن بن هانىء :

كم من حديث معجب عندى لكا * لو قد نبذت به اليك لسركا
مما تخيره الرواة مهذب * كالدر منتظما يسر المملكا
أتتبع العلماء أكتب عنهمو * كيما أحدث من لقيت فيضحكا

٢ — الحض على طلب العلم — قال النبي صلى الله عليه وسلم « لايزال الرجل عالما ماطلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل » وقال عليه الصلاة والسلام « الناس عالم ومتعلم وسائرهم همج » وعنه صلى الله عليه وسلم « ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب ولمداد ماجرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء فى سبيل الله » وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام : لف العلم حول عنقك ، واكتبه فى ألواح قلبك . وقال أيضا : اجعل العلم مالك ، والادب حليتك . وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه : قيمة كل انسان مايحسن . وقيل لابى عمرو بن العلاء : هل يحسن بالشيخ أن يتعلم . قال ان كان يحسن به أن يعيش فانه يحسن به أن يتعلم . وقال عروة بن الزبير رحمه الله تعالى : يابنى اطلبوا العلم فان تكونوا صغارا لايحتاج اليكم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين لايستغني عنكم . وقال ملك الهند لولده : وكان له أربعون ولدا يابنى أكثروا من النظر فى الكتب وازدادوا فى كل يوم حرفا . فان ثلاثة لايستوحشون فى غربة الفقيه العالم ، والبطل الشجاع ، والحلو اللسان الكثير مخارج الرأي . وقال المهلب لبنيه : اياكم أن تجلسوا فى الاسواق الا عند زراد أو وراق أراد الزراد للحرب والوراق للعلم . وقال الشاعر :

نعم الانيس اذا خلوت كتاب ❊ تلهو به ان خانك الاحباب
لامفشيا سرا اذا استودعته ❊ وتفاد منه حكمة وصواب

وقال : ولكل طالب لذة متنزه ❊ وألذ نزهة عالم فى كتبه

ومر رجل بعبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر وهو جالس فى المقبرة وبيده كتاب . فقال له : ماأجلسك ههنا قال انه لا أوعظ من قبر ولا أمتع من كتاب . وقال رؤبة بن العجاج : قال لى النسابة البكري يارؤبة لعلك من قوم ان سكت عنهم لم يسألونى ، وان حدثتهم لم يفهموني ، قلت انى أرجو أن لا أكون كذلك . قال فما آفة العلم ونكرته وهجنته . قلت تخبرني . قال آفته النسيان ، ونكرته الكذب ، وهجنته نشره عند غير أهله . وقال عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما : منهومان لايشبعان طالب علم وطالب دنيا . وقال : ذللت طالبا فعززت مطلوبا وقال رجل لابى هريرة : أريد أن أطلب العلم وأخاف أن اضيعه . قال كفاك بترك طلب العلم اضاعة له : وقال عبد الله بن مسعود : ان الرجل لايولد عالما وانما العلم بالتعلم . وأخذه الشاعر فقال :

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل

ولآخر:

تعلم فليس المرء يخلق عالما * وما عالم أمرا كمن هو جاهله

ولآخر:

ولم أر فرعا طال الا باصله * ولم أر بد والعلم الا تعلما

وقال آخر:

العلم يحيي قلوب الميتين كما * تحيا البلاد اذا ما مسها المطر
والعلم يجلو العمي عن قلب صاحبه * كما يجلى سواد الظلمة القمر

وقال بعض الحكماء: اقصد من أصناف العلم الى ماهو اشهي لنفسك، وأخف على قلبك، فان نفاذك فيه على حسب شهوتك له وسهولته عليك

٣ — فضيلة العلم — حدثنا أيوب بن سليمان بن عامر بن معاوية عن أحمد ابن عمران الاخفش عن الوليد بن صالح الهاشمي عن عبد الله بن عبد الرحمن الكوفي عن أبي مخنف عن كميل النخعي. قال: أخذ بيدى على بن أبي طالب كرم الله وجهه. فخرج بي الي ناحية الجبانة. فلما أصحر تنفس الصعداء. ثم قال: يا كميل ان هذه القلوب أوعية. فخيرها أوعاها فاحفظ عني ما أقول لك الناس ثلاثة، عالم رباني، ومتعلم عن سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق مع كل ريح يميلون، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا الى ركن وثيق، يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقه، والعلم يزكو بالانفاق، يا كميل محبة العلم دين يدان به، تكسب الطاعة فى حياته، وجميل الاحدوثة بعد وفاته، ومنفعة المال تزول بزواله والعلم حاكم، والمال محكوم عليه، يا كميل مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون مابقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم فى القلوب موجودة، هاان ههنا لعلما جما، وأشار بيده الى صدره، لو وجدت له حملة فلا أجد لقناغير مأمون، يستعمل الدين للدنيا، ويستظهر بحجج الله على أوليائه، وبنعم الله على كتابه، أو منقاد لحملة الحق ولا بصيرة له فى أحيائه، ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة الى هؤلاء ولا الى هؤلاء، ليس من رعاة الدين أقرب شبها بها الانعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللهم بلى لاتخلو الارض من قائم بحجة لله ظاهر، أو خائف مقهور، لئلا تبطل حجج الله وبيناته، وكم رأينا أولئك الاقلين عددا والاعظمين أجرا بهم يحفظ الله حججه،

حتى يودعوها نظائرهم ، و يزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الايمان حتى باشروا روح اليقين ، فاستلانوا مااستخشن المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بابدان أرواحها معلقة بالرفيق الاعلى ، يا كميل أولئك خلفاء الله فى أرضه ، والدعاة الى دينه ، هاهاه شوقا اليهم انصرف اذا شئت قيل للخليل بن أحمد : ايهما افضل العلم او المال : قال : العلم . قيل له : فما بال العلماء يزدحمون على ابواب الملوك . والملوك لا يزدحمون على أبواب العلماء . قال : ذلك لمعرفة العلماء بحق الملوك ، وجهل الملوك بحق العلماء . وقال النبي صلي الله عليه وسلم « فضل العلم خير من فضل العبادة » وقال عليه الصلاة والسلام « ان قليل العمل مع العلم كثير كما ان كثيره مع الجهل قليل » وقال عليه الصلاة والسلام « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين » وقال الاحنف بن قيس : كاد العلماء ان يكونوا اربابا وكل عز لم يكسب بعلم فالى ذل ما يصير . وقال الاسود الدؤلي : الملوك حكام على الدنيا والعلماء حكام على الملوك . وقال ابو قلابة : مثل العلماء في الارض مثل النجوم في السماء من تركها ضل ، ومن غابت عنه تحير . وقال سفيان بن عيينة : انما العالم مثل السراج من جاءه اقتبس من علمه ولا ينقصه شيئا كما لا ينقص القابس من نور السراج شيئاً . وفي بعض الاحاديث ان الله لا يقتل نفس التقي العالم جوعا . وقيل للحسن بن ابي الحسن البصري : بم صارت الحرفة مقرونة مع العلم ، والثروة مقرونة مع الجهل . فقال : ليس كما قلتم ولكن طلبتم قليلا في قليل فاعجزكم طلبتم المال وهو قليل في اهل العلم وهم قليل . ولو نظرتم الى من تحارف من اهل الجهل لوجدتموهم اكثر

٤ — ضبط العلم والتثبت فيه — قيل لمحمد بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما هذا العلم الذى بنت به عن العالم . قال : كنت اذا اخذت كتابا جعلته مزرعة . وقيل لمصقلة : ما اكثر شكك . قال محاماة عن اليقين : وسال شعبة ايوب السختياني عن حديث . فقال : اشك فيه . فقال : شكك احب الى من يقيني . وقال ايوب : ان من اصحابي من ارتجى بركة دعائه ولا اقبل حديثه . وقالت الحكماء : علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم . فاذا فعلت ذلك حفظت ما علمت وعلمت ماجهلت : وسال ابراهيم النخعي عامرا الشعبي عن مسئلة . فقال لا ادري : فقال هذا والله العلم سئل عما لا يدرى . فقال لا ادرى . وقال مالك بن انس : اذا ترك العالم

لاأدرى اصيبت مقاتله . وقال عبدالله بن عمرو بن العاص : من سئل عما لا يدرى . فقال لا أدرى فقد أحرز نصف العلم . وقالوا : العلم ثلاثة حديث مسند ، وآية محكمة ، ولا أدرى فجعلوا لا أدرى من العلم اذا كان صوابا من القول . وقال الخليل بن أحمد . انك لا تعرف خطأ معلمك حتى تجلس عند غيره . وكان الخليل قد غلبت عليه الاباضية حتى جالس أيوب . وقالوا : عواقب المكاره محمودة . وقالوا الخير كله فيما أكرهت النفوس عليه :

٥ — انتحال العلم — قال بعض لا ينبغى لاحد أن ينتحل العلم فان الله عز وجل يقول « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » وقال عز وجل « وفوق كل ذي علم عليم » وقد ذكر عن موسى بن عمران عليه السلام : أنه لما كلمه الله تعالى تكليما ودرس التوراة وحفظها حدثته نفسه أن الله لم يخلق خلقا أعلم منه . فهون الله اليه نفسه بالخضر عليه السلام . وقال مقاتل بن سليمان وقد دخلته أبهة العلم : سلونى عما تحت العرش الى أسفل من الثرى . فقام اليه رجل من القوم . فقال ما نسالك عما تحت العرش ولا أسفل الثرى ولكن نسالك عما كان فى الارض وذكره الله فى كتابه أخبرنى عن كلب أهل الكهف ما كان لونه فافحمه . وقال قتادة : ما سمعت شيئا قط ولا حفظت شيئا قط فنسيته . ثم قال يا غلام هات نعلى . فقال هما فى رجليك ففضحه الله . وأنشد أبو عمرو بن العلاء فى هذا المعني :

من تحلى بغير ما هو فيه ✻ فضحته شواهد الامتحان

وقال قتادة : حفظت ما لم يحفظ أحد . وأنسيت ما لم ينس أحد . حفظت القرآن فى سبعة أشهر . وقبضت على لحيتى وأنا أريد قطع ما تحت يدي فقطعت ما فوقها . ومر الشعبي بالسدى وهو يفسر القرآن . فقال : لو كان هذا الساعة نشوان يضرب على أسته بالطبل أما كان أحسن له . وقال بعض المنتحلين :

تجهلني قومى وفى عقد مئزري ✻ تمنون أمثالهم محكم العقل

وما عن لى من غامض العلم غامض ✻ مدى الدهر الا كنت منه على فهم

وقال عدى بن الرقاع

وعلمت حتى ما أسائل عالما ✻ عن حرف واحدة لكي أزدادها

٦ — شرائط العلم — وقالوا : لا يكون العالم عالما حتى تكون فيه ثلاث خصال لا يحتقر من دونه ، ولا يحسد من فوقه ، ولا ياخذ على العلم ثمنا . وقالوا : رأس العلم الخوف

لله وقيل للشعبي أفتني أيها العالم . فقال : انما العالم من اتقى الله . وقال الحسن : يكون الرجل عالما ولا يكون عابدا . ويكون عابدا ولا يكون عاقلا . وكان مسلم بن يسار عالما عابداً عاقلا . وقالوا : ما قرن شيء الى شيء أفضل من حلم الى علم . ومن عفو الى قدرة . وقالوا : من تمام آلة العلم أن يكون شديد الهيبة ، رزين المجلس ، وقوراً صموتاً بطيء الالتفات ، قليل الاشارات ، ساكن الحركات ، لا يصخب ولا يغضب ، ولا يبهر فى كلامه ، ولا يمسح عثنونه عند كلامه فى كل حين فان هذه كلها من آفات العي . وقال الشاعر :

ملى بنهر والتفات وسعلة * ومسحة عثنون وفتل الاصابع

ومدح خالد بن صفوان رجلا . فقال : كان بديع المنطق ، جزل الالفاظ ، عربي اللسان ، قليل الحركات ، حسن الاشارات ، حلو الشمائل ، كثير الطلاوة ، صموتاً وقوراً يهنأ الجرب ويداوي الدبر ، ويقد الحز ، ويطبق المفصل ، لم يكن بالزمر المروءة ، ولا الهذر المنطق ، متبوعا غير تابع ، كأنه علم فى رأسه نار . وقال عبد الله بن المبارك فى مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه :

يأبى الجواب فما يراجع هيبة * فالسائلون نواكس الاذقان
هدى الوقار وعز سلطان التقى * فهو المهيب وليس ذا سلطان

وقال عبد الله بن المبارك فيه أيضا :

صموت اذا ما الصمت زين أهله * وفتاق أبكار الكلام المختم
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة * ونيطت له الآداب باللحم والدم

ودخل رجل على عبد الملك بن مروان . وكان لا يسأله عن شيء الا وجد عنده منه علما . فقال له : أنى لك هذا . فقال : لم أمنع قط يا أمير المؤمنين علما أفيده ، ولم أحتقر علما أستفيده ، وكنت اذا لقيت الرجل أخذت منه وأعطيته . وقالوا : لو أن أهل العلم صانوا علمهم لسادوا أهل الدنيا لكن وضعوه غير موضعه فقصر فى حقهم أهل الدنيا

٧ — حفظ العلم واستعماله — قال عبد الله بن مسعود تعلموا فاذا علمتم فاعملوا وقال مالك بن دينار : العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلب كما يزل الماء عن الصفا وقالوا لولا العمل لم يطلب العلم ولولا العلم لم يطلب العمل . وقال الطائى :

ولو يحمدوا من عالم غير عامل * ولم يحمدوا من عامل غير عالم

وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : أيها الناس تعلموا كتاب الله تعرفوا به ، واعملوا

يه تكونوا من أهله . وقالوا : الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت فى القلب ، واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان . وروى زياد عن مالك قال : كن عالما أو متعلما واياك والثالثة فانها مهلكة ، ولا تكون عالما حتى تكون عاملا . ولا تكون مؤمنا حتى تكون تقيا . وقال : أبو الحسن كان ابن الجراح يتحفظ كل يوم ثلاثة أحاديث . وكان الشعبي والزهرى يقولان ما سمعنا حديثا قط وسألنا اعادته

٨ — رفع العلم وقولهم فيه — قال عبد الله بن مسعود تعلموا العلم قبل ان يرفع . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء » وقال عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما لما ووري زيد بن ثابت فى قبره : من سره أن يرى كيف يقبض العلم فهكذا يقبض :

٩ — تحامل الجاهل على العالم — قال النبي صلى الله عليه وسلم « ويل لعالم أمر من جاهله وقالوا : اذا اردت أن تفحم عالما فاحضره جاهلا . وقالوا : لا تناظر جاهلا ولا لجوجا فانه يجعل المناظرة ذريعة الى التعلم بغير شكر . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ارحموا عزيزا ذل ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالما ضاع بين جهال » وجاء كيسان الى الخليل بن احمد يساله عن شيء . ففكر فيه الخليل ليجيبه . فلما استفتح الكلام قال له لا أدرى ما تقول فانشأ الخليل يقول :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني * أو كنت أعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني * وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وقال حبيب : وعاذل عذلته فى عذله * فظن أنى جاهل من جهله
ما غبن المغبون مثل عقله * من لك يوما باخيك كله

١٠ — تبجيل العلماء وتعظيمهم — الشعبى قال : ركب زيد بن ثابت فاخذ عبد الله بن عباس بركابه . فقال لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا . قال زيد أرني يدك فلما أخرج يده قبلها . وقال هكذا امرنا أن نفعل بابن عم نبينا . وقالوا : خدمة العالم عبادة . وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه : من حق العالم عليك اذا أتيته أن تسلم عليه خاصة وعلى القوم عامة وتجلس قدامه . ولا تشر بيدك . ولا تغمز بعينيك . ولا تقل قال فلان خلاف قولك ولا تاخذ بثوبه . ولا تلح عليه فى السؤال . فانما هو بمنزلة النخلة

المرتبطة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء . وقالوا اذا جلست الى العالم فسل تفقها ولا تسل تعنتا :

١١ — عويص المسائل — الاوزاعي عن عبد الله بن سعيد عن الصنابحي عن معاوية بن أبي سفيان قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاغلوطات . قال الاوزاعي يعني صعاب المسائل . وكان ابن سيرين اذا سئل عن مسئلة فيها أغلوطة . قال للسائل أمسكها حتي تسال عنها أخاك ابليس . وسال عمر بن قيس مالك بن أنس عن محرم نزع نابي ثعلب فلم يرد عليه شيا : وسال عمر بن الخطاب رضى الله عنه على بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال : ماتقول فى رجل أمه عند رجل آخر . فقال يمسك عنها أراد عمران الرجل يموت وأمه عند رجل آخر وقول على يمسك عنها يريد الزوج يمسك عن أم الميت حتي تستبرىء من طريق الميراث . وسال رجل عمرو بن قيس عن الحصاة يجدها الانسان فى ثوبه أو فى خفه أو فى جبهته من حصى المسجد . فقال ارم بها . قال الرجل زعموا أنها تصيح حتى ترد الى المسجد . فقال دعها تصيح حتي ينشق حلقها . فقال الرجل سبحان الله ولها حلق . قال فمن أين تصيح . وسال رجل مالك بن أنس عن قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » كيف هذا الاستواء . قال الاستواء معقول والكيف مجهول . ولا أظنك الا رجل سوء . وروى مالك بن أنس الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده فى الاناء حتي يغسلها . فان أحدكم لا يدرى أين باتت يده . فقال له رجل فكيف تصنع فى المهراس أبا عبد الله والمهراس حوض مكة الذى يتوضأ الناس فيه . فقال من الله العلم وعلى الرسول البلاغ ومنا التسليم أمروا الحديث وقيل لابن عباس رضى الله عنهما :. ما تقول فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء . قال يكيفيه منها كوكب الجوزاء . وسئل عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أين كان ربنا قبل ان يخلق السماء والارض . فقال أين توجب المكان وكان الله عز وجل ولا مكان

١٢ — التصحيف — وذكر الاصمعي رجلا بالتصحيف . فقال كان يسمع فيعي غير ما يسمع . و يكتب غير ما وعي و يقرأ فى الكتاب غير ما هو فيه . وذكر آخر رجلا بالتصحيف فقال كان اذا نسخ الكتاب مرتين عاد سريانيا

١٣ — طلب العلم لغير الله — قال النبي صلى الله عليه وسلم « اذا أعطي الناس العلم ومنعوا العلم وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا فى الارحام لعنهم الله فاصمهم وأعمي أبصارهم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «ألا أخبركم بشر الناس قالوا بلى يارسول الله قال العلماء اذا فسدوا » وقال الفضيل بن عياض كان العلماء ربيع الناس اذا رآهم المريض لم يسره أن يكون صحيحا واذا نظر اليهم الفقير لم يود أن يكون غنيا . قال احمد بن أبي الحواري : قال لي أبو سليمان في طريق الحج يا أحمد ان الله قال لموسى بن عمران مر ظلمة بني اسرائيل أن لا يذكروني فاني لا أذكر من ذكرني منهم الا بلعنة حتى يسكت . ويحك يا أحمد بلغني أنه من حج بمال من غير حله ثم لبى . قال الله تبارك وتعالى لا لبيك ولا سعديك حتى تؤدي ما بيديك فما يؤمننا أن يقال لنا ذلك

١٤ — باب من أخبار العلماء والادباء — أملى أبو عبدالله محمد بن عبد السلام الحشني ان عبدالله بن عباس سئل عن ابى بكر رضي الله عنه . فقال : كان والله خيرا كله مع الحدة التي كانت فيه . قالوا : فاخبرنا عن عمر رضوان الله عليه . قال : كان والله كالطير الحذر الذى نصب له فخ فهو يخاف أن يقع فيه . قالوا : فاخبرنا عن عثمان رضوان الله عليه . قال : كان والله صواما قواما . قالوا : فاخبرنا عن على بن ابى طالب رضوان الله عليه . قال : كان والله ممن حوى علما وحلما حسبك من رجل أعزته سابقته وقدمته قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلما أشرف على على شيء الا ناله . قالوا : يقال انه كان محدودا . قال : انتم تقولونه وذكروا أن رجلا أتى الحسن . فقال أبا سعيد انهم يزعمون أنك تبغض عليا . فبكى حتي اخضلت لحيته . ثم قال كان على بن أبي طالب سهما صائبا من مرامى الله على عدوه ، وربانى هذه الامة وذا سابقتها ، وذا فضلها وذا قرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن بالنومة عن أمر الله ، ولا بالملولة فى حق الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطي القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة ، وأعلام بينة ، ذاك على بن أبي طالب يالكع . وقال عيسى ابن مريم عليه وسلم سيكون في آخر الزمان علماء يزهدون فى الدنيا ولا يزهدون ، ويرغبون فى الآخرة ولا يرغبون ينهون عن اتيان الولاة ولا ينتهون ، يقربون الاغنياء ، ويبعدون الفقراء ، ويتبسطون للكبراء ، وينقبضون عن الحقراء ، أولئك اخوان الشياطين وأعداء الرحمن . وقال محمد بن واسع . لأن تطلب الدنيا باقبح مما تطلب به الآخرة خير من أن تطلبها باحسن مما تطلب به الآخرة . وقال الحسن : العلم علمان علم فى القلب فذاك العلم النافع . وعلم في اللسان فذاك حجة الله على عباده . وقال النبي صلى الله عليه وسلم «ان الزبانية لا تخرج الى فقيه ولا الى حملة القرآن الا قال لهم اليكم عنا دونكم عبدة الاوثان فيشتكون الى الله فيقول ليس من علم كمن لا يعلم » وقال مالك بن دينار

من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه . ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة . وقال ابن شبرمه : ذهب العلم غبرات فى أوعية سوء . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من طلب العلم لاربع دخل النار من طلبه ليباهي به العلماء وليمارى به السفهاء وليستميل به وجوه الناس اليه أو ليأخذ به من السلطان » وتكلم مالك بن دينار فابكى أصحابه . ثم افتقد مصحفه فنظر الى أصحابه وكلهم يبكي . فقال ويحكم كلكم يبكى فمن أخذ هذا المصحف . وسئل خالد بن صفوان عن الحسن البصرى . فقال : كان اشبه الناس علانية بسريرة ، وسريرة بعلانية ، وآخذ الناس لنفسه مما يامر به غيره ، من رجل استغنى عما فى أيدى الناس من دنياهم ، واحتاجوا الى ما فى يديه من دينهم ، ودخل عروة بن الزبير بستانا لعبد الملك بن مروان . فقال عروة ما أحسن هذا البستان . فقال له عبد الملك أنت والله أحسن منه ان هذا يؤتي اكله كل عام وأنت تؤتي اكلك كل يوم . وقال محمد بن شهاب الزهرى : دخلت على عبد الملك بن مروان فى رجال من أهل المدينة . فرآنى أحدثهم سنا . فقال : من أنت فانتسبت اليه فعرفني . فقال : لقد كان أبوك وعمك نعاقين فى فتنة ابن الزبير ، قلت يا أمير المؤمنين مثلك اذا عفا لم يعدد . واذا صفح لم يثرب . قال لى أين نشأت قلت بالمدينة . قال عند من طلبت . قلت عند ابن يسار وابن أبى ذئب وسعيد بن المسيب . قال لى وأين كنت من عروة بن الزبير . فانه بحر لا تكدره الدلاء . وذكر الصحابة عند الحسن البصري . فقال : رحمهم الله شهدوا وغبنا ، وعلموا وجهلنا فما اجتمعوا عليه تبعنا ، وما اختلفوا فيه وقفنا . وقال جعفر بن سليمان : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : ما رأيت أحدا أقشف من شعبة ، ولا أعبد من سفيان ، ولا أحفظ من ابن المبارك . وقال : ما رأيت مثل ثلاثة عطاء بن ابى رباح بمكة ، وطاوس ومحمد بن سيرين بالعراق ، ورجاء بن حيوة بالشام ، وقيل لاهل مكة كيف كان عطاء بن ابى رباح فيكم . فقالوا : كان مثل العافية التى لا يعرف فضلها حتى تفقد . وكان عطاء بن ابى رباح أسود أعور أفطس أشل أعرج . ثم عمى وأمه سوداء تسمى بركة . وكان الاحنف بن قيس أعور أعرج ولكنه اذا تكلم جلا عن نفسه . وقال الشعبي : لولا اني زوحمت فى الرحم ما قامت لاحد معى قائمة وكان توأما . وقيل لطاوس هذا قتادة يريد أن يأتيك . قال لئن جاء لأقومن قيل انه فقيه قال ابليس أفقه منه . قال رب بما أغويتنى . وقال الشعبي : القضاة اربعة عمر وعلى وابو موسى وعبد الله . وقال الحسن ثلاثة صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم الابن والاب والجد عبد الرحمن

ابن أبي بكر بن أبي قحامة ومعن بن يزيد بن الاخنس السلمي . وكان عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود فقيها شاعرا وكان أحد السبعة من فقهاء المدينة . وقال الزهرى كنت اذا لقيت عبيد الله بن عبد الله ، فكانما أفجر به بحرا . وقال عمر بن عبد العزيز : وددت لو أن لى مجلسا من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود لم يفتني . ولقيه سعيد بن المسيب فقال : له أنت الفقيه الشاعر ، قال لا بد للمصدور أن ينفث . وكتب عبيد الله ابن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز وبلغه عنه شيء يكرهه :

أباحفص أتاني عنك قول * قطعت به وضاق به جوابي
أباحفص فلا أدرى أرغمى * تريد بما تحاول أم عتابي
فان تك عاتبا نعتب والا * فما عودى اذا بيراع غاب
وقد فارقت أعظم منك رزأ * وواريت الاحبة فى التراب
وقد عزوا على وأسلموني * معا فلبست بعدهم ثيابي

وكان خالد بن يزيد بن معاوية أبو هاشم عالما كثير الدراسة للكتب وربما قال الشعر . ومن قوله .

هل أنت منتفع بعلـ * ـمك مرة والعلم نافع
ومن المشير عليك * بالرأى المسدد أنت سامع
الموت حوض لا محا * لة فيه كل الخلق شارع
ومن التقي فازرع فانـ * ـك حاصد ما أنت زارع

وقال عمر بن عبد العزيز ما ولدت أمية مثل خالد بن يزيد ما استثنى عثمان ولا غيره . وكان الحسن فى جنازة فيها نوائح ومعه سعيد بن جبير فهم سعيد بالانصراف . فقال له الحسن : ان كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك فى دينك . وعن عيسى بن اسمعيل عن ابن عائشة عن ابن المبارك قال : علمني سفيان الثورى اختصار الحديث . وقال الاصمعى : حدثنا شعبة قال دخلت المدينة فاذا لمالك حلقة واذا نافع قد مات قبل ذلك بسنة . وذلك سنة ثماني عشرة ومائة . وقال أبو الحسن بن محمد : ما خلق الله أحدا كان أعرف بالحديث من يحيى بن معين كان يؤتى بالاحاديث قد خلطت وقلبت . فيقول هذا الحديث لذا وذا لهذا فيكون كما قال . وقال شريك : انى لاسمع الكلمة فيتغير لها لوني . وقال ابن المبارك . كل من ذكر لى عنه وجدته دون ما ذكر الا حيوة بن شريح وأبا عون : وكان حيوة بن شريح يقعد للناس فتقول له أمه قم ياحيوة الق الشعير للدجاج

فيقوم . وقال ابو الحسن : سمع سليمان التيمي من سفيان الثوري ثلاثة آلاف حديث . وكان يحيي بن اليمان يذهب بابنه داود كل مذهب . فقال له يوما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم كان عبد الله . ثم كان علقمة : ثم كان ابراهيم . ثم كان منصور ثم كان سفيان : ثم كان وكيع قم ياداود يعني أنه أهل للامامة . ومات داود سنة أربع ومائتين . وقال الحسن : حدثني أبي قال أمر الحجاج أن لا يؤم بالكوفة الاعربي . وكان يحيي بن وثاب يؤم قومه بني أسد وهو مولى لهم . فقالوا اعتزل . فقال ليس عن مثلي نهى أنا لاحق بالعرب . فابوا فاتى الحجاج فقرأ فقال من هذا . فقالوا يحيي ابن وثاب . قال ماله : قال أمرت أن لا يؤم الاعربي فنحاه قومه . فقال ليس عن مثل هذا نهيت يصلي بهم . قال فصلى بهم الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال اطلبوا اماما غيري انما أردت أن لا تستذلوني . فاما اذا صار الامر الى فانا أؤمكم لا ولا كرامة . وقال الحسن : كان يحيي بن اليمان يصلي بقومه فتعصب عليه قوم منهم . فقالوا لا تصلي بنا لا نرضاك ان تقدمت نحيناك . فجاء بالسيف فسل منه أربع أصابع ثم وضعه في المحراب . وقال : لا يدنو مني أحد الاملأت السيف منه . فقالوا بيننا وبينك شريك فقدموه الى شريك . فقالوا : ان هذا كان يصلي بنا وكرهناه . فقال لهم شريك من هو . فقالوا : يحيي بن اليمان . فقال يا أعداء الله وهل بالكوفة أحد يشبه يحيى لا يصلي بكم غيره . فلما حضرته الوفاة . قال لابنه داود يا بني كاد دبني يذهب مع هؤلاء فان اضطروا اليك بعدى فلا تصل بهم . وقال يحيى بن اليمان : تزوجت أم داود وما كان عندي ليلة العرس الا بطخية أكلت أنا نصفها وهي نصفها وولدت داود . فما كان عندنا شيء نلفه فيه فاشتريت له كسوة بحبتين فلففناه فيه . وقال الحسن بن محمد : كان لعلي ضفيرتان ولابن مسعود ضفيرتان . وذكر عبد الملك بن مروان روحا . فقال ما أعطى أحد ما أعطى أبو زرعة اعطى فقه الحجاز ، ودهاء اهل العراق ، وطاعة أهل الشام . وروى أن مالك بن أنس كان يذكر عليا وعثمان وطلحة والزبير . فيقول : والله ما اقتتلوا الا على الثريد الاعفر ذكر هذا محمد بن يزيد في الكامل . قال : وأما ابو سعيد الحسن البصري فانه كان ينكر الحكومة على علي . وكان اذا جلس متمكنا في مجلسه ذكر عثمان فترحم عليه ثلاثا ولعن قتلته ثلاثا . ثم يذكر عليا فيقول : لم يزل على أمير المؤمنين صلوات الله عليه مظفرا مؤيدا بالنجح حتى حكم ثم يقول ولم تحكم والحق معك الا تمضي قدما لا ابالك . وهذه الكلمة وان كان فيها جفاء فان بعض العرب يأتي بها على طبق المدح . فيقول : انظر في امر رعيتك لا ابالك وقال اعرابي :

رب العباد مالنا ومالكا * قد كنت تسقينا فما بدالك * أنزل علينا الغيث لا أبالك

وقال ابن أبي الحواري قلت لسفيان بلغني في قول الله عز وجل « الا من أتى الله بقلب سليم » انه الذي يلقى الله وليس في قلبه أحد غيره . قال فبكى وقال ماسمعت منذ ثلاثين سنة أحسن من هذا . وقال ابن المبارك : كنت مع محمد بن النضر الحارثي في سفينة . فقلت باي شيء استخرج منه الكلام . فقلت ماتقول في الصوم في السفر . قال انما هي المبادرة يا ابن أخي : فجاءني والله بفتيا غير فتيا ابراهيم والشعبي . وقال الفضيل بن عياض : اجتمع محمد ابن واسع ومالك بن دينار في مجلس بالبصرة . فقال مالك بن دينار : ماهو الا طاعة الله أو النار . فقال محمد بن واسع : لمن كان عنده كنا نقول ماهو الا عفو الله أو النار . قال مالك بن دينار : انه ليعجبني أن تكون للانسان معيشة قدر مايقوته . فقال محمد بن واسع : ماهو الا كما تقول وليس يعجبني أن يصبح الرجل وليس له غداء ويمسي وليس له عشاء . وهو مع ذلك راض عن الله عز وجل . فقال مالك ، ماأحوجني الى أن يعظني مثلك : وكان يجلس الى سفيان فتى كثير الفكرة ، طويل الاطراق . فراد سفيان أن يحركه ليسمع كلامه . فقال يافتى : ان من كان قبلنا مروا على خيل عتاق وبقينا على حمير دبرة . قال ياأبا عبد الله ان كنا على الطريق فما أسرع لحوقنا بالقوم . وقال الاصمعي عن شعبة قال . ماأحدثكم عن أحد ممن تعرفون وممن لا تعرفون الا وأيوب ويونس وابن عون خير منهم . قال الاصمعي : وحدثني سلام بن مطيع . قال أيوب أفقههم ، وسليمان التيمي أعبدهم ، ويونس أشدهم عند الدراهم ، وابن عون أضبطهم لنفسه في الكلام . وكان ابراهيم النخعي في طريق فلقيه الاعمش فانصرف معه . فقال له ياابراهيم ان الناس اذا رأونا قالوا أعمش وأعور . قال وماعليك ان يأثموا ونؤجر . قال وماعليك أن يسلموا ونسلم . وروى سفيان الثوري عن واصل الاحدب قال : قلت لابراهيم أن سعيد بن جبير يقول : كل امرأة اتزوجها طالق ليس بشيء فقال له ابراهيم قل له يستنقع استه في الماء البارد . قال فقلت لسعيد ماأمرني به : فقال قل له اذا مررت بوادي النوكى فاحلل به : قال محمد ابن مناذر :

ومن يبغ الوصاة فان عندي * وصاة للكهول وللشباب
خذوا عن مالك وعن ابن عون * ولا ترووا أحاديث ابن داب

وقال آخر

أيها الطالب علما * ائت حماد بن زيد
فاقتبس حلما وعلما * ثم قيده بقيد

وقيل لابي نواس : قد بعثوا فى أبي عبيدة والاصمعى ليجمعوا بينهما . قال أما ابو عبيدة فان مكنوه من سفره قرأ عليهم أساطير الاولين . قال الاصمعى فبلبل في قفص يطربهم بصفيره . وذكر عند المنصور محمد بن اسحق وعيسي بن دأب فقال : أما ابن اسحق فاعلم الناس بالسيرة واما ابن دأب فاذا اخرجته عن داحس والغبراء لم يحسن شيئاً . وقال المامون رحمه الله تعالى : من أرادلهوا بلاحرج فليسمع كلام الحسن الطالبي . وسئل العتابي عن الحسن الطالبي فقال : ان جليسه لطيب عشرته لاطرب من الابل على الحداء ومن الثمل على الغناء

١٥ — قولهم فى حملة القرآن — وقال رجل لابراهيم النخعى اني أختم القرآن كل ثلاث قال ليتك تختمه كل ثلاثين وتدرى أى شيء تقرأ . وقال الحرث الاعور : حدثني على بن ابي طالب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كتاب الله فيه خبر ماقبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هوالذى لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه هو الذي من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله هو حبل الله المتين والذكر العظيم والصراط المستقيم » خذها اليك يا أعور . وقيل للنبي صلي الله عليه وسلم : عجل عليك الشيب يارسول الله . قال شيبتني هود واخواتها . وقال عبد الله بن مسعود : الحواميم ديباج القرآن . وقال : اذا رتعت رتعت فى رياض دمثة أتأنق فيهن . وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها : كانت تنزل علينا الآية فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنحفظ حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها ولا نحفظها . وقال صلي الله عليه وسلم « سيكون فى امتي قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق والخليقة » وقال « ان الزبانية لاسرع الى فساق حملة القرآن منهم الى عبدة الاوثان فيشكون الى ربهم فيقول ليس من علم كمن لا يعلم » وقال الحسن حملة القرآن ثلاثة نفر . رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر الى مصر يطلب به ماعند الناس . ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده واستدر به الولاة ، واستطال به على اهل بلده . وقد كثر هذا الضرب فى حملة القرآن لا كثرهم الله عز وجل . ورجل قرأ القرآن : فوضع دواءه على داء قلبه ، فسهر ليلته ، وهملت عيناه ، وتسربل الخشوع ، وارتدي الوقار واستشعر الحزن ، ووالله لهذا الضرب من حملة القرآن اقل من الكبريت الاحمر بهم يسقي الله الغيث وينزل النصر ويدفع البلاء

١٦ — العقل — قال سحبان وائل العقل بالتجارب لان عقل الغريزة سلم الى عقل التجربة . ولذلك قال على بن أبي طالب رضوان الله عليه رأي الشيخ خير من جلد الغلام وعلى العاقل أن يكون عالما باهل زمانه مقبلا على شانه . وقال الحسن البصري : لسان العاقل من وراء قلبه ، فاذا أراد الكلام تفكر ، فان كان له قال ، وان كان عليه سكت ، وقلب الاحمق من وراء لسانه ، فاذا أراد أن يقول قال . وقال محمد بن الغار : دخل رجل على سليمان بن عبد الملك فتكلم عنده بكلام أعجب سليمان . فاراد أن يختبره لينظر أعقله على قدر كلامه أم لا . فوجده مضعوفا . فقال : فضل العقل على المنطق حكمة ، وفضل المنطق على العقل هجنة ، وخير الامور ما صدق بعضها بعضا وانشد :

وما المرء الا الاصغران لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصور
فان ترمنه ما يروق فربما * أمر مذاق العود والعود أخضر

ومن أحسن ما قيل فى هذا المعنى قول زهير :

وكائن ترى من معجب لك صامت * زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

(وقال) على رضي الله عنه : العقل فى الدماغ ، والضحك فى الكبد ، والرأفة فى الطحال ، والصوت فى الرئة . وسئل المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فقال : كان والله أفضل من أن يخدع وأعقل من أن يخدع وهو القائل لست بخب والخب لا يخدعني . وقال زياد : ليس العاقل الذي اذا وقع فى الامر احتال له . ولكن العاقل يحتال للامر حتى لا يقع فيه . وقيل لعمرو بن العاص ما العقل . فقال : الاصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بما قد كان . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من لم ينفعه ظنه لم تنفعه عينه . وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه وذكر ابن عباس رضى الله عنهما فقال : لقد كان ينظر الى الغيب من ستر رقيق . وقالوا : العاقل فطن متغافل . وقال معاوية : العقل مكيال ثلثه فطنة وثلثاه تغافل . وقال المغيرة بن شعبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : اذعزله عن كتابة أبي موسى أعن عجز عزلتني أم عن خيانة . فقال لا عن واحد منهما . ولكنى كرهت أن أحمل على العامة فضل عقلك . وقال معاوية لعمرو بن العاص : ما بلغ من عقلك . قال ما دخلت فى شيء قط الا وخرجت منه . فقال معاوية لكنى ما دخلت فى شيء قط واريد الخروج منه . وقال الاصمعي : ما سمعت الحسن بن سهل مذ صار في مرتبة الوزارة يتمثل الا بهذين البيتين :

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كانوا اذا ذكروا قليلا * فقـد صاروا أقل من القليل

وقال محمد بن عبدالله بن طاهر :

لعمرك مابالعقل يكتسب الغني * ولابا كتساب المال يكتسب العقل
وكم من قليل المال يحمد فضـله * وآخر ذو مال وليس له فضل
وماسبقت من جاهل قط نعمة * الى أحـد الاضر بها الجهل
وذواللب ان لم يعط احمدت عقله * وان هوأعطي زانه القول والفعل

وقال محمد بن مناذر :

وترى النـاس كثيرا فاذا * عد أهل العقل قلوا فى العدد
لايقل المرء في القصـد ولا * يعـدم القلة من لم يقتصد
لاتعد شرا وعـد خيرا ولا * تخلف الوعد وعجل ماتعد
لاتقـل شعرا ولاتهمم به * واذا ما قلت شعرا فاجـد

ولآخر :

يعرف عقل المرء فى أربع * مشيته اولهـا والحـرك
ودور عينيـه والفاظـه * بعـد عليهن يدور الفلك
وربما أخلفن الا التي * آخرهـا منهن سميت لك
هـذى دليلات على عقـله * والعقل فى أركانه كالملك
ان صح صح المرء من بعـده * و يهلك المرء اذا ما هلك
فانظر الى مخـرج تدبيره * وعقله ليس الى ما انتهك
فربمـا خالط أهل الحجا * وقديكون النوك فى ذى النسك
فان امام سال عن فاضل * فادلل على العاقل لاأم لك

وكان هوذة بن على الحنفى يجيز لطيمة كسرى فى كل عام — واللطيمة غير تحمل الطيب والبر . فوفد علي كسرى . فساله عن بنيه فسمي له عـددا . فقال ايهـم أحب اليك . قال الصـغير حتي يكبر ، والغـائب حتي يرجع ، والمريض حتي يفيق ، فقال له ماغذاؤك فى بلدك . قال الخبز . فقال كسرى لجلسائه : هـذا عقل الخبز يفضله على عقول أهل البوادى الذين غذاؤهم اللبن والتمر * وهوذة بن

على الحنفي هو الذى يقول فيه أعشى بكر :

من ير هوذة يسجد غير مكتئب * اذا تعصب فوق التاج أو وضعا
له أكاليل بالياقوت فصلها * صواغها لا ترى عيبا ولا طبعا

وقال أبو عبيدة عن ابي عمرو : لم يتوج معدى قط . وانما كانت التيجان لليمن . فسألته عن هوذة بن على الحنفى . فقال انما كانت خرزات تنظم له . وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن على يدعوه الى الاسلام كما كتب الى الملوك . وفى بعض الحديث : ان الله عز وجل لما خلق العقل . قال له أقبل فاقبل . ثم قال له أدبر فادبر . فقال وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أحب الى منك ولا وضعتك الافى أحب الخلق الى . ولما خلق الحمق قال له أقبل فادبر . ثم قال له ادبر فأقبل . فقال وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أبغض الى منك ولا وضعتك الا فى أبغض الخلق الى . وبالعقل أدرك الناس معرفة الله عز وجل ولا يشك فيه أحد من أهل العقول يقول الله عز وجل فى جميع الامم « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » وقال أهل التفسير فى قول الله « قسم لذى حجر » قالو الذي عقل . وقالوا : ظن العاقل كهانة . وقال الحسن البصري : لو كان للناس كلهم عقول خربت الدنيا . وقال الشاعر :

يعد رفيع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن فى قومه بحسيب
وان حل أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقل فى بلدة بغريب

وقالوا : العاقل يقى ماله بسلطانه ، ونفسه بماله ، ودينه بنفسه . وقال الاحنف بن قيس : أنا للعاقل المدبر أرجى مني للاحمق المقبل

١٧ — الحكمة — قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما أخلص عبد العمل لله أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وقال عليه الصلاة والسلام « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ولا يبالى فى أى وعاء خرجت » وقال عليه الصلاة والسلام « لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم » وقال الحكماء : لا يطلب الرجل حكمة الا بحكمة عنده . وقالوا : اذا وجدتم الحكمة مطروحة على السكك فخذوها . وفى الحديث : خذوا الحكمة ولو من السنة المشركين . وقال زياد : أيها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تنتفعوا بأحسن ماتسمعون منا فان الشاعر يقول :

اعمل بعلمي وان قصرت فى عملى * ينفعك قولى ولا يضرك تقصيرى

١٨ — نوادر من الحكمة — قيل لقس بن ساعدة : ما أفضل المعرفة . قال معرفة الرجل نفسه . قيل له فما أفضل العلم . قال وقوف المرء عند علمه . قيل له فما أفضل المروءة قال استبقاء الرجل ماء وجهه . وقال الحسن : التقدير نصف الكسب ، والتودد نصف العقل ، وحسن طلب الحاجة نصف العلم . وقالوا : لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق ، ولا غني كرضا عن الله ، وأحق ما صبر عليه ما ليس الى تغييره سبيل . وقالوا : أفضل البر الرحمة ، ورأس المودة الاسترسال ، ورأس العقوق مكاتمة الادنين ورأس العقل الاصابة بالظن . وقالوا : التفكر نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، والعلم حياة ، والاول سابق ، والآخر لاحق ، والسعيد من وعظ بغيره . حدث أبو حاتم قال : حدثني أبو عبيدة قال حدثني غير واحد من هوازن من أولى العلم و بعضهم قد ادرك أبوه الجاهلية . قالوا : اجتمع عمرو بن الظرب العدواني . وحممة بن رافع الدوسي . ويزعم النساب أن ليلى بنت الظرب أم دوس . وزينب بنت الظرب أم ثقيف عند ملك من ملوك حمير فقال تساء لا حتي أسمع ما تقولان . فقال عمرو لحممة أين تحب أن تكون أياديك . قال : عند ذى الرتبة العديم ، وعند ذى الخلة الكريم ، والمعسر العريم ، والمستضعف الحليم . قال : من أحق الناس بالمقت . قال : الفقير المختال : والضعيف الصوال ، والغني القوال . قال : فمن أحق الناس بالمنع . قال : الحريص الكاند ، والمستميد الحاسد ، والملحف الواجد . قال : من أجدر الناس بالصنيعة . قال : من اذا أعطى شكر ، واذا منع عذر ، واذا مطل صبر ، واذا قدم العهد ذكر : قال : من أكرم الناس عشرة . قال : من اذا قرب منح ، واذا ظلم صفح ، وان ضويق سمح . قال : من ألأم الناس . قال : من اذا سأل خضع ، واذا سئل منع ، واذا ملك كنع ، ظاهره جشع ، وباطنه طبع . قال : فمن أجل الناس . قال : من عفا اذا قدر ، وأجمل اذا انتصر ، ولم تطغه عزة الظفر : قال: فمن أحزم الناس . قال : من أخذ رقاب الاسود بيديه ، وجعل العواقب نصب عينيه ، و نبذ التهيب دبر أذنيه . قال : فمن أخرق الناس . قال : من ركب الخطار ، واعتسف العثار ، وأسرع في البدار قبل الاقتدار . قال : من أجود الناس . قال : من بذل المجهود ، ولم يأس على المفقود . قال : من أبلغ الناس قال من حلى المعني المزيز ، باللفظ الوجيز ، وطبق المفصل ، قبل التحزيز . قال : من انعم الناس عيشا . قال : من تحلى بالعفاف ، ورضى بالكفاف ، وتجاوز ما يخاف ، الى مالا يخاف . قال : فمن أشقي الناس . قال : من حسد

على النعم ، وسخط على القسم ، واستشعر الندم ، على ما انختم . قال : من أغنى الناس قال من استشعر الياس ، واظهر التجمل للناس ، واستكثر قليل النعم ، ولم يسخط على القسم قال : فمن أحكم الناس . قال : من صمت فادكر ، ونظر فاعتبر ، ووعظ فازدجر . قال : من أجهل الناس . قال : من رأى الخرق مغنما ، والتجاوز مغرما . وقال : أبو عبيدة — الخلة الحاجة — والخلة الصداقة — والكاند الذي يكفر النعمة — والكنود الكنوز — والمستميد مثل المستمير والمستعطي يكون منه اشتقاق المائدة لانها تماد — وكنع تقبض — يقال منه تكنع جلده اذا تقبض يريد أنه ممسك بخيل — والجشع أسوأ الحرص — والطبع الدنس — والاعتساف ركوب الطريق على غير هداية — وركوب الامر على غير معرفة — والمزيز من قولهم هذا أمزمن هذا أي أفضل منه وأزيد — والمطبق من السيوف الذي يصيب المفاصل لايجاوزها : وقال عمرو بن العاص : ثلاث لا أناة فيهن المبادرة بالعمل الصالح ، ودفن الميت وتزويج الكفء . وقال : ثلاثة لا يندم على ماسلف اليهم ، الله عمل له ، والمولى الشكور فيما أسدي اليه ، والارض الكريمة فيما بذر فيها . وقالوا : ثلاثة لا بقاء لها ظل الغمام ، وصحبة الاشرار ، والثناء الكاذب وقالوا : ثلاثة لا تكون الا في ثلاثة ، الغني في النفس ، والشرف في التواضع ، والكرم في التقوى . وقالوا : ثلاثة لا تعرف الا في ثلاثة ذو البأس لا يعرف الا عند اللقاء ، وذو الامانة لا يعرف الا عند الاخذ والعطاء ، والاخوان لا يعرفون الا عند النوائب . وقالوا : من طلب ثلاثة لم يسلم من ثلاثة ، من طلب المال بالكيمياء لم يسلم من الافلاس ، ومن طلب الدين بالفلسفة لم يسلم من الزندقة ، ومن طلب الفقه بغرائب الحديث لم يسلم من الكذب . وقالوا : عليكم بثلاث جالسوا الكبراء ، وخالطوا الحكماء ، وسائلوا العلماء . وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : أخوف ما أخاف عليكم شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه . واجتمعت علماء العرب والعجم على أربع كلمات ؟ لاتحمل على ظنك مالا تطيق ، ولا تعمل عملا لاينفعك ، ولا تغتر بامرأة ، ولا تثق بمال وان كثر . وقال الرياحي في خطبته : بالمربد يابني رياح لاتحقروا صغيرا تاخذون عنه فاني أخذت من الثعلب روغانه ، ومن القرد حكايته ، ومن السنور ضرعه ، ومن الكلب نصرته ، ومن ابن آوى حذره ، ولقد تعلمت من القمر سير الليل ومن الشمس ظهور الحين بعد الحين . وقالوا : ابن آدم هو العالم الكبير الذي جمع الله فيه العلم كله . فكان فيه بسالة الليث ، وصبر الحمار ، وحرص الخنزير ، وحذر الغراب ،

وروغان الثعلب ، وضرع السنور ، وحكاية القرد ، وجبن الصرد ، ولما قتل كسرى بزرجمهر وجد فى منطقته مكتوبا اذا كان الغدر فى الناس طباعا ، فالثقة بالناس عجز ، واذا كان القدر حقا فالحرص باطل ، واذا كان الموت راصدا فالطمانينة حمق . وقال أبو عمرو ابن العلاء : خذ الخير من أهله ، ودع الشر لاهله . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لاتنهكوا وجه الارض فان شحمتها ى وجهها . وقال : بع الحيوان أحسن مايكون فى عينك : وقالوا : فرقوا بين المنايا ، واجعلوا من الرأس رأسين ، ولا تلبسوا بدار معجزة وقالوا : اذا قدمت المصيبة ، تركت التعزية ، واذا قدم الاخاء سمج الثناء : وفى كتاب للهند : ينبغى للعاقل أن يدع التماس مالا سبيل اليه ، والا يعد جاهلا كرجل أراد أن يجرى السفن فى البر والعجل فى البحر : وذلك مالا سبيل اليه : وقالوا : احسان المسيء أن يكف عنك أذاه ، واساءة المحسن أن يمنعك جدواه : وقال الحسن البصرى : اقدعوا هذه النفوس فانها طلعة ، وحادثوها بالذكر فانها سريعة الدثور ، فانكم الا ترعوها تنزع بكم الى شر غاية : يقول : حادثوها بالحكمة : كما يحادث السيف بالصقال ، فانها سريعة الدثور ، يريد الصدا الذى يعرض للسيف — واقدعوها من قذعت أنف الجمل اذ دفعته — فانها طلعة يريد متطلعة الى الاشياء : قال : أزدشير بن بابك ان للآذان مجة ، وللقلوب مللا ، ففرقوا بين الحكمتين ، يكن ذلك استجماما

١٩ — البلاغة وصفتها — قيل لعمرو بن عبيد : ما البلاغة : قال : مابلغك الجنة ، وعدل بك عن النار : قال السائل : ليس هذا اريد : قال : فما بصرك مواضع رشدك ، وعواقب غيك : قال ليس هذا اريد : قال : من لم يحسن ان يسكت ، لم يحسن أن يسمع ومن لم يحسن أن يسمع ، لم يحسن أن يسال ، ومن لم يحسن ان يسال ، لم يحسن ان يقول . قال : ليس هذا أريد قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم ، انا معشر بكاء ، أى قليلو الكلام وهو جمع بكى : وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله . قال السائل : ليس هذا أريد . قال : فكانك تريد تخير الالفاظ فى أحسن افهام . قال نعم : قال انك ان اردت تقرير حجة الله فى عقول المتكلمين وتخفيف المؤنة على المستمعين ، وتزيين المعانى فى قلوب المستفهمين ، بالالفاظ الحسنة رغبة في سرعة استجابتهم ، ونفى الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الناطقة ، عن الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب . وقيل لبعضهم ما البلاغة قال : معرفة الوصل من الفصل وقيل لاخر ما البلاغة . قال : ايجاز الكلام ، وحذف الفضول ، وتقريب البعيد . وقيل

لبعضهم ما البلاغة . قال : أن لا يؤتى القائل من سوء فهم السامع ، ولا يؤتى السامع من سوء بيان فهم القائل . وقال معاوية لصحار العبدى : ما البلاغة . قال : أن تجيب فلا تبطىء وتصيب فلا تخطىء ، ثم قال أقلني يا أمير المؤمنين . قال قد أقلتك . قال : لا تبطىء ولا تخطىء . قال أبو حاتم : استطال الكلام الاول ، فاستقال تكلم بأوجز منه . وسمع خالد بن صفوان رجلا يتكلم و يكثر فقال : اعلم رحمك الله أن البلاغة ليست بخفة اللسان وكثرة الهذيان ، ولكنها بإصابة المعني ، والقصد الى الحجة ، فقال له أبا صفوان ما من ذنب أعظم من اتفاق الصنعة وتكلم ربيعة الرأى يوما فأكثر والى جنبه أعرابى فالتفت اليه فقال : ما تعدون البلاغة يا اعرابي قال : قلة الكلام وايجاز الصواب . قال . فما تعدون العى . قال : ما كنت فيه منذ اليوم فكأنما ألقمه حجرا . ومن أمثالهم فى البلاغة قولهم : يقل الحز و يطبق المفصل ، وذلك أنهم شبهوا البليغ الموجز الذى يقل الكلام ، و يصيب الفصول والمعانى بالجزار الرفيق يقل حز اللحم و يصيب مفاصله . ومثله قولهم : يضع الهناء مواضع النقب أى لا يتكلم الا فيما يجب فيه الكلام مثل الطالى الرفيق الذى يضع الهناء مواضع النقب والهناء القطران . والنقب الجرب . وقولهم قرطس فلان فاصاب الغرة ، وأصاب عين القرطاس كل هذا مثل للمصيب فى كلامه الموجز فى لفظه

٢٠ — وجوه البلاغة — البلاغة تكون على أربعة أوجه تكون باللفظ والخط والاشارة والدلالة . وكل منهما له حظ من البلاغة والبيان وموضع لا يجوز فيه غيره . ومنه قولهم : لكل مقام مقال ، ولكل كلام جواب ، ورب اشارة أبلغ من لفظ فاما الخط والاشارة عند الخاصة فمفهومان عند الخاصة وأكثر العامة . وأما الدلالة . فكل شىء دلك على شيء ، فقد أخبرك به كما قال الحكيم أشهد أن السموات والارض آيات دالات وشواهد قائمات ، كل يؤدي عنك الحجة ، و يشهد لك بالربوبية . وقال الآخر : سل الارض من غرس أشجارك ، وشق أنهارك ، وجنى ثمارك ، فان لم تجبك اخبارا أجابتك اعتبارا . وقال الشاعر :

لقد جئت أبغى لنفسى مجيرا * فجئت الجبال وجئت البحورا
فقال لى البحر اذ جئته * فكيف يجير ضرير ضريرا

نطقت عينه بما فى الضمير . وقال نصيب بن رباح

فعاجوا فاثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

يريد لو سكتوا لاثنت عليك حقائب الابل التي يحتقبها الركب من هباتك . وهذا الثناء انما هو بالدلالة لا باللفظ . وقال حبيب :

الدار ناطقة وليست تنطق * بدثورها ان الجديد سيخلق

وهذا في قديم الشعر وحديثه ، وطارف الكلام وتليده ، أكثر من أن يحيط به وصف ، أو يأتي من ورائه نعت . وقال رجل للعتابي ما البلاغة . قال : كل من بلغك حاجته ، وأفهمك معناه بلا اعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ : قالوا افهمنا الاعادة والحبسة فما معنى الاستعانة . قال : أن يقول عند مقاطع كلامه اسمع مني وافهم عني ، أو يمسح عثنونه ، أو يفتل أصابعه ، أو يكثر التفاته من غير موجب ، أو يتساعل من غير سعلة أو ينبهر في كلامه . وقال الشاعر :

مليء ببهر والتفات وسعلة * ومسحه عثنون وفتل أصابع

وهذا كله من العي . وقال ابرويز لكاتبه : اعلم أن دعائم المقالات أربع ان التمس لها خامس لم يوجد فان نقص منها واحد لم تتم . وهي سؤالك الشيء ، وأمرك بالشيء ، واخبارك عن الشيء ، وسؤالك عن الشيء . فاذا طلبت فاسجح ، واذا سألت فاوضح ، واذا أمرت فاحكم ، واذا أخبرت فحقق ، واجمع الكثير ، فيما تريد في القليل مما تقول يريد الكلام الذي تقل حروفه وتكثر معانيه . وقال ربيعة الرأي : اني لاسمع الحديث عطلا فاشنفه واقرطه فيحسن ومازدت فيه شيا ولا غيرت له معني . وقالوا : خير الكلام ما لم يحتج بعده الى كلام . وللعرب من موجز اللفظ ولطيف المعني فصول عجيبة ، وبدائع غريبة ، وسنأتي على صدر منها ان شاء الله *

٢١ — فصول من البلاغة — قدم قتيبة بن مسلم خراسان واليا عليها فقال : من كان في يده شيء من مال عبد الله بن حازم . فلينبذه ، وان كان في فيه فليلفظه ، وان كان في صدره فلينفثه . فعجب الناس من حسن ما فصل . وقيل لابن المبارك الاسدي أيام معاوية : كيف تركت الناس . قال ، تركتهم بين مظلوم لا ينتصف . وظالم لا ينتهي . وقيل لشبيب بن شبة عند باب الرشيد رحمه الله تعالى : كيف رأيت الناس . قال رأيت الداخل راجيا والخارج راضيا . وقال حسان بن ثابت في عبد الله ابن عباس :

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بملتقطات لاترى بينها فصلا

كفى وشفا ما في النفوس ولم يدع * لذي اربة في القول جدا ولا هزلا

ولقي الحسين بن علي رضوان الله عليهما الفرزدق في مسيره الى العراق . فسأله عن الناس . فقال : القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر في السماء . وقال مجاشع النهشلي : الحق ثقيل ، فمن بلغه اكتفى ، ومن جاوزه اعتدى . وقيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام : كم بين المشرق والمغرب . فقال : مسيرة يوم للشمس . قيل له . فكم بين السماء والارض . قال : مسيرة ساعة لدعوة مستجابة . وقيل لاعرابي : كم بين موضع كذا الى موضع كذا قال بياض يوم وسواد ليلة وشكا قوم الى المسيح عليه السلام ذنوبهم . فقال : اتركوها تغفر لكم . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قيمة كل انسان ما يحسن . وقيل لخالد ابن يزيد بن معاوية : ما أقرب شيء . قال الاجل : قيل له فما ابعد شيء ، قال الامل قيل له فما أوحش شيء . قال الميت . قيل له فما آنس شيء . قال الصاحب المواتي ، مر عمر بن عبيد بسارق يقطع . فقال سارق السريرة قطع سارق العلانية . وقيل للخليل ابن أحمد : مالك تروي الشعر ولا تقوله . قال : لاني كالمسن أشحذ ولا أقطع . وقيل العقيلي بن علفه : مالك لا تطيل الهجاء . قال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق . ومر خالد بن صفوان برجل صلبه الخليفة . فقال : أنبتته الطاعة ، وحصدته المعصيه . ومر اعرابي برجل صلبه السلطان . فقال : من طلق الدنيا فالآخرة صاحبته ، ومن فارق الحق فالجذع راحلته

٢٢ — ومن النطق بالدلالة — ما حدث به العباس بن الفرج الرياشي قال : نزل النعمان بن المنذر ومعه عدي بن زيد العبادي في ظل شجرة مورقة ليلهو النعمان هناك . فقال له . عدي أبيت اللعن : أتدري ما تقول هذه الشجرة : قال ما تقول . قال تقول :

رب شرب قد أناخوا حولنا * يمزجون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا عصف الدهر بهم * وكذاك الدهر حالا بعد حال

فتنغص على النعمان ما هو فيه . وقال رجل لخالد بن صفوان انك لتكثر . قال أكثر لضربين أحدهما فيما لا تغني فيه القلة . والآخر لتمرس اللسان فان حبسه يورث العقلة . وكان خالد بن صفوان يقول : لا تكون بليغا حتى تكلم أمتك السوداء ، في الليلة الظلماء ، في الحاجة المهمة : بما تكلم به في نادي قومك . وانما اللسان عضو اذا مرنته مرن ، واذا تركته كان كاليد تخشنها بالممارسة ، والبدن الذي تقويه برفع الحجر وما أشبهه ، والرجل اذا عودت المشي مشت . وكان نوفل بن مساحق اذا دخل

على امرأته صمت فاذا خرج عنها تكلم . فقالت له لماذا كنت عندي سكت واذا كنت عند الناس تنطق . قال : اني أجل عن دقيقك وتدقين عن جليلي . وذكر شبيب بن شيبة خالد بن صفوان فقال : ليس له صديق في السر ، ولا عدو في العلانية ، وهذا كلام لا يعرف قدره الا أهل صناعته . وقال أبو جعفر لعمرو بن عبيد أعني بأصحابك يا أبا عثمان . قال ارفع علم الحق يتبعك أهله

٢٣ — آفات البلاغة — قال محمد كاتب ابراهيم وكان شاعرا راويا وطالبا للنحو علامة . قال : سمعت أبا دواد وجرى شيء من ذكر الخطيب وتمييز الكلام فقال : تلخيص المعاني رفق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق في غير اهل البادية نقص ، والنظر في عيوب الناس عي ، ومس اللحية هلك ، والخروج مما بني عليه الكلام أسهاب ، قال وسمعته يقول ، رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وحليها الاعراب ، وبهاؤها تخيير اللفظ ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه ، وأنشدني بيتا في خطبة اياد :

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحي الملاحظ خيفة الرقباء

وقال ابن الاعرابي : قلت للمفضل ما الايجاز عندك . : قال حذف الفضول ، وتقريب البعيد وتكلم ابن السماك يوما وجارية له تسمع . فلما دخل قال لها كيف سمعت كلامي . قالت الى ان تفهمه من لم يفهمه مله من فهمه :

٢٤ — باب الحلم ودفع السيئة بالحسنة — قال الله تعالى « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » وقال رجل لعمرو بن العاص : والله لاتفرغن لك . قال هنالك وقعت في الشغل . قال كأنك تهددني والله لئن قلت كلمة لاقولن لك عشرا . قال وأنت والله لئن قلت لي عشرا لم أقل لك واحدة . وقال رجل لابي بكر رضي الله عنه والله لاسبنك سبا يدخل القبر معك . قال معك يدخل لا معي . وقيل لعمرو بن عبيد : لقد وقع فيك اليوم أبو أيوب السختياني حتى رحمناك : قال اياه فارحموا . وشتم رجل الشعبي . فقال له . ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك . وشتم رجل اباذر فقال : ياهذا لا تغرق في شتمنا ودع للصلح موضعا . فانا لا نكافئ من عصى الله فينا باكثر من أن نطيع الله فيه . ومر المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود . فقالوا له شرا فقال خيرا فقيل له انهم يقولوا شرا وتقول له

لهم خيرا فقال : كل واحد ينفق مما عنده . وقال الشاعر .

ثالبني عمرو وثالبته * فأثم المثلوب والثالب
قلت له خيرا وقال الخنى * كل على صاحبه كاذب

وقال آخر
وذى رحم قلمت أظفار جهله * بحلمى عنه حين ليس له حلم
اذا سمته وصل القرابة سامنى * قطيعتها تلك السفاهة والاثم
فدوايته بالحلم والمرء قادر * على سهمه ما كان فى كفه السهم

وكتب رجل الى صديق له وأبلغه أنه وقع فيه :

لئن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرني أنى خطرت ببالكا

وأنشد طاهر بن عبد العزيز :

اذا ما خليلى أساءه * وقد كان من قبل ذا مجملا
تحملت ما كان من ذنبه * ولم يفسد الآخر الاولا

٢٥ — صفة الحلم وما يصلح له — قول للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم . قال : من قيس بن عاصم المنقرى رأيته قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه حتى أتى برجل مكتوف ورجل مقتول . فقيل له هذا ابن أخيك قتل ابنك . فوالله ماحل حبوته ، ولا قطع كلامه . ثم التفت الى ابن أخيه قال له : يا ابن أخى أثمت بربك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك ، ثم قال لابن له آخر قم يا بني فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك ، وسق الى أمه مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة . ثم أنشا يقول :

انى امرؤ لا يطبي حسبي * دنس يهجنه ولا أفن
من منقر فى بنت مكرمة * والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم * بيض الوجوه أعفة لسن
لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جوار فطن

وقال رجل للاحنف بن قيس : علمني الحلم يا أبا بحر . قال : هو الذل يا ابن أخى أفتصبر عليه وقال الاحنف لست حليما : ولكنى أتحالم : وقيل له : من أحلم أنت أم معاوية . قال : تالله ما رأيت أجهل منكم إن معاوية يقدر فيحلم : وأحلم ولا أقدر . فكيف أقاس عليه أو أدانيه وقال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان : بم بلغ فيكم الاحنف ما بلغ . قال : ان شئت أخبرتك

بخلة وان شئت بخلتين وان شئت بثلاث . قال : فما الخلة . قال : كان أقوى الناس على نفسه . قال : فما الخلتان قال كان : موقى الشر ملقى الخير . قال : فما الثلاث . قال : كان لا يجهل ولا يبغى ولا يبخل. وقيل لقيس بن عاصم ما الحلم. قال: أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك . وقالوا : ماقرن شيء الى شيء أزين من حلم الى علم ومن عفو الى قدرة . وقال لقمان الحكيم : ثلاثة لا تعرفهم الا ثلاثة . لا يعرف الحلم الا عند الغضب ، ولا الشجاع الا عند الحرب ، ولا تعرف اخاك الا اذا احتجت اليه . وقال الشاعر

ليست الاحلام فى حين الرضا * انما الاحلام فى حين الغضب

وفى الحديث «اقرب مايكون المرء من غضب الله اذا غضب» وقال الحسن : المؤمن حليم لا يجهل وان جهل عليه : وتلا قول الله عز وجل « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » وقال معاوية اني لاستحي من ربي أن يكون ذنب أعظم من عفوى أو جهل أكبر من حلمى أو عورة لا أواريها بسترى . وقال مورق العجلى : ماتكلمت فى الغضب بكلمة ندمت عليها فى الرضا وقال يزيد بن أبي حبيب : انما غضبي فى نعلى فاذا سمعت ما أكره أخذتها ومضيت . وقالوا : اذا غضب الرجل فليستلق على قفاه واذا عيي فليرفع رجليه . وقيل للاحنف : ما الحلم فقال : قول ان لم يكن فعل وصمت ان ضر قول . وقال على بن ابى طالب رضي الله عنه : من لانت كلمته ، وجبت محبته وقال : حلمك على السفيه ، يكثر انصارك عليه . وقال الاحنف : من لم يصبر على كلمة سمع كلمات . وقال : رب غيظ تجرعته مخافة هو أشد منه وأنشد :

رضيت ببعض الذل خوف جميعه * كذلك بعض الشر أهون من بعض

وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز بعض مايكره . فقال : لا عليك انما أردت أن يستفزنى الشيطان بعزة السلطان فانال منك اليوم ماتناله منى غدا انصرف اذا شئت. وقال الشاعر فى هذا المعنى

لن يدرك المجد أقوام وان كرموا * حتى يذلوا وان عزوا الاقوام
ويشتموا فترى الالوان كاسفة * لا ذل عجز ولكن ذل أحلام

ولآخر: اذا قيلت العوراء أغضى كانه * ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر

ومن احسن بيت فى الحلم قول كعب بن زهير :

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنى * أصبت حليما أو أصابك جاهل

وقال الاحنف: آفة الحلم الذل . وقال لا حلم لمن لا سفيه له . وقال : ماقل سفهاء قوم الا ذلوا

وأنشد :
لابد للسودد من رماح * ومن رجال مصلتي السلاح
يدافعون دونه بالراح * ومن سفيه دائم القباح

وقال النابغة الجعدى :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولما أنشد هذا البيت للنبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يفضض الله فاك ، فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية . وقالوا : لا يظهر الحلم الا مع الانتصار كما لا يظهر العفو الا مع الاقتدار . وقال الاصمعى : سمعت أعرابيا يقول : كان سنان بن أبي حارثة أحلم من فرخ الطائر . قلت وما حلم فرخ الطائر . قال انه يخرج من بيضة فى رأس نيق ولا يتحول حتى يتوفر ريشه ويقوى على الطيران :

٢٦ — باب السودد — قيل لعدى بن حاتم : ما السودد قال السيد الاحمق فى ماله ، الذليل فى عرضه ، المطرح لحقده . وقيل لقيس بن عاصم : بم سودك قومك . قال بكف الاذي ، وبذل الندى ، ونصر المولى وقال رجل للاحنف بم سودك قومك وما أنت باشرفهم بيتا ، ولا أصبحهم وجها ، ولا أحسنهم خلقا ، قال بخلاف ما فيك يا ابن أخي . قال : وماذاك قال بتركى من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك . وقال : عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل من سيد قومك . قال أنا قال . كذبت لو كنت كذلك لم تقله . وقال ابن الكلبي : قدم أوس بن حارثة بن لام الطائى وحاتم بن عبد الله الطائي على النعمان بن المنذر . فقال لاياس بن قبيصة الطائي أيهما أفضل . قال أبيت اللعن أيها الملك انى من أحدهما ولكن سلهما عن أنفسهما فانهما يخبرانك . فدخل عليه أوس . فقال أنت أفضل أم حاتم . فقال أبيت اللعن ان أدنى ولد حاتم أفضل مني ، ولو كنت أنا وولدى ومالي لحاتم لانهبنا فى غداة واحدة . ثم دخل عليه حاتم . فقال له أنت أفضل أم أوس . فقال أبيت اللعن ان أدني ولد لأوس أفضل مني . فقال النعمان هذا والله السودد وأمر لكل واحد منهما بمائة من الابل . وسال عبد الملك بن مروان روح بن زنباع عن مالك بن مسمع . فقال : لو غضب مالك لغضب معه مائة الف سيف لا يساله واحد منهم لم غضبت . فقال عبد الملك هذا والله السودد . وقال أبو حاتم عن القتبي أهدى ملك اليمن سبع جزائر الى مكة وأوصى أن ينحرها أعز قرشي بها فاتت وأبو سفيان عروس بهند . فقالت له هند : يا هذا لا تشغلك النساء عن هذه الاكرومة التى لعلك أن تسبق

اليها . فقال لها ياهذه ذرى زوجك وما اختار لنفسه . فوالله لانحرها أحد الانحرته فكانت فى عقلها حتى خرج اليها بعد السابع فنحرها . ونظر رجل الى معاوية : وهو غلام صغير . فقال : انى أظن أن هذا الغلام سيسود قومه فسمعته أمه هند فقالت : ثكلته اذا ان لم يسد غير قومه . وقال الهيثم بن عدى : كانوا يقولون اذا كان الصبي سابل الغرة ، طويلة الغرلة ، ملتاث الازره ، فذلك الذى لا يشك فى سودده . ودخل ضمرة ابن أبي ضمرة على النعمان بن المنذر وكانت به دمامة شديدة . فالتفت النعمان الى أصحابه . وقال : تسمع بالمعيدى خير من أن تراه . فقال أيها الملك انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فان قال قال ببيان ، وان قاتل قاتل بجنان ، قال صدقت . وبحق سودك قومك . وقيل لعرابة الاوسي : بم سودك قومك قال : باربع خلال أنخدع لهم فى مالى ، وأذل لهم فى عرضى ، ولا أحقر صغيرهم ، ولا أحسد كبيرهم ، وفى عرابة الاوسي يقول الشماخ وهو ضرار :

رأيت عرابة الاوسي يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

وقالوا يسود الرجل باربعة أشياء بالعقل والادب والعلم والمال . وكان سلم بن نوفل سيد بنى كنانة فوثب رجل على ابنه وابن أخيه . فجرحهما فاتى به . فقال ما أمنك من انتقامي . قال فلم سودناك الا أن تكظم الغيظ ، وتحلم عن الجاهل ، وتحتمل المكروه ، فخلى سبيله . فقال فيه الشاعر : يسود أقوام وليسوا بسادة * بل السيد الصنديد سلم بن نوفل

وقال ابن الكلبي قال لى خالد القسرى ما تعدون السودد . قلت أما فى الجاهلية فالرياسة ، وأما فى الاسلام فالولاية ، وخير من ذا وذلك التقوى . قال صدقت كان أبي يقول لم يدرك الاول الشرف الا بالعقل ، ولم يدرك الآخر الا بما أدرك به الاول : قلت له : صدق أبوك انما ساد الاحنف بن قيس بحلمه . ومالك بن مسمع بحب العشيرة له . وقتيبة بن مسلم بدهائه . وساد المهلب بهذه الخلال كلها . الاصمعى قال : قيل لاعرابي يقال له منتجع بن نبهان ما السيمدع قال السيد الموطأ الاكتاف . وكان عمر بن الخطاب يفرش له فراش في بيته فى وقت خلافته فلا يجلس عليه أحد الا العباس بن عبد المطلب . وأبو سفيان بن حرب . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابى سفيان ، كل الصيد في جوف الفرا ، والفرا الحمار الوحشي وهو مهموز وجمعه فراء ، ومعناه أنه فى الناس مثل الحمار الوحشى فى الوحش . ودخل عمرو بن العاص مكة

فرأى قوما من قريش قد تحلقوا حلقة . فلما رأوه رموا بأبصارهم اليه فعدل اليهم . فقال أحسبكم كنتم في شيء من ذكري . قالوا : أجل كنا نمثل بينك وبين أخيك هشام أيكما أفضل . فقال عمروان لهشام على أربعة أمه ابنة هشام بن المغيرة وأمي من قد عرفتم . وكان احب الناس الى أبيه مني . وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد . وأسلم قبلي واستشهد وبقيت . قال قيس بن عاصم لبنية لما حضرته الوفاة : احفظوا عني فلا أحداً أنصح لكم مني أما اذا أنا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا اصغاركم فيحقر الناس كباركم . وقال الاحنف ابن قيس السودد مع السواد . وهذا المعنى يحتمل وجهين من التفسير . أحدهما ان يكون أراد بالسواد سواد الشعر يقول من لم يسدمع الحداثة لم يسدمع الشيخوخة . والوجه الآخر أن يكون أراد بالسواد سواد الناس ودهماءهم . يقول : من لم يطر له اسم على ألسنة العامة بالسودد لم ينفعه ما طار له في الخاصة وقال أبان بن سلمة :

ولسنا كقوم محدثين سيادة * يرى مالهـا ولا يحس فعالها
مساعيهم مقصورة في بيوتهم * ومسعاتنا ذبيان طرا عيالها

الهيثم بن عدى قال : لما انفرد سفيان بن عيينة ومات نظراؤه من العلمـاء تكاثر الناس عليه . فانشد يقول :

خلت الديار فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردي بالسودد

٢٧ — سود الرجل بنفسه — قال النبي صلى الله عليـه وسلم « من اسرع به عمله لم يبطئ به حسبه ومن ابطأ به عمـله لم يسرع به نسبه » . وقال قس بن ساعدة : من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيـه . وقالوا : انمـا الناس بابدانهم . وقال الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقـداما

وقال عبدالله بن معاوية :

لسنا وان كرمت أوائلنا * يوما على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنـا * تبني ونفعل مثـل مافعلوا

وقال قس بن ساعدة : لاقضين بين العرب بقضية لم يقض بها أحد قبلي ولا يردها أحد بعدى أيما رجل رمى رجلا بملامة دونها كرم فلا لوم عليه . وأيما رجل ادعى كرما دونه لؤم فلا كرم له . وقالت عائشة رضي الله عنها . كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به . وكل

لؤم دونه كرم قال الكرم أولى به تريد ان أولى الامور بالانسان خصال نفسه وان كان كريما وآباؤه لئاما لم يضره ذلك وان كان لئيما وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك . وقال عامر بن الطفيل العامري :

واني وان كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثة * أبي الله ان أسمو بجد ولا أب
ولكنني أحمي حماها واتقي * أذاها وأرمي من رماها بمنكبي

وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب فاعجب عبد الملك ما سمع من كلامه . فقال له ابن من أنت قال انا ابن نفسي يا أمير المؤمنين التي بها توصلت اليك . قال صدقت : فاخذ الشاعر هذا المعنى . فقال

مالي عقلي وهمتي حسبي * ما أنا مولى ولا أنا عربي
اذا انتمى منتم الى أحد * فانني منتم الى أدبي

وقال بعض المحدثين :

رأيت رجال بني دالق * ملوكا بفضل تجاراتهم
وبربرنا عند حيطانهم * يخوضون في ذكر أمواتهم
وما الناس الا بابدانهم * وأحسابهم في حراماتهم

٢٨ — المروءة — قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا دين الا بمروأة» وقال ربيعة الرأي : المروءة ست خصال ثلاثة في الحضر . وثلاثة في السفر . فاما التي في السفر فبذل الزاد ، وحسن الخلق ، ومداعبة الرفيق . وأما التي في الحضر فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، وعفاف الفرج ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : المروءة مروأتان مروأة ظاهرة ومروأة باطنة ، فالمروأة الظاهرة الرياش ، والمروأة الباطنة العفاف . وقدم وفد على معاوية فقال لهم ما تعدون المروأة . قالوا العفاف واصلاح المعيشة . قال اسمع يا يزيد . وقيل لابي هريرة ما المروأة . قال تقوي الله وتفقد الضيعة . وقيل للاحنف : ما المروأة قال العفة والحرفة . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : انا معشر قريش لا نعد الحلم والجود سوددا ونعد العفاف واصلاح المال مروأة . وقال الاحنف : لا مروأة لكذوب ، ولا سودد لبخيل ، ولا ورع لسيئ الخلق ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « تجاوزوا لذوى المروآت عن عثراتهم فوالذي نفسي بيده ان أحدهم ليعثر وان يده لبيد الله » وقال العتبي عن ابيه : لا تتم مروأة الرجل الا بخمس أن يكون عالما صادقا عاقلا ذا

بيان مستغنيا عن الناس . وقال الشاعر :

وما المرء الا حيث يجعل نفسه ✱ ففي صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقيل لعبد الملك بن مروان : أكان مصعب بن الزبير يشرب الطلاء . فقال : لو علم مصعب أن الماء يفسد مروءته ماشربه . وقالوا : من أخذ من الديك ثلاثة أشياء : ومن الغراب ثلاثة أشياء تم بها أدبه ومروءته . من أخذ من الديك سخاءه وشجاعته وغيرته : ومن الغراب بكوره لطلب الرزق وشدة حذره وستر سفاده

٢٩ — طبقات الرجال — قال خالد بن صفوان الناس ثلاث طبقات طبقة علماء ، وطبقة خطباء ، وطبقة أدباء ، ورجرجة بين ذلك يغلون الاسعار ، ويضيقون الاسواق ، ويكدرون المياه . وقال الحسن : الرجال ثلاثة فرجل كالغذاء لا يستغني عنه ، ورجل كالدواء لا يحتاج اليه الا حينا بعد حين ، ورجل كالداء لا يحتاج اليه أبدا . وقال مطرف ابن عبد الله بن الشخير : الناس ثلاثة ناس ، ونسناس ، وناس غمسوا في ماء الناس : وقال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة فرجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فسلوه ، ورجل يدرى ولا يدري أنه يدري فذلك الناسي فذكروه ، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك الجاهل فعلموه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك الاحمق فارفضوه . وقال الشاعر :

أليس من البلوي بانك جاهل ✱ وانك لا تدرى بانك لا تدرى

اذا كنت لا تدرى ولست كمن درى ✱ فكيف اذا تدرى بانك لا تدرى

ولآخر : وما الداء الا الا أن تعلم جاهلا ✱ ويزعم جهلا أنه منك أعلم

وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه : الناس ثلاثة عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، ورعاع همج يميلون مع كل ريح . وقالت الحكماء الاخوان ثلاثة فاخ يخلص لك وده ، ويبذل لك رفده ، ويستفرغ في مهمك جهده . وأخ ذونية يقتصر بك على حسن نيته دون رفده ومعونته ، وأخ يتملق لك بلسانه ، ويتشاغل عنك بشانه ، ويوسعك من كذبه وأيمانه . وقال الشعبي : مر رجل بعبد الله بن مسعود . فقال لاصحابه هذا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم ولا يتعلم ممن يعلم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « كن عالما أو متعلما ولا تكن الثالثة فتهلك »

٣٠ — الغوغاء — الدبا وهى صغار الجراد وشبه بها سواد الناس . وذكر الغوغاء عند

عبدالله بن عباس . فقال : ماجتمعوا قط الاضروا ولا افترقوا الا نفعوا . قيل له : قد علمنا ماضر اجتماعهم فما نفع افتراقهم . قال يذهب الحجام الى دكانه والحداد الى أكياره وكل صانع الى صناعته . ونظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى قوم يتبعون رجلا أخذ في ريبة . فقال : لامرحباً بهذه الوجوه التي لاترى الا في كل شر . وقال حبيب بن أوس الطائي :

ان شئت أن يسود ظنك كله * فاجله في هذا السواد الاعظم

وقال دعبل :

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم * الله يعلم أني لم أقل فندا
اني لافتح عيني حين أفتحها * على كثير ولكن لا أرى أحدا

٣١ — الثقلاء — قالت عائشة رضي الله عنها نزلت آية في الثقلاء « فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث » وقال الشعبي : من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء . وقيل لجالينوس : بم صار الرجل الثقيل أثقل من الحمل الثقيل . فقال لان الرجل الثقيل انما ثقله على القلب دون الجوارح . والحمل الثقيل يستعين فيه القلب بالجوارح . وقال سهل ابن هرون : من ثقل عليك بنفسه ، وغمك بسؤاله ، فاعره أذناً صماء ، وعيناً عمياء ، وكان أبو هريرة اذا استثقل رجلا . قال : اللهم اغفر له وارحنا منه . وكان الاعمش اذا حضر مجلسه ثقيل يقول :

فما الفيل تحمله ميتا * بأثقل من بعض جلاسنا

وقال أبو حنيفة للاعمش وأتاه عائدا في مرضه لولا أن أثقل عليك أبا محمد لعدتك والله في كل يوم مرتين . فقال له الأعمش : والله يا ابن أخي أنت ثقيل علي وأنت في بيتك . فكيف لو جئتني في كل يوم مرتين . وذكر رجلا ثقيلا كان يجلس اليه . فقال : والله اني لابغض شق الذي يليه اذا جلس اليّ . ونقش رجل على خاتمه أبرمت فقم . فكان اذا جلس اليه ثقيل ناوله اياه وقال اقرأ ما على هذا الخاتم . وكان حماد بن سلمة اذا رأى من يستثقله قال : ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون . وقال بشار العقيلي في ثقيل يكني أبا عمران :

ربما ثقل الجليس وان كا * ن خفيفا في كفة الميزان
ولقد قلت اذا اظل على القو * م ثقيلا يربي على ثهلان
كيف لاتحمل الامانة أرض * حملت فوقها أبا عمران

ولآخر : أنت ياهذا ثقيل * وثقيل وثقيل

أنت فى المنظر انسا * ن وفى الميزان فيل

وقال الحسن بن هانىء فى رجل ثقيل :

ثقيل يطالعنا من أمم * اذا سره رغم أنفى ألم * أقول له اذ بدا لا بدا
ولا حملته الينا قدم * فقدت خيالك لا من عمى * وصوت كلامك لا من صمم

وله فيه : وما أظن القلاص منجيتى * منك ولا الفلك أيها الرجل
ولو ركبت البراق أدركني * منك على نأى دارك الثقل
هل لك فيما ملكته هبة * تاخذه جملة وترتحل

وله فيه : يامن على الجلاس كالفتق * كلامك التخديش فى الحلق
هل لك فى مالى وماقد حوت * يداي من جل ومن دق
تاخذه مني كذا فدية * واذهب ففى البعد وفى السحق

وله فيه : ألا ياجبل المقت الذى أرسى فما يبرح
لقد أكثرت تفكيري * فما أدري لما تصلح * فما تصلح أن تهجى * ولا تصلح أن تمدح

أهدى رجل من الثقلاء الى رجل من الظرفاء جملا . ثم نزل عليه حتي أبرمه فقال فيه :

يامبري ما أهدى جمل * خذوا انصرف ألفى جمل * قال وما أوقارها * قلت زبيب وعسل
قال ومن يقودها * قلت له ألفا رجل * قال ومن يسوقها * قلت له ألفا بطل
قال وما لباسهم * قلت حلى وحلل * قال وما سلاحهم * قلت سيوف وأسل
قال عبيد لى اذا * قلت نعم ثم خول * قال بهذا فاكتبوا * اذن عليكم لى سجل
قلت له ألفى سجل * فاضمن لنا أن ترتحل * قال وقد أضجرتكم * قلت أجل ثم أجل
قال وقد أبرمتكم * قلت له الامر جلل * قال وقد أثقلتكم * قلت له فوق الثقل
قال فاني راحل * قلت العجل ثم العجل * ياكوكب الشؤم ومن * أربى على نحس زحل
ياجبلا من جبل * فى جبل فوق جبل

وقال الحمدوني فى رجل بغيض مقيت :

أيا ابن البغيضة وابن البغيض * ومن هو في البغض لا يلحق * سألتك بالله الا صدقت
وعلمى بانك لا تصدق * أتبغض نفسك من بغضها * والا فانت اذن أحمق

وله فيه : فى حريم الناس اذ كنت من الناس تعد

ولقد أنبئت ابليس اذا مارآك يعدو

ولحبيب الطائى فى مثله أى فى رجل مقيت :

يامن تبرمت الدنيا بطلعته * كما تبرمت الاجفان بالرمد
يمشى على الارض مختالا فاحسبه * لبغض طلعته يمشى على كبدى
لو أن فى الارض جزأ من سماجته * لم يقدم الموت اشفاقا على أحد

وللحسن بن هانيء فى الفضل الرقاشي :

رأيت الرقاشى فى موضع * وكان الىّ بغيضا مقيتا
فقال اقترح بعض ما تشتهي * فقلت اقترحت عليك السكوتا

وأنشد الشعبي :

اني بليت بعشر * نوكى أخفهم ثقيل
بله اذا جالستهم * صدئت لقربهم العقول
لا يفهمونى قولهم * ويدق عنهم ما أقول
فهم كثير بى كما * أني بقربهم قليل

وقال العتبي كتب الكسائى الى الرقاشى :

شكوت الينا مجانينكم * وأشكو اليك مجانيننا
وأنشات تذكر أقذارهم * فانتن وأقذر بمن عندنا
فلولا السلامة كنا كهم * ولولا البلاء لكانوا كنا

وقال حبيب الطائى :

وصاحب لى مللت صحبته * أفقدنى الله شخصه عجلا
سرقت سكينه وخاتمه * أقطع مابيننا فما فعلا

وقال حبيب :

يامن له فى وجهه اذ بدا * كنوز قارون من البغض
لوفر شيء قط من شكله * فراذا بعضك من بعض
كونك فى صلب أبينا الذى * أهبطنا جمعا الى الارض

وقال أبو حاتم وأنشدنى أبو زيد الانصارى النحوى صاحب النوادر :

وجه يحيي يدعو الى البصق فيه * غير اني أصون عنه بصاقي

قال أبو حاتم وأنشدني العتبي :

له وجه يحل البصق فيه * ويحرم أن يلاقي بالتحية

قال وأنشدني :

قميص أبي أمية ماعلمتم * وأوسخ منه جلد أبي أميه

٣٢ — التفاءل بالاسماء — سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا أراد أن يستعين به على عمل عن اسمه واسم أبيه . فقال ظالم بن سراقة فقال تظلم أنت ويسرق أبوك ولم يستعن به في شيء . وأقبل رجل الى عمر بن الخطاب فقال له عمر ما اسمك . فقال شهاب بن حرقة . قال ممن . قال من أهل حرة النار . قال وأين مسكنك . قال بذات لظى . قال اذهب فان أهلك قد احترقوا فكان كما قال عمر رضى الله عنه . ولقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مسروق بن الاجدع فقال له : من أنت . قال مسروق بن الاجدع . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الاجدع شيطان » وروي سفيان عن هشام الدستوائي عن يحيي ابن أبي كثير قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمرائه « لا تبردوا بريدا الا حسن الوجه حسن الاسم » ولما فرغ المهلب بن أبي صفرة من حرب الازارقة وجه بالفتح الى الحجاج رجلا يقال له مالك ابن بشير . فلما دخل على الحجاج . قال له ما اسمك . قال مالك بن بشير . قال ملك وبشارة . وقال الشاعر :

واذا تكون كريهة فرجتها * أدعو باسلم مرة ورباح

يريد التطير باسلم ورباح للسلامة والربح . الرياشي عن الاصمعي قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل على رجل من الانصار . فصاح الرجل بغلاميه ياسالم ويايسار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لنا الدار في يسر . وقال سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي قدم جدي حزن بن أبي وهب على النبي صلى الله عليه وسلم . فقال له : كيف اسمك . قال حزن قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل سهل . قال ما كنت لادع اسما سمتني به أمي . قال سعيد : فانا لنجد تلك الحزونة في أخلاقنا الى اليوم . وانما تطيرت العرب من الغراب للغربة اذ كان اسمه مشتقا منها . وقال أبو الشيص :

أشاقك والليل ملقى الجران * غراب ينوح على غصن بان

وفي نعبات الغراب اغتراب * وفى البان بين بعيد التداني

ولآخر فى السفرجل :

أهدى اليه سفرجلا فتطيرا * منه فظل مفكرا مستعبرا
خوف الفراق لان شطر هجائه * سفر وحق له بان يتطيرا

ولاخر فى السوسن :

ياذا الذى أهدي لنا السوسنا * ما كنت فى اهدائه محسنا
شطر اسمه سوء فقد سؤتني * ياليت اني لم أر السوسنا

ولآخر فى الأترج :

أهدى اليه حبيبه أترجة * فبكى وأشفق من عيافة زاجر
خاف التبدل والتلون انها * لونان باطنها خلاف الظاهر

وقال الطائي فى الحمام :

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

وكان أشعب يختلف الى قينة بالمدينة . فلما أراد الخروج سألها أن تعطيه خاتم ذهب فى يدها ليذكرها به . قالت أنه ذهب وأخاف أن تذهب ولكن هذا العود فلعلك أن تعود

٣٣ — باب الطيرة — قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكاد يسلم منهن أحد الطيرة والظن والحسد قيل فما المخرج منهن يارسول الله : قال اذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ » وقال أبو حاتم — السانح ماولاك ميامنه — والبارح ماولاك مياسره — والخائد ما استقبلك من تجاهك — والقعيد الذى يأتيك من خلفك . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا عدوى ولا طيرة » وقال « ليس منا من تطير » وقال « اذا رأى أحدكم الطيرة فقال اللهم لا طير الا طيرك ، ولا خير الا خيرك ، ولا اله غيرك لم تضره » وقد كانت العرب تتطير ويأتي ذلك فى أشعارهم . وقال بعضهم :

وما صدقتك الطير يوم لقيتنا * وما كان من دلاك فينا بخابر

وقال حسان رضى الله تعالى عنه :

ياليت شعرى وليت الطير تخبرني * ما كان بين علىّ وابن عفانا
لتسمعن وشيكا فى ديارهم * الله أكبر ياثارات عثمان

وقال الحسن بن هانئ :

قام الامين بأمر الله فى البشر * واستقبل الملك فى مستقبل الثمر
فالطير تخبرنا والطير صادقة * عن طيب عيش وعن طول من العمر

وقال الشيبانى : لما قدم قتيبة بن مسلم واليا على خراسان قام خطيبا فسقطت المخصرة من يده فتطير به أهل خراسان . فقال : أيها الناس ليس كما ظننتم ولكنه كما قال الشاعر :

فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

٣٤ — اتخاذ الاخوان وما يجب لهم — روى الاوزاعى عن يحيي بن أبي كثير أن داود قال لابنه سليمان عليهما السلام يابني لا تستقل عدوا واحدا ولا تستكثر ألف صديق ، ولا تستبدل بأخ قديم أخا مستحدثا ما استقام لك . وفى الحديث المرفوع « المرء كثير بأخيه » وقال شبيب بن شيبة : اخوان الصفا خير من مكاسب الدنيا ، هم زينة فى الرخاء ، وعدة فى البلاء ، ومعونة على الاعداء ، وأنشد ابن الاعرابى :

لعمرك ما مال الفتي بذخيرة * ولكنّ اخوان الصفاء الذخائر

وقال الاحنف بن قيس : خير الاخوان ما ان استغنيت عنه لم يزدك ، فى المودة وان احتجت اليه لم ينقصك منها ، وان كوثرت عضدك ، وان استرفدت رفدك ، وأنشد :

أخوك الذى ان تدعه لملمة * يجبك وان تغضب الى السيف يغضب

ولآخر :

أخاك أخاك ان من لا أخا له * كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه * وهل ينهض البازى بغير جناح

ومما يجب للصديق على الصديق النصيحة جهده . فقد قالوا صديق الرجل مرآته يريه حسناته وسيآته . وقالوا : الصديق من صدقك وده ، وبذل لك رفده . وقالوا : خير الاخوان من أقبل عليك اذا أدبر الزمان عنك . وقال الشاعر :

* فان أولى الموالى من تواليه * عند السرور لمن واساك فى الحزن
ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

ولآخر : الصبر من كرم الطبيعه * والمنّ مفسدة الصنيعه

ترك التعهد للصديق يكون داعية القطيعه

أنشد محمد بن يزيد المبرد لعبد الصمد بن المعدل في ابراهيم بن الحسن :

يامن فدت نفسه نفسي ومن جعلت * له وقاه لما يخشى وأخشاه
أبلغ أخاك وان شط المزار به * اني وان كنت لا ألقاه ألقاه
وان طرفي موصول برؤيته * وان تباعد عن مثواى مثواه
الله يعلم أني لست أذكره * وكيف يذكره من ليس ينساه
عدوا فهل حسن لم يحوه حسن * وهل فتى عدلت جدواه جدواه
فالدهر يفنى ولا تفنى مكارمه * والقطر يحصى ولا تحصى عطاياه

وقيل لبعض الولاة كم صديقا لك . قال لا أدري الدنيا مقبلة علىّ والناس كلهم أصدقائي ـ وانما أعرف ذلك اذا أدبرت عني . ولما صارت الخلافة الى المنصور كتب اليه رجل من اخوانه كتابا فيه هذه الابيات :

انا بطانتك الالى * كنا نكابد ما تكابد * ونرى فنعرف بالعدا
وة والبعاد لمن تباعد * ونبيت عن شفق عليك ربيئة والليل هاجد

فلما وصلت الابيات الى أبي جعفر وقع على كل بيت منها صدقت ودعا به فالحقه باخوانه

٣٥ — معاتبة الصديق واستبقاء مودته — قالت الحكماء : مما يجب للصديق على الصديق الاغضاء عن زلاته ، والتجاوز عن سيآته ، فان رجع وأعتب والا عاتبته بلا اكثار . فان كثرة العتاب مدرجة للقطيعة . وقال على بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه لا تقطع أخاك على ارتياب ، ولا تهجره دون استعتاب . وقال ابو الدرداء : من لك باخيك كله . وقالوا أى الرجال المهذب . وقال بشار العقيلي :

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وقالوا معاتبة الاخ خير من فقده . وقال الشاعر :

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود مابقي العتاب

ولاحمد بن أبان :

اذا أنا لم أصبر على الذنب من أخ * وكنت أجازيه فاين التفاضل
ولكن أداويه فان صح سرني * وان هو أعيا كان فيه تحامل

وقال الاحنف : من حق الصديق أن يتحمل ثلاثا ظلم الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم الهفوة

لعبدالله بن معاوية :

ولست ببادى صاحبي بقطيعة * ولست بمفش سره حين يغضب
عليك باخوان الثقاة فانهم * قليل فصلهم دون من كنت تصحب
وما الخدن الا من صفا لك وده * ومن هو ذو نصح وأنت مغيب

٣٦ — فصل الصداقة على القرابة — قيل لبزرجمهر : من أحب اليك أخوك او صديقك . فقال ما أحب أخي الا اذا كان لى صديقا . وقال أكثم بن صيفى : القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة . وقال عبد الله بن عباس : القرابة تقطع والمعروف يكفر . وما رأيت كتقارب القلوب . وقالوا : اياكم ومن تكرهه قلوبكم فان القلوب تجازى القلوب . وقال عبد الله بن طاهر الخراساني :

أميل مع الرفاق على ابن أمى * وأحمل للصديق على الشقيق
وان ألفيتني ملكا مطاعا * فانك واجدى عبد الصديق
أفرق بين معروفي وبيني * وأجمع بين مالى والحقوق

وقال حبيب الطائى :

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم * ووصفت ماوصفوا من الاسباب
فاذا القرابة لا تقرب قاطعا * واذا المودة أقرب الانساب

وللمبرد . ما القرب الا من صحت مودته * ولم يخنك وليس القرب للنسب
كم من قريب دوى الصدر مضطغن * ومن بعيد سليم غير مقترب

وقالت الحكماء : رب أخ لك لم تلده أمك . وقالوا : القريب من قرب نفعه . وقالوا : رب بعيد أقرب من قريب . وقال آخر :

رب بعيد ناصح الحبيب * وابن أب متهم المغيب

وقال آخر : أخو ثقة يسر ببعض شاني * وان لم تدنه مني قرابه
أحب الى من أنثى قريب * تبيت صدورهم لى مسترابه

وقال آخر : فصل حبال البعيد ان وصل الحبل وأقص القريب ان قطعه
قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
فارض من الدهر ما أتاك به * من قر عينا بعيشه نفعه

وقال لكل ضيق من الهموم سعه * والليل والصبح لا بقاء معه
لا تحقرن الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه

وقال ابن هرمة :

لله درك من فتى فجعت به * يوم البقيع حوادث الايام
هش اذا نزل الوفود ببابه * سهل الحجاب مؤدب الخدام
واذا رأيت صديقه وشقيقه * لم تدر أيهما أخو الارحام

٣٧ — التحبب الى الناس — في الحديث المرفوع «أحب الناس الى الله أكثرهم تحببا الى الناس» وفيه أيضا «اذا أحب الله عبدا احببه الى الناس» ومن قولنا في هذا المعنى :

وجه عليه من الحياء سكينة * ومحبة تجرى مع الانفاس
واذا أحب الله يوما عبده * ألقى عليه محبة للناس

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سعد بن ابي وقاص ان الله اذا احب عبدا حببه الى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس . واعلم ان مالك عند الله مثل ما للناس عندك وقال ابو دهمان لسعيد بن مسلم ووقف الى بابه فحجبه حينا . ثم أذن له فمثل بين يديه وقال : ان هذا الامر الذي صار اليك وفي يديك ، قد كان في يدى غيرك فامسى والله حديثا ، ان خيرا فخير وان شرا فشر . فتحبب الى عباد الله بحسن البشر ، وتسهيل الحجاب ، ولين الجانب ، فان حب عباد الله موصول بحب الله و بغضهم موصول ببغض الله ، لانهم شهداء الله على خلقه ، ورقباؤه على من اعوج عن سبيله . وقال الجارود . سوء الخلق يفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل : وقيل لمعاوية من احب الناس اليك . قال من كانت له عندي يد صالحة . قيل له . ثم من . قال من كانت لى عنده يد صالحة . وقال محمد بن يزيد النحوى أتيت الخليل فوجدته جالسا على طنفسة صغيرة فوسع لى وكرهت ان أضيق عليه فانقبضت فاخذ بعضدى وقربني الى نفسه . وقال انه لا يضيق سم الخياط بمتحابين ولا تسع الدنيا متباغضين . ومن قولنا فى هذا المعني :

صل من هويت وان أبدي معاتبة * فاطيب العيش وصل بين إلفين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فربما ضاقت الدنيا باثنين

٣٨ — صفة المحبة — أبو بكر الوراق قال: سال المامون عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ماهو فقال يا أمير المؤمنين اذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة، انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الاعضاء، فتحرك لاشراقها طبائع الحياة، فيصور من ذلك خلق حاصر للنفس، متصل بخواطرها يسمى الحب. وسئل حماد الرواية عن الحب ماهو. قال الحب شجرة أصلها الفكر. وعروقها الذكر، وأغصانها السهر، وأوراقها الاسقام، وثمرتها المنية، وقال معاذ بن سهل: الحب أصعب ماركب، وأسكر ماشرب، وأفظع مالقي وأحلى ما اشتهي، وأوجع ما بطن، وأشهى ماعلن، وهو كما قال الشاعر

وللحب آفات اذا هي صرحت * تبدت علامات لها غرر صفر
فباطنه سقم وظاهره جوى * وأوله ذكر وآخره فكر

وقالوا: لا يكن حبك كلفا: ولا بغضك سرفا، وقال بشار العقيلي:

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدني اليك فان الحب أقصاني

وقال غيره:

أحبك حبا لو تحبين مثله * أصابك من وجد على جنون
لطيفا مع الاحشاء أما نهاره * فدمع وأما ليله فانين

٣٩ — مواصلة لمن كان يواصل أباك — من حديث ابن أبي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم «لا تقطع من كان يواصل أباك تطفيء بذلك نوره فان ودك ود أبيك» وقال عبد الله بن مسعود: من بر الحي بالميت أن يصل من كان يصل أباه. وقال ابو بكر: الحب والبغض يتوارثان. ومن أمثالهم فى هذا المعني: لا تقتني من كلب سوء جروا. وقال الشاعر:

ترجو الوليد وقد أعياك والده * ومارجاؤك بعد الوالد الولدا

واجتمع عند ملك من ملوك العرب تميم بن مرة. و بكر بن وائل. فوقعت بينهما منازعة ومفاخرة فقالا أيها الملك أعطنا سيفين نتجالد بهما بين يديك حتى تعلم أينا أجلد. فامر الملك فنحت لهما سيفان من عود فاعطاهما فجعلا يضطربان مليا من النهار. فقال بكر ابن وائل:

* لو كانا سيفانا حديدا قطعا * قال تميم بن مرة * أو نحتا من جندل تصدعا * وحال الملك بينهما. فقال تميم بن مرة لبكر بن وائل:

* اساجلك العداوة ما بقينا * فقال له بكر * وان متنا نورثها البنينا * فيقال ان عداوة وبكر وتميم من أجل ذلك الى اليوم . أبو زيد قال أبو عبيدة : بنى دكان بسجستان بنته بكر بن ائل . فهدمته تميم . ثم بنته تميم فهدمته بكر : فتواقعوا فى ذلك أربعة وعشرين وقيعة . فقال ابن حلزة اليشكرى فى ذلك

قر بي ياخلى ويحك درعى * لقحت حر بنا وحرب تميم
اخوة فرشوا الذنوب علينا * فى حديث من دهرهم وقديم
طلبوا صلحنا ولات أوان * ان ما يطلبون فوق النجوم

٤٠ — الحسد — قال على رضي الله عنه لا راحة لحسود ، ولا اخاء لملول ، ولا محب لسيء الخلق ، وقال الحسن : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد نفس دائم ، وحزن لازم ، وغم لا ينفد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « كاد الحسد يغلب القدر » وقال معاوية : كل الناس أقدر أرضيهم الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها . وقال الشاعر :

كل العداوة قد ترجى اماتتها * الا عداوة من عاداك من حسد

وقال عبد الله بن مسعود : لا تعادوا نعم الله قيل له ومن يعادى نعم الله . قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله . يقول الله فى بعض الكتب : الحسود عدوّ نعمتي ، متسخط لقضائى ، غير راض بقسمتي ، ويقال : الحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء . وأول ذنب عصي الله به فى الارض : فامافى السماء فحسد ابليس لآدم . وأما فى الارض . فحسد قابيل هابيل . ولابى العتاهية :

يارب ان الناس لا ينصفوني * وكيف ولو أنصفتهم ظلموني
وان كان لى شيء تصدوا لاخذه * وان جئت أبغي منهم منعوني
وان نالهم بذلى فلا شكر عندهم * وان أنا لم أبذل لهم شتموني
وان طرقتني نقمة فرحوا بها * وان صحبتني نعمة حسدوني
سأمنع قلبي أن يحن اليهم * واحجب عنهم ناظرى وجفوني

أبو عبيدة معمر بن المثني قال : مر قبس بن زهير ببلاد غطفان . فرأى ثروة وعددا : فكره ذلك فقيل له أيسوءك مايسر الناس . قال انك لا تدرى أن مع النعمة والثروة التحاسد والتخاذل وان مع القلة التحاشد والتناصر . قال وكان يقال ما أري قوم قط الا تحاسدوا وتجادلوا . وقال

بعض الحكماء : الزم الناس كآبة أربعة رجل حديد ، ورجل حسود ، وخليط الادباء ، وهو غير أديب ، وحكيم محتقر لدى الاقوام . على بن بشر المروزى قال : كتب الى ابن المبارك هذه الابيات :

كل العداوة قد ترجى اماتتها * الا عداوة من عاداك من حسد
فان فى القلب منها عقدة عقدت * وليس يفتحها راق الى الابد
الا الاله فان يرحم يحللها * وان أباه فلا ترجوه من أحد

سئل بعض الحكماء : أي أعدائك تحب أن يعود لك صديقا . قال : الحاسد الذي لا يرده الا زوال نعمتي . وقال سليمان التيمي : الحسد يضعف اليقين ، ويسهر العين ، ويكثر الهم . الاحنف بن قيس : صلى على حارثة بن قدامة السعدى . فقال : رحمك الله كنت لا تحسد غنيا ولا تحقر فقيرا . وكان يقال : لا يوجد الحر حريصا ، ولا الكريم حسودا ، وقال بعض الحكماء ، جهد البلاء أن تظهر الخلة ، وتطول المدة ، وتعجز الحيلة ، ثم لا يعدم صديقا موليا ، وابن عم شامتا ، وجارا حاسدا ، ووليا قد تحول عدوا ، وزوجة مختلفة ، وجارية مستعتبة ، وعبدا يحقرك ، وولدا ينتهرك ، فانظر أين موضع جهدك فى الهرب . لرجل من قريش :

حسدوا النعمة لما ظهرت * فرموها بأباطيل الكلم
واذا ما الله أسدي نعمة * لم يضرها قول أعداء النعم

وقيل : اذا سرك ان تسلم من الحاسد فعم عليه أمرك . وكانت عائشة رضى الله عنها تتمثل بهذين البيتين :

اذا ما الدهر جر على أناس * حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقي الشامتون كما لقينا

ولبعضهم :

اياك والحسد الذى هو آفة * فتوقه وتوق غرة من حسد
ان الحسود اذا أراك مودة * بالقول فهو لك العدو المجتهد

الليث بن سعد قال : بلغني أن ابليس لقي نوحا صلى الله عليه وسلم . فقال له ابليس : اتق الحسد والشح فاني حسدت آدم فخرجت من الجنة . وشح آدم على شجرة واحدة منع منها حتى خرج من الجنة . وقال الحسن : أصول الشر وفروعه ستة فالاصول الثلاثة الحسد ، والحرص ، وحب الدنيا . والفروع كذلك حب الرياسة ، وحب الثناء ، وحب الفخر ،

وقال الحسن : يحسد أحدهم أخاه حتى يقع فى سريرته ، ومايعرف علانيته ، ويلومه على مالا يعلمه منه ، ويتعلم منه فى الصداقة مايعيره به اذا كانت العداوة ، والله ماأري هذا بمسلم . ابن أبي الدنيا قال : بلغني عن عمر بن ذر أنه قال : اللهم من ارادنا بشر فاكفناه باى حكمتك شئت امابتوبة وامابراحة . قال ابن عباس : ماحسدت أحداماحسدت على هاتين . وقال ابن عباس : لاتحقرن كلمة الحكمة أن تسمعها من الفاجر . فانما مثله كما قال الاول رب رمية من غير رام . وقال بعض الحكماء : ماأحق للايمان ولا أهتك للستر من الحسد ، وذلك أن الحاسد معاند لحكم الله ، باغ على عباده ، عات على ربه ، يعتد نعم الله نقما ، ومزيده غيرا ، وعدل قضائه حيفا ، للناس حال وله حال ، ليس يهدأ ليلة ، ولا ينام جشعة ، ولا ينفعه عيشة ، محتقر لنعم الله عليه ، متسخط ماجرت به أقداره ، ولا يبرد غليله ، ولا تؤمن غوائله . ان سالمته وترك ، وان واصلته قطعك ، وان صرمته سبقك . ذكر حاسد عند بعض الحكماء فقال : ياعجباه لرجل أسلكه الشيطان مهاوى الضلالة ، وأورده قحم الهلكة ، فصار لنعم الله تعالى بالمرصاد ، ان أنالها من أحب من عباده ، أشعر قلبه الاسف على مالم يقدر له ، وأغاره الكلف بما لم يكن لينالها . أنشدني فتي بالرملة :

اصبر على حسد الحسو * د فان صبرك قاتله
النار تاكل بعضها * ان لم تجد ماتاكله

وقال بعض أهل التفسير : فى قوله تعالى « ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين » انه اراد بالذي من الجن ابليس والذى من الانس قابيل وذلك ان ابليس أول من سن الكفر . وقابيل أول من سن القتل . وانما كان أصل ذلك كله الحسد . وقال عبد الملك بن مروان للحجاج : انه ليس من احد الا وهو يعرف عيب نفسه فصف لى عيوبك . قال اعفني ياأمير المؤمنين : قال لست أفعل . قال انا لجوج حقود حسود : قال مافى ابليس شيء من هذا . وقال المنصور لسليمان بن معاوية المهلبي ماأسرع الناس الى قومك . فقال ياأمير المؤمنين :

ان العرانين تلقاها محسدة * ولن ترى للئام الناس حسادا

وأنشد ابو موسى لنصر بن سيار :

انى نشات وحسادى ذوو عدد * ياذا المعارج لاتنقص لهم عددا

ان يحسدونى على حسن البلاء بهم * فمثل حسن بلائى جرلى حسدا

وقال آخر :

ان يحسدوني فاني غير لائمهم * قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم مابى وما بهم * ومات أكثرنا غيظا بما يجد

وقال آخر :

ان الغراب وكان يمشى مشية * فيما مضى من سالف الاحوال
حسد القطاة فرام يمشى مشيها * فاصابه ضرب من العقال

وقال حبيب الطائي :

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

وقال محمد بن مناذر :

يا أيها العائبي ومابي من * عيب ألا ترعوى وتزدجر
هل لك عندى وتر فتطلبه * أم أنت مما أتيت معتذر
ان يك قسم الاله فضلني * وأنت صلد مافيك معتصر
فالحمد والشكر والثناء له * وللحسود التراب والحجر
فما الذي يجتني جليسك أو * يبدوله منك حين يختبر
اقرأ لنا سورة تذكرنا * فان خير المواعظ السور
أوصف لنا الحكم فى فرائضنا * ماتستحق الانثى أو الذكر
أوار وفقها تحيا القلوب به * جاء به عن نبينا الأثر
أو من أعاجيب جاهليتنا * فانها حكمة ومعتبر
أوارو عن فارس لنا مثلا * فان أمثالها لنا عبر
فان تكن قدجهلت ذاك وذا * ففيك للناظرين معتبر
فغن صوتا تشجي القلوب به * وبعض ماقد أتيت يغتفر

الاصمعى قال : كان رجل من أهل البصرة بذيا شريرا يؤذى جيرانه ويشتم أعراضهم . فاتاه رجل فوعظه . فقال له : مابال جيرانك يشكونك . قال : انهم يحسدونى . قال له : على أى شيء يحسدونك . قال : على الصلب قال

وكيف ذاك : قال : اقبل معي فاقبل معه الى جيرانه فقعد متحازنا . فقالوا له : مالك قال طرق الليلة كتاب معاوية أن أصلب أنا ومالك بن المنذر وفلان وفلان . فذكر رجالا من أشراف أهل البصرة فوثبوا عليه . وقالوا : ياعدو الله أنت تصلب مع هؤلاء ولا كرامة لك . فالتفت الى الرجل . فقال أماتراهم قد حسدوني على الصلب . فكيف لو كان خيرا . وقيل لابي عاصم النبيل : ان يحيي بن سعيد يحسدك وربما قرظك . فانشأ يقول :

فلست بحي ولا ميت * اذا لم تعاد ولم تحسد

٤١ — محاسدة الاقارب — كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبي موسي الاشعري مر ذوى القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا . وقال أكثم بن صيفى : تباعدوا فى الدار تقاربوا فى المودة . وقالوا : أزهد الناس فى عالم أهله . فرج بن سلام قال : وقف أمية بن أبي الاشكر على ابن عم له فقال :

نشدتك بالبيت الذي طاف حوله * رجال بنوه من لؤى بن غالب
فانك قد جربتني فوجدتني * أعينك فى الجلى وأكفيك جانبي
وان دب من قوم اليك عداوة * عقارب هم دبت اليك عقاربي

قال نعم كذلك أنت . قال . فما بال مشبرك لا يزال الى دسيسا . قال لا أعود . قال قد رضيت وعفا الله عما سلف . وقال يحيي بن سعيد من أراد أن يبين عمله ، ويظهر علمه ، فليجلس في غير مجلس رهطه . وقالوا : الاقارب هم العقارب . وقيل لعطاء بن مصعب : كيف غلبت على البرامكة وكان عندهم من هو آدب منك . قال : كنت بعيد الدار منهم ، غريب الاسم ، عظيم الكبر ، صغير الجرم ، كثير الالتواء ، فقربني اليهم تبعدى منهم ، ورغبهم فى رغبتي عنهم ، وليس للقرباء ظرافة الغرباء . وقال رجل لخالد بن صفوان : انى أحبك . قال وما يمنعك من ذلك ولست لك بجار ولا أخ ولا ابن عم يريدان الحسد موكل بالادنى فالادني . الشيبانى قال : خرج أبو العباس أمير المؤمنين متنزها بالانبار فامعن فى نزهته وانتبذ من أصحابه فوافى خباء لاعرابى . فقال له الاعرابى : ممن الرجل . قال من كنانة . قال من أي كنانة . قال من ابغض كنانة الى كنانة قال فانت اذا من قريش . قال نعم : قال فمن أى قريش . قال من أبغض قريش الى قريش قال فانت اذا من ولد عبد المطلب . قال نعم . قال فمن أي ولد عبد المطلب أنت . قال من أبغض ولد عبد المطلب الى ولد عبد المطلب . قال فانت اذا أمير المؤمنين السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة

الله وبركاته فاستحسن ما رأى منه وأمر له بجائزة . وقال ذو الاصبع العدواني

لى ابن عم على ما كان من خلق * محاسد لى أقليه ويقليني
أزرى بنا اننا شالت نعامتنا * فخالني دونه أو خلته دوني
ياعمرو الاتدع شتمي ومنقصتي * اضربك حتى تقول الهامة اسقوني
ماذا على وان كنتم ذوي رحمي * أزلا أحبكم ان لم تحبوني *
لا أسأل الناس عما في ضمائرهم * ما في ضميرى لهم من ذاك يكفيني

وقال آخر:

مهلا بني عمنا مهلا موالينا * لاتنبشوا بيننا ما كان مدفونا
لا تجمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وان نكف الاذى عنكم وتؤذونا
الله يعلم انا لا نحبكم * ولا نلومكم ان لم تحبونا

وقال آخر:

ان النفوس لا جناد مجندة * بالاذن من ربنا تجرى وتختلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف * وما تناكر منها فهو مختلف

وقال أيضا :

ذو الود مني وذو القربى بمنزلة * واخوتي اسوة عندى واخواني
عصابة جاوزت آدابهم أدبى * فهم وان فرقوا فى الارض جيراني

وقال أيضا:

ان نفترق نسباً يؤلف بيننا * أدب أقمناه مقام الوالد
أو نختلف فالوصل منا ماؤه * عذب تحدر من غمام واحد

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الانفس أجناد مجندة وانها لتتسام فى الهوى كما تسام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وقال صلى الله عليه وسلم « الصاحب رقعة فى الثوب فلينظر الانسان بم يرقع ثوبه » وقال عليه الصلاة والسلام « امتحنوا الناس باخوانهم » وقال الشاعر .

فاعتبروا الارض بسكانها * واعتبروا الصاحب بالصاحب

وقالوا كل إلف الى الفه ينزع . وقال الشاعر

والالف ينزع نحو الآلفين كما * طير السماء على آلافها تقع

وقال امرؤ القيس :

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

وقال آخر:

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردي فتردى مع الردى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقال آخر:

اصحب ذوى الفضل وأهل الدين * فالمرء منسوب الى القرين

أيوب بن سليمان قال : حدثنا أبان بن عيسى عن أبيه عن ابن القاسم . قال : بينما سليمان بن دواد عليهما السلام تحمله الريح اذ مر بنسر واقع على قصر . فقال له : كم لك مذ وقعت ههنا . قال سبعمائة سنة . قال فمن بني هذا القصر . قال لا أدرى هكذا وجدته . ثم نظر فاذا فيه كتاب منقور بابيات من شعر وهي :

خرجنا من قرى اصطخر * الي القصر فقلناه . فمن يسال عن القصر * فمبنيا وجدناه
فلا تصحب أخا السوء * وإياك وإياه فكم من جاهل أردى * حكيما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء * اذا ما المرء ماشاه وفى الناس من الناس * مقاييس وأشباه
وفى العين غني للعين ان تنطق أفواه

٤٢ — السعاية والبغي — قال الله تعالى ذكره « يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم » وقال عز وجل « ثم بغى عليه لينصرنه الله » وقال الشاعر :

فلا تسعي على أحد ببغي * فان البغي مصرعه وخيم

وقال العتابى :

بغيت فلم تقع الاصريعا * كذاك البغي يصرع كل باغ

وقال المامون يوما لبعض ولده : اياك أن تصغى لاستماع قول السعاة فانه ماسعى رجل برجل الا انحط من قدره عندى ما يتلافاه أبدا . ووقع فى رقعة ساع ستنظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . ووقع فى رقعة رجل سعى اليه ببعض عماله قد سمعنا ما ذكره الله عز وجل فى كتابه فانصرف رحمك الله فكان اذا ذكر عنده السعاة . قال ماظنكم بقوم يلعنهم الله على الصدق

وسعي رجل الى بلال بن أبي بردة . فقال له : انصرف حتي أكشف عما ذكرت . ثم كشف عن ذلك فاذا هو لغير رشدة . فقال أنا ابو عمرو ما كذبت ولا كذبت حدثني أبي عن جدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الساعي لغير رشدة» وسأل رجل عبد الملك الخلوة . فقال : لاصحابه اذا شئتم فقوموا فلما تهيأ الرجل للكلام . قال له : اياك ان تمدحنى فانا أعلم بنفسي منك أو تكذبني فانه لا رأى لكذوب أو تسعي الى باحد وان شئت أقلتك قال أقلنى . ودخل رجل على الوليد بن عبد الملك وهو والى دمشق لابيه . فقال : للامير عندى نصيحه . فقال ان كانت لنا فاذكرها ، وان كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها . قال جار لى عصى وفر من بعثه . قال أما انت فتخبرانك جار سوء وان شئت أرسلنا معك . فان كنت صادقا أقصيناك ، وان كنت كاذبا عاقبناك ، وان شئت تاركناك ، قال تاركني . وفى سير العجم : أن رجلا وشي برجل الى الاسكندر . فقال أتحب ان نقبل منه عليك ومنك عليه . قال لا . قال فكف الشر يكف عنك الشر . وقال الشاعر :

اذا الواشي بغي يوما صديقا * فلا تدع الصديق لقول واش

وقال ذو الرياستين : قبول النميمة شر من النميمة لان النميمة دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبله وأجازه . ذكر السعادة عند المامون . فقال : لو لم يكن فى عيبهم الا انهم أصدق مايكونون أبغض مايكونون الى الله تعالى . وعاتب مصعب بن الزبير الاحنف فى شيء فانكره فقال : أخبرنى الثقة قال كلا ان الثقة لا يبلغ وقد جعل الله السامع شريك القائل . فقال « سماعون للكذب أكالون للسحت » وقال حسبك من شر سماعه . وقال الشاعر :

لعمرك ماسب الامير عدوه * ولكنما سب الامير المبلغ

وقال آخر :

لا تقبلن نميمة بلغتها * وتحفظن من الذي أنباكها
لا تنقشن برجل غيرك شوكة * فتقي برجلك رجل من قدشاكها
ان الذى أنباك عنه نميمة * سيدب عنك بمثلها قد حاكها

وقال دعبل :

وقد قطع الواشون ما كان بيننا * ونحن الى ان نوصل الحبل احوج
رأوا عورة فاستقبلوها بيالهم * فلم ينههم حلم ولم يتحرجوا
وكانوا اناسا كنت آمن غيبهم * فراحوا على مالا يحب فادلجوا

٤٣ — الغيبة — قال النبي صلى الله عليه وسلم « اذا قلت في الرجل مافيه فقد اغتبته واذا قلت ماليس فيه فقد بهته » ومر محمد بن سيرين بقوم . فقام اليه رجل منهم فقال : أبا بكر انا قد نلنا منك فحللنا . فقال اني لا أحل ماحرم الله . وكان رقية بن مصقلة جالسا مع أصحابه فذكروا رجلا بشيء فاطلع ذلك الرجل . فقال بعض أصحابه الا أخبره بما قلنا فيه لئلا يكون غيبة . قال أخبره حتي يكون نميمة . اغتاب رجل رجلا عند قتيبة بن مسلم . فقال له أمسك عليك أيها الرجل . فوالله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظتها الكرام . محمد بن مسلم الطائفي قال : جاء رجل الى ابن سيرين . فقال بلغني أنك نلت مني . قال نفسي أعز من ذلك . وقال لبكر بن محمد بن عصمة بلغني أنك تقع في قال أنت اذا على أكرم من نفسي . ووقع رجل في طلحة والزبير عند سعد بن أبي وقاص . فقال له اسكت فان الذي بيننا لم يبلغ ديننا . وعاب رجل رجلا عند بعض الاشراف . فقال له قد استدللت على كثرة عيوبك بما تكثر من عيوب الناس لان طالب العيوب انما يطلبها بقدر مافيه منها أما سمعت قول الشاعر :

لا تهتكن من مساوى الناس ماستروا * فيهتك الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن مافيهم اذا ذكروا * ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وقال آخر :

لا تنه عن خلق وتاتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
وابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فان انتهت عنه فانت حكيم

وقال محمد بن السماك : تجنب القول في أخيك لخلتين اما واحدة فلعلك تعيبه بشيء هو فيك . واما الاخرى فان يكن الله عافاك مما ابتلاه كان شكرك الله فيه على العافية تعييرا لاخيك على البلاء . وقيل لبعض الحكماء : فلان يعيبك . قال انما يقرض الدرهم الوازن . وقيل لعمرو بن عبيد : لقد وقع فيك أيوب السختياني حتي رحمناك . قال اياه فارحموا . وقال ابن عباس : اذكر أخاك اذا غاب عنك بما تحب أن تذكر به ودع منه ماتحب أن يدع منك . وقدم العلاء بن الحضرمي على النبي صلى الله عليه وسلم . فقال له هل تروي من الشعر شيا قال نعم . قال فانشدني فانشده :

تحبب ذوى الاضغان تسب نفوسهم * تحببك القربى فقد ترقع النعل
وان حسدوا بالكفر فاعف تكرما * وان غيبوا عنك الحديث فلا تسل
فان الذي يؤذيك منه سماعه * وان الذي قالوا وراءك لم يقل

فقال النبي عليه السلام ان من الشعر لحكمة . وقال الحسن البصري : لا غيبة في ثلاثة فاسق مجاهر ، وامام جائر ، وصاحب بدعة لم يدع بدعته . وكتب الكسائي الى الرقاشي :

تركت المسجد الجامع والترك له ريبه * فلا نافلة تقضى * ولا تقضى لمكتوبه
وباخبارك تاتينا * على الاعلام منصوبه * فان زدت من الغيبة زدناك من الغيبه

٤٤ — مداراة أهل الشر — قال النبي عليه الصلاة والسلام « شر الناس من اتقاه الناس لشره » وقال عليه الصلاة والسلام « اذا لقيت اللئيم فخالفه واذا لقيت الكريم فخالطه » وقال أبو الدرداء انا لنكشر في وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم . وسئل شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان . فقال : ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية . وقال الأحنف : رب رجل لا تغيب فوائده وان غاب وآخر لا يسلم منه جليسه وان احترس . وقال كثير بن هراسة ان من الناس ناسا ينقصونك اذا زدتهم ، وتهون عندهم اذا خاصصتهم ، ليس لرضاهم موضع تعرفه ، ولا لسخطهم موضع تحذره ، فاذا عرفت أولئك باعيانهم فابذل لهم موضع المودة ، واحرمهم موضع الخاصة ، يكن ما بذلت لهم من المودة حائلا دون شرهم ، وما حرمتهم من الخاصة قاطعا لحرمتهم ، وأنشد العتبي :

لى صديق يرى حقوقي عليه * نافلات وحقه الدهر فرضا
لو قطعت البلاد طولا اليه * ثم من بعد طولها سرت عرضا
لرأى ما فعلت غير كثير * واشتهى أن يزيد فى الارض أرضا

وفى هذه الطبقة من الناس من يقول فيه دعبل الخزاعى :

اسقهم السم ان ظفرت بهم * وامزج لهم من لسانك العسلا

كتب سهل بن هرون الى موسى بن عمران فى أبي هذيل العلاف :

ان الضمير اذا سألتك حاجة * لابى الهذيل أخاف ما أبدى
حتى اذا طالت شقاوته * وعناؤه فاجبه بالرد

وقال صالح بن عبد القدوس :

تجنب صديق السوء واصرم حباله * وان لم تجد عنه محيصا فداره
ومن يطلب المعروف من غير أهله * يجده وراء البحر أو فى قراره
ولله فى عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالمكاره

وقال آخر :

بلاء ليس يشبهه بلاء * عداوة غير ذي حسب ودين
يبيحك منه عرضا لم يصنه * ليرتع منك في عرض مصون

عرض على أبي مسلم صاحب الدعوة فرس جواد . فقال لقواده لماذا يصلح مثل هذا الفرس قال انا نغزو عليه العدو . قال لا ولكن يركبه الرجل فيهرب عليه من جار السوء

٤٥ — ذم الزمان — قالت الحكماء : جبل الناس على ذم زمانهم وقلة الرضا عن أهل عصرهم . فمنه قولهم رضا الناس غاية لا تدرك . وقولهم لا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة وقولهم الناس يعيرون ولا يغفرون والله يغفر ولا يعير . وفي الحديث : لو أن المؤمن كالقدح لقال الناس ليس ولولا . وقال الشاعر :

من لابس الناس لم يسلم من الناس * وضرسوه بانياب وأضراس

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة انها قالت رحم الله لبيدا كان يقول :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

فكيف لو أبصر زماننا هذا لقد كان بعضهم يقول ذهب الناس وبقي النسناس فكيف لو أدرك زماننا هذا . قال عروة : ونحن نقول رحم الله عائشة فكيف لو أدركت زماننا هذا . دخل مسلم بن يزيد بن وهب على عبد الملك بن هرون . فقال له عبد الملك أى زمان أدركت أفضل ، وأى الملوك أكمل . قال أما الملوك فلم أر الا حامدا أو ذاما . وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع أقواما وكلهم يذم زمانه لانه يبلى جديدهم ، ويفرق عديدهم ، ويهرم صغيرهم ، ويهلك كبيرهم وقال الشاعر :

أيا دهر ان كنت عاديتنا * فما قد صنعت بنا ما كفاكا
جعلت الشرار علينا خيارا * ووليتنا بعد وجه قفاكا

وقال آخر :

اذا كان الزمان زمان تيم * وعكل فالسلام على الزمان
زمان صار فيه الصدر عجزا * وصار الزج قدام السنان
لعل زماننا سيعود يوما * كما عاد الزمان على بطان

أبو جعفر الشيباني قال : أتانا يوما أبو مياس الشاعر ونحن في جماعة . فقال : ما أنتم وما

تتذاكرون قلنا نذكر الزمان وفساده . قال : كلا انما الزمان وعاء وما ألقي فيه من خير أو شر كان على حاله . ثم أنشأ يقول :

أرى حللا تصان على أناس * وأخلاقا تداس فما تصان
يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

أنشد فرج بن سلام :

هـذا الزمان الذى كنا نحذره * فيما يحدث كعب وابن مسعود
ان دام ذا الدهر لم نحزن على أحد * يموت منا ولم نفرح بمولود

وقال حبيب الطائي

لم أبك فى زمن لم أرض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

وقال آخر في طاهر بن الحسين :

اذا كانت الدنيا تنـال بطاهر * تجنبت منها كل ما فيه طاهر
وأعرضت عنها عفة وتكرما * وارجأتها حتى تدور الدوائر

وقال مؤمن بن سعيد فى معقل الضبي وابن أخيه عثمان :

لقـد ذلت الدنيا وقد ذل أهلها * وقدملها أهـل الندى والتفضل
اذا كـانت الدنيا تجود بخيرها * الى مثـل عثمان ومثـل المحول
ففى است أم دنيانا وفى ست أم خيرها * وفى است أم عثمان وفى است أم معقل

وقال محمد بن مناذر :

ياطالب الاشعار والنحو * هذا زمان فاسد الحشو * نهاره أوحش من ليله
ونشوه من أخبث النشو * فدع طلاب النحو لا تبغه * ولا تقل شعرا ولا ترو
فما يجوز اليوم الا امرؤ * مستحكم العرف أو الشذو * أو طرمذان قوله كاذب
* لا يفعل الخـير ولا يزو *

ومن قولنا فى هذا المعنى :

رجاء دون أقربه السحاب * ووعد مثل ما لمع السراب * ودهر سادت العبد ان فيه
وعاثت فى جوانبه الذئاب * وأيام خلت من كل خير * ودنيا قد تدرعها الكلاب
كلاب لو سألتهم ترابا * لقالوا عندنا انقطع التراب

يعاقب من أساء القول فيهم * وان يحسن فليس له ثواب

كتب عمرو بن بحر الجاحظ الى بعض اخوانه فى ذم الزمان بسم الرحمن حفظك الله حفظ من وفقه للقناعة ، واستعمله بالطاعة ، كتبت اليك وحالى حال من كثفت غمومه ، وأشكلت عليه أموره ، واشتبه عليه حال دهره ، ومخرج أمره ، وقل عنده من يثق بوفائه ، أو يحمد مغبة اخائه ، لاستحالة زماننا ، وفساد أيامنا ، ودولة انذالنا : وقدما كان من قدم الحياء على نفسه : وحكم الصدق فى قوله ، وآثر الحق فى أموره ، ونبذ المشتبهات عليه من شؤنه ، تمت له السلامة ، وفاز بوفور حظ العافية ، وحمد مغبة مكروه العاقبة ، فنظرنا اذ حال عندنا حكمه ، وتحولت دولته ، فوجدنا الحياء متصلا بالحرمان ، والصدق آفة على المال ، والقصد فى الطلب بترك استعمال القحة ، واخلاق العرض من طريق التوكل دليلا على سخافة الرأى ، اذ صارت الحظوة الباسقة ، والنعمة السابغة ، فى لؤم المشيئة ، وثناء الرزق من جهة محاشاة الرخاء ، وملابسة معرة العار ، ثم نظرنا فى تعقب المتعقب لقولنا ، والكاشر لحجتنا ، فاقمنا له علما واضحا ، وشاهدا قائما ، ومنارا بينا ، اذ وجدنا من فيه السفولية الواضحة ، والمثالب الفاضحة ، والكذب المبرح ، والخلف المصرح ، والجهالة المفرطة ، والركاكة المستخفة ، وضعف اليقين والاستنبات ، وسرعة الغضب والجراءة ، قد استكمل سروره ، واعتدلت أموره ، وفاز بالسهم الاغلب ، والحظ الاوفر ، والقدر الرفيع ، والجواز الطائع ، والامر النافذ ، ان زل قيل حكم ، وان أخطا قيل أصاب ، وان هذى فى كلامه وهو يقظان ، قيل رؤيا صادقة ، من نسمة مباركة ، فهذه حجتنا والله على من زعم أن الجهل يخفض ، وأن النوك يردى ، وأن الكذب يضر ، وأن الخلف يزرى ، ثم نظرنا فى الوفاء والامانة ، والنبل والبلاغة وحسن المذهب ، وكمال المروأة ، وسعة الصدر ، وقلة الغضب ، وكرم الطبيعة ، والفائق فى سعة علمه ، والحاكم على نفسه ، والغالب لهواه ، فوجدنا فلان بن فلان ، ثم وجدنا الزمان لم ينصفه من حقه ، ولا قام له بوظائف فرضه . ووجدنا فضائله القائمة له قاعدة به ، فهذا دليل أن الطلاح جدي من الصلاح ، وان الفضل قد مضى زمانه ، وعفت آثاره ، وصارت الدائرة عليه ، كما كانت الدائرة على ضده ، ووجدنا العقل يشقى به قرينه ، كما أن الجهل والحمق يحظى به حديثه ، ووجدنا الشعر ناطقا على الزمان ، ومعربا عن الايام حيث يقول :

تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم * ولاقهم بالجهل فعل أخى الجهل

وخلط اذا لاقيت يوما مخلطا * يخلط فى قول صحيح وفى هزل

فانى رأيت المرء يشقى بعقله * كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

فبقيت أبقاك الله مثل من أصبح على أوفاز ، ومن النقلة على جهاز ، لا يسوغ له نعمة ، ولا يطعم عينيه غمضة ، فى أهاويل يبا كره مكروهها ، ويراوحه عقائبها ، فلو أن الدعاء أجيب ، والتضرع سمع ، لكانت العدة العظمي ، والرجفة الكبري ، فليت أي أخى ما أستبطئه من النفخة ، ومن فجاة الصيحة ، قضى فحان ، وأذن به فكان ، فوالله ما عذبت أمة برجفة ، ولا ريح ولا سخطة ، عذاب عيني برؤية المغايظة المدمنة ، والاخبار المهلكة ، كان الزمان يوكل بعذابى ، أو ينصب بايامى ، فما عيش من لا يسر باخ شفيق ، ولا يصطبح فى أول نهاره الا برؤية من يكرهه ، و يغمه من تغمه طلعته ، فقد طالت الغمة ، وواظبت الكربة ، وادلهمت الظلمة ، وخمد السراج ، وتباطا الانفراج

٤٦ — فساد الاخوان — قال ابو الدرداء : كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه . وقيل لعروة بن الزبير : ألا تنتقل الى المدينة . قال ما بقى بالمدينة الا حاسد على نعمة أو شامت بمصيبة . الخشني أنشدنى الرياشي :

اذا ذهب التكرم والوفاء * وباد رجاله و بقى الغثاء * وأسلمني الزمان الى رجال كامثال الذئاب لها عواء * صديق كلما استغنيت عنهم * وأعداء اذا جهد البلاء

اذا ما جئتهم يتدافعونى * كانى أجرب أعداه داء

أقول ولا ألام على مقال * على الاخوان كلهم العفاء

وقالت الحكماء : لا شيء أضيع من مودة من لا وفاء له ، واصطناع من لا شكر عنده ، والكريم يود الكريم عن لقية واحدة ، واللئيم لا يصل أحدا الا عن رغبة أو رهبة وفى كتاب للهند : ان الرجل السوء لا يتغير عن طبعه ، كما أن الشجرة المرة لو طليتها بالعسل لم تثمر الا مرا وسمع رجل أبا العتاهية ينشد :

فارمى بطرفك حيث شئت فلا ترى الا بخيلا

وقال أيضا فى هذا المعنى :

لله در ابيك أي زمان * أصبحت فيه وأى أهل زمان

كل يواريك المودة جاهدا * يعطى و ياخذ منك بالميزان

فاذا رأى رجحان حبة خردل * مالت مودته الى الرجحان

وقال : أري قوما وجوههم حسان * اذا كانت حوائجهم الينا
وان كانت حوائجنا اليهم * يقبح حسن أوجههم علينا
فان منع الاشحة ما لديهم * فانا سوف نمنع ما لدينا

وقال :

موالينا اذا احتاجوا الينا * وليس لنا احتياج للموالي

للبكري :

وخليل لم أخنه ساعة * في دمي كفيه ظلما قد غمس
كان في سري وجهري ثقتي * لست عنه في مهم أحترس
سترا البغض بالفاظ الهوى * وادعى الود بغش ودلس
ان رآني قال لي خيرا وان * غبت عنه قال شرا ودحس
ثم لما أمكنته فرصة * حمل السيف على مجرى النفس
* وأراد الروح لكن خانه * قدر أيقظ من كان نعس

وأنشد العتبي :

اذا كنت تغضب من غير ذنب * وتعتب من غير جرم علينا
طلبت رضاك فان عزني * عددتك ميتا وان كنت حيا
فلا تعجبن بما في يديكا * فاكثر منه الذى في يديا

وقال ابن أبي حازم :

وصاحب كان لي وكنت له * أشفق من والد على ولد
كنا كساق تسعى بها قدم * أو كذراع نيطت الى عضد
حتي اذا دبت الحوادث في * عظمي وحل الزمان من عقدي
أحول عني وكان ينظر من * طرفي ويرمي بساعدي ويدي

وقال :

وخل كان يحفظ لي جناحا * فودعني فنابذني جماحا
فقلت له ولي نفس عزوف * اذا حميت تقحمت الرماحا

سأبدل بالمطامع منك ياسا * وباليأس استراح من استراحا

وقال عبد الله بن معاوية بن جعفر :

وأنت أخى مالم تكن لى حاجة * فان عرضت أيقنت أن لا أخاليا

فلا زال ما بيني وبينك بعدما * بلوتك فى الحاجات الا تماديا

كلانا غني عن أخيه حياته * ونحن اذا متنا أشد تغانيا

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدى المساويا

وقال البحترى :

أشرق أم أغرب ياسعيد * وأنقص من رباعى أو أزيد

غدتني عن نصيبين الغوادي * فبختي أبله فيها بليد

وخلفني الزمان على رجال * وجوههم وأيديهم حديد

ألا ليت المقادر لم تقدر * ولم تكن العطايا والجدود

لهم حلل حسن فهن بيض * وأخلاق سمجن فهن سود

وقال ابن أبي حازم :

وقالوا لو مدحت فتى كريما * فقلت وكيف لى بفتي كريم

بليت ومر بى خمسون حولا * وحسبك بالمجرب من عليم

فلا أحد يعد ليوم خير * ولا أحد يعود على عديم

وقال :

قد بلوت الناس طرا * لم أجد فى الناس حرا

صار حلو الناس فى العين اذا ما ذيق مرا

وقال :

من سلا عني أطلقت حبا لى من حباله

أو أخذ الوصل سارعت بجهدى فى فصاله

انما أحذوا على فعل صديقى بمثاله

غير مستحز اذا ازور * روكأني من عياله

لن يراني ابدا أعظم ذا مال لماله

لا ولا أدرى بمن يغـــفل عني ســوء حاله
انما أقضي عـلى ذا * ك وهـذا بفـعاله
كيف ما يصرفني الدهـــر فاني من رجاله

ومن قولنا فى هذا المعني :

ابا صالح جاءت على الناس غفلة * على غفـلة ماتت بكل كريم
فليت الاولى كانوا يفادون بالاولى * أقاموا فيفدي ظاعن بمقيم

٤٧ — من قاده الكبر الى النار — نظر الحسن الى عبد الله بن الاهتم يخطر فى المسجد فقال . انظروا الى هذا ليس منه عضد الا ولله عليه نعمة وللشيطان فيه لعنة . وقال سعد بن ابى وقاص لابنه : يابنى اياك والكبر ، وليكن فيما تستعين به على تركه ، علمك بالذى منه كنت ، والذى اليه تصير ، وكيف الكبر مع النطفة التى منها خلقت ، والرحم التي منها قذفت ، والغذاء الذى به غذيت . وقال يحي بن حيان : الشريف اذا تقوى تواضع ، والوضيع اذا تقوى تكبر . وقال بعض الحكماء : كيف يستقر الكبر فيمن خلق من تراب ، وطوي على القذر ، وجري مجرى البول . وقال الحسن : عجبا لابن آدم كيف يتكبر وفيه تسع سموم كلها يقذى . وذكر الحسن المتكبرين فقال : يكفى أحدهم ينص نصا ينفض مذرويه ، ويصرف أصدريه يملخ فى الباطن ملخا ، يقول ها أنا ذا فاعرفوني ، قد عرفناك يا أحمق ، مقتك الله ومقتك الصالحون ووقف عيينة بن حصن بباب عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فقال استأذنوا لى على أمير المؤمنين وقولوا هذا ابن الاخيار بالباب . فاذن له فلما دخل عليه . قال له أنت ابن الاخيار . قال نعم قال له بل انت ابن الاشرار . وأما ابن الاخيار فهو يوسف بن يعقوب بن ابراهيم . وقيل لعبد الله بن ظبيان كثر الله فى العشيرة أمثالك . فقال لقد سألتم الله شططا . وقيل لرجل من عبد الدار عظيم الكبر ألا تاتى الخليفة . قال أخشى أن لا يحمل الحسن فى . وقيل له ألا تلبس فان البرد شديد قال حسبي يدفيني . وقيل لحجاج كيف وجدت منزلك بالعراق ايها الامير . قال خير منزل لو أدركت بها أربعة نفر فتقربت الى الله سبحانه وتعالى بدمائهم . قيل له ومن هم . قال مقاتل بن مسمع ولى سجستان فاتاه الناس فاعطاهم الاموال . فلما قدم البصرة بسط له الناس أرديتهم فمشى عليها . فقال لمثل هذا فليعمل العاملون . وعبد الله بن ظبيان خطب خطبة أوجز فيها فناداه الناس من اعراض المسجد كثر الله فينا امثالك . قال فقد كلفتم ربكم شططا . ومعبد بن زرارة كان ذات يوم جالسا على

طريق فمرت به امرأة . فقالت يا عبد الله أين الطريق لمكان كذا . فقال لمثلي يقال يا عبد الله ويلك . وأبو سماك الحنفي أضل ناقته . فقال والله لئن لم ترد على ناقتي لا صليت أبدا . وقال ناقل الحديث ونسي الحجاج نفسه وهو خامس هؤلاء الاربعة بل هو أشدهم كبرا وأعظمهم إلحادا حين كتب الى عبد الملك في عطسة عطسها فشمته أصحابه ورد عليهم بلغني ما كان من عطاس أمير المؤمنين وتشميت أصحابه له ورده عليهم . فياليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما . وكتابه اليه ان خليفة الرجل فى أهله أكرم عليه من رسوله اليهم وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلة من المرسلين . العتبي قال . رأيت محرزا مولى باهلة يطوف على بغلة بين الصفا والمروة . ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد راجلا فقلت له أراجل أنت فى مثل هذا الموضع . قال نعم انى ركبت فى موضع يمشى الناس فيه . فكان حقيقا على الله أن يرجلني فى موضع يركب الناس فيه . وقال بعض الحكماء :

وياليتها الكبري فتطوي سماؤنا * لها وتمد الارض مد أديم
فما الموت الا عيش كل مبخل * وما العيش الا ترك كل ذميم
واعذر من أدمى الجفون من البكا * كريم رأى الدنيا بكف لئيم

ومثله فى هذا المعني :

أباصالح أين الكرام باسرهم * أفدنى كريما فالكريم رضاء
أحقا يقول الناس فى جود حاتم * وان سنانا كان فيه سخاء
عذيرى من خلف تخلف منهم * عياء ولؤم فاضح وجفاء
حجارة بخل ماتجود وربما * تفجر من صم الحجارة ماء
ولو أن موسى جاء يضرب بالعصا * لما انبجست من ضربه البخلاء
بقاء لئام الناس موت عليهم * كما أن موت الاكرمين بقاء
عزيز عليهم أن تجودا كفهم * عليهم من الله العزيز عفاء

ومثله قولنا فى هذا المعني :

ساق ترنم يشدو فوقه ساق * كأنه لحنين الصوت مشتاق
ياضيعة الشعر في بله جرامقة * تشابهت منهم فى اللؤم أخلاق

قالوا : من عز باقبال الدهر ذل بادباره . وقالوا : من أبطره الغنى أذله الفقر . وقالوا من ولى ولاية

يري نفسه أكبر منها لم يتغير لها. ومن ولى ولاية برى ولايته أكبر من نفسه تغيرلها. وقال يحيي ابن حيان: الشريف اذا تقوى تواضع، والوضيع اذا تقوى تكبر. وقال كسرى: احذروا صولة الكريم اذا جاع، واللئيم اذا شبع. وكتب على بن الجهم الى ابن الزيات:

ابا جعفر عرج على خلطائكا * واقصر قليلا من مدى غلوائكا
فان كنت قد أوتيت في اليوم رفعة * فان رجائي في غد كرجائكا

وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابى:

لقد عجبت منه الليالى لانه * صبور على عضلاء تلك البلابل
اذا نال لم يفرح وليس لنكبة * ألمت به بالجاشع المتضائل

وقال الحسن بن هانئ:

ولقد حزنت فلم أمت حزنا * ولقد فرحت فلم أمت فرحا

كتب عقيل بن أبي طالب الى أخيه على بن أبي طالب عليه السلام يساله عن حاله. فكتب اليه على رضى الله عنه:

فان تسالني كيف أنت فانني * جليد على عض الزمان صليب
عزيز علي أن ترى بى كآبة * فيفرح واش أو يساء حبيب

٤٨ — باب فى التواضع — قال النبي صلى الله عليه وسلم «من تواضع لله رفعه الله» قالت الحكماء: كل نعمة يحسد عليها الا التواضع. وقال عبد الملك بن مروان رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم «أفضل الرجال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وأنصف عن قوة الحديث» وقال ابن السماك لعيسي بن موسى: تواضعك فى شرفك أكبر من شرفك. وأصبح النجاشى يوما جالسا على الارض والتاج عليه فاعظمت بطارقته ذلك وسالوه عن السبب الذى أوجبه. فقال: وجدت فيما أنزل الله على المسيح اذا أنعمت على عبدى نعمة فتواضع أتممتها عليه وانه ولد لى هذه الليلة غلام فتواضعت شكرا لله. خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويده على المعلى بن الجارود العبدي. فلقيته امرأة من قريش. فقالت له يا عمر. فوقف لها فقالت كنا نعرفك مدة عميرا ثم صرت من بعد عمير عمر ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين. فاتق الله يا ابن الخطاب وانظر فى امور الناس فانه من خاف الوعيد، قرب عليه البعيد، من خاف الموت، خشي الفوت، فقال المعلى إيها يا أمة الله فقد أبكيت أمير المؤمنين. فقال له: عمر اسكت أتدرى من هذه هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من سمائه فعمر احرى ان يسمع قولها ويقتدي به. وقال ابو عباد

ماجلس إلى رجل قط الاخيل الى انى أنا جالس اليه . وسئل الحسن عن التواضع فقال : هو أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا الا رأيت له الفضل عليك . وقال رجل لبكر بن عبد علمني التواضع . فقال : اذا رأيت من هو أكبر منك فقل سبقني الى الاسلام والعمل الصالح فهو خير مني وان رايت أصغر منك فقل سبقته الى الذنوب والعمل السيء فانا شر منه . وقال أبو العتاهية :

يامن تشرف بالدنيا وزينتها * ليس التشرف رفع الطين بالطين
اذا أردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك في زى مسكين

٤٩ — الرفق والاناة — قال النبي صلى الله عليه وسلم «من أوتى حظه من الرفق فقد أوتى حظه من خير الدنيا والآخرة» وقالت الحكماء : يدرك بالرفق مالا يدرك بالعنف ألا ترى أن الماء على لينه يقطع الحجر على شدته . وقال أشجع السلمى لجعفر بن يحيى بن خالد ما كاد يدرك بالرجال ولا بالمال ما أدركت بالرفق . وقال النابغة :

الرفق يمن والاناة سعادة * فاستان فى رفق تلاق نجاحا

وقالوا : العجل بريد الزلل * أخذ القطامى التغلبي هذا المعنى فقال :

قد يدرك المتانى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال عدىّ بن زيد :

قد يدرك المبطيء من حظه * والجبن قد يسبق جهد الحريص

٥٠ — استراحة الرجل بمكنون سره الى صديقه — تقول العرب أفضيت اليك بشقورى وأطلعتك على عجرى وبجرى ولو كان فى جسدى برص ما كتمته . وقال الله تبارك وتعالى «لكل نبا مستقر» وقالت الحكماء : لكل سر مستودع . وقالوا : مكاتمة الادنين صريح العقوق . وقال الشاعر .

وأبثثت عمرا بعض مافى جوانحى * وجرعته من مر ما أتجرع
ولا بد من شكوي الى ذى حفيظة * اذا جعلت اسرار نفسى تطلع

وقال حبيب :

شكوت وما الشكوى لمثلى عادة * ولكن تفيض النفس عند امتلائها

وأنشد أبو الحسن محمد المصرى :

لعب الهوى بمعالمى ورسومي * ودفنت حيا تحت ردم همومى

وشكوت همي حين ضقت ومن شكا * هما يضيق به فغير ملوم

وقال آخر :

اذا لم أطلق صبرا رجعت الى الشكوى * وناديت تحت الليل ياسامع النجوي
وأمطرت صحن الخد غيثا من البكا * على كبد حر التروى فما تروي *

٥١ — الاستدلال باللحظ على الضمير — قالت الحكماء : العين باب القلب فما كان في القلب ظهر فى العين . أبو حاتم عن الاصمعي عن يونس عن ابن مصعب عن عثمان بن ابراهيم بن محمد قال : انى لاعرف فى العين اذا عرفت ، وأعرف فيها اذا أنكرت ، وأعرف فيها اذا لم تعرف ولم تنكر ، أما اذا عرفت فبحوص ، وأما اذا أنكرت فبجحظ ، وأما اذا لم تعرف ولم تنكر فبسجو . وقال صريع الغواني :

جعلنا علامات المودة بيننا * مصائد لحظ هن أخفى من السحر
فاعرف فيها الوصل فى بمن طرفها * وأعرف فيها الهجر فى النظر الشزر

وقال محمود الوراق :

ان العيون على القلوب شواهد * فبغيضها لك بين وحبيبها
واذا تلاحظت العيون تفاوضت * وتحدثت عما تجن قلوبها
ينطقن والافواه صامتة فما * يخفى عليك بريئها ومريبها

وقال ابي حازم :

خذ من العيش ما كفا * ومن الدهر ماصفا
عين من لايحب وصـ * ـلك تبدى لك الجفا

ومن قولنا فى هذا المعني :

صادق فى الحب مكذوب * دمعه للشوق مسكوب
كل ما تطوى جوانحه * فهو فى العينين مكتوب

وقال الحسن بن هانيء :

وانى لطير العين بالعين زاجر * فقد كدت لايخفى على ضمير

٥٢ — الاستدلال بالضمير على الضمير — كتب حكيم الى حكيم اذا أردت معرفة مالك عندي فضع يدك على صدرك فكما تجدني كذلك أجدك . وقالوا : اياكم ومن تبغضه قلوبكم

فان القلوب تجازى القلوب . وقال ذو الاصبع :

لا أسال الناس عما فى ضمائرهم * ما فى ضميرى لهم من ذاك يكفيني

وقال محمود الوراق :

لا تسالن المرء عما عنده * واستمل ما فى قلبه من قلبكا
ان كان بغضا كان عندك مثله * أو كان حبا فاز منك بحبكا

٥٣ — الاصابة بالظن — قيل لعمرو بن العاص ما العقل . قال : الاصابة بالظن معرفة مايكون بما قد كان . وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه : لله در ابن عباس ان كان لينظر الى الغيب من ستر رقيق . وقال الشاعر :

وقلما يفجأ المكروه صاحبه * حتى يرى لوجوه الشر أسبابا

وانما ركب الله العقل فى الانسان دون سائر الحيوان ليستدل بالظاهر على الباطن ويفهم الكثير بالقليل : ومن قولنا فى هذا المعنى :

ياغافلا مايرى الا محاسنه * ولو درى مارأي الا مساويه
انظر الى باطن الدنيا بظاهرها * كل البهائم يجري طرفها فيه

٥٤ — تقديم القرابة وتفضيل المعارف — قال الشيباني أول من آثر القرابة والاولياء عثمان بن عفان رضى الله عنه : وقال كان عمر يمنع أقاربه ابتغاء وجه الله ولا يرى أفضل من . عمر وقال لما آوى طريد النبي صلى الله عليه وسلم ما نقم الناس على أن وصلت رحما وقربت . عما وقيل لمعاوية بن أبي سفيان : ان آذنك يقدم معارفه وأصدقاءه فى الاذن على أشراف الناس ووجوههم . فقال : ويلكم ان المعرفة لتنفع فى الكلب العقور ، والجمل الصؤول ، فكيف فى رجل حسيب ذى كرم ودين . وقال رجل لزياد أصلح الله الامير ان هذا يدل بمكانة يدعيها منك قال نعم : وأخبرك مايتفعه من ذلك ان كان الحق له عليك أخذتك به أخذا شديدا وان كان عليه قضيته عنه . وقال الشاعر :

أقول لجاري اذا أتاني مخاصما * يدل بحق أو يدل بباطل
اذا لم يصل خيرى وأنت مجاورى * اليك فما شري اليك بواصل

العتبي قال : ولى عبد الله بن خالد بن عبد الله القسرى البصرة فكان يحابي أهل مودته . فقيل له أى رجل أنت لولا أنك تحابي . قال وما خير الصديق اذا لم يقطع لصديقه

قطعة من دينه . وولى ابن شبرمة قضاء البصرة وهو كاره فاحسن السيرة . فلما عزل اجتمع اليه أهل خاصته ومودته فقال لهم والله لقد وليت هذه الولاية وأنا كاره وعزلت عنها وأنا كاره وما بي في ذلك الا مخافة أن يلي هذه الوجوه من لا يعرف حقها . ثم تمثل بقول الشاعر :

فما السجن أبكاني ولا القيد شفني * ولا انني من خشية الموت أجزع
بلى ان أقواما أخاف حليهم * اذا مت أن يعطوا الذى كنت أمنع

وقال الشاعر :

اذا كان الامير عليك خصما * فليس بقابل منك الشهودا

وقال زياد : أحب الولاية لثلاث وأكرهها لثلاث ، أحبها لنفع الاولياء ، وضر الاعداء ، واسترخاص الاشياء ، وأكرهها لروعة البريد ، وموت العزل ، وشماتة العدو . ويقول الحكماء : أحق من شاركك فى النعمة شركاؤك فى المصيبة . أخذه الشاعر فقال :

وان أولى الموالى أن تواسيه * عند السرور لمن واساك فى الحزن
ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وقال حبيب :

قبح الاله عداوة لا تتقى * ومودة يدلى بها لا تنفع

٥٥ — فضل العشيرة — قال على بن أبي طالب رضى الله عنه عشيرة الرجل خير للرجل من غير العشيرة ان كف عنهم يدا واحدة كفوا عنه أيديا كثيرة مع مودتهم وحفاظهم ونصرتهم ان الرجل ليغضب للرجل لا يعرفه الا بنسبه وسأتلو عليكم من ذلك آيات من كتاب الله قال الله عز وجل فيما حكاه عن لوط « لو أن لى بكم قوة أو آوي الى ركن شديد » يعني العشيرة ولم يكن للوط عشيرة فوالذى نفسي بيده ما بعث الله نبيا من بعده الا فى ثروة من قومه ، ومنعة من عشيرته ، ثم ذكر شعيبا اذ قال له قومه « انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك » وكان مكفوفا والله ما هابوا الا عشيرته : وقيل لبزرجمهر : ما تقول فى ابن العم . قال هو عدوك وعدو عدوك

٥٦ — الدين — من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الدين ينقص ذا الحسب » وقال عمر لا سيفع أسيفع جهينة رضي من دينه وأمانته أن يقال سبق الحاج ألا وانه قد ادان معرضا واصبح قد دين به فمن كان له عنده شىء فليأتنا بالغداة يقسم ماله بين غرمائه وإياكم

والدين فان أوله هم وآخره حزن . وقال مولى قضاعة :

فلو كنت مولى قيس غيلان لم يجد * على لانسان من الناس درهما
ولكنني مولى قضاعة كلها * فلست أبالي أن أدين وتغرما

وقال آخر : اذا ماقضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن كان غرما على غرم

وقال سفيان الثوري : الدين هم بالليل وذل بالنهار فاذا أراد الله أن يذل عبدا جعله قلادة في عنقه ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا متقنعا . فقال له : كان لقمان الحكيم يقول القناع ريبة بالليل ذل بالنهار . فقال الرجل: لقمان الحكيم لم يكن عليه دين . وقال ابن المقفع الغنوي :

يعيبونني بالدين قومي وانما * تداينت في أشياء تكسبهم حمدا
اذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم * وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

٥٧ — مجانبة الخلف والكذب — قال النبي صلى الله عليه وسلم « مجانبة الكذب (١) الايمان » وقالت الحكماء ليس لكذاب مروأة . وقالوا : من عرف بالكذب لم يجز صدقه وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يجوز الكذب في جد ولا هزل » وقال « لا يكون المؤمن كذابا » وقال عبد الله بن عمر خلف الوعد ثلث النفاق . وقال حبيب في عياش :

يا أكثر الناس وعدا حشوه خلف * وأكثر الناس قولا حشوه كذب

ومن قولنا في هذا المعنى :

فصادمت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كأنما صيغ من بخل ومن كذب * فكان ذاك له روحا وذا نفسا
صحيفة أفنيت ليت بها وعسي * عنوانها راحة الراجي اذا يئسا
وعد له هاجس في الغدر قد برمت * أحشاء صدري به من طول ما انحبسا
مواعد غرني منها وميض سنا * حتى مددت اليها الكف مقتبسا

٥٨ — التنزه عن استماع الخنى والقول به — اعلم أن السامع شريك القائل في الشر قال الله « سماعون للكذب » وقال العتبي : حدثني أبي عن سعد القصر قال نظر عمر بن عتبه رجلا يشتم عندي رجلا . فقال لي ويلك وما قال لي ويلك قبلها نزه نفسك عن استماع الخنى كما تنزه لسانك عن الكلام به فان السامع شريك القائل وان عمد الى شر ما في وعائه فافرغه في

---

(١) بياض بالاصل

وعائك ولو وردت كلمة جاهل فى فيه لسعد رادها كما شقى قائلها

٥٩ — باب فى الغلو فى الدين — توفى رجل فى عهد عمر بن ذر ممن أسرف على نفسه فى الذنوب، وجاوز فى الطغيان، فتجافى الناس عن جنازته، فحضرها عمر بن ذر وصلى عليه. فلما أدلى فى قبره قال: يرحمك الله أبا فلان، صحبت عمرك بالتوحيد، وعفرت وجهك لله بالسجود، فان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وذي خطايا. ومن حديث أبى هريرة: عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا» وقال «يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم» ثم ذكر الرجل يرى أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يقول يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فانى يستجاب له قال النبى صلى الله عليه وسلم «ان الله بعثني بالحنيفية السمحة ولم يبعثني بالرهبانية المبتدعة سنتي الصلاة والنوم والافطار والصوم فمن رغب عن سنتي فليس منى» وقال صلى الله عليه وسلم «ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى» وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه: خير هذه الامة النمط الاوسط يرجع اليهم الغالى و يلحق بهم التالى. وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير لابنه وكان قد تعبد يابني ان الحسنة بين السيئتين يعني الدين بين الافراط والتقصير وخير الامور أوسطها وشر السير الحقحقة. وقال سلمان الفارسى: القصد والدومان فانت الجواد السابق. وقالوا: عامل البر كآكل الطعام ان أكل منه قوتا عصمه وان أسرف منه بشمه. وفى البعض الحديث: ان عيسى ابن مريم عليه السلام اتى رجلا. فقال له: ماتصنع قال أتعبد. قال فمن يعود عليك. قال أخى. قال هو أعبد منك. ونظير هذا أن رفقة من الاشعر بين كانوا فى سفر. فلما قدموا قالوا ما رأينا يارسول الله بعدك أفضل من فلان كان يصوم النهار فاذا نزلنا قام من الليل حتي نرتحل. قال فمن كان يمهن له و يكفله. قالوا كلنا. قال كلكم أفضل منه. وقيل للزهرى: ما الزهد في الدنيا قال انه ماهو بتشعيث اللمة، ولا قشف الهيئة، ولكنه خلف النفس عن الشهوة. على بن عاصم عن أبي اسحق عن الشيباني قال: رأيت محمد ابن الحنفيـة واقفا بعرفات على برذون وعليه مطرف خز أصفر. السدى عن ابن جريج عن ابن عباس قال: كان يرتدى برداء بالف. اسمعيل ابن عبدالله بن جعفر عن أبيه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران رداء وعمامة. وقال معمر: رأيت قميص أيوب السختياني يكاد

يمس الارض فسالته عن ذلك . فقال : ان الشهرة كانت فيما مضى فى تبذيل القميص وانها اليوم فى تشميره . أبو حاتم عن الاصمعي : ان ابن عون اشترى برنسا فمر على معاذة العدوية : فقالت مثلك يلبس هذا . فذكرت ذلك لابن سيرين : قال أفلا أخبرتها أن تميما الداري اشتري حلة بالف فصلى فيها . قدم حماد بن سلمة البصرة فجاءه فرقد السنجي وعليه ثياب صوف . فقال له حماد دع عنك نصرانيتك هذه . فقال له : لقد رأيتنا ننتظر ابراهيم وعليه معصفرة ونحن نرى أن الميتة قد حلت له . أبو الحسن المدايني قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم والى خراسان فى مدرعة صوف فقال له : مايدعوك الى لباس هذه فسكت . فقال له : قتيبة أكلمك لا تجيبني . قال أكره أن أقول زهدا فأزكي نفسي أو أقول فقرا فاشكو ربي فما جوابك الا السكوت . قال ابن السماك : لاصحاب الصوف والله لئن كان لباسكم وفقا لسرائركم فقد أحببتم أن يطلع الناس عليها وان كان مخالفا لقد هلكتم . وكان القاسم بن محمد يلبس الخز . وسالم بن عبد الله يلبس الصوف ويقعدان فى مسجد المدينة فلا ينكر هذا على هذا ولا ذا على هذا ودخل رجل على محمد بن المنكدر فوجده قاعدا على حشايا مضاعفة وجارية تغلفه بالغالية . فقال رحمك الله جئت أسالك عن شيء وجدتك فيه يريد التزين قال على هذا أدركت الناس وصلى الاعمش فى مسجد قوم فاطال بهم الامام . فلما فرغ . قال له ياهذا لا تطل صلاتك فانه يكون خلفك ذو الحاجة والكبير والضعيف . قال الامام وانها لكبيرة الا على الخاشعين . فقال له الاعمش أنا رسول الخاشعين اليك انهم لا يحتاجون الى هذا منك . العتبي قال : أصابت الربيع بن زياد نشابة على جبينه . فكانت تنتقض عليه كل عام . فاتاه على بن أبي طالب عائدا فقال له : كيف تجدك ياأبا عبد الرحمن . قال أجدني لو كان لا يذهب مابي الا بذهاب بصري لتمنيت ذهابه . قال وماقيمة بصرك عندك . قال لو كانت لي الدنيا فديته بها . قال لا جرم يعطيك الله على قدر الدنيا لو كانت لك فانفقتها فى سبيل الله ان الله يعطى على قدر الالم والمصيبة وعنده بعد تضعيف كثير . قال له الربيع : ياأمير المؤمنين انى لاشكو اليك عاصم بن زياد قال وماله قال لبس العباء ، وترك الملاء ، وغم أهله ، وأحزن ولده ، قال عليّ عاصما . فلما أتاه عبس فى وجهه . وقال ويلك ياعاصم أترى الله أباح لك اللذات وهو يكره أخذك منها أنت أهون على الله من ذلك أوما سمعته يقول « مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان » حتي قال « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » وتالله لا ابتذال نعم الله بالفعال ، أحب الى من ابتذالها بالمقال ، وقد سمعته يقول « وأما بنعمة ربك فحدث »

وقوله « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » قال عاصم فعلام اقتصرت أنت يا أمير المؤمنين علي لبس الخشن وأكل الجشب . قال ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام لئلا يشنع بالفقير فقره . قال فما خرج حتي لبس الملاء وترك العباء . محمد بن حاطب الجمحي قال : حدثني من سمع عمرو بن شعيب وكنت سمعته أنا وأبي جميعا . قال حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عمر وكانت امرأته تلاطف رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : كيف أنت يا أم عبد الله . قالت : كيف أكون وعبد الله بن عمرو رجل قد تخلى من الدنيا قال لها كيف ذلك . قالت : حرم فلا ينام ، ولا يفطر ، ولا يطعم اللحم ، ولا يؤدى الى أهله حقهم . قال فاين هو . قالت خرج ويوشك أن يرجع الساعة . قال فاذا رجع فاحبسيه على فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء عبد الله وأوشك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرجعة . فقال يا عبد الله بن عمرو ماهذا الذي بلغني عنك أنك لا تنام . قال أردت بذلك الامن من الفزع الاكبر . قال وبلغني أنك لا تفطر . قال أردت بذلك ماهو خير منه فى الجنة . قال وبلغني أنك لا تؤدى الى أهلك حقهم . قال أردت بذلك نساء هن خير منهن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله بن عمرو ان لك فى رسول الله أسوة حسنة . فرسول الله يصوم ويفطر ، ويأكل اللحم ، ويؤدى الى أهله حقوقهم ، يا عبد الله بن عمرو ان لله عليك حقا ، وان لبدنك عليك حقا ، وان لاهلك عليك حقا ، فقال يا رسول الله ما تامرنى أن أصوم خمسة أيام وأفطر يوما . قال لا . قال أفاصوم أربعة وأفطر يوما . قال لا . قال أفاصوم ثلاثة وأفطر يوما . قال لا . قال فيومين وأفطر يوما . قال لا . قال فيوما . قال ذلك صيام أخي داود يا عبد الله بن عمر وكيف بك اذا بقيت فى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم ومواثيقهم فكانوا هكذا وخالف بين أصابعه . قال فما تامرني يا رسول الله . قال تاخذ ما تعرف ، وتدع ما تنكر ، وتعمل بخاصة نفسك ، وتدع الناس وعوام أمرهم . قال ثم أخذ بيده وجعل يمشى به حتى وضع يده فى يد أبيه . وقال له أطع أباك . فلما كان يوم صفين قال له أبوه عمرو يا عبد الله اخرج فقاتل . فقال يا أبتاه أتامرني أن أخرج فاقاتل وقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت وعهد الى . قال أنشدك الله ألم يكن آخر ما قال لك ان أخذ بيدك فوضعها فى يدى . وقال أطع أباك . قال اللهم بلى . قال فانى أعزم عليك أن تخرج فتقاتل . قال فخرج فقاتل متقلدا بسيفين

٦٠ — القول في القدر — أتى قوم من أهل القدر محمد بن المنكدر . فقالوا له : أنت الذى تقول ان الله يعذب الخلق على ماقدر عليهم . فصرف وجهه عنهم ولم يجبهم . فقالوا له : أصلحك الله ان كنت لا تجيبنا فلا تخلنـا من بركة دعائك . فقال : اللهم لا تردنا بعقوبتك ، ولا تمكر بنا فى خلتك ، ولا تؤاخذنا بتقصيرنا عن رضاك ، قليل أعمالنا تقبل ، وعظيم خطايانا تغفر ، أنت الله الذى لم يكن شىء قبلك ، ولا يكون شيء بعدك ، ولى الاشياء ، ترفع بالهدي من تشاء ، لا من أحسن استغنى عن عونك ، ولا من أساء عليك ولا من استبد بشىء من حكومتك وقدرتك ، فكيف لنا بالمغفرة وليست الا فى يديك ، وكيف لنا بالرحمة وليست الا عندك ، ياحفيظ لاينسي ، وقديم لا يبلى ، حي لا يموت ، بك عرفناك ، وبك اهتدينا اليك ، ولو لا أنت لم ندر ما أنت ، سبحانك وتعاليت ، فقال القوم قد والله أخبر وما قصر . وقال ذكر القدر فى مجلس الحسن البصرى . فقال : ان الله خلق الخلق للابتلاء لم يطيعوه باكراه ، ولم يعصوه بغلبة ، ولم يهملهم من الملك ، وهو القادر على ما أقدرهم عليه ، والمالك لما ملكهم اياه ، فان يأتمر العباد بطاعة الله لم يكن مثبطا ، بل يزيدهم هدى الى هداهم ، وتقوى الى تقواهم ، وان يأتمروا بمعصية الله كان الله قادرا على صرفهم ان شاء ، وان حال بينهم وبين المعصية فمن بعد اعذار وانذار . مروان بن موسى قال : حدثنا أبو ضمرة أن غيلان قدم بكلمة قد صاغها حتى وقف على ربيعة . فقال له : أنت الذى تزعم ان الله أحب أن يعصي . فقال له ربيعة : أنت الذى تزعم أن الله يعصي كرها فكأنما ألقمه حجرا . قيل لطاوس هـذا قتادة يحب أن يأتيك فقال : ان جاء . لأقومن قيل له انه فقيه . قال ابليس أفقه منه . قال رب بمـا أغويتني . وقيل للشعبي رأيت قتادة . قال نعم رأيت كناسة بين حشين القدر هـو العلم والكتاب والكلمة والاذن والمشيئة . قال الاصمعي : سالت اعرابيا فقلت له ما فضل بنى فلان على بنى فلان . قال الكتاب يعني القدر وقال الله عز وجل « انا كل شىء خلقناه بقدر » وقال « كل فى كتاب مبين » وقال « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين » يعني القدر . وقال « ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما » قال الخشنى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام : شاعران من فحول الجاهلية ذهب أحدهما فى بيته مذهب العدلية . والآخر ذهب مذهب الجبرية . فالذي ذهب مذهب العدلية فاعشى بكر حيث يقول :

استأثر الله بالوفاء وبالـــ * ـــعدل وولى الملامة الرجلا

والذى ذهب مذهب الجبرية فلبيد بن ربيعة حيث يقول :

ان تقوى ربنا خير نفل * وباذن الله ريث وعجل
من هداه سبل الخير اهتدى * ناعم البال وماشاء أضل

وقال اياس بن معاوية : كلمت الفرق كلها ببعض عقلى وكلمت القدرى بعقلى كله . فقلت له : دخولك فيما ليس لك ظلم منا . قال نعم قلت فان الامر كله لله . ومن قول الله عز وجل فى القدر « قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » وقال « يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين » ابن شهاب قال : أنزل الله على نبيه آية فى القدرية « الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين » وقال « ولو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم » وقال محمد بن سيرين : ماينكر القدرية أن يكون الله علم من خلقه علما فكتبه عليهم . وقال رجل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : ماتقول فى القدر . قال ويحك أخبرني عن رحمة الله أكانت قبل طاعة العباد . قال نعم : قال على أسلم صاحبكم وقد كان كافرا . فقال الرجل له أليس بالمشيئة الاولى التى أنشاني بها أقوم وأقعد وأقبض وأبسط . قال له : انك بعد فى المشيئة أما انى أسالك عن ثلاث . فان قلت فى واحدة منهن لا كفرت ، وان قلت نعم فانت أنت فمد القوم أعناقهم ليسمعوا مايقول . فقال له على : أخبرنى عنك أخلقك الله كما شئت أو كما شاء . قال بل كما شاء . قال فخلقك الله لما شئت أو لما شاء . قال بل لما شاء . قال فيوم القيامة تأتيه بما شئت أو بما شاء . قال بل بما شاء . قال قم فلا مشيئة لك . قال هشام بن محمد السائب الكلبي : كان هشام بن عبد الملك قد أنكر على غيلان التكلم فى القدر وتقدم اليه فى ذلك أشد التقدم . وقال له فى بعض ماتوعده به من الكلام ما أحسبك تنتهى حتى تنزل بك دعوة عمر بن عبد العزيز اذا احتج عليك فى المشيئة بقول الله عز وجل « وماتشاؤن الا أن يشاء الله » فزعمت أنك لم تلق لها بالا . فقال عمر اللهم ان كان كاذبا فاقطع يده ورجله ولسانه واضرب عنقه فانته أولى بك ودع عنك ماضره اليك أقرب من نفعه . فقال له غيلان : لحينه وشقوته ابعث الى ياأمير المؤمنين من يكلمنى ويحتج على فان أخذته حجتي أمسكت عنى فلا سبيل لك الى وان أخذتني حجته فسالتك بالذي أكرمك بالخلافة الا نفذت فى مادعا به عمر على فغاظ قوله هشاما . فبعث الى الاوزاعى فحكى له ماقال لغيلان ومارد غيلان عليه . فالتفت اليه الاوزاعى . فقال له : أسالك عن خمس أو ثلاث . فقال غيلان عن

ثلاث . قال الاوزاعى هل علمت أن الله أعان على ماحرم . قال غيلان ماعلمت وعظمت عنده قال فهل علمت أن الله قضى على مانهي . قال غيلان هذه أعظم مالى بهذا من علم . قال فهل علمت ان الله حال دون ما أمر . قال غيلان حال دون ما أمر ماعلمت . قال الاوزاعى هذا موات من أهل الزيغ فامر هشام بقطع يده ورجله . ثم ألقى فى الكناسة فاحتوشه الناس يعجبون من عظيم ما أنزل الله به من نقمته . ثم أقبل رجل كان كثيرا ما ينكر عليه التكلم فى القدر فتخلل الناس حتى وصل اليه . فقال ياغيلان اذكر دعاء عمر . فقال غيلان أفلح اذا هشام ان كان الذي نزل بى بدعاء عمر أو بقضاء سابق فانه لا حرج على هشام فيما أمر به . فبلغ كلمته هشاما فامر بقطع لسانه وضرب عنقه لتمام دعودة عمر . ثم التفت هشام الى الاوزاعى . وقال له قد قلت يا أبا عمرو ففسر فقال نعم قضى على مانهى عنه نهي آدم عن أكل الشجرة . وقضى عليه باكلها وحال دون ما أمر به امر ابليس بالسجود لآدم . وحال بينه وبين ذلك . وأعان على ماحرم حرم الميتة وأعان المضطر على أكلها . الرياشي عن سعيد ابن عامر عن جويرية عن سعيد بن أبي عروبة قال : لما سألت قتادة عن القدر فقال رأى العرب تريد أم رأى العجم . فقلت بل رأى العرب . قال فانه لم يكن أحد من العرب الا وهو يثبت وأنشد

وما كان قطعي هول كل تنوفة * الا كتابا قد خلا مسطورا

وقال اعرابى : الناظر فى قدر الله كالناظر فى عين الشمس يعرف ضوءها ولا يحتم على حدودها وقال كعب بن زهير :

لو كنت أعجب من شيء لاعجبني * سعى الفتى وهو مخبوء له القـدر
يسـعي الفتى لامور ليس يدركها * فالنفس واحـدة والهـم منتشر
والمـرء ما عاش ممدود له أمـل * لا تنتهي العـين حتي ينتهى الاثر

وقال آخر :

والجـد أنهض بالفتى من عقله * فانهض بجد فى الحوادث أوذر
ما أقرب الاشياء حين يسوقها * قـدر وأبعدها اذا لم تقـدر

عبد الرحمن بن القصير قال : حدثنا يونس بن بلال عن يزيد بن أبي حبيب ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله ايقدر الله على الشر ثم يعذبني عليه : قال نعم وانت اظلم . قال : وحدثني ابو عبدالرحمن المقري يرفعه الى ابي هريرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا اهل القـدر ولا

تفاتحوهم . ومن حديث عبد الله بن مسعود قال : ما كان كفر بعد نبوة قط الا كان مفتاحه التكذيب بالقدر . ثمامة بن اشرس قال : دخل ابو العتاهية على المامون لما قدم العراق . فامر له بمال وجعل يحادثه . فقال له يوما ما في الناس اجهل من القدرية . قال له المامون انت بصناعتك ابصر فلا تتخطاها الى غيرها . قال له يا امير المؤمنين اجمع بيني و بين من شئت منهم فارسل الى فدخلت عليه . فقال لي هذا يزعم انك واصحابك لا حجة عندكم . قلت فليسال عما بدا له فحرك ابو العتاهية يده . وقال من حرك هذه قلت من ناك امه . فقال يا امير المؤمنين شتمني قلت له نقضت اصلك يا عاض بظر امه . فضحك المامون فقلت له يا جاهل تحرك يدك . ثم تقول من حركها فلم اشتمك وان كنت انت المحرك لها فهو قولي . قال له المامون عندك زيادة في المسئلة . قال الكندى : في الفن التاسع من التوحيد اعلم ان العالم كله مسوس بالقضاء والقدر اعني بالقضاء ماقسم لكل مفعول بما هو اصلح واحكم واتقن في بنية الكل لانه جل ثناؤه خلق وابدع مضطرا ومختارا بتمام القدرة . فلما كان المختار عن تمام الحكمة لان تمام الحكمة لمبدع الكل كان لو اطلق واختاره لاختار كثيرا مما فيه فساد الكل فقد رجل ثناؤه بنية للكل تقديرا محكما فصير بعضه سوانح لبعض يختار بارادته ومشيته غير مقهور ماهو اصلح واحكم في بنية الكل : فتقدير هذه السوانح هو القدر . فبالقضاء والقدر ساس جل ثناؤه جميع ما ابدع . فهذه السياسة المحكمة لمتقنة التي لا يدخلها زلل ولا نقص فاتضح ان كل مفعول فيما قسم له ربه من الاحوال لا خارج عنها وان بعض ذلك باضطرار وبعضه باختيار وان المختار عن سوانح قدره وبارادته لا بالكره فعل . سئل اعرابي : عن القدر فقال ذاك علم اختصمت فيه الظنون ، وكثر فيه المختلفون ، والواجب علينا ان نرد ما اشكل من حكمه الى ماسبق من علمه ، واصطحب مجوسى وقدرى في سفر . فقال القدري للمجوسى مالك لا تسلم قال ان اذن الله في ذلك كان . قال ان الله قد اذن الا ان الشيطان لا يدعك . قال فانا مع اقواهما . وقال رجل لهشام بن الحكم انت تزعم ان الله في فضله وكرمه وعدله كلفنا مالا نطيقه ثم يعذبنا عليه . قال هشام قد والله فعل ولكن لا نستطيع ان نتكلم . اجتمع عمرو بن عبيد مع الحرث بن مسكين بمنى . فقال له : ان مثلى ومثلك لا يجتمعان في مثل هذا الموضع فيفترقان من غير فائدة فان شئت فقل وان شئت فانا اقول . قال له قل : قال هل تعلم احدا اقبل للعذر من الله عز وجل . قال لا قال فهل تعلم عذرا ابين من عذر من قال لا اقدر فيما تعلم انت انه لا يقدر عليه . قال لا . قال فلم

تقبل قول من لا أقبل للعذر منه عذرا ولا أبين من عذر فانقطع الحرث بن مسكين فلم يرد شيا

٦١ — رد المامون على الملحدين وأهل الاهواء — قال المامون للثنوى الذى تكلم عنده أسالك عن حرفين لا أزيد عليهما هل ندم مسيء قط على اساءته . قال بلى : قال فالندم على الاساءة اساءة أم احسان . قال بل احسان : قال فالذي ندم هو الذى أساء أم هو غيره . قال بل هو الذى أساء . قال فارى صاحب الخير هو صاحب الشر . قال فانى أقول الذى ندم غير الذي أساء . قال فندم على شىء كان منه أم على شيء كان من غيره : قال له أيضا أخبرنى عن قولك باثنين هل يستطيع أحدهما ان يخلق خلقا لا يستعين فيه بصاحبه . قال نعم . قال فما تصنع باثنين واحد يخلق كل شيء خير لك وأصح . وقال المامون : للمرتد الخراسانى الذى أسلم على يديه وحمله معه الى العراق فارتد عن الاسلام أخبرنى ما الذى أوحشك مما كنت به آنسا من ديننا فوالله لان استحييك بحق ، أحب الى من ان أقتلك بحق ، وقد صرت مسلما بعد أن كنت كافرا ، ثم عدت كافرا بعد ان صرت مسلما ، وان وجدت عندنا دواء لدائك تداويت به ، وان أخطاك الشفاء ، ونبا عليك الدواء ، كنت قد أبليت العذر فى نفسك ، ولم تقصر فى الاجتهاد لها ، فان قتلناك فى الشريعة . وترجع أنت فى نفسك الى الاستبصار واليقين ، ولم تفرط في الدخول من باب الحزم ، قال المرتد : أوحشني منكم ما رأيت من الاختلاف فى دينكم . قال المامون : انا اختلافان أحدهما كاختلافنا فى الاذان وتكبير الجنائز وصلاة العيدين والتشهد والتسليم من الصلاة ووجوه القرا آت واختلاف وجوه الفتيا وما أشبه ذلك وهذا ليس باختلاف وانما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من السنة . فمن أذن مثني وأقام مثنى لم يأثم ومن ربع لم يأثم والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا فى تاويل الآية من كتابنا وتاويل الحديث عن نبينا مع اجتماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر فان كان انما أوحشك هذا . فينبغى أن يكون اللفظ بجميع التوراة والانجيل متفقا على تاويله كما يكون متفقا على تنزيله ولا يكون بين اليهود والنصاري اختلاف فى شىء من التاويلات . ولو شاء الله أن ينزل كتبه مفسرة ويجعل كلام أنبيائه ورسله لا يختلف فى تاويله لفعل . ولكنا لم نجد شيا من أمور الدين والدنيا وقع الينا على الكفاية الامع طول البحث والتحصيل والنظر . ولو كان الامر كذلك لسقطت البلوى والمحن وذهب التفاضل والتباين ولما عرف الحازم من العاجز ولا الجاهل من العالم ولبس على بينة الدنيا . قال المرتد : أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان المسيح

عبدالله وأن محمـداصادق وانك أمير المؤمنين . وقال المامون : لعلى بن موسي الرضابم تدعون هذا الامر . قال بقرابة على من رسول الله صـلى الله عليه وسـلم . فقال له المامون ان لم يكن ههنا الا القرابة فقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهـل بيته من كان أقرب اليه من على أو من فى مثل قعدده وان كان بقرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسـلم فان الحق بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعلي فى هذا الامر حق وهما حيان . فا . كان الامر كذلك فان علياقد ابتزهما حقهما وهما صحيحان واستولى عـلي مالا يجب له فـا أجا به على بن موسى بشيء وكتب واصل بن عطاء الغزالى الى عمرو بن عبيد أما بعد : فان انسلاب نعمه العبد بيد الله ، وتعجيـل المعاقبة ومهما يكن ذلك فباستكمال الآثام ، والمجاورة للجدال ، الذي يحول بين المرء وقلبه ، وقـد عرفت ما كان يطعن به عليك ، وينسب اليك : ونحن بين ظهرانى الحسن بن ابى الحسن رحمه الله لاشتبشاع قبيح مذهبك ، نحن ومن قد عرفته من جميع أصحابنا ، ولة اخواننا ، الحاملين الواعين عن الحسـن ، فبالله بل كملة وأعيان وحفظة ماأدمث الطبائع ، وأرزن المجالس ، وأبين الزهد ، وأصدق الالسنة ، اقتدوا والله بمن مضى شهابهم ، وأخذوا بعهدهم ، عهدي والله بالحسن وعهدكم به أمس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرقي الاجنحه وآخر حديث حدثنا اذ ذكر الموت وهول المطلع فاسف علي نفسه ، واعترف بذنبه ثم التفت والله يمنة ويسرة معتبرا باكيا ، فكاني انظر اليـه يمسح مرفض العرق عن جبينه ، ثم قال اللهم اني قد شددت وضين راحلتي ، واخذت فى أهبة سفرى ، الى محل القـبر ، وفرش العفو ، فلا تؤاخذنى بما ينسبون الى من بعدي ، اللهم انى قد بلغت مابلغنى عن رسولك ، وفسرت من محكم كتابك ماقد صدقه حديث نبيك ، الاوانى خائف عمرا الاواني خائف عمرا شكاية لك الى ربه جهرا وانت لاانت عن يمين ابى حذيفة اقربنا اليه . وقد بلغني كثير مماحملته نفسك ، وقلدته عنقك ، من تفسير التنزيل ، وعبارة التاويل ، ثم نظرت فى كتبك ، وما اهدته الينا رواتك ، من تنقيص المعانى ، وتفريق المبانى ، فدلت شكاية الحسن عليك بالتحقيق ، بظهور ماابتدعت ، وعظيم ماتحملت ، فلا يغررك تدبير من حولك ، وتعظيمهم طولك ، وخفضهم اعينهم عنك اجلالالك ، غداوالله تمضي الخيلاء والتفاخر ، وتجزى كل نفس بماتسعى ، ولم يكن كتابى اليك ، وتجليبي عليك ، الا ليذكرك بحديث الحسن رحمه الله وهو آخر حديث حدثناه ، فادالمسموع ، وانطق بالمفروض ، ودع تاويلات الاحاديث

على غير وجهها ، وكن من الله وجلا انتهي النصف من كتاب الياقوتة في العلم والادب يتلوه باب من أخبار الخوارج . وجدت في بعض النسخ زيادة فاوردتها وهي

٦٢ — ماجاء في ذم الحمق والجهل — قال النبي صلى الله عليه وسلم «الجاهل يظلم من خالطه ويعتدى على من هو دونه ويتطاول على من هو فوقه ويتكلم بغير تمييز وان رأى كريمة أعرض عنها وان عرضت فتنة أردته وتهور فيها» وقال أبو الدرداء : علامة الجاهل ثلاث العجب وكثرة المنطق وأن ينهي عن شيء ويأتيه . وقال أزدشير : بحسبكم دلالة على عيب الجاهل أن كل الناس تنفر منه ويغضب من أن ينسب اليه . وكان يقال : لا تغررك قرابة ولا اخوة ولا إلف فان أحق الناس بتحريق النار أقربهم منها . وقيل : خصلتان لا تقربانك من الاحمق كثرة الالتفات وسرعة الجواب . وقيل : لا تصحب الجاهل فانه يريد أن ينفعك فيضرك . ولبعضهم :

لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة أعيت من يداويها

ولابي العتاهية :

احذر الاحمق لا تصحبه * انما الاحمق كالثوب الخلق
كلما رقعته من جانب * زعزعته الريح يوما فانخرق
أو كصدع في زجاج فاحش * هل تري صدع زجاج يلتصق
فاذا عاتبته كي يرعوى * زاد شرا وتمادى في الحمق

٦٣ — أصناف الاخوان — قال العتابي : الاخوان ثلاثة أصناف ، فرع بائن من أصله ، وأصل متصل بفرعه ، وفرع ليس له أصل . فاما الفرع البائن من أصله فاخاء بني على مودة ثم انقطعت فحفظ على زمام الصحبة . وأما الاصل المتصل بفرعه فاخاء أصله الكرم وأغصانه التقوى . وأما الفرع الذي لا أصل له فالمموه الظاهر الذي ليس له باطن . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الصاحب رقعة في قميصك فانظر بم ترقعه » . وقالوا : من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا . وفد دحيم الكلبي على أمير المؤمنين على رضى الله عنه . فمازال يذكر معاوية ويطريه في مجلسه . فقال على رضى الله عنه :

صديق عدوى داخل في عداوتي * وانى لمن ود الصديق ودود

فلا تقربن مني وأنت صديقه * فان الذى بين القلوب بعيد

وفى هذا المعنى قول العتابى :

تود عدوي ثم تزعم أنني * صديقك ان الرأى عنك لعازب
وليس أخي من ودني رأي عينه * ولكن أخى من ودنى وهو غائب

وقال آخر :

ليس الصديق الذى ان زل صاحبه * يوما رأى الذنب منه غير مغفور
وان أضاع له حقا فعاتبه * فيه أتاه بتزويق المعاذير
ان الصديق الذى تلقاه يعذرني * ماليس صاحبه فيه بمعذور

وقال آخر :

كم من أخ لك لم يلده أبوكا * وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا
صاف الكرام اذا أردت إخاءهم * واعلم بان أخا الحفاظ أخوكا
والناس ما استغنيت كنت أخاهم * واذا افتقرت اليهم رفضوكا

وقال بعضهم :

أخوك الذى ان قمت بالسيف عامدا * لتضربه لم يستغشك فى الود
ولو جئت تبغى كفه لتبينها * لبادر اشفاقا عليك من الود
يرى أنه فى الود كان مقصرا * على أنه قد زاد فيه على الجهد

وقال آخر:

ان كنت متخذا خليلا * فتنق وانتقد الخليلا
من لم يكن لك منصفا * فى الود فابغ به بديلا
ولقلما تلقي اللئيم عليك الا مستطيلا

وللعطوي:

صن الود الا عن الاكرمين * ومن بمواخاته تشرف
فكم من أخ ظاهر وده * ضمير مودته أجيف
ولا تغترر من ذوى خلة * بما هو هوى لك أو زخرفه
اذا أنت عاتبته فى الاخا * ء تنكر منه الذى تعرفه

وكتب العباس بن جرير الى الحسن بن مخلد :

ارع الاخاء أبا محمد الذي يصفو وصنه
واذا رأيت منافسا * فى نيل مكرمة فكنه
ان الصديق هو الذى * يرعاك حيث تغيب عنه

فاذا كشفت اخاه * أحمدت ما كشفت عنه
مثل الحسام اذا انتضاه * ذو الحفيظة لم يخنه
يسعي لما يسعي له * كرما وان لم تستعنه

ولآخر: خير اخوانك المشارك فى المر وأين الشريك فى المر أينا
الذى ان شهدت فى الحضر انسر وأن غبت كان أذنا وعينا

ولآخر: ومن العناء أخ جنايته * علق بنا ولغيرنا سلبه

وقال آخر:

اذا رأيت انحرافا من أخى ثقة * ضاقت على برحب الارض أوطانى
فان صددت بوجهي كى أكافئه * فالعين غضبي وقلبي غير غضبان

وكتب بعضهم الى محمد بن بشار:

من لم يردك فلا ترد * ه وكن كمن لم تستعده
باعد أخاك لبعده * واذا دنا شبرا فزده
كم من أخ لك يا ابن بشار وأمك لم تلده
وأخى مناسبة يسو * ك عيبه لم تفتقده

فاجابه محمد بن بشار:

غلط الفتي فى قوله * من لم يردك فلا ترده
من نافس الاخوان لم * يبد العتاب ولم يعده
عاتب أخاك اذا هفا * واعطف بودك واستعده
واذا أتاك بغيبة * واش فقل لم تعتمده

وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه من لانت كلمته ، وجبت محبته وينشد:

كيف أصبحت كيف أمسيت مما * يثبت الود فى فؤاد الكريم

وعلى الصديق أن لا يلقى صديقه الا بما يحب ، ولا يؤذي جليسه فيما هو عنه بمعزل ، ولا ياتى بما يعيب مثله ، ولا يعيب ما ياتى شكله . وقد قال المتوكل الليثى:

لا تنه عن خلق وتاتى بمثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاث يثبتن لك الود فى صدر أخيك ، أن تبدأه بالسلام ،

وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب الاسماء اليه . وقال : ليس شر فى خير ، ولا شر من صاحب : وقال الشاعر :

ان كنت تبغي المرء أو أصله * وشاهدا يخبر عن غائب
فاعتبر الارض باسمائها * واعتبر الصاحب بالصاحب

لعدى بن زيد :

عن المرء لا تسال وأبصر قرينه * فان القرين بالمقارن يقتدي

ولعمرو بن جميل التغلبي :

ساصبر من صديق ان جفانى * على كل الاذى الا الهوانا
فان الحر يانف فى خلاء * وان حضر الجماعة أن يهانا

قال رجل لمطيع بن إياس : جئتك خاطبا مودتك . فقال له : قد زوجتك على شرط أن تجعل صداقها أن لا تسمع فىّ مقالة الناس . ويقال فى المثل : من لم يزدرد الريق ، لم يستكثر من الصديق ، وما أحسن ما قال ابراهيم ابن العباس ؟

ياصديقي الذى بذلت له الو * د وأنزلته على أحشائى
ان عينا قذيتها لتراعيـ * ـك على مابها من الاقذاء
مابها حاجة اليك ولكن * هى معقودة بحبل الوفاء

ولابن أبي حازم :

ارض من المرء فى مودته * بما يؤدى اليك ظاهره
من يكشف الناس لم يجد أحدا * يصح منه غدا سرائره
يوشك أن لا يتم وصل أخ * فى كل زلاته تنافره
ان ساءني صاحبي احتملت وان * سرفانى أخوه شاكره
أصفح عن ذنبه وان طلب العذ * ر فاني عليه عاذره

ولغيره : انى اذا أبطأت عنك فلم أزد * لاحداث دهر لايزال يعوق
لقد أصبحت نفسى عليك شفيقة * ومثلى على أهل الوفاء شفيق
أسر بما فيه سرورك انني * جدير بمكنون الاخاء حقيق
عدو لمن عاديت سلم مسالم * لكل امرىء يهوى هواك صديق

ولابى عبدالله بن عرفة :

هموم رجال فى أمور كثيرة * وهمى من الدنيا صديق مساعد
يكون كروح بين جسمين فرقا * بجسماهما جسمان والروح واحد

وقال بعض الحكماء : الاخاء جوهرة رقيقة ، وهي مالم ترقها وتحرسها معرضة للآفات ، فرض الابي بالجداء له حتي تصل الى قربه ، وبالكظم حتي يعتذر اليك من ظلمك ، والرضا حتى لاتستكثر من من نفسك بالفضل ، ولا من أخيك بالتقصير .

ولمحمود الوراق :

لابر أعظم من مساعدة * فاشكر أخاك على مساعدته
واذا هفا فاقله هفوته * حتى يعود أخا كعادته
فالصفح عن زلل الصديق وان * أعياك خير من معاندته

ولعبد الصمد بن المعدل :

من لم يردك ولم تردة * لم يستفدك ولم تفده
قرب صديقك ما نأى * ورد التقارب واسترده
واذا وهت أركانه * ومن أخي ثقة فشده

بقية الياقوته فى العلم والأدب :

٦٤ — باب من أخبار الخوارج — لما خرجت الخوارج على على رضى الله عنه وكانوا من أصحابه . فلما كان من أمر الحكمين ما كان واختداع عمرو لابي موسي . قالوا الاحكم الالله . فلما سمع على رضي الله عنه نداءهم . قال كلمة حق يراد بها باطل وانما مذهبهم أن لا يكون أمير ولابد من أمير برا كان أو فاجرا . وقالوا لعلى شككت فى أمرك ، وحكمت عدوك فى نفسك ، وخرجوا الى حروراء وخرج اليهم على رضى الله عنهم فخطبهم متوكئا على قوسه . وقال هذا مقام من أفلح فيه أفلح يوم القيامة أنشدكم الله هل علمتم أن أحدا كان أكره للحكومة مني . قالوا اللهم نعم . قال فعلام خالفتموني ونابذتموني . قالوا انا أتينا ذنبا عظيما فتبنا الى الله منه فتب الى الله منه واستغفره نعد اليك . فقال على اني أستغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليا رجع عن التحكيم وتاب منه ورآه ضلالا . فأتى الاشعث بن قيس عليا رضى الله عنه . فقال يا أمير المؤمنين ان الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالا والاقامة عليها كفرا وتبت فخطب على الناس . فقال من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فهو أضل منها فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت . فقيل لعلى انهم خارجون

فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون . فوجه اليهم عبد الله بن العباس . فلما سار اليهم رحبوا به وأكرموه . فرأى منهم جباها قرحت لطول السجود وأيديا كثفنات الابل وعليهم قمص مرحضة وهم مشمرون . قالوا : ماجاء بك يا ابن عباس . قال : جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه ومن عند المهاجرين والانصار . فقالوا إنا أتينا عظيما حين حكمنا الرجال في دين الله فان تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا . فقال ابن عباس : نشدتكم الله الا ماصدقتم أنفسكم أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوي ربع ربع درهم تصاد في الحرم . وفي شقاق امرأة ورجلها . فقالوا اللهم نعم . قال فانشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين الحديبية . قالوا نعم : ولكن عليا محا نفسه من خلافة المسلمين . قال ابن عباس ذلك يزيلها عنه وقد محا رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة . وقال سهل ابن عمرو لو علمت أنك رسول الله ماحاربتك . فقال : للكاتب اكتب محمد بن عبد الله . وقد أخذ على الحكمين ان لا يجورا فعلي اولى من معاوية وغيره وقالوا : ان معاوية يدعى مثل دعوى علي . قال فايهما رأيتموه أولى فولوه . قالوا صدقت . قال ابن عباس ومتى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما فاتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف فصلى بهم صلاتهم ابن الكواء . وقال متى حدث حرب فرئيسكم شبث بن ربعى الرياحى . فلم يزالوا على ذلك حتى اجتمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي . فخرج بهم الى النهروان فاوقع بهم علي . فقتل منهم الفين وثمانمائة . وكان عددهم ستة آلاف وكان منهم بالكوفة زهاء الفين ممن يسر امره فخرج منهم رجل بعد ان قال علي رضي الله عنه ارجعوا وادفعوا الينا قاتل عبد الله بن خباب . قالوا كلنا قتله وشرك في دمه . وذلك انهم لما خرجوا اليهم لقوا مسلما ونصرانيا . فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني خيرا . وقالوا احفظوا ذمة نبيكم ولقوا عبد الله بن خباب وفي عنقه المصحف ومعه جاريته وهي حامل . فقالوا ان هذا الذي في عنقك يامرنا بقتلك . فقال لهم : أحيوا ما احيا القرآن واميتوا ما امات القرآن . قالوا احدثنا عن ابيك . قال حدثني ابى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسي مؤمنا ويصبح كافرا . فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل . قالوا فما تقول في ابى بكر وعمر : فاثنى خيرا . قالوا فما تقول في الحكومة والتحكيم . قال اقول ان عليا أعلم بالله منكم واشد توقيا على دينه وابعد بصيرة : قالوا : انك لست تتبع الهدى بل الرجال على اسمائها . ثم قربوه الى

شاطىء البحر فذ بحوه فاندفر دمه أي جرى مستقيما على رقة وساموا رجلا نصرانيا بنخلة . فقال هي لكم هبة . قالوا ما كنا نأخذها الا بثمن . فقال ما أعجب هذا تقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا نخلة الا بثمن . ثم افترقت الخوارج على أربعة أضرب . الاباضية : أصحاب عبد الله بن أباض . والصفرية : واختلفوا فى نسبهم . فقال قوم سموا بابن الصفار . وقال قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم . ومنهم البيهسية : وهم أصحاب ابن بيهس . ومنهم الازارقة : أصحاب نافع بن الازرق الحنفى . وكانوا قبل على رأى واحد لا يختلفون الا فى الشىء الشاذ . فبلغهم خروج مسلم بن عقبة الى المدينة وقتله أهل حرة وأنه مقبل الى مكة . فقالوا يجب علينا أن نمنع حرم الله منهم ونمتحن ابن الزبير فان كان على رأينا تابعناه . فلما صاروا الى ابن الزبير عرفوه أنفسهم وما قدموا له فاظهر لهم أنه على رأيهم حتى أتاهم مسلم بن عقبة وأهل الشام فدافعوه الى أن يأتى رأى يزيد بن معاوية ولم يتابعوا ابن الزبير . ثم تناظروا فيما بينهم . فقالوا ندخل الى هذا الرجل فننظر ما عنده فان قدم أبا بكر وعمر وبرىء من عثمان وعلى وكفر أباه وطلحة بايعناه وان تكن الاخرى ظهر لنا ما عنده وتشاغلنا بما يجدى علينا . فدخلوا على ابن الزبير وهو مبتذل وأصحابه متفرقون عنه . فقالوا انا جئناك لتخبرنا رأيك فان كنت على صواب بايعناك وان كنت على خلاف دعوناك الى الحق . ما تقول فى الشيخين . قال خيرا . قالوا فما تقول فى عثمان الذى حمى الحمي . وآوى الطريد ، وأظهر لاهل مصر شيأ ، وكتب بخلافه ، وأوطأ آل بني معيط رقاب الناس ، وأمرلهم بفيء المسلمين ، وفى الذى بعده الذى حكم الرجال ، وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم ، وفى أبيك وصاحبه ، وقد بايعا عليا وهو امام عادل مرضى لم يظهر منه كفر . ثم نكثا بيعته ، وأخرجا عائشة فقاتلت . وقد امرها الله وصواحبها أن يقرن فى بيوتهن ، وكان فى ذلك ما يدعوك الى التوبة، فان أنت قبلت كل ما نقول فلك الزلفى عند الله، والنصر على أيدينا، ان شاء الله، ونسال الله لك التوفيق ، وان أبيت خذلك الله وانتصر منك بايدينا . فقال ابن الزبير : ان الله أمر وله العزة والقدرة فى مخاطبة أكفر الكافرين ، وأعتى العاتين ، بارق من هذا القول . قال لموسى وأخيه صلي الله عليهما « اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات » فنهي عن سب أبي جهل من أجل عكرمة ابنه وابو جهل عدو الله ورسوله ، والمقيم على الشرك ، والجاد فى محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل الهجرة والمحارب له بعدها ، وكفى

بالشرك ذنبا ، وقدكان يغنيكم عن هذا القول الذى سميتم فيه طلحة وأبى أن تقولوا نبرأ من الظالمين فان كانا منهم دخلا فى غمار المسلمين ، وان لم يكونا منهم لم تحفظوني بسب أبي وصاحبه وأنتم تعلمون ان الله جل وعز قال للمؤمن في أبويه « وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » وقال « وقولوا للناس حسنا » وهذا الذى دعيتم اليه أمر له ما بعده ، وليس يقنعكم الا التوقف والتصريح ، ولعمرى ان ذلك أحري بقطع الحجج ، وأوضح لمنهاج الحق ، وأولى بان يعرف كل صاحبه من عدوه ، فروحوا الى من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه ان شاء الله تعالى ، فلما كان العشي راحوا اليه ، فخرج اليهم وقد لبس سلاحه ، فلما رأى ذلك نجدة قال هذا خروج منابذ لكم ، فجلس على رفيع من الارض فحمد الله وأثني عليه وصلى علي نبيه ، ثم ذكر أبابكر وعمر احسن ذكر ، ثم ذكر عثمان فى السنين الاوائل من خلافته ، ثم وصلهن بالسنين التى انكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية ، واخبرانه آوي الحكم ابن ابي العاصى باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح ، فان القوم استعتبوه ما كان له ان يفعله ولاء مصيبا ، ثم أعتبهم بعد ذلك محسنا ، وان أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه منه بعد ان ضمن لهم العتبى ، ثم كتب ذلك الكتاب بقتلهم فدفعوا الكتاب اليه فحلف بالله انه لم يكتبه ولم يامر به ، وقد أمر الله عزوجل بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته ، مع ما اجتمع له من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومكانة الامامة ، وان بيعة الرضوان تحت الشجرة انما كانت بسببه ، وعثمان الرجل الذى لزمته يمين لو حلف عليها حلف على حق فافتداها بمائة ألف ولم يحلف : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف بالله فليصدق ومن حلف بالله فليقبل » وعثمان امير المؤمنين وأنا ولي وليه ، وعدو عدوه . وأبي وصاحبه صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول عن الله عزوجل يوم أحد لما قطعت أصبع طلحة « سبقته الى الجنة » وقال « أوجب طلحة » وكان الصديق اذا ذكر يوم أحد قال ذلك يوم كله لطلحة . والزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته . وقد ذكر انهما فى الجنة وقال عزوجل « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم وان يكن ما صنعوا حقا فاهل ذلك هم وان يكن زلة ففى عفو الله تمحيصها وفيما وفقه لهم من السابقة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ومهما ذكرتموها فقد بدأتكم بامكم عائشة فان أبي آب ان تكون له اما نبذ اسم الايمان عنه . وقد قال جل ذكره « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم

وأزواجه أمهاتهم » فنظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا عنه . وكتب بعد ذلك نافع بن الازرق الى عبد الله بن الزبير يدعوه الى أمره أما بعد : فانى أحذرك من الله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا فاتق الله ربك ولا تول الظالمين فان الله يقول « ومن يتولهم منكم فانه منهم » وقال « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء » وقد حضرت عثمان يوم قتل . فلعمري لئن كان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ، وان كان قاتلوه مهتدين وانهم لمهتدون لقد كفر من تولاه ونصره ، ولقد علمت أن أباك وطلحة وعليا كانوا أشد الناس عليه ، وكانوا فى أمره بين قاتل وخاذل ، وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان ، فكيف ولاية قاتل متعمد ومقتول فى دين واحد ، وكيف ولى علي بعده فنفى الشبهات ، وأقام الحدود ، وأجرى الاحكام مجاريها ، وأعطى الامور حقها . فما عليه وله ، فبايعه أبوك وطلحة ، ثم خلعا بيعته ظالمين له ، وان القول فيك وفيهما كما قال ابن عباس رحمه الله ، ان يكن علي فى وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمنا لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل ، وان كان كافرا كما زعمتم وفى الحكم جائرا فقد بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزحف ، ولقد كنت له عدوا ، ولسيرته عائبا ، فكيف توليته بعد موته . وكتب نجدة وكان من الصفرية القعدية الى نافع بن الازرق : لما بلغه عنه استعراضه للناس ، وقتله الاطفال ، واستحلاله الامانة ، بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : فان عهدى بك وأنت لليتيم كالاب الرحيم ، وللضعيف كالاخ البر ، لا تأخذك فى الله لومة لائم ، ولا تري معونة ظالم ، فلما شريت نفسك فى طاعة ربك ابتغاء رضوانه ، وأصبت من الحق فصه نخر ذلك الشيطان فلم يكن أحد أثقل وطأة عليه منك . ومن أصحابك ، فاستمالك واستغواك ، فغويت وكفرت الذين عذرهم الله فى كتابه من قعدة المسلمين وضعفتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ، ووعده الصدق « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله » ثم سماهم أحسن الاسماء . فقال « ما على المحسنين من سبيل » ثم استحللت قتل الاطفال وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم وقال جل ثناؤه « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقال فى القعد خيرا وفضل الله من جاهد عليهم ولا يرفع أكثر الناس عملا ومنزلة عمن هو دونه الا اذا اشتركا في أصل . أو ما سمعت قوله تبارك وتعالى « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر » فجعلهم

من المؤمنين وفضل عليهم المجاهدين باعمالهم . ورأيت من رأيك أن لا تؤدى الامانة الى من يخالفك ، والله يامرك أن تؤدى الامانات الى أهلها ، فاتق الله وانظر لنفسك ، واتق يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيا ، فان الله بالمرصاد ، وحكمه العدل ، وقوله الفصل والسلام . فكتب اليه نافع بن الازرق : بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد : فقد أتاني كتابك تعظني فيه وتذكرني ، وتنصح لى وتزجرني ، وتصف ما كنت عليه من الحق ، وما كنت أوثره من الصواب ، وأنا أسال الله أن يجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وعبت على مادنت به من اكفار القعد ، وقتل الاطفال ، واستحلال الامانة ، وسافسر لك ذلك ان شاء الله . أما هؤلاء القعد فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون الى الهرب سبيلا ، ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا وهؤلاء قد فقهوا فى الدين ، وقرؤا القرآن ، والطريق لهم نهج واضح ، وقد عرفت ما يقول الله لمن كان مثلهم اذ قال « الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » وقال « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله » وقال « وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم » فسماهم بالكفر وأما أمر الاطفال فان نبي الله نوحا كان أعرف بالله يا نجدة منى ومنك قال « لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يولدوا . فكيف جاز ذلك فى قوم نوح ولا يجوز فى قومنا والله يقول « أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر » وهؤلاء كمشركى العرب لا تقبل منهم جزية ، وليس بيننا وبينهم الا السيف أو الاسلام . وأما استحلال الامانات ممن خالفنا فان الله عز وجل أحل لنا أموالهم ، كما أحل لنا دماءهم ، فدماؤهم حلال طلق ، وأموالهم فىء المسلمين ، فاتق الله وارجع نفسك ، فانه لا عذر لك الا بالتوبة ، ولا يسعك خذلاننا ، والقعود دوننا ، والسلام على من أقر بالحق وعمل به . وكان مرداس أبو بلال : من الخوارج وكان مستترا . فلما رأي حزم بن زياد فى قتل الخوارج وحبسهم قال لاصحابه انه والله لا يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجرى علينا أحكامهم مجانبين للعدل ، مفارقين للعقل ، والله ان الصبر على هذا العظيم ، وان تجريد السيف واخافة السبيل لأخف ، ولكنا لا نبتدئهم

ولا نجرد سيفا ولا نقاتل الا من قاتلنا فاجتمع عليه أصحابه وهم ثلاثون رجلا . فارادوا أن يولوا أمرهم حريث بن حجر فابى . فولوا أمرهم مرداسا أبا بلال . فلما مضى باصحابه لقيه عبد الله ابن رباح الانصارى وكان له صديقا . فقال له : يا أخى أين تريد . قال أريد أن أهرب بديني ودين أصحابي هؤلاء من أحكام الجورة والظلمة . فقال له : أعلم بكم أحد . قال لا : قال فارجع . قال : أوتخاف على مكروها . قال نعم . قال فلا تخف فاني لا أجرد سيفا ، ولا أخيف أحدا ، ولا أقاتل الا من قاتلني . ثم مضى حتى نزل آبل وهو موضع دون خراسان . فمر به مال يحمل الى ابن زياد . وقد بلغ أصحابه أربعين رجلا فحط ذلك المال وأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه ورد الباقى على الرسل . فقال قولوا لصاحبكم انا قبضنا أعطياتنا . فقال بعض أصحابه فعلام ندع الباقى . فقال انهم يقيمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم مع الصلاة ولابى مرداس هذا أشعار فى الخروج . منها قوله :

أبعد ابن وهب ذى النزاهة والتقي * ومن خاض فى تلك الحروب المهالكا
أحب بقاء أو أرجى سلامة * وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا
فيارب سلم نيتى وبصيرتي * وهب لى البقا حتى ألاقى أولئكا

وقالوا : ان رجلا من أصحاب زياد قال خرجنا فى جيش نريد خراسان . فمررنا بآبل فاذا نحن بمرداس وأصحابه وهم أربعون رجلا . فقال أقاصدون لقتالنا أنتم . قلنا لا انما نريد خراسان . قال فابلغوا من لقيتم انا لم نخرج لنفسد فى الارض ، ولا لنروع أحدا ، ولكن هربنا من الضرر ، ولسنا نقاتل الا من قاتلنا ، ولا ناخذ من الفيء الا أعطياتنا . ثم قال : اندب لنا أحدا . فقلنا نعم أسلم بن زرعة الكلابى . قال فمتى ترونه يصل الينا . قلنا له يوم كذا وكذا فقال أبو بلال حسبنا الله ونعم الوكيل . وندب عبيد الله بن زياد أسلم بن زرعة الكلابى ووجهه اليهم فى الفين . فلما صار اليهم صاح به أبو بلال اتق الله يا أسلم فانا لا نريد قتالا ولا نحتجز مالا فما الذى تريد . قال : أريد أن أردكم الى ابن زياد . قال اذا يقتلنا . قال وان قتلكم . قال أفتشرك فى دمائنا . قال نعم انه محق وأنتم مبطلون . قال أبو بلال وكيف هو محق وهو فاجر يطيع الظلمة . ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه . فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضبا شديدا . وقال انهزمت وأنت فى ألفين عن أربعين رجلا . قال له أسلم والله لأن تذمني حيا أحب الى من أن تحمدني ميتا . وكان اذا خرج الى السوق ومر بالصبيان

صاحوا به أبو بلال وراءك حتى شكا الى ابن زياد فأمر الشرط ان يكفوا الناس عنه

٦٥ — رد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه على شوذب الخارجي —

الهيثم بن عدى قال : أخبرني عوانة بن الحكم عن محمد بن الزبير قال : بعثني عمر بن عبد العزيز مع عون بن عبد الله بن مسعود الى شوذب الخارجي وأصحابه اذ خرجوا بالجزيرة . وكتب معنا كتابا فقدمنا عليهم ودفعنا كتابه اليهم . فبعثوا معنا رجلا من بني شيبان ورجلا فيه حبشية يقال له شوذب . فقدما معنا على عمر وهو بخناصرة . فصعدنا اليه وكان في غرفة ومعه ابنه عبد الملك وحاجبه مزاحم . فاخبرناه بمكان الخارجيين . قال عمر : فتشوهما لا يكن معهما حديد وأدخلوهما . فلما دخلا قالا السلام عليكم ثم جلسا . فقال لهما عمر : أخبراني ما الذى أخرجكم عن حكمي هذا وما نقمتم . فتكلم الاسود منهما . فقال أنا والله ما نقمنا عليك في سيرتك ، وتحريك العدل والاحسان ، الى من وليت ولكن بيننا وبينك أمر إن أعطيتناه فنحن منك وأنت منا ، وان منعتناه فلست منا ولسنا منك . قال عمر : ما هو قال رأيناك خالفت أهل بيتك وسميتها مظالم وسلكت غير طريقهم فان زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالعنهم وأبرأ منهم . فهذا الذى يجمع بيننا وبينك أو يفرق . فتكلم عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . اني قد علمت أو ظننت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا ومتاعها . ولكنكم أردتم الآخرة فاخطأتم سبيلها وأنى سائلكما عن أمر فبالله أصدقاني فيه مبلغ علمكما . قالا نعم : قال أخبراني عن أبي بكر وعمر أليسا من أسلافكما وممن تتوليان وتشهدان لهما بالنجاة . قالا اللهم نعم : قال فهل علمتما أن ابا بكر حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتدت العرب قاتلهم فسفك الدماء وأخذ الاموال وسبى الذرارى . قالا نعم . قال فهل علمتم أن عمر قام بعد أبي بكر فرد تلك السبايا الى عشائرها . قالا نعم . قال فهل برىء عمر من أبي بكر أو تبرؤن أنتم من احد منهما . قالا لا . قال : فاخبراني عن أهل النهر وان اليسوا من اصالحى أسلافكم وممن تشهدون له بالنجاة قالا نعم . قال : فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا كفوا أيديهم فلم يسفكوا دما ولم يخيفوا آمنا ولم ياخذوا مالا . قالا نعم . قال فهل علمتم ان اهل البصرة حين خرجوا مع مسعر بن فديك استعرضوا يقتلونهم ولقوا عبد الله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه وقتلوا جاريته ثم قتلوا النساء والاطفال حتى جعلوا يلقونهم في قدور الاقط وهى تفور . قالا قد كان ذلك . قال فهل بريء اهل الكوفة من اهل البصرة . قالا

لا . قال: فهل تبرؤن أنتم من احدي الفئتين . قالا لا . قال : افرأيتم الدين اليس هو واحد أم الدين اثنان . قالا بل واحد . قال فهل يسعكم منه شيء يعجزني . قالا لا . قال : فكيف وسعكم أن توليتم أبابكر وعمر وتولى كل واحد منهما صاحبه وتوليتم أهل الكوفة والبصرة وتولى بعضهم بعضا وقد اختلفوا في أعظم الاشياء والدماء والفروج والاموال ولا يسعني الا لعن أهل بيتي والتبرؤ منهم . ورأيت لعن أهل الذنوب فريضة مفروضة لا بد منها فان كان ذلك فمتى عهدك بلعن فرعون . وقد قال أنا ربكم الاعلى. قال ما أذكر أني لعنته . قال : ويحك أيسعك أن لا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق ولا يسعني أن لا العن اهل بيتي والبراءة منهم ويحكم انكم قوم جهال أردتم أمراً فاخطأتموه . فانتم تردون على الناس ماقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . بعثه الله اليهم وهم عبدة أوثان . فدعاهم الى أن يخلوا الاوثان وان يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله فمن قال ذلك حقن بذلك دمه ، وأحرز ماله ، ووجبت حرمته ، وأمن به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان اسوة المسلمين ، وكان حسابه على الله أفلستم تلقون من خلع الاوثان ، ورفض الاديان ، وشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله تستحلون دمه وماله ، ويلعن عندكم ، ومن ترك ذلك وأباه من اليهود والنصاري وأهل الاديان فتحرمون دمه وماله . فقال الاسود : ماسمعت كاليوم أحداً أبين حجة ، ولا أقرب ماخذا أما أنا فاشهد انك على الحق وأني بريء ممن بريء منك . فقال عمر : لصاحبه ياأخا بني شيبان ماتقول أنت . قال ما أحسن ماقلت ووصفت غير اني لا أفتات على الناس بامر حتى القاهم بما ذكرت وأنظر ماحجتهم . قال أنت وذاك فاقام الحبشي مع عمر وأمر له بالعطاء فلم يلبث أن مات ولحق الشيباني باصحابه فقتل معهم بعد وفاة عمر

٦٦ — القول في اصحاب الاهواء — وذكر رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا فضله وشدة اجتهاده في العبادة فبينما هم في ذكره حتى طلع عليهم الرجل. فقالوا يارسول الله هو هذا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أني أرى بين عينيه سفعة من الشيطان . فاقبل الرجل حتي وقف عليهم فسلم . فقال هل حدثتك نفسك اذ طلعت علينا أنه ليس في القوم أحسن منك . قال نعم : ثم ذهب الى المسجد يصف بين قدميه يصلى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيكم يقوم اليه فيقتله . فقال أبو بكر أنا يارسول الله . فقام اليه فوجده يصلى فهابه فانصرف . قال ماصنعت . قال وجدته يصلي يارسول الله فهبته .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيكم يقوم اليه فيقتله . قال عمر انا يارسول الله . فقام اليه فوجده يصلي فهابه فانصرف . فقال يارسول الله وجدته يصلي فهبته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم يقوم اليه فيقتله . فقال علي أنا يارسول الله . قال أنت له ان ادركته . فقام اليه فوجده قد انصرف . فقال النبي عليه الصلاة والسلام هذا أول قرن يطلع في أمتي لو قتلتموه مااختلف بعده اثنان ان بني اسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة وهي الجماعة

٦٧ — الرافضة — وانما قيل لهم رافضة لانهم رفضوا أبابكر وعمر ولم يرفضهما أحد من أهل الاهواء غيرهم . والشيعة دونهم وهم الذين يفضلون عليا على عثمان ويتلون أبابكر وعمر . فاما الرافضة فلها غلو شديد في علي . ذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح وهي السبائية أصحاب عبد الله بن سبا عليهم لعنة الله . وفيهم يقول السيد الحميري :

قوم غلوا في علي لا أبا لهم * وأجشموا أنفسا في حبه تعبا
قالوا هو ابن الاله جل خالقنا * من أين يكون له ابن أو يكون أبا

وقد أحرقهم علي رضي الله عنه بالنار . ومن الروافض : المغيرة بن سعد مولى بجيلة قال الاعمش دخلت على المغيرة بن سعد . فسألته عن فضائل علي . فقال انك لاتحتملها . قلت بلى فذكر آدم صلوات الله عليه . فقال علي خير منه ثم ذكر من دونه من الانبياء . فقال علي خير منهم حتى انتهى الى محمد صلى الله عليه وسلم . فقال علي مثله . فقلت كذبت عليك لعنة الله . قال قد أعلمتك أنك لاتحتمله . ومن الروافض : من يزعم أن عليا رضي الله عنه في السحاب . فاذا أظلت عليهم سحابة قالوا السلام عليك يا أبا الحسن . وقد ذكرهم الشاعر فقال :

برئت من الخوارج لست منهم * من الغزال منهم وابن داب
ومن قوم اذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب
ولكني أحب بكل قلبي * وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حقا * به أرجو غدا حسن الثواب

وهؤلاء من الرافضة يقال لهم المنصورية وهم أصحاب أبي منصور الكسف . وانما سمي الكسف لانه كان يتاول في قول الله عز وجل «وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم» فالكسف علي وهو في السحاب . وكان المغيرة بن سعد من السبائية الذين أحرقهم علي رضي الله تعالى عنه بالنار وكان يقول لو شاء علي لاحيا عادا وثمود او قرونا بين ذلك كثيرا . وخرج خالد بن

عبد الله فقتله خالد وصلبه بواسط عند قنطرة العاشر . ومن الروافض ، كثير عزة الشاعر : ولما حضرته الوفاة دعا ابنة أخ له . فقال يا ابنة أخي ان عمك كان يحب هذا الرجل فاحبيه يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه . فقالت نصيحتك يا عم مردودة عليك أحبه والله خلاف الحب الذي أحببته أنت . فقال لها برئت منك . وأنشد يقول :

برئت الى الاله من ابن أروى * ومن قول الخوارج أجمعينا
ومن عمر برئت ومن عتيق * غداة دعى أمير المؤمنينا

ابن أروى عثمان . والروافض كلها تؤمن بالرجعة . وتقول لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدى وهو محمد بن علي فيملؤها عدلا كما ملئت جورا ويحيي موتاكم فيرجعون الى الدنيا و يكون الناس أمة واحدة . وفي ذلك يقول الشاعر :

ألا ان الائمة من قريش * ولاة العدل أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه * هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان و بر * وسبط غيبته كر بلاء

اراد بالاسباط الثلاثة الحسن . والحسين . ومحمد ابن الحنفية وهو المهدى الذي يخرج في آخر الزمان . ومن الروافض : السيد الحميرى وكان يلقى له وسائد في مسجد الكوفة يجلس عليها . وكان يؤمن بالرجعة . وفي ذلك يقول :

اذا ما المرء شاب له قذال * وعلله المواشط بالخضاب
فقد ذهبت بشاشته وأودى * فقم يا باك فابك على الشباب
فليس بعائد مافات منه * الى أحد الى يوم المآب
الى يوم يؤوب الناس فيه * الى دنياهم قبل الحساب
أدين بان ذاك كذاك حقا * وما أنا في النشور بذى ارتياب
لان الله خبر عن رجال * حيوا من بعد درس في التراب

وقال يرثى أخاه :

يا ابن أمي فدتك نفسي ومالي * كنت ركني ومفزعي وجمالي
ولعمرى لا تركتك ميتا * رهن رمس ضنك عليك مهال

لوشيكا ألقاك حيا صحيحا * سامعا مبصرا على غير حال
قد بعثتم من القبور فاتم * بعد مارمت العظام البوالى
أوكسبعين وافدا مع موسي * عاينوا هائلا من الاهوال
حين راموا من خبثهم رؤية الله وأني برؤية المتعال
فرماهم بصعقة أحرقتهم * ثم أحياهم شديد المحال

دخل رجل من الحسانية على المامون . فقال لثمامة بن أشرس كلمة . فقال له ماتقول وما مذهبك . فقال أقول ان الاشياء كلها على التوهم والحسبان وانما يدرك منها الناس على قدر عقولهم ولا حق فى الحقيقة . فقام اليه ثمامة فلطمه لطمة سودت وجهه . فقال يأمير المؤمنين يفعل بى مثل هذا في مجلسك . فقال له ثمامة وما فعلت بك . قال لطمتنى . قال ولعل انما دهنتك بالبان . ثم أنشا يقول :

ولعل آدم امنا * والاب حوافى الحساب
ولعل ماأبصرت من * بيض الطيور هو الغراب
وعساك حين قعدت قمـت وحين جئت هو الذهاب
وعسى البنفسج زئبق * وعسى البهار هو السذاب
وعساك تاكل من خرا * ك وأنت تحسبه كباب

ومن حديث ابن أبي شيبة أن عبدالله بن شداد قال : قال لى عبدالله بن عباس لاخبرنك بأعجب شيء. قرع اليوم على الباب رجل كما وضعت ثيابى للظهيرة . فقلت ماأتي به فى مثل هذا الحين الا أمر مهم أدخلوه . فلما دخل قال متى يبعث ذلك الرجل . قلت أي رجل . قال علي بن أبى طالب . قلت لايبعث حتى يبعث الله من فى القبور . قال وانك لتقول بقول هذه الجهلة . قلت أخرجوه عني لعنه الله . ومن الروافض : الكيسانية قلت وهم أصحاب المختار بن أبي عبيد و يقولون اسمه كيسان . ومن الرافضة : الحسينية وهم أصحاب ابراهيم بن الاشتر . وكانوا يطوفون بالليل فى أزقة الكوفة و ينادون ياثارات الحسين فقيل لهم الحسينية ، ومن الرافضة : الغرابية سميت بذلك لقولهم على أشبه بالنبي من الغراب بالغراب . ومن الرافضة : الزيدية وهم أصحاب زيد بن على المقتول بخراسان وهم أقل الرافضة غلوا غير أنهم يرون الخروج مع كل من خرج . مالك بن معاوية قال : قال لى الشعبي وذكرنا الرافضة يامالك لو أردت أن يعطونى

رقابهم عبيدا وان يملؤا بيتي ذهبا على أن أكذبهم على كذبة واحدة لفعلوا . ولكني والله لا أكذب عليه أبدا يامالك اني درست الاهواء كلها فلم أر قوما أحمق من الرافضة . فلو كانوا من الدواب لكانوا حميرا أو كانوا من الطير لكانوا رخما : ثم قال احذرك الاهواء المضلة ، شرها الرافضة ، فانها يهود هذه الامة ، يبغضون الاسلام ، كما يبغض اليهود النصرانية ، ولم يدخلوا فى الاسلام رغبة ولا رهبة من الله ، ولكن مقتا باهل الاسلام وبغيا عليهم ، وقد حرقهم على بن أبي طالب رضى الله عنه بالنار ، ونفاهم الى البلدان منهم عبدالله بن سبا نفاه الى ساباط ، وعبدالله بن سباب نفاه لى الحازر وأبو الكروس : وذلك أن محبة الرافضة محبة اليهود . قالت اليهود لا يكون الملك الا فى آل داود ، وقالت الرافضة لا يكون الملك الا فى آل على بن أبي طالب . وقالت اليهود لا يكون جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المسيح المنتظر ، وينادى منادمن السماء . وقالت الرافضة لا جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المهدى ، وينزل سبب من السماء واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم ، وكذلك الرافضة . واليهود لا ترى الطلاق الثلاث شيا ، وكذا الرافضة . واليهود لا ترى على النساء عدة ، وكذلك الرافضة واليهود تستحل دم كل مسلم ، وكذلك الرافضة : واليهود حرفوا التوراة ، وكذلك الرافضة حرفت القرآن : واليهود تبغض جبريل وتقول هو عدونا من الملائكة ، وكذلك الرافضة تقول غلط جبريل في الوحى الى محمد بترك على بن أبي طالب . واليهود لا تاكل لحم الجزور ، وكذلك الرافضة . ولليهود والنصارى فضيلة على الرافضة فى خصلتين سئل اليهود من خير أهل ملتكم . فقالوا أصحاب موسى . وسئلت النصارى . فقالوا أصحاب عيسى . وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم . فقالوا أصحاب محمد أمرهم بالاستغفار لهم . فشتموهم فالسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لا يثبت لهم قدم ، ولا تقوم لهم راية ، ولا تجمع لهم كلمة ، دعوتهم مدحورة ، وكلمتهم مختلفة ، وجمعهم مفرق ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفاها الله .

وذكرت الرافضة يوما عند الشعبي فقال : لقد بغضوا الينا حديث على بن أبي طالب .

وقال الشعبي : ماشبهت تاويل الروافض فى القرآن الا بتاويل رجل مضعوف من بني مخزوم من أهل مكة وجدته قاعدا بفناء الكعبة : فقال للشعبي : ماعندك في تاويل هذا البيت فان بني تميم يغلطون فيه يزعمون أن ماقيل فى رجل منهم . وهو قول الشاعر :

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فقلت له وما عندك أنت فيه . قال : البيت هو هذا البيت وأشار بيده الى الكعبة . وزرارة الحجر زرر حول البيت . فقلت له فمجاشع . قال زمزم جشعت بالماء . قلت فابو الفوارس . قال هو أبو قبيس جبل مكة . قلت فنهشل ففكر فيه طويلا . ثم قال أصبته هو مصباح الكعبة طويل أسود و هو النهشل

٦٨ — قولهم فى الشيعة — قال ابو عثمان بن بحر الجاحظ . أخبرني رجل من رؤساء التجار قال : كان معنا فى السفينة شيخ شرس الاخلاق ، طويل الاطراق ، وكان اذا ذكر له الشيعة غضب واربد وجهه وزوى من حاجبيه . فقلت له يوما يرحمك الله ما الذي تكرهه من الشيعة فاني رأيتك اذا ذكروا غضبت وقبضت . قال . ما أكره منهم الا هذه الشين في أول اسمهم فاني لم أجدها قط الا فى كل شر وشؤم وشيطان وشغب وشقاء وشنار وشرر وشين وشوك وشكوى وشهره وشتم وشح . قال ابو عثمان : فما ثبت لشيعي بعدها قائمة . قال رجل : لبعض ولاة بنى العباس انا اجعل فى هشام بن عبد الحكم أن يقول فى على رضى الله عنه انه ظالم . قال له : نشدتك الله أبا محمد اما تعلم أن عليا بارز العباس عند أبى بكر . قال نعم : قال فمن الظالم منهما فكره أن يقول العباس فيواقع سخط الخليفة او يقول على فينقص أصله . قال مامنهما ظالم . قال فكيف يتنازع اثنان فى شىء لا يكون أحدهما ظالما . قال قد تنازع الملكان عند داود عليه السلام وما فيهما ظالم . ولكن لينبها داود على الخطيئة . وكذلك هذان أرادا تنبيه أبي بكر من خطيئته فاسكت الرجل وأمر الخليفة لهشام بصلة

٦٩ — باب جامع الآداب — أدب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم . قال ابو عبد الله أحمد بن محمد أول ما نبدأ به أدب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم . ثم أدبه صلى الله عليه وسلم لامته . ثم الحكماء والعلماء . وقد أدب الله نبيه باحسن الآداب كلها فقال له . ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا : فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير وأمره بتوسط الحالتين كما قال عز وجل . والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقد جمع الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فى كتابه المحكم و نظم له مكارم الاخلاق كلها فى ثلاث كلمات فقال . خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين : ففى أخذه العفو

صلة من قطعه ، والصفح عمن ظلمه ، وفى الامر بالمعروف ، تقوى الله وغض الطرف عن المحارم ، وصون اللسان عن الكذب ، وفى الاعراض عن الجاهلين ، تنزيه النفس عن مماراة السفيه ، ومنازعة اللجوج ، ثم أمر تبارك وتعالى فيما ادبه باللين في عريكته والرفق بامته فقال « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » وقال « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » وقال تبارك وتعالى « لا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى أحسن فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم ومايلقاها الا الذين صبروا ومايلقاها الاذو حظ عظيم » فلما وعى عن الله عز وجل وكملت فيه هذه الآداب قال الله تبارك وتعالى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم »

٧٠ — باب آداب النبى صلى الله عليه وسلم لامته — قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أدب به امته وحضها عليه من مكارم الاخلاق وجميل المعاشرة واصلاح ذات البين وصلة الارحام فقال « أوصانى ربي بتسع أوصيكم بها أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية والعدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغني والفقر وان أعفو عمن ظلمني وأعطى من حرمنى وأصل من قطعني وأن يكون صمتى فكرا ونطقى ذكرا ونظرى عبرا » وقد قال صلى الله عليه وسلم « نهيتكم عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال » وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تقعدوا على ظهور الطرق فان أبيتم فغضوا الابصار وأفشوا السلام وأهدوا الضلال وأعينوا الضعيف » وقال صلى الله عليه وسلم « أوكؤا السقاء وأكفؤا الاناء وأغلقوا الابواب وأطفؤا المصباح فان الشيطان لايفتح غلقا ولايحل وكيئا ولايكشف الاناء » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بشر الناس قالوا بلى يارسول الله قال من اكل وحده ومنع رفده وجلد عبده » ثم قال « ألا انبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يارسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه » وقال « حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا البلاء بالدعاء » وقال « ماقل وكفى خير مما كثر وألهى » وقال « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » وقال « اليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول » وقال « لاتجن يمينك على شمالك ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » وقال « المرء كثير باخيه » وقال « افصلوا بين حديثكم بالاستغفار واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » وقال « افضل الاصحاب

من اذا ذكرت أعانك واذا نسيت ذكرك » وقال « لا يؤم ذوسلطان فى سلطانه ولا يجلس على تكرمته الا باذنه » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول ابن آدم مالى مالى وان ماله من ماله ما أكل فافني ولبس فابلى أو وهب فامضى » وقال « ستحرصون على الامارة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة » وقال « لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان » وقال « لو تكاشفتم ما تراقبتم وماهلك امرؤ عرف قدره » وقال « الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة والناس كلهم سواء كاسنان المشط » وقال « رحم الله عبدا قال خيراً فغنم أو سكت فسلم » وقال « خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة وخير المال عين ساهرة لعين نائمة » وقال معاذ فى الخيل بطونها كنز وظهورها حرز . وقال : ما أملق تاجر صدوق وما أقفر بيت فيه خل . وقال : قيدوا العلم بالكتابة . وقال : زرغبا تزدد حبا . وقال : علق سوطك حيث يراه أهلك

٧١ — باب في آداب الحكماء والعلماء — منه فى فضيلة الادب : أوصى بعض الحكماء بنيه فقال : الادب أكرم الجواهر طبيعة ، وأنفسها قيمة ، يرفع الاحساب الوضيعة ، او يفيد الرغائب الجليلة ، ويعز بلا عشيرة ، ويكثر الانصار لغير رزية ، فالبسوه حلة ، وتزينوه خلة ، يؤنسكم فى الوحشة ، ويجمع لكم القلوب المختلفة . ومن كلام على عليه السلام : فيما يروي عنه أنه قال من حلم ساد ، ومن ساد استفاد ، ومن استحيا حرم ، ومن هاب خاب ، ومن طلب الرياسة ، صبر على السياسة ، ومن أبصر عيب نفسه ، عمي عن عيب غيره ، ومن سل سيف البغي قتل به ، ومن احتفر لاخيه بئراً وقع فيها ، ومن نسى زلته استعظم زلة غيره ، ومن هتك حجاب غيره ، انهتكت عورات بيته ، ومن كابر فى الامور عطب ، ومن اقتحم اللجج غرق ، ومن أعجب برأيه ضل ، ومن استغني بعقله زل ، ومن تجبر على الناس ذل ، ومن تعمق فى العمل مل ، ومن صاحب الانذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، ومن حسن خلقه ، سهلت له طرقه ، ومن حسن كلامه ، كانت الهيبة امامه ، ومن خشي الله فاز ، ومن استفاد الجهل ، ترك طريق العدل ، ومن عرف أجله ، قصر أمله ، ثم أنشا يقول :

البس اخاك على عيوبه ❊ واستر وغط على ذنوبه
واصبر على بهت السفيه ❊ وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفاضلا ❊ وكل الظلوم الى حسيبه

وقال شبيب بن شبة : اطلبوا الادب فانه مادة للعقل ، ودليل على المروءة ، وصاحب فى

الغربة ، ومؤنس فى الوحشة ، وصلة فى المجلس . وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطلب الادب فانكم ان احتجتم اليه كان لكم مالا ، وان استغنيتم عنه كان لكم جمالا . وقال بعض الحكماء : اعلم أن جاها بالمال انما يصحبك ما صحبك المال ، وجاها بالادب غير زائل عنك . وقال ابن المقفع : اذا أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك فان الكرامة تزول بزوالهما ليعجبك اذا أكرموك لدين اوأدب . وقال الاحنف بن قيس : رأس الادب المنطق ، ولا خير فى قول الا بفعل ، ولا فى مال الا بجود ، ولا فى صديق الا بوفاء ، ولا فى فقه الا بورع ، ولا فى صدق الا بنية . وقال مطلقة الزبيدي : لا يستغني الاديب عن ثلاث واثنين فاما الثلاثة فالبلاغة والفصاحة وحسن العبادة . وأما الاثنان فالعلم بالاثر والحفظ للخبر . وقالوا : الحسب محتاج الى الادب والمعرفة محتاجة الى التجربة . وقال بزرجمهر : ماورث الآباء الابناء شيئا خيرا من الادب لان بالادب يكسبون المال وبالجهل يتلفونه . وقال الفضيل بن عياض : رأس الادب معرفة الرجل قدره . وقالوا أحسن الخلق خير قرين والادب خير ميراث والتوفيق خير قائد . وقال سفيان الثوري : من عرف نفسه لم يضره ما قال الناس فيه . وقال أنوشروان : للميد وهو العالم بالفارسية ما كان أفضل الاشياء . قال الطبيعة النقية تكتفى من الادب بالرائحة ، ومن العلم بالاشارة وكما يموت البذر فى السباخ كذلك تموت الحكمة بموت الطبيعة ، قال له صدقت : ونحن لهذا قلدناك ماقلدناك وقيل لازد شير : الادب أغلب أم الطبيعـة . فقال الادب زيادة فى العقل ، ومنبهة للرأي ، ومكسبة للصواب ، والطبيعة أملك لان بها الاعتقاد وبها الفراسة وتمام الغذاء . وقيل لبعض الحكماء : أى شيء أعون للعقل بعد الطبيعة المولدة . قال أدب مكتسب . وقالوا : الادب أدبان أدب الغريزة وهو الاصل وأدب الرواية وهو الفرع ولا يتفرع شيء الا عن أصله ولا ينظر الا الاصل المادة . وقال الشاعر :

ما السيف الازهرة لو تركته * على الخلقة الاولى لما كان يقطع

وقال آخر : ماوهب الله لامرىء هبة * أفضل من عقله ومن أدبه

هما حيـاة الفتى فان فقدا * فان فقد الحيـاة أحسن به

وقال ابن عباس : كفاك من علم الدين أن تعرف مالا يسعك جهله . وكفاك من علم الادب أن تروى الشاهد والمثال . قال ابن قتيبة : اذا اردت أن تكون أديبا فتفنن فى العلوم . وقالت الحكماء : اذا كان الرجل طاهر الاثواب ، كثير الآداب ، حسن المذهب ، تادب بادبه

وصلح بصلاحه . جميع أهله وولده . قال الشاعر

رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويفسدهم رب الفساد اذا فسد
يعظم فى الدنيا لفضل صلاحه * ويحفظ بعد الموت فى الاهل والولد

وسئل ابن عباس : أي الخصال أحمد عاقبة قال الايمان بالله عز وجل وبر الوالدين ومحبة العلماء وقبول الادب . روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من لا أدب له لا عقل له » وقالوا : الادب يزيد العاقل فضلا و نباهـة ويفيده رقة وظرفا . وفى رقة الادب قال ابو بكر بن أبي شيبة : قيل للعباس بن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو أكبر مني وأنا أسن منـه . وقيـل لابي وائـل : أيكما أكبر أنت أم الربيع بن خيثم . قال أنا أكبر منه سنا وهو أكبر مني عقلا . وقال أبان بن عثمان لطويس المغني أنا أكبر أم أنت . قال جعلت فداك لقد شهدت زفاف أمك المباركة . وقيل لعمر بن ذر : كيف بر ابنك بك . قال ما مشيت نهارا قط الا مشى خلفي ولا ليلا الا مشى أمامي ولا رقى علية وانا تحته . ومن حديث عائشة : قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبجل أحدا تبجيله لعمه العباس . وكان عمر وعثمان اذا لقيا العباس نزلا اعظاما له اذا كانا راكبين . الرياشي عن الاصمعي قال : قال هرون الرشيد لعبد الملك بن صالح هذا منزلك وقد تقدم هذا الخبر فى الخبر الذى فيه مخاطبة الملوك وكذلك قول الحجاج للشعبي كم عطاؤك . ومن قولنا في رقة الادب :

أدب كمثل الماء لو أفرغته * يوما لسال كما يسيل الماء

أحمد بن أبي طاهر قال : قلت لعلى بن يحيي ما رايت اكمل ادبا منك . قال : كيف لو رأيت اسحق بن ابراهيم . فقلت ذلك لاسحق بن ابراهيم . قال : كيف لو رأيت ابراهيم بن المهدي فقلت ذلك لابراهيم . فقـال كيف لو رايت جعفر بن يحيي . وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال لى رجاء بن حيوة ما رايت اكرم ادبا ولا اكرم عشيرة من ابيك سمرت عنده ليلة . فبينا نحن كذلك اذ غشي المصباح ونام الغلام . فقلت يا امير المؤمنين قد غشى المصباح ونام الغلام فلو اذنت لى اصلحتـه . فقـال : انه ليس من مروءة الرجـل ان يستخـدم ضيفـه . ثم حط رداءه عن منكبيـه وقام الى الدبة فصب من الزيت في المصباح واشخص الفتيلة . ثم رجع فلم يقم احد . فقال جرير بن عبد الله يا امير المؤمنين اعزم علينا كلنا ان نقوم فنتوضا . قال صدقت ولا علمتك الا سيدا فى الجاهلية فقيها فى الاسلام قوموا فتوضؤا . الرياشي عن الاصمعي قال :

حدثني عثمان الشحام . قال قلت للحسن يا أبا سعيد قال لبيك . قلت أتقول لى لبيك . قال انى أقولها لخادمى . وقال الشاعر :

ياحبذا حين تمسى الريح باردة * زادى أنسي وفتيان به هضم
يخدموني كرام فى مجالسهم * وفى الرجال اذا رافقتهم خدم
وما أصاحب من قوم فاذكرهم * الا يزيدهم حبا الى هم

٧٢ — فى الادب فى الحديث والاستماع — وقالت الحكماء : رأس الادب كله حسن الفهم والتفهم والاصغاء للمتكلم . وذكر الشعبي قوما فقال : مارأيت مثلهم أشد تناوبا فى مجلس ولا أحسن فهما من محدث . وقال الشعبي : فيما يصف به عبد الملك بن مروان والله ماعلمته الا آخذا بثلاث تاركا لثلاث آخذا بحسن الحديث اذا حدث و بحسن الاستماع اذا حدث وبايسر المؤنة اذا خولف تاركا لمجاوبة اللئيم ومماراة السفيه ومنازعة اللجوج . وقال بعض الحكماء لابنه : يابني تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول فاحذر أن تسرع فى القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل حتى يعلم الناس انك على فعل ما لم تقل أقرب منك الى قول مالم تفعل . قالوا : من حسن الادب أن لاتغالب أحدا على كلامه ، واذا سئل غيرك فلا تجب عنه ، واذا حدث بحديث فلا تنازعه اياه ، ولا يقتحم عليه فيه ، ولا تره انك تعلمه ، واذا كلمت صاحبك فاخذته حجتك فحسن مخرج ذلك عليه ولا تظهر الظفر به . وتعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام . وقال الحسن البصرى . حدثوا الناس ما أقبلوا عليكم بوجوههم . وقال ابو عباد : اذا أنكر المتكلم تخبر السامع فليسأله عن مقاطع حديثه ، والسبب الذى أجرى ذلك له ، فان وجده يقف على الحق أتم له الحديث ، والا قطعه عنه وحرمه مؤانسته ، وعرفه ما فى سوء الاستماع من الفشولة والحرمان للفائدة . وفى الادب فى المجالسة . قال المهلب بن أبي صفرة : العيش كله فى الجليس الممتع . ومن حديث أبى بكر ابن ابى شيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يقم الرجل عن مجلسه ولكن ليوسع له » وكان عبدالله بن عمر اذا قام له الرجل عن مجلسه لم يجلس فيه وقال لا يقم أحد لاحد عن مجلسه ولكن أفسحوا يفسح الله لكم . أبوا مامة قال : خرج الينا النبي صلى الله عليه وسلم فقمنا اليه . فقال لا تقوموا كما يقوم العجم لعظمائها فما قام اليه احدمنا

بعد ذلك وحديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان خرجت عليكم وانتم جلوس فلا يقوم من أحد منكم في وجهي وان قمت فكما أنتم وان جلست فكما أنتم فان ذلك خلق من أخلاق المشركين » وقال صلى الله عليه وسلم « الرجل أحق بصدر دابته وصدر مجلسه وصدر فراشه ومن قام عن مجلسه ورجع اليه فهو أحق به » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا جلس اليك أحد فلا تقم حتى تستاذنه . وجلس رجل الى الحسن بن على عليهما الرضوان . فقال له انك جلست الينا ونحن نريد القيام افتأذن وقال سعيد بن العاص ما مددت رجلي قط بين يدى جليسي ولا قمت حتى يقوم . وقال ابراهيم النخعي : اذا دخل أحدكم بيتا فليجلس حيث أجلسه اهله وطرح أبو قلابة لرجل جاس اليه وسادة فردها . فقال أما سمعت الحديث لا ترد على أخيك كرامته . وقال على بن أبي طالب رضوان الله عليه : لا يأبى الكرامة الاحمار . وقال سعيد بن العاص : لجليسى على ثلاث اذا دنا رحبت به . واذا جلس وسعت له : واذا حدث أقبلت عليه . وقال : اني لاخاف أن يمر الذباب بجليسى مخافة أن يؤذيه . الهيثم بن عدى قال : دخل الاحنف بن قيس على معاوية فاشار اليه الى وسادة فلم يجلس عليها . فقال له : مامنعك يا أحنف ان تجلس على الوسادة . فقال يا أمير المؤمنين ان فيما أوصي به قيس بن عاصم ولده ان قال لا تسع للسلطان حتى يملك ولا تقطعه حتى ينساك ولا تجلس له على فراش ولا وسادة واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين . وقال الحسن : مجالسة الرجل من غير أن يسئل عن اسمه واسم أبيه مجالسة النوكى . ولذلك قال شبيب بن شبة لابى جعفر ولقيه في الطواف وهو لا يعرفه فاعجبه حسن هيئته وسمته اصلحك الله اني أحب المعرفة وأجلك عن المسئلة . فقال : انا فلان ابن فلان . قال زياد : ما أتيت مجلسا قط الا تركت منه مالو جلست فيه لكان لى وترك مالى أحب الى من أخذ ما ليس لى وقال : اياك وصدور المجالس وان صدرك صاحبها فانها مجالس قلعة . وقال لان ادعي من بعد الى قرب أحب الى من ان أقصى من قرب الى بعد . ذكروا انه كان يوما ابو السمراء عند عبد الله بن طاهر وعنده اسحق ابن ابراهيم . فاستدنى عبد الله بن اسحق فناجاه بشيء وطالت النجوى بينهما . قال فاعترتني حيرة فيما بين القعود على ماهما عليه والقيام حتى انقطع ما بينهما وتنحى اسحق الى موقفه ونظر عبد الله الى . فقال :

اذا النجيان سراعتك امرهما * فابرح بسمعك يجهل مايقولان
ولا تحملها ثقلا لخوفهما * على تناجيهما بالمجلس الداني

فما رأيت أكرم منه ولا ارفق ادبا ترك مطالبتي في هفوتي بحق الامراء وادبني أدب النظراء

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «انما أحدكم مرآة أخيه فاذا رأى عليه أذى فليمطه عنه واذا أخذ أحدكم عن أخيه شيا فليقل لا بك السوء وصرف الله عنك السوء» وقالوا اذا اجتمعت حرمتان أسقطت الصغرى الكبري . وقال المهلب بن أبي صفرة : العيش كله في الجليس الممتع

٧٣ — الادب في المماشاة — وجه هشام بن عبد الملك ابنه على الصائفة ووجه معه ابن أخيه وأوصى كل واحد منهما بصاحبه . فلما قدما عليه . قال لابن أخيه كيف رأيت ابن عمك فقال ان شئت أجملت وان شئت فسرت . قال بل أجمل . قال عرضت بيننا جادة فتركها كل واحد منا لصاحبه فما ركبناها حتي رجعنا اليك . وقال يحيي بن أكثم ماشيت المامون يوما من الايام في بستان مؤنسة بنت المهدى . فكنت من الجانب الذى يستره من الشمس . فلما انتهى الى آخره وأراد الرجوع أردت أن ادور الى الجانب الذي يستره من الشمس . فقال لا تفعل ولكن كن بحالك حتي أسترك كما سترتني . فقلت يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك حر النار لفعلت فكيف الشمس . فقال ليس هذا من كرم الصحبة ومشي ساترا لى من الشمس كما سترته . وقيل لعمر بن ذر : كيف برابنك قال ما مشيت نهارا قط الا مشى خلفي ولا ليلا الا مشى أمامي ولا رقى سطحا وأنا تحته . وقيل لزياد : أنك تستخلص حارثة بن زيد وهو يواقع الشراب . فقال وكيف لا أستخلصه وما سألته عن شيء قط الا وجدت عنده منه علما ولا استودعته سرا قط فضيعه ولا راكبني قط فمست ركبتي ركبته . محمد بن يزيد بن عمر بن عبد العزيز قال . خرجت مع موسي الهادي أمير المؤمنين من جرجان . فقال لى : أما ان تحملني وأما ان أحملك فعلمت ما أراد . فانشدته أبيات ابن صرمة:

أوصيكم بالله أول وهلة * وأحسابكم والبر بالله أول
وان قومكم سادوا فلا تحسدوهم * وان كنتم أهل السيادة فاعدلوا
وان أنتم أعوزتم فتعففوا * وان كان فضل المال فيكم فافضلوا
وان نزلت احدى الدواهي بقومكم * فانفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وان طلبوا عرفا فلا تحرموهموا * وما حملوكم في الملمات فاحملوا

قال فامر لى بعشرين ألف درهم . وقيل ان سعيد بن سالم راكب موسي الهادي والحربة بيد عبد الله بن مالك وكانت الريح تسفي التراب وعبد الله يلحظ موضع مسير موسى فيتكلف ان

يسير على محاذاته وإذا حاذاه ناله ذلك التراب. فلما طال ذلك عليه أقبل على سعيد بن سالم. فقال أما ترى ما نلقى من هذا الخائن. قال والله يا أمير المؤمنين ما قصر فى الاجتهاد ولكن حرم التوفيق

٧٤ — باب السلام والاذن — قال النبي صلى الله عليه وسلم. أطيبوا الكلام وأفشوا السلام وأطعموا الايتام وصلوا بالليل والناس نيام: وقال صلى الله عليه وسلم «ان أبخل الناس الذى يبخل بالسلام» وأتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليك السلام يا رسول الله. فقال لا تقل عليك السلام فانها تحية الموتى. وقل السلام عليك. وقال صاحب حرس عمر بن عبد العزيز خرج عمر فى يوم عيد وعليه قميص كتان وعمامة على قلنسوة لاطئة فقمت اليه وسلمت عليه. فقال مه أنا واحد وانتم جماعة السلام علىّ والرد عليكم. ثم سلم ورددنا عليه ومشى فمشينا معه الى المسجد. وقال النبي صلى الله عليه وسلم «يسلم الماشي على القاعد والراكب على الراجل والكبير على الصغير» ودخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم. فقال له ابى يقرئك السلام. فقال عليك وعلى ابيك السلام. ابراهيم بن الاسود قال. قال عبد الله بن مسعود اذا لقيت عمر فاقرأ عليه السلام قال. فلقيته فاقرأته السلام. فقال وعليك وعليه السلام. دخل ميمون بن مهران على سليمان بن هشام وهو والى الجزيرة. فقال السلام عليكم. فقال له سليمان ما منعك ان تسلم بالامرة. فقال انما يسلم على الوالى بالامرة اذا كان عنده الناس. أبو بكر بن ابى شيبة قال. كان الحسن وابراهيم وميمون بن مهران يكرهون أن يقول الرجل حياك الله حتى تقول السلام. وسئل عبد الله بن عمر عن الرجل يدخل المسجد أو البيت ليس فيه أحد. قال يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. ومر رجل بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه السلام. وقال رجل لعائشة كيف اصبحت قالت بنعمة من الله. وقال رجل لشريح كيف اصبحت. قال اصبحت طويلا املى قصيرا اجلى سيئا عملى. وقيل لسفيان الثورى كيف اصبحت. قال اصبحت فى دار حارت فيها الادلاء. واستاذن رجل من بني عامر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت. فقال الج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان وقل له يقول السلام عليكم ادخل. جابر بن عبد الله قال استاذنت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من أنت فقلت أنا قال أنا أنا. وقال النبي صلى الله عليه وسلم «الاستئذان ثلاثة فان اذن لك والا فارجع» وقال على بن ابى طالب رضي الله عنه الاولى اذن والثانية مؤامرة: والثالثة عزيمة اما أن ياذنوا واما أن يردوا

٧٥ - باب فى تاديب الصغير - قالت الحكماء : من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا وقالوا : اطبع الطين ما كان رطبا واغمز العود ما كان لدنا . وقالوا : من أدب ولده غم حاسده وقال ابن عباس : من لم يجلس فى الصغر حيث يكره لم يجلس فى الكبر حيث يحب . وقال الشاعر :

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا * فمطلبها كهلا عليه شديد

وقالوا : ما أشد فطام الكبير وأعسر رياضة الهرم . قال الشاعر :

وتروض عرسك بعد ما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم

كتب شريح الى معلم ولده :

ترك الصلاة لا كلب يسعى بها * يبغي الهراش مع الغواة الرجس
فاذا أتاك فعضه بملامة * وعظه موعظة الاديب الكيس
فاذا هممت بضربه فبدرة * واذا بلغت ثلاثة لك فاحبس
واعلم بانك ما أتيت فنفسه * مع ما يجرعني أعز الانفس

وقال صالح بن عبد القدوس :

وان من أدبته فى الصبا * كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا * بعد الذى أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتي يوارى فى ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد له جهله * كذا الصبا عاد الى بلسه
ما تبلغ الاعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال عمرو بن عتبة لمعلم ولده ليكن أول اصلاحك لولدى اصلاحك لنفسك ، فان عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه ولا تتركهم منه فيهجروه ، روهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أعفه ، ولا تنقلهم من علم الى علم حتي يحكموه ، فان ازدحام الكلام فى القلب مشغلة للفهم ، وعلمهم سنن الحكماء ، وجنبهم محادثة النساء ، ولا تتكل على عذر مني لك ، فقد اتكلت على كفاية منك

٧٦ — باب فى حب الولد — ارسل معاوية الى الاحنف بن قيس . فقال يا أبا بحر ما تقول فى الولد . قال ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن له أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، فان طلبوا فاعطهم ، وان غضبوا فارضهم ، يمنحوك

ودهم ، و يحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ، ويحبوا وفاتك ، فقال لله أنت يا أحنف لقد دخلت على وانى لمملوء غضبا على يزيد فسللته من قلبي . فلما خرج الاحنف من عنده بعث معاوية الى يزيد بمائتي الف درهم ومائتي ثوب . فبعث يزيد الى الاحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب شاطره البعثة . وكان عبدالله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب حتى لامه الناس فيه . فقال :

* يلومونني فى سالم وألومهم * وجلدى بين العين والأنف سالم

وقال ان ابنى سالما ليحب الله حبا لو لم يخفه ماعصاه . وكان يحيى بن اليمان يذهب بولده داود كل مذهب حتي قال يوما أئمة الحديث أربعة كان عبد الله . ثم كان علقمة ثم كان ابراهيم . ثم أنت ياداود . وقال تزوجت أم داود فما كان عند ناشيء ألفه فيه حتى اشتريت له كسوة بدانق وقال : زيد بن على لابنه : يابني ان الله لم يرضك فاوصاك بي ورضيني لك فحذرنيك . واعلم ان خير الآباء للابناء من لم يدعه الى التفريط وخير الابناء للآباء من لم يدعه التقصير الى العقوق . وفى الحديث المرفوع « ريح الولد من ريح الجنة » وفيه أيضا « الاولاد من ريحان الله » وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما بشر بفاطمة « ريحانة أشمها ورزقها على الله » ودخل عمرو بن العاصى على معاوية و بين يديه بنته عائشة . فقال من هذه . فقال هذه تفاحة القلب . فقال له انبذها عنك فوالله انهن ليلدن الاعداء ، ويقربن البعداء ، ويورثن الضغائن ، قال لا تقل ذاك يا عمرو فوالله ما مرض المرضى ، ولا ندب الموتي ، ولا أعان على الاحزان مثلهن ، ورب ابن أخت قد نفع خاله . وقال المعلى الطائى :

لولا بنيات كزغب القطا * خططن من بعض الى بعض
لكان لى مضطرب واسع * فى الارض ذات الطول والعرض
* وانما أولادنا بيننا * أكبادنا تمشى على الارض

وقال عبدالله بن ابي بكرة موت الولد صدع فى الكبد لا ينجبر آخر الابد . ونظر عمر بن الخطاب الى رجل يحمل طفلا على عنقه . فقال ماهذا منك . قال ابنى ياأمير المؤمنين . قال أما انه ان عاش فتنك وان مات حزنك . وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقص الحسين بن على رضى الله عنهما وتقول :

ان ابني شبه النبي * ليس شبيها بعلى

وكان الزبير يرقص عروة ويقول :

أبيض من آل أبي عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألذه كما ألذ ريقي

وقال أعرابي وهو يرقص ولده :

أحبه حب الشحيح ماله * قد كان ذاق الفقر ثم ناله * اذا يريد بذله بدا له *

وقال آخر وهو يرقص ولده :

أعرف منه قلة النعاس * وخفة من رأسه في راسي

وكان رجل من طيء يقطع الطريق فمات وترك بنيا رضيعا فجعلت أمه ترقصه وتقول :

ياليته قد قطع الطريقا * ولم يرد في أمره رفيقا

وقد أخاف الفج والمضيقا * فقل ان كان به شفيقا

وقال عبد الملك أضر بنا في الوليد حبنا له فلم نؤد به وكان الوليد أدبنا . وقال هرون الرشيد لابنه المعتصم : مافعل وصيفك . قال مات فاسترحت من الكتاب . قال وبلغ منك الكتاب هذا المبلغ والله لاحضرته أبدا ووجهه الى البادية . فتعلم الفصاحة وكان أميا وهو المعروف بابن ماردة وفي بعض الحديث ان ابراهيم خليل الرحمن كان من أغير الناس . فلما حضرته الوفاة دخل عليه ملك الموت في صورة رجل أنكره . فقال له من أدخلك داري . قال الذي أسكنك فيها منذ كذا وكذا سنة . قال ومن أنت قال انا ملك الموت جئت لقبض روحك . قال أتاركي أنت حتي أودع ابني اسحق . قال نعم فارسل الى اسحق . فلما أتاه أخبره فتعلق اسحق بابيه ابراهيم وجعل يتقطع عليه بكاء فخرج عنهما ملك الموت . وقال يارب ذبيحك اسحق متعلق بخليلك . فقال له الله قل له اني قد أمهلتك . ففعل وانحل اسحق عن أبيه ودخل ابراهيم بيتا ينام فيه . فقبض ملك الموت روحه وهو نائم

٧٧ — باب الاعتضاد بالولد — قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن عبده زكريا ودعائه اليه في الولد « وزكريا اذ نادي ربه رب لاتذرني فردا وأنت خير الوارثين » وقال . واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا : الموالي ههنا بنو العم . وقال الشاعر :

من كان ذا عضد عزت ظلامته * ان الذليل الذي ليست له عضد

تنبو يداه اذا ماقل ناصره * ويانف الضيم ان أثري له عدد

العتبي قال : لما أسن أبو براء عامر بن مالك وضعفه بنو أخيه وخرفوه ولم يكن له ولد يحميه أنشا يقول :

دفعتكم عني وما دفع راحة * بشيء اذا لم تستعن بالانامل
يضعفني حلمي وكثرة جهلكم * علي واني لا أعضد بجاهل

وقال آخر :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له * و يتقي سورة المستنفر الحامي

٧٨ — باب في التجارب والتادب بالزمان — قالت الحكماء : كفى بالتجارب تاديبا و بتقلب الايام عظة . وقالوا : كفى بالدهر مؤدبا و بالعقل مرشدا . وقال حبيب :

أحاولت ارشادي فعقلي مرشد * أم استمت تاديبي فدهري مؤدبي

وقال ابراهيم بن شكلة :

من لم يؤدبه والداه * ادبه الليل والنهار * كم قد اذلا كريم قوم
ليس له منهما انتصار * من ذا يد الدهر لم تنله * او اطمانت به الديار
كل عن الحادثات مغض * وعنده للزمان ثار

وقال آخر : وما أبقت لك الايام عذرا * و بالايام يتعظ اللبيب

وقالوا : كفى بالدهر مخبرا بما مضى عما بقي . وقالوا : كفى الزمان مخبر الذوي الالباب ماجربوا وقالوا : لعيسى بن مريم عليهما السلام من أدبك . قال ما أدبني أحد رأيت الجهل قبيحا فاجتنبته

٧٩ — باب في صحبة الايام بالموادعة — قالت الحكماء : اصحب الايام بالموادعة ولا تسابق الدهر فتنكب . وقال الشاعر :

من سابق الدهر كبا كبوة * لم يستقلها من خطا الدهر
فاخط مع الدهر اذا ماخطا * واجر مع الدهر كما يجري

وقال بشار العقيلي :

اعاذل ان العذر سوف يفيق * وان يسارا من غد الخليق
وما كنت الا كالزمان اذا صحا * صحوت وان ماق الزمان اموق

وقال آخر : تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم * ولاقهم بالجهل فعل ذوي الجهل
وخلط اذا لاقيت يوما مخلطا * يخلط في قول صحيح وفي هزل
فاني رأيت المرء يشقى بعقله * كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

وقال آخر : ان المقادير اذا ساعدت * ألحقت العاجز بالحازم
وقال الآخر والسبب المانع حظ العاقل * هو الذى سبب حظ الجاهل
ومن أمثالهم فى ذلك تطامن لها تخطك . ومن قولنا فى هذا المعنى :
تطامن للزمان يجزك عفوا * وان قالوا ذليل قل ذليل
وقال حبيب : وكانت روعة ثم اطمأنت * كذاك لكل سائلة قرار
وقال آخر : ماذا يريك الدهر من هوانه * ازفن لقرد السوق في زمانه
ولآخر : الدهر لا يبقي على حالة * لابد أن يقبل أو يدبر
فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر
ولآخر : اصبر لدهر نال منك فهكذا مضت الدهور
فرحا وحزنا مرة * لا الحزن دام ولا السرور
ولآخر : عفا الله عمن صير الهم واحدا * وأيقن ان الدائرات تدور
تروح لنا الدنيا بغير الذى عدت * وتحدث من بعد الامور أمور
وتجري الليالي باجتماع وفرقة * وتطلع فيها أنجم وتغور
ويطمع أن يبقى السرور لاهله * وهذا محال أن يدوم سرور
ولآخر : ماتنظر الايام فيك لعلها * تعود الى الوصل الذي هو أجمل

٨٠ — باب التحفظ من المقالة القبيحة وان كانت باطلا — قالت الحكماء : اياك وما يعتذر منه . وقالوا : من عرض نفسه للتهم فلا يامن من اساءة الظن . وقالوا : حسبك من شر سماعه . وقالوا : كفى بالقول عارا وان كان باطلا . وقال الشاعر :

ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق و بالباطل
مقالة السوء الى أهلها * أسرع من منحدر سائل

وقال آخر : قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا * فما اعتذارك من قول اذا قيلا
وقال ارسطاطاليس : للاسكندر ان الناس اذا قدروا أن يقولوا قدروا أن يفعلوا . فاحترس من أن يقولوا تسلم من أن يفعلوا . وقال امرؤ القيس : * وجرح اللسان كجرح اليد * وقال الاخطل * والقول ينفذ مالا تنفذ الايدي * وقال يعقوب الحمدى :
وقد يرجى لجرح السيف برء * ولا برء لما جرح اللسان

ولآخر قالوا ولو صح ما قالوا لفزت به * من لي بتصديق ما قالوا وتكذيب

٨١ — باب الادب في تشميت العطاس — ومن حديث أبي بكر بن أبي شيبة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تشمت العاطس حتى يحمد الله فان لم يحمده فلا تشمته » وقال « اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه وان لم يحمد الله فلا تشمتوه » وقال علي رضي الله عنه يشمت العاطس الى ثلاث فان زاد فهو داء يخرج من رأسه . عطس ابن عمر فقالوا له يرحمك الله . فقال يهديكم الله ويصلح بالكم . وعطس علي بن أبي طالب فحمد الله فقيل له يرحمك الله . فقال يغفر الله لنا ولكم . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا عطس احدكم فشمتوه ثلاثا فان زاد فقولوا انك مضنوك . وقال بعضهم التشميت مرة واحدة

٨٢ — باب الاذن في القبلة — عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال : كنا نقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم . وكيع عن سفيان قال : قبل أبو عبيدة يد عمر ابن الخطاب ومن حديث الشعبي عن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر بن أبي طالب فالتزمه وقبل بين عينيه . وقال اياس بن دغفل : رأيت أبا نضرة يقبل خد الحسن . الشيباني عن أبي الحسن عن مصعب قال : رأيت رجلا دخل على علي بن الحسين رضي الله عنهما في المسجد فقبل يده ووضعها على عينيه ولم ينهه . العتبي قال : دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقبل يده . فقال ما قبلت العرب الايدي الا هلوعا ولا فعلتها العجم الا خضوعا . واستأذن رجل المأمون في تقبيل يده فقال : ان القبلة من المؤمن ذلة ومن الذمي خديعة ولا حاجة بك أن تذل ولا حاجة بنا أن نخدع . واستأذن أبو دلامة المهدي في تقبيل يده فمنعه . فقال ما منعتني شيا أيسر على عيالي فقدا منه . الاصمعي قال : دخل أبو بكر الهجري على المنصور . فقال يا أمير المؤمنين نغض فمي وأنتم أهل بيت بركة . فلو أذنت لي فقبلت رأسك لعل الله كان يمسك علي ما بقي من أسناني . اختر بينها وبين الجائزة . فقال يا أمير المؤمنين أن أهون من ذهاب درهم من الجائزة أن لا يبقى في فمي حاكة فضحك المنصور وأمر له بجائزة . وقالوا : قبلة الامام في اليد وقبلة الاب في الرأس وقبلة الاخ في الخد وقبلة الاخت في الصدر وقبلة الزوجة في الفم

﴿ تم الجزء الاول من كتاب العقد الفريد ويليه ان شاء الله تعالى ﴾

﴿ الجزء الثاني وأوله باب الادب في العيادة الخ ﴾

فهرست

الجزء الاول من كتاب العقد الفريد

ذكر مافيه من الكتب

كتاب اللؤلؤة فى السلطان	كتاب الجمانة فى الوفود
كتاب الفريدة فى الحروب ومدار أمرها	كتاب المرجانة فى مخاطبة الملوك
كتاب الزبرجدة فى الاجواد والاصفاد	كتاب الياقوتة في العلم والادب

ذكر الكتب وما فيها من التراجم

كتاب اللؤلؤة فى السلطان

صحيفة

٦ حق الامام على رعيته
حق الرعية على الامام
نصيحة السلطان ولزوم طاعته
٧ مايصحب به السلطان
١١ اختيار السلطان لاهل عمله
١٣ حسن السياسة واقامة المملكة
١٥ بسط العدل ورد المظالم
١٧ صلاح الرعية بصلاح الامام
١٨ قولهم فى الملك وجلسائه ووزرائه
١٩ صفة الامام العادل
٢٠ هيبة الامام وتواضعه
٢٢ حسن السيرة والرفق بالرعية

صحيفة

٢٤ ماياخذ به السلطان من الحزم والعزم
٢٨ التعرض للسلطان والرد عليه
٣٠ تحلم السلطان على أهل الدين والفضل اذا اجترؤا عليه
٣٣ المشورة
٣٥ حفظ الاسرار
٣٦ الاذن
٣٧ الحجاب
٤٢ باب الوفاء والغدر
٤٣ الولاية والعزل
٤٤ باب من أحكام القضاة

كتاب الفريدة فى الحروب ومدار أمرها

صحيفة

٤٩ صفة الحروب

صحيفة

٥٠ العمل فى الحروب

صحيفة

٥٢ الصبر والاقدام فى الحرب
٦٠ فرسان العرب فى الجاهلية والاسلام
٦٣ المكيدة فى الحرب
٦٦ وصايا أمراء الجيوش
٧٠ المحاماة عن العشيرة ومنع المستجير
٧٢ الجبن والفرار
٧٥ ماقيل فى الفرار من الجبناء من الشعر
٧٩ فضائل الخيل
صفة جياد الخيل

صحيفة

٨٤ سوابق الخيل
٨٩ فى الحلبة والرهان
٩٠ وصف السلاح
٩٢ النزع بالقوس
٩٥ مشاورة المهدى لاهل بيته فى حرب خراسان
١٠٧ باب فى مداراة العدو
التحفظ من العدو وان أبدى لك المودة
١٠٩ باب من أخبار الازارقة

﴿ كتاب الزبرجدة فى الاجواد والاصفاد ﴾

صحيفة

١١٣ مدح الكرم وذم البخل
١١٥ الترغيب فى حسن الثناء واصطناع المعروف
١١٧ الجود مع الاقلال
١١٨ العطية قبل السؤال
١٢٠ استنجاح الحوائج
١٢٢ استنجاز المواعد
١٢٧ لطيف الاستمناح
١٣٩ الاخذ من الامراء
١٤٠ تفضيل بعض الناس على بعض بالعطاء، شكر النعمة
١٤١ قلة الكرام فى كثرة اللئام
١٤٢ من جاد أولا وضن آخرا
١٤٣ من ضن أولا ثم جاد آخر
من مدح أميرا فخيبه
١٤٥ أجواد اهل الجاهلية

صحيفة

١٤٨ أجواد أهل الاسلام
جود عبيدالله بن عباس
١٥٠ جود عبدالله بن جعفر
جود سعيد بن العاص
١٥٢ جود عبدالله بن أبي بكرة
جود عبيدالله بن معمر القرشي التميمى
١٥٣ الطبقة الثانية من الاجواد
الحكم بن حنطب
معن بن زائدة
١٥٤ يزيد بن المهلب
١٥٦ يزيد بن حاتم
أبو دلف
١٥٧ أخبار معن بن زائدة
خالد بن عبد الله القسرى
١٥٨ عدى بن حاتم
أصفاد الملوك على المدح

﴿ كتاب الجمانة فى الوفود ﴾

صحيفة

١٦٦ وفود العرب على كسرى
١٧٠ فقام أكثم بن صيفي
ثم قام حاجب بن زرارة التميمي
١٧١ ثم قام الحرث بن عباد البكرى
ثم قام عمرو بن الشريد السلمى
١٧٢ ثم قام خالد بن جعفر الكلابى
ثم قام علقمة بن علاثة العامري
ثم قام قيس بن مسعود الشيبانى
١٧٣ ثم قام عامر بن الطفيل العامرى
ثم قام عمرو بن معدى كرب الزبيدي
ثم قام الحرث بن ظالم المرى
١٧٤ وفود حاجب بن زرارة على كسرى
وفود أبى سفيان على كسرى
١٧٥ وفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر
وفود قريش على سيف بن ذى يزن
١٧٨ وفود عبد المسيح على سطيح
١٧٩ وفود همدان على النبي صلى الله عليه وسلم
وفود النخع على النبي صلى الله عليه وسلم
١٨٠ وفود كلب على النبي صلى الله عليه وسلم
وفود ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم
وفود مذحج على النبي صلى الله عليه وسلم
١٨١ وفود لقيط بن عامر بن المنتفق على النبي صلى الله عليه وسلم
١٨٣ وفود قيلة على النبي صلى الله عليه وسلم
١٨٥ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكيد ردومة
كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر الحضرمي
١٨٥ حديث جرير بن عبد الله البجلى
١٨٦ حديث عياش بن أبى ربيعة
حديث راشد بن عبد الله السلمى
وفود نابغة بنى جعدة على النبي صلى الله عليه وسلم
١٨٧ وفود طهية بن أبي زهير النهدى على النبي صلى الله عليه وسلم
١٨٨ وفود جبلة بن الايهم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه
١٩١ وفود الاحنف على عمر بن الخطاب
١٩٢ وفود الاحنف وعمر بن الاهتم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه
وفود عمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه
١٩٣ وفود أهل اليمامة على أبى بكر الصديق رضي الله عنه
١٩٣ وفود عمرو بن معدى كرب على مجاشع ابن مسعود
١٩٤ وفود الحسن بن على رضى الله عنهما على معاوية رضى الله عنه
وفود زيد بن منبه على معاوية
وفود عبد العزيز بن زرارة على معاوية
١٩٥ وفود عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية
وفود عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان
١٩٨ وفود الشعبي على عبد الملك بن مروان
١٩٩ وفود الحجاج بابراهيم بن طلحة على

صحيفة

عبد الملك بن مروان
٢٠١ وفود رسول المهلب على الحجاج بقتل الازارقة
وفود جرير على عبد الملك بن مروان
٢٠٢ وفود جرير عن أهل الحجاز على عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه
وفود دكين الراجز على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
٢٠٣ وفود كثير والاخوص على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
٢٠٥ وفود الشعراء على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
٢٠٨ وفود نابغة بني جعدة على ابن الزبير
٢٠٩ وفود أهل الكوفة على ابن الزبير رحمه الله

صحيفة

٢٠٩ وفود رؤبة على أبي مسلم
٢١٠ وفود العتابى على المامون
وفود أبي عثمان المازنى على الواثق
٢١١ الوافدات على معاوية
وفود سودة ابنة عمارة على معاوية
٢١٢ وفود بكارة الهلالية على معاوية
٢١٣ وفود الزرقاء على معاوية
٢١٤ وفود أم سنان بنت جشمة على معاوية
٢١٥ وفود عكرشة بنت الاطرش على معاوية
٢١٦ قصة دارمية الحجونية مع معاوية
٢١٧ وفود أم الخير بنت خريش على معاوية
٢١٩ وفود أروي بنت عبد المطلب على معاوية

كتاب المرجانة فى مخاطبة الملوك

صحيفة

٢٢٠ البيان
١٢١ تبجيل الملوك وتعظيمهم قبلة اليد
٢٢٢ من كره من الملوك تقبيل اليد
حسن التوقيع فى مخاطبة الملوك
٢٢٤ مدح الملوك والزلف اليهم
٢٢٨ التنصل والاعتذار

صحيفة

٢٣١ الاستعطاف والاعتراف
٢٤١ تذكير الملوك بذمام متقدم
٢٤٢ حسن التخلص من السلطان
٢٥٣ فضيلة العفو والترغيب فيه
٢٥٤ بعد الهمة وشرف النفس
٢٦٠ مراسلة بين الملوك

كتاب الياقوتة فى العلم والادب

صفحة

٢٦٣ فنون العلم
٢٦٤ الحض على طلب العلم
٢٦٥ فضيلة العلم
٢٦٦ ضبط العلم والتثبت فيه

صفحة

٢٦٧ انتحال العلم
شرائط العلم
٢٦٨ حفظ العلم واستعماله
٢٦٩ رفع العلم وقولهم فيه

صحيفة
٢٦٩ تحامل الجاهل على العالم
تبجيل العلماء وتعظيمهم
٢٧٠ عويص المسائل
التصحيف
طلب العلم لغير الله
٢٧١ باب من أخبار العلماء والادباء
٢٧٦ قولهم فى حملة القرآن
٢٧٧ العقل
٢٧٩ الحكمة
٢٨٠ نوادر من الحكمة
٢٨٢ البلاغة وصفتها
٢٨٣ وجوه البلاغة
٢٨٤ فصول من البلاغة
٢٨٥ من النطق بالدلالة الخ
٢٨٦ آفات البلاغة
باب الحلم ودفع السيئة بالحسنة
٢٨٧ صفة الحلم ومايصلح له
٢٨٩ باب السودد
٢٩١ سودد الرجل بنفسه .
٢٩٢ المروءة
٢٩٣ طبقات الرجال
الغوغاء
٢٩٤ الثقلاء
٢٩٧ التفاؤل بالاسماء
٢٩٨ باب الطيرة
٢٩٩ اتخاذ الاخوان ومايجب لهم

صحيفة
٣٠٠ معاتبة الصديق واستباق مودته
٣٠١ فضل الصداقة على القرابة
٣٠٢ التحبب الى الناس
٣٠٣ صفة المحبة
٣٠٣ مواصلتك لمن كان يواصل أباك
٣٠٤ الحسد
٣٠٨ محاسدة الاقارب
٣١٠ السعاية والبغى
٣١٢ الغيبة
٣١٣ مداراة أهل الشر
٣١٧ فساد الاخوان
٣٢٠ من قاده الكبر الى النار
٣٢٢ باب فى التواضع
٣٢٣ الرفق والاناة
استراحة الرجل بمكنون سره الى صديقه
الاستدلال باللحظ على الضمير
الاستدلال بالضمير على الضمير
٣٢٥ الاصابة بالظن
تقديم القرابة وتفضيل المعارف
فضيلة العشيرة
٣٢٦ الدين
٣٢٧ مجانبة الخلف والكذب
التنزه عن استماع الخنى والقول به
٣٢٨ باب فى الغلو فى الدين
٣٣١ القول فى القدر

صحيفة

٣٣٥ ردّ المأمون على الملحدين وأهل الاهواء

٣٣٧ ماجاء فى ذم الحمق والجهل

أصناف الاخوان

٣٤١ باب من أخبار الخوارج

٣٤٨ ردّ عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه على شوذب الخارجي

٣٤٩ القول فى أصحاب الاهواء

٣٥٠ الرافضة

٣٥٤ قولهم فى الشيعة

باب جامع الآداب

أدب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم

٣٥٥ باب أداب النبي صلى الله عليه وسلم

صحيفة

لامته

٣٥٦ باب فى آداب الحكماء والعلماء

٣٥٨ فى رقة الادب

٣٥٩ فى الأدب فى الحديث والاستماع

٣٥٩ فى الادب في المجالسة

٣٦١ الادب فى الماشاة

٣٦٢ باب السلام والأذن

٣٦٣ باب فى تاديب الصغير

باب فى حب الولد

٣٦٥ باب الاعتضاد بالولد

٣٦٦ باب فى صحبة الايام بالموادعة

٣٦٨ باب الادب فى تشميت العاطس

باب الاذن فى القبلة

﴿ تمت ﴾